الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة منتوري قسنطينة

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية

قسم التاريخ والآثار

رقم التسجيل:

الرقم التسلسلي:

الطريقة العلاوية في الجزائر ومكانتها الدينية والاجتماعية

1909 – 1934

رسالة مقدمة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ الحديث والمعاصر

إعداد الطالبة
غزالة بوغانم

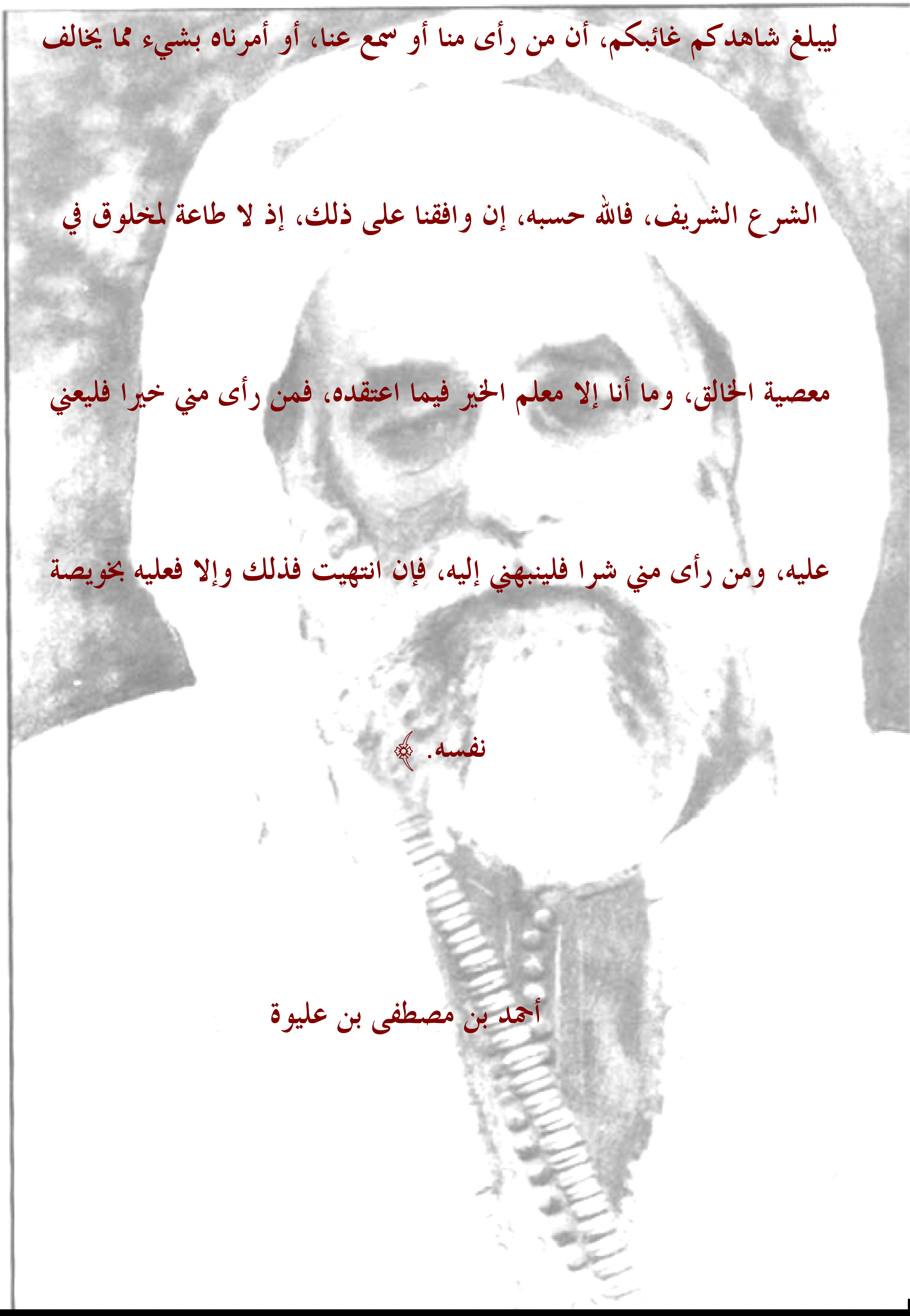
اشرف الأستاذ الدكتور
عبد الكريم بوصفصاف

أعضاء لجنة المناقشة

الاسم واللقب	الرتبة	الصفة	الجامعة الأصلية
أ.د سكفالي عبد الرحيم	أستاذ تعليم عالي	رئيسا	جامعة منتوري – قسنطينة
أ.د عبد الكريم بوصفصاف	أستاذ تعليم عالي	مشرفا ومقررا	الجامعة الإفريقية – أدرار
د. خمري الجمعي	أستاذ محاضر	عضوا	جامعة الحاج لخضر – باتنة
د. ساعد خميسي	أستاذ محاضر	عضوا	جامعة منتوري – قسنطينة

السنة الجامعية: 1428-1429 هجري / 2007-2008 ميلاد

﴿...أيها الحاضرون:



ليبلغ شاهدكم غائبكم، أن من رأى منا أو سمع عنا، أو أمرناه بشيء مما يخالف الشرع الشريف، فالله حسبه، إن وافقنا على ذلك، إذ لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق، وما أنا إلا معلم الخير فيما اعتقده، فمن رأى مني خيرا فليعني عليه، ومن رأى مني شرا فلينبهني إليه، فإن انتهيت فذلك وإلا فعليه بخويصة نفسه. ﴾

أحمد بن مصطفى بن عليوة

الإهـــداء

إلى أبوي الكريمين:

أمي الغالية:

التي أطلب عفوها فلطالما انزعجت من هذا البحث، وتمنت التخلي عنه إشفاقا علي.

أبي العزيز:

الذي غرس في نفسي حب التاريخ بما أنشأني عليه من قصص القرآن الكريم، وبطولات جيش التحرير الوطني والذي لم يمنعه حبه لي من الإصرار على إنهاء هذا البحث، فصبر وصابر معي دون كلل ولا ملل حتى رأى النور.

شكر وتقدير



إن هذا البحث لمدين بالكثير من الشكر والعرفان لأستاذي المشرف الدكتور عبد الكريم بوصفصاف على صبره علي ومصابرته معي، مع حسن الإرشاد والتوجيه.

كما أجدني ممتنة وشاكرة للأستاذ الكريم علاوة أرتباس من سطيف الفقير العلاوي المتفاني في خدمة النسبة وبإخلاص مشهود، والذي لم يبخل علي بدعمه لا المادي ولا الأدبي فجازاه الله عني خير الجزاء.

وجزيل الشكر مع العرفان بالجميل للحاج مراد بن تونس، القائم بشؤون الزاوية العلاوية بمستغانم، على ما زودني به من مخطوطات ووثائق ودراسات، وشهادات شفوية.

وإلى الدكتور نصر الدين موهوب، مقدم زاوية برج بوعريريج وافر الشكر والعرفان على دعمه لي.

وإلى ابن عمي ماجد الذي لم يبخل علي بالمساعدة في ميدان الإعلام الآلي، لإخراج هذا العمل إن شاء الله في أحسن صورة.

وإلى كل أفراد أسرتي، وخاصة أخوي: يوسف وفيصل الذين سهلا علي التنقل وكانا لي نعم المعين، وأختي لطيفة وزوجة أخي ندى، وبنيتي أمينة.

و إلى زملائي بثانوية الشهيد شريط الأزهر بالحمامات.

المقدمة

مقدمة البحث وخطته

أهمية البحث:

تعد الطرقية تصوفا شعبيا وحركة سياسية شعبية متجذرة في تاريخنا وبيئتنا الاجتماعية ومحيطنا الثقافي وواقعنا السياسي. ولقد تأثرت خياراتها وأساليب تعاملها وأنماط تفكيرها واتجاهاتها غالبا بالمناخ السائد.

ومادام الصوفي ابن وقته فقد تفاعلت الطرق الصوفية مع الواقع السائد بأساليب شتى، تراوحت بين الرَّفضِ للظرف السائد والفَرْضِ لواقع آخر والتَعَايُش مع ثالث مع محاولة احتوائه متى كان ذلك ممكنا.

وهذا البحث يهتم بدراسة عينة متميزة عن الطرقية في الجزائر في النصف الأول من القرن العشرين، تتمثل هذه العينة في الطريقة العلاوية، قصد معرفة حجمها وانتشارها وأساليب الانتماء لها ودوافعه وتأثيرها على أتباعها ومحتوى مشروعها الإصلاحي الذي رأته كفيلا بتحقيق السعادة في الدنيا والنجاة في الآخرة لأفراد الأمة الجزائرية عامة.

اختار شيخ الطريقة العلاوية أن يكون في صف أنصار التفاهم والوفاق الفرنسي الإسلامي، وهو خيار حكم علاقات طريقته بمختلف الأطراف الوطنية وبالاستعمار، فتراوحت علاقاتها بين ثنائية التفاهم والوفاق الفرنسي الإسلامي مع المستعمر. وهو خيار ظلت الطريقة وفية له ولم تكدر صفوه لا الممارسات الاستعمارية على فظاعتها، ولا التهم التي لحقتها بسببه، فهي لم تأبه بها مادامت لا ترى في خيارها ذاك عمالة وإنما استمالة للمستعمر عسى أن تحرجه بصدق الولاء وشدة الوفاء، فتتمكن من جلب المنافع للمسلمين وتدرأ المفاسد عنهم، وعيا منها بقوة الاستعمار وجبروته من جهة، وعملا على تحويل دعاية فرنسا الإسلامية من فكرة إلى واقع من شأنه قلب موازين القوى لصالح المستضعفين من جهة أخرى. في الوقت نفسه الذي ميز الصراع المرير علاقاتها مع القوى المحلية آخذا طابع الصراع بين أهل الفقر وأهل الفقه تارة – والذي تجدد ليشكل أحد حلقات الصراع التاريخي والمستمر بينهما– ومع المحسوبين على أهل الفقر الذين وسمهم العلاويون بالدجل تارة أخرى– وإن لم يخالفوا خيارهم السياسي– كما دخلت في صراع مع الوطنيين الذين جهلوا –حسب رأي الشيخ ابن عليوة– سبيل الإصلاح ونسوا أن الطير لا يقتنص إلا بفخه والمسلم لا ينقاد إلا بدينه.

لكن وحدة الهم والمصير وخطورة الظرف الذي يتهدد الأمة وكيانها، جعل المتنافسين يسعون للتقارب وتناسي خلافاتهم المذهبية ولو إلى حين، وتوحيد الجهود لإنقاذ ما يمكن إنقاذه من هوية الأمة الإسلامية وبعث مواتها، وإحياء ما اندثر من تعاليم دينها.

إن رضا الإدارة الاستعمارية الظاهري عن خيارات الطريقة السياسية أعطى شيخها وأتباعه حرية الحركة، كما وجه لها أصابع الاتهام وجعلها محل ريبة من قبل القوى الوطنية الإصلاحية الدينية والسياسية على حد سواء، في الوقت نفسه اعترف لشيخها الكثيرون بالغيرة الدينية والوطنية فضلا عن الولاية وإرشاد الأمة.

ومن هنا غدت رغبتي أشد إلحاحا للبحث عن حقيقة هذه الطريقة قدر المستطاع وضمن حدود إمكاناتي الخاصة. خاصة وأن الجامعة الجزائرية أتاحت الفرصة للبحث العلمي الحر في مثل هذه الدراسات التاريخية والثقافية الاجتماعية للجزائر، لما لها من أهمية ودور في وضع اليد على الخلفيات المؤسسة لواقعنا الحاضر، لمحاولة فهمه والاستفادة من دروس وعبر تاريخنا.

قد يكون هذا البحث أول دراسة أكاديمية* للطريقة العلاوية باللغة العربية، وما يزيد من أهميته هو أن الدراسات الأكاديمية التي تناولتها بالبحث أو درست جانبا منها، كانت لبعض أتباع الطريقة ومحبيها ومعلوم أن من شأن الأتباع إحاطة الشيخ وطريقته بهالة خاصة من التبجيل تصل حد التقديس مع الإشادة بها والإطناب في مدحها، وبث دعايتها مما يجعل أعمالهم لا تشفي غليل ولا تفي بالغرض لمن يتوخى الحقيقة والموضوعية التاريخية.

أسباب اختيار الموضوع:

من أهم أسباب اختياري للطريقة العلاوية لتكون موضوعا للدراسة والبحث ما يأتي:

الرغبة الملحة التي تملكتني في الكشف عن حقيقة الشيخ ابن عليوة وطريقته الذين نالا من ذم ومدح المعاصرين نصيبا، وما أثاراه من جدل، بين قائل بأن الشيخ من الأولياء الصالحين المرشدين، وبين محذر منه، ومتهم إياه بالخرافة والدجل وأنه رأس المضللين، وأن أتباعه جماعة من المشعوذين حتى صعب علي تبين حقيقتهم.

وقد كانت بداية تعرفي على الموضوع خلال مرحلة التدرج وبالضبط في السنة الثالثة جامعي* حين اقترح علي أستاذي الكريم الدكتور عبد الكريم بوصفصاف، البحث في سبب التناقض البين في موقف كل من الدكتور سعد الله، والشيخ أحمد حماني من الشيخ ابن عليوة وطريقته، فكانت تلك مناسبة لي لأطلع على تراث الطريقة العلاوية، وسهل علي العمل في الموضوع حينها إعادة الزاوية نشر أهم كتب الشيخ ورسائله، وبعض مقالات صحيفة لسان الدين الثانية.

وكم كانت دهشتي كبيرة، ورفضي للخطاب الديني لشيخ الطريقة أكبر حينها، واجتهدت في بحثي لأصل إلى نتائج تؤكد كل ما اتهمت به جمعية العلماء الطريقة العلاوية.

---

* أكد لي الدكتور موهوب نصر الدين مقدم زاوية برج بوعريريج بأن هذا البحث هو أول بحث أكاديمي عن الطريقة العلاوية باللغة العربية، وما دام من المتتبعين لكل ما كتب عن الطريقة فقد أخذت برأيه.

* كان ذلك في مقياس: الجزائر ما بين الحربين (1919-1939) خلال الموسم الجامعي: 1416هـ الموافق لعام 1995- 1996.

ثم كانت السنة الموالية التي بدأت بإضراب عام للأساتذة في الجامعة استغرق قرابة نصف الموسم الدراسي، فكانت لي فرصة سانحة اهتبلتها بالاعتكاف- في مكتبة الأساتذة بجامعة الأمير عبد القادر حينا وبمكتبة ولاية قسنطينة حينا آخر- على قراءة ما وجدته من كتب القوم، وما كتب من دراسات عن التصوف، لأخرج بقناعة أن الرجل لم يكن بدعا بين القوم لا في أقواله ولا في أفعاله، كما اقتنعت أيضا أنه يمكن معالجة الموضوع بأسلوب آخر تكون مصداقيته أكبر.

وأتيحت لي الفرصة ثانية عندما واصلت دراساتي العليا بالجامعة نفسها، وعند اختيار موضوع الرسالة تملكتني الرغبة في إعادة دراسة الموضوع وبمنظور آخر يأخذ بعين الاعتبار طبيعة الخطاب الصوفي.

وزاد من رغبتي في معالجة هذا الموضوع هالة الشكوك التي أحاطت بموقف أهم الشخصيات التي هاجمت الطريقة العلاوية في ذاك الوقت وبعده، حتى أني لم أستطع تبين الحق من الباطل ومن ذلك:

1. ما نسب إلى الشيخ عبد الحميد ابن باديس من تصريح مفاده أن <<لو كنت متخذا طريقة لاخترت الطريقة العليوية>>[1] وما أكده الشيخ أحمد حماني[2] من أنه كان بين الرجلين كل الاحترام الشخصي، وأن الذي حال دون المصالحة بين المتخاصمين المسلمين، والتعاون بين قادة جماهير المتدينين، هو المستعمر بكيده ودسائسه.
2. التقلب في موقف كل من أحمد توفيق المدني، ومحمد السعيد الزاهري من الطريقة وشيخها؛ فالمدني في (كتاب الجزائر) أشاد بابن عليوة وزاويته، واعتبره معينا على نشر الفضيلة وحفظ الرابطة القومية الإسلامية، ونقل عنه إنكاره على حزب الإصلاح عنفه وشدته في مهاجمة الطرقية، وخصوصا العلاوية.[3] أما في مذكراته - وباستثناء الوثائق المتعلقة بنازلة آذان غرداية- فقد غير موقفه إلى النقيض تماما؛ فهل غيره بعد انتمائه رسميا لجمعية العلماء عام 1951، وعبر عن ذلك التحول عمليا لما أصبح وزيرا للأوقاف في الجزائر المستقلة؟

أما محمد السعيد الزاهري، فبقدر ما هاجم الطرقية عاد إلى أحضانها، بعد أن انشق على جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1937، ثم أسس عام 1938 جريدة الوفاق، وشارك في مؤتمر الزوايا.

ولهذه الأسباب مجتمعة عزمت على اقتحام الموضوع على صعوبته، وآثرت الخوض فيه عسا أن أساهم بفعالية ومصداقية في كتابة فصل من فصول تاريخ الجزائر الاجتماعي. وأن أنقل للقارئ الكريم ما توصلت إليه من حقائق.

---

1 - P. J. André contribution a l'étude des Confréries Religieuses Musulmanes, préface de j. Soustelle, éditions la maison des livres, Alger:1956. p 259.

2 - أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة، ج1، ط1، دار البعث، قسنطينة: 1984. ص 319.

3 - المرجع نفسه. ص264.

أهداف البحث:

إن الأسباب التي كانت وراء اختياري للموضوع، جعلتني أتطلع لأن يكون هذا البحث:

1. محاولة لأن يسمع بعضنا بعضا دون مقاطعة ولا تشكيك في النوايا، بعيدا عن صراعات المرحلة وصخبها الذي ربما جعل كل داع لا يسمع إلا صوته؛ وبعيدا عن النزعة الفردية التي حالت دون التعاون بين المتعاصرين ممن اتفق مشربهم وهدفهم الإصلاحي، لكن دون محاباة لا لأشخاص ولا لجماعات على حساب الحقيقة التاريخية، بل بحثا تاريخيا نزيها متزها عن التزييف والتدليس وتغييب الحقائق. على أن لا يكون النقد العلمي مطية للانتقاص من قيمة الأشخاص والغض من مكانتهم، فالخطأ في التصور والعمل وارد مادام المرء غير معصوم، ولو كان معصوما لما استحق شيئا من تلك القيمة العلمية والاجتماعية التي تبوأها.
2. كما اصبوا من خلال بحثي هذا تحليلا وتعليلا، تأييدا و تصويبا أو نقدا إلى فتح باب للحوار بين المذاهب؛ وبداية الحوار يكون بأن يسمع كل طرف للآخر بعيدا عن الأحكام المسبقة، وتسفيه الآخر بل وتخوينه وتجريمه، حتى أصبح العدو الصريح أقرب للمتخاصمين، في حين كل أشكال التواصل بينهم غدت مستحيلة دون تسفيه الذات وتقزيمها مع الاعتزاز بالجوانب المضيئة من تراثنا وإبرازها.
3. وفي ظل العولمة التي تفرض علينا محاولة فهم الآخر ألا يجدر بنا أن نفهم بعضنا بعض؟ ألا يجدر بنا أيضا استغلال أجواء سياسة الوفاق الوطني وغياب المستعمر الذي لم يدخر وسعا في زرع بذور الشقاق، ألا يجدر بنا فتح باب للحوار بين المذاهب؟ بعيدا عن الأحكام المسبقة المسفهة والمخونة والمجرمة للمذاهب الإسلامية؛ والتي كان من نتائجها أن أصبح العدو الصريح أقرب للمتخاصمين الذين غدت كل أشكال التواصل بينهم مستحيلة.
4. أضف إلى ذلك رغبتي في تقديم بحث أصيل يستقي مادته من مصادرها الأولى المتمثلة خاصة في تراث الطريقة العلاوية بالدرجة الأولى، وما كتب لها وعليها منذ ذلك الحين، بعيدا عن تسفيه الذات وتقزيمها، مع الاعتزاز بالجوانب المضيئة من تراثنا وإبرازها.

حدود البحث:

الطريقة العلاوية في عهد شيخها المؤسس أحمد بن مصطفى بن عليوة منذ خلف شيخه حمو البوزيدي عام 1909 إلى وفاة ابن عليوة عام 1934. وهي فترة شهدت زخما من الأحداث الكبرى وطنيا ودوليا تمثلت خاصة في مظاهر نهضة الجزائر رغم سياسة التصعيد الاستعماري، مـــن فـــرض للتجنيد الإجباري وتواصل العمل بقانون الأهالي والأحكام الزجرية، وأحداث الحرب العالميـــة الأولى وانعكاساتها على الساحة الوطنية والدولية.

إشكالية البحث:

إن الرغبة في التعرف على الطرقية (أو التصوف الشعبي بأبعاده السياسية) كظاهرة اجتماعية متجذرة في بيئتنا عقائديا وثقافيا، كان لها حضور سواء في حركة الجهاد، أو في المقاومة- الحوار، فهي وإن كانت تدخل فترات سبات في الظروف غير المواتية فإنها تكون متحفزة للبروز متى وجدت المناخ المحلي والدولي الملائم، ولعل قدرتها على التكيف جعلها نموذجا للإسلام العالمي الذي يجد قبولا أكبر من قبل الآخر.

ولقد اخترت الطريقة العلاوية كعينة متميزة قابلة للدراسة والتحليل والتفسير، وتسمح بدراسة الطرق الصوفية في الجزائر، في بعض جوانبها وخاصة أنها الأكثر تأليفا ونشرا (صحافة وكتب ورسائل) مما يساعد الباحث على التعرف على الطريقة ومؤسسها، عن أفكاره وعلاقته بأتباعه وكيفية تسليكهم. كما تمكننا من التعرف على الخطاب الديني للطريقة، الذي تعددت درجاته من خطاب موجه لأتباعها خاصة وللطرقيين عامة، وآخر موجه للإدارة الاستعمارية وثالث، للأمة الجزائرية، وخطاب رابع تريد به تبليغ دعوة الحق للغرب. وهو الأمر الذي لا تناسب بينه وبين ألّا تعليم لمؤسسها وعلمية مشروعه.

- أهو تعبير قدر التنوير ؟ أم هي نتاج معرفة لدنية وفضل من الله يؤتيه من يشاء!؟
- أم أن الشيخ ابن عليوة كان يسخر من يكتبون له، وينسبون كتاباتهم له؟

لقد حدث التحول الكبير في حياة الشيخ ابن عليوة إثر سياحته بالأستانة، التي جعلها سرا من أسراره الخاصة، فلم نعلم من كتاباته: لما قصدها بالضبط؟ وبمن اجتمع فيها؟ وبما عاد منها؟

كما أن الشيخ ابن عليوة لم يعدد الزوجات ولكنه تعددت طليقاته والمطلقات عليه. فبماذا نفسر دلك؟

ثم كيف كان الشيخ ابن عليوة يربي أتباعه؟ وما السر في سلطانه القوي عليهم؟

وكيف كان يوسع نطاق نفوذه، ويُثبِّت وجوده؟ وما هي المراحل التي مر بها تطور ابن عليوة وطريقته؟

كما أن الشيخ ابن عليوة لم يبرز كشيخ تربية فحسب وإنما كمرشد للأمة، وحامل لرسالة الإسلام يريد تبليغها للغرب. ولتجسيده اعتمد على أسوء أعداء الأمة، فرنسا ورأى إمكانية قلب هزيمة الأمة إلى نصر، بتحويل دعاية فرنسا الإسلامية إلى أمر واقع من شأنه أن يسهل دعوة الغرب إلى اعتناق الإسلام. فهل كان ذلك مما ألهمه فآمن به وغدا قناعة راسخة لديه لا تتزحزح؟

أم كان تبريرا ليهرب الشيخ المرشد من مواجهة الذات قبل الأمة؟

أم كان هناك من زين له فكرة فرنسا الإسلامية وأوحى للشيخ بهذا المخرج؟

وبماذا برر ابن عليوة موقفه ذلك شرعا؟ ثم ما طبيعة التجديد الذي كان ينشده؟ هل كان تغريبا وتبديدا للدين ومتاجرة بقيمه؟ أم كان تجديدا للدين وبالدين؟ وما هي أسس مشروعه الإصلاحي الذي تطلع لتحقيقه؟ وما مدى نجاحه في تحويل مشاريعه وأفكاره إلى واقع؟

وما الذي جعله يتمرد على أساليب ووسائل التبليغ المتعارف عليها عند الطرقية مع تجاوز المعهود في أنشطتها؟ وما طبيعة مداهنته للاستعمار؟ هل كانت مداهنة في السياسة؟ أم في الدين؟

تعددت التساؤلات ونأمل أن يساعد هذا البحث على الإجابة على العديد منها.

المناهج المتبعة

إن طبيعة الدراسة التاريخية الاجتماعية وخباياها النفسية والسياسية تفرض اعتماد منهج متكامل يجمع بين المنهج التاريخي والاجتماعي والسياسي والنفسي، يكون انعكاسا للفترة والبيئة المدروستين، وقد شهدتا نهضة متكاملة الانبعاث، متداخلة الجهود، متعددة الوسائل.

الاعتماد على الآثار المكتوبة والأصول منها المخطوطة ومنها المنشورة، باحثة عن الطبعات الأولى قدر الإمكان، متبعة المنهج التاريخي التحليلي الذي يسمح بالدراسة النقدية للوثائق والنصوص لاستخلاص الحقائق من مصادرها الأولى وبكل موضوعية.

ولما كان البحث غير مختص بالجانب العقائدي ومناقشته–فلهذا الموضوع الخطير باحثيه والدراسات المختصة فيه– فقد اعنمدت غالبا المنهج الوصفي مكتفية بتفسيرات القوم، إلا نادرا.

كما عملت على جمع الشهادات من بعض أعيان الطريقة وعلى رأسهم الحاج مراد بن الشيخ محمد المهدي بن تونس. وكذا الأستاذ علاوة بن محمد السعيد أرتباس من أعيان الطريقة وصاحب مطبعة العالمين بسطيف. وأحيانا د. موهوب نصر الدين مقدم الطريقة العلاوية ببرج بوعريريج. لتأكيد معلومة أو تصحيح أخرى، مع القيام بزيارتين ميدانيتين لمعاينة زاوية مستغانم مكنتاني من مشاهدة أهم الآثار المادية ممثلة في عمارة الزاوية الأم ومرافقها والتي رغم توسيعها فقد حافظت على خصوصية ما بني في عهد الشيخ المؤسس.

صعوبات البحث

لما كان من شأن المعاينة إعطاء صورة واضحة صادقة لأنه كما يقال: (ليس من سمع كمن رأى) فقد سافرت إلى مستغانم مرتين متتاليتين خلال صيف وخريف عام 2001، لتطأ قدماي ولأول مرة أرض زاوية، فترددت عليها أياما عِشت مع عُمَارها وشاهدت عمارتها، كما شهدت في الزيارة الثانية العِمارة وطقوسها، وكانت التجربة- على أهميتها-شديدة القسوة، وقد كلفتني أربع سنوات من الضياع وعدم القدرة على حمل القلم للكتابة في الموضوع، حتى خلت أن هذا البحث لن يرى النور أبدا لولا أن تداركتني العناية الإلهية بلطفها، فالله لا يضيع من اهتدى بهديه.

كما لم يكن الأمر سهلا أبدا على باحثة تبسية ومن جامعة قسنطينة تعتز بانتمائها للشيخين عبد الحميد بن باديس والعربي التبسي أن توفق بين انتمائها ورغبتها في القيام بدراسة الطريقة العلاوية وبكل موضوعية باحثة عن الحقيقة مع ما في هذا الخيار من مجازفة أدنى عواقبها أن تنال عقوبة من اتخذ موقفا وسطا.

وقد وجدت نفسي أيضا أمام خطابين صادرين عن الطريقة أحدهما يمكن التعامل معه قبولا ورفضا وآخر لا أدري بمصطلح من يا ترى أفهم عباراته وإشاراته؟ وحتى الخطاب الأول طغى عليه حينا طابع العامية وحينا آخر التعميم مما نجم عنه عدم وضوح المعنى والمغزى بفعل تأثر القوم بلغة الإشارة من جهة، ومراعاة للواقع الاستعماري الذي طالما حرصت الطريقة على عدم إزعاج أمنه من جهة أخرى. وسيتضح ذلك للقارئ الكريم من خلال بعض النصوص المقتطفة والمستشهد بها.

هذا إلى جانب مناعة بعض المصادر حيث لم أتمكن من الوصول إلى بعض الوثائق منها: ملف باسم الطريقة العلاوية بأرشيف وهران يتضمن تقارير السلطة الاستعمارية عن الطريقة لم أعثر له على أثر وقيل لي بأنه قد ضاع ورقمه في الفهرس:

A 197و Allouia, confrérie 80 A 188

كما أني لم أطلع شخصيا على أرشيف الزاوية العلاوية ومطبعتها. وما حصلت عليه من وثائق ومخطوطات فإنما سلمت أو أرسلت إلي من قبل القيمين عليه.

أما سجلات الزاوية وخاصة المتعلقة بطلبة المدارس القرآنية في زواياها المختلفة والتي كانت إجبارية خلال الحقبة الاستعمارية، وكذلك سجلات مداخيل ونفقات الزاوية وعقود شراء بعض عقاراتها والتي أشار إليها صالح خليفة في رسالته وقد وجدت تضاربا في تواريخ أكثرها في نسخة الرسالة المتوفرة بين يدي، لكني كلما سألت عن تلك السجلات والعقود، كان الرد إما أنها مع

الوثائق التي صادرتها السلطات الجزائرية عندما داهمت الزاوية العلاوية خلال أزمة السبعينات[4]، أو أنها مع بعض المخطوطات وما بقي من الوثائق منذ تلك الأحداث تم إنقاذها بنقلها إلى فرنسا!!!.

كما عانت الدراسة من فقدان الدراسات المتخصصة المساعدة مما تطلب مني الاجتهاد والذي أرجو من الله عز وجل أن يجعل لي فيه أجرين.

الدراسات السابقة في الموضوع

رسالة دكتوراه لخليفة صالح،[5]وهو حفيد محمد خليفة المدني كاتب الشيخ ابن عليوة، الذي أذن له بتأسيس زاوية قصيبة المديوني بالساحل التونسي، وأصبحت طريقته تعرف بالطريقة العلاوية المدنية، فكانتا موضوع الدراسة التي حملت عنوان: المدنية والعلاوية من النشأة إلى الخمسينات. وهي دراسة غلب عليها الوصف وطابع السرد وندرة التوثيق على اعتبار أن كلام صاحب الدراسة نفسه مادة مصدرية، مع غياب كلي للنقد. لكن أهميتها تكمن خاصة فيما تمكن الباحث من الإطلاع عليه من وثائق ومخطوطات بأرشيف الزاوية وعقود شراء بعض العقارات وخاصة بعض الدور والعقارات الفلاحية.

مذكرة ليسانس في الأدب والإسلاميات لباسكال. م. بن والي- ريكنبخر[6]، من معهد الدراسات الاستشراقية ببروكسل، وزوجها ابن حفيدة الشيخ عدة بن تونس، واقتصرت على سرد نبذة من حياة الشيخ وأعماله، و لم تحط بجوانب الموضوع، لكنها صححت معلومات تخص الصفة التي حضر بها الشيخ ابن عليوة حفل تدشين مسجد باريس، ثم ترجمت مقدمات الأجوبة العشرة - المنشورة في كتاب الروضة السنية- إلى الفرنسية، وقدمت ملخصا عن محتوى الأجوبة الأربعة دون ترجمتها.

ومن أهم ما كتب في الموضوع كتاب: (قديس مسلم في القرن العشرين) لمارتن لينغز[7] (1909-1998) وهو أحد أتباع فريجوف شيون، الذي أخذ العهد عن الشيخ عدة بن تونس وصار مقدمه في أوربا، ثم انشق عنه وأسس (الطريقة المريمية) العلاوية بإنديانا بالولايات المتحدة الأمريكية، ولما توفي شيون خلفه على رأس الطريقة مارتن لينغز الذي أصبح يعرف (بأبي بكر سراج الدين).

---

[4]- ينظر أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة، ج1، المرجع السابق. ص 274.

[5] -Salah khelifa: alawisme et madanisme (des origines immédiates_aux années 50), thèse pour l' obtention du doctorat d'état en histoire islamique, sous la direction de : Roger Deladriere, université: jean – Moulin (Lyon 3) faculté des langues, S. D.

[6] - Pascal M .Benouali-Rickenbacher : le livre des dix réponses ; les primilaires du cheikh Ahmed Ben Mustafa al Alawi, promoteur : jean R. Michot, mémoire présentée en vue de l'obtention du grade de licenciée en langue arabe, institut orientaliste, département de la langue arabe et islamologie, Bruxelles: août 1987.

[7] - Martin Lings: un Saint musulman du veingtieme siècle, le Cheikh Al Alawi, édition traditionnelles, Paris :1978.

أهم مصادر البحث ومراجعه:

مخطوطة برهان الخصوصية في الطريق البزيدية* :

للشيخ أحمد بن مصطفى بن عليوة، توجد منها صورة بأرشيف المطبعة العلاوية بمستغانم تحت رقم: 0056.ع. النسخة المتوفرة لدي مجموعة في 62 صفحة مقياس صفحات المخطوطة هو 20 في 22 سم، الصفحات غير مسطرة، يتباين عدد الأسطر من ورقة إلى أخرى وهي تتراوح بين 12 و13 سطر في بعض الصفحات(12-16) 24 سطر في أغلب صفحات المخطوطة، ولم يذكر فيها لا اسم الكاتب ولا تاريخ الكتابة، لكنها جاءت بعد وفاة الشيخ حمو البوزيدي، وقبل قيامه برحلته للأستانة، أراد بها خدمة شيخه ودون مرائي تدعم شرعية خلافته له.

وتحتوي المخطوطة على مقدمة، وأربعة أربعة فصول الفصل الأول في ذكر بعض من أحوال أستاذه الشيخ حمو البوزيدي، والفصل الثاني في بعض النثر المنسوب إليه وفيه من النثر ما يدل على خصوصيته، والفصل الثالث: في سلسلة طريقة الشيخ البوزيدي و أخذ العهد وكيفية الذكر وتلقينه. والفصل الرابع في بعض المرائي التي رآها فقراؤها أيام وفاته. وتشكل الوثيقة الوحيدة التي تعكس بصدق أسلوب الشيخ ابن عليوة دونما كبير تدخل من قبل كتابه، حيث كتبت كما أمليت على ما يبدو بأسلوب هو أقرب إلى الدارجة المهذبة منه للعربية الفصيحة.

لكن حينما نرى الفارق بين المستوى الفكري للمخطوطة وأفكار وأعمال الرجل لاحقا نجد البون شاسعا جدا فمن رجل يبحث عن شرعية خلافة شيخه طبيب الأرواح والأجساد، الذي يحضر الجن مجالسه ويتبرك به ويأخذ عنه العهد ويزوره عند المهمات، إلى مرشد عارف بل مجدد الأمة على رأس القرن داعية للحوار بين الأديان وبين المذاهب الإسلامية. محاولا القفز فوق واقع مرير ليجعل من جلاده حارسه الأمين ومن غالبه مغلوبا تابعا له، ومن عدوه اللدود إلى حليف راع لمصالح الإسلام والمسلمين منافح عنها، ليس باستعمال السحر المحرم شرعا ولا بتسخير الجن وإنما بالولاء الصادق لفرنسا، وكسب ودها وثقتها حتى تركن للإسلام.

مخطوطة الأجوبة العشرة:

للشيخ ابن عليوة، كان ينوي أن يجيب فيه على عشرة أسئلة طرحها عليه شارل طابيي، ليكون أداة لتبليغ رسالة الإسلام للغرب لكن الشيخ أجاب على أربعة أسئلة فحسب، لكني لم أتمكن من الحصول عليها كاملة وإنما حصلت على تسعة فصول من الجواب الأول، والجواب الثالث بداية من البشارة السابعة، وعلى فصول الجواب الرابع كاملة، مع غياب كلي للجواب الثاني. وهو كل ما

* - الصواب: البوزيدية

تبقى من المخطوطة في أرشيف زاوية مستغانم لأن المخطوطة الأصلية مع باقي المخطوطات عند الشيخ الحالي بفرنسا.

مخطوطة إرشاد النبيل لمقالات الأستاذ الجليل:[8]

جمع فيها محمد العوادي بتوجيه من الشيخ عدة بن تونس مقالات الشيخ ابن عليوة المنشورة في صحيفتي لسان الدين والبلاغ الجزائري، وذلك لحفظها من الضياع، ولأنها <<تمثله في أجلى مظاهره العالية وتظهره للناس بحقيقته الزكية الجلية التي تحشره بجدارة واستحقاق من أنه[كذا] **من قادة الرأي الذين يشاركون الأنبياء في تبليغهم والملوك في تعميرهم** لما بلغه من مستوى الكمال في درجة الإحسان>>[9] أهميتها بالغة حيث تمكننا من تتبع تطور المشروع التجديدي للشيخ ابن عليوة. كان العوادي يكتب على ورق مسطر، وعلى الهامش السفلي للورقة يكتب البلاغ العلوي بدل البلاغ الجزائري ويضع إمضاءه (طابعه) الخاص على كل مقال ينسخه. لكن النسخ لم يكن كله بخطه، فيمكننا تمييز خطان آخران، وورق أبيض غير مسطر، وهامش كتب عليه البلاغ الجزائري.

صحيفة لسان الدين الأولى 1923:

وفقني الله للحصول على المجموعة الكاملة للصحيفة الصادرة في اثني عشر عددا، تضمنت برنامج الحزب الديني الذي دعا الشيخ ابن عليوة لتشكيله ولعله كان البديل للبرنامج الإصلاحي للأمير خالد، وقد سعى الشيخ به لكسب رضى الإدارة الاستعمارية عن نشاطه بعد أن ماطلت في منحه رخصة لفتح زاوية بالجزائر العاصمة. وفي مقالات هذه الصحيفة شخص مكامن الداء من خلال استعراضه لحالة الجزائر الدينية، واقترح العلاج من وجهة نظره الخاصة.

أضاميم المد الساري في صحيفة البلاغ الجزائري

جمع فيه كم هائل من مقالات صحيفة البلاغ الجزائري (1926-1934) ، صدر منها في المغرب الأقصى جزءان، ضم مجموعة هامة من المقالات في مواضيع شتى في التصوف والإصلاح الاجتماعي ودعوة الغرب للإسلام.كما حصلت على نسخة من الجزء الثالث من هذه السلسلة – والذي لم يصدر إلى حد الساعة– أرسلت للزاوية قصد مراجعتها. إلى جانب أعداد كاملة للصحيفة حصلت عليها من السيدين علاوة أرتباس في سطيف والحاج مراد من مستغانم.

كتاب الروضة السنية في المآثر العلوية:

---

[8]–كانت صحيفة لسان الدين الثانية قد أعلنت عن عزمها على طبع مجموع من مقالات الأستاذ ابن عليوة المنشورة في صحيفتيه (لسان الدين) و(البلاغ الجزائري) تحت عنوان (المجموع الحاوي لمقالات الأستاذ العلوي). / لسان الدين، ع : 51- 1 ماي 1938

[9] – المصدر نفسه. ص 2.

جمعه الشيخ عدة بن تونس، ونشره عام 1936[1]، وقد تزامن مع نشر المجلة الإفريقية لمقال أوغسطين بارك الشهير: (صوفي عصري، الشيخ ابن عليوة). فجاء كتاب الروضة السنية حسب اعتقادي ردا على بعض ما افتراه في ذلك المقال على الشيخ ابن عليوة، وإن كان بصيغة دس السم في الدسم، فرد مثلا على ما ذهب إليه بارك من أن الشيخ كان وضيع النسب، عكس الرواية العلاوية، فرد عليه الشيخ عدة بن تونس بأن فقره وأسرته راجع إلى كابوس الاستعمار الذي ما دخل بلدا إلا وجعل أعزة القوم أذلة. ونفى إفلاس تجارة شيخه قبيل هجرته المزعومة، ورد على الرحلة الأسطورية التي ادعى بارك بأنها دامت عشر سنوات وأنها قادته إلى مواطن المذاهب الباطنية الصوفية والشيعية وخاصة الإسماعيلية منها، ومواطن النحل اللقيطة كالأحمدية والقديانية، وعن علوم حصلها خلالها، ففند الشيخ عدة بن تونس كل وأثبت بطلان تلك الدعاوى بنشره السيرة الذاتية لشيخه ودون أن يصطدم بالإدارة الاستعمارية. وبنشره فصولا عن محاربة الشيخ ابن عليوة لسياسة التنصير – ودوره في إنقاذ بعض المسلمين من أيدي بعض الجمعيات التنصيرية واستعانته في سبيل ذلك بالشيخ عبد الحميد بن باديس– رد على إدعاء بارك بأن الشيخ عزم على تعريب الإنجيل إلى العربية الدارجة لنشره في بعض المناطق بالجزائر.

كتاب الشهائد والفتاوى:

أفادني هذا الكتاب كثيرا خاصة في التعرف على أعيان الطريقة وأحبابها، فضلا عن تغطيته لجوانب هامة من نشاط الشيخ وأتباعه. لكن التعامل معه يستوجب الحذر في التعامل مع ما ورد فيه لكونه أداة دعاية وإشهار بالدرجة الأولى هدفه تجميل الصورة وتسويق الطريقة بتضخيم الأمور والمبالغة الكبيرة فيها، لكنها تعطينا فكرة واضحة عن طبيعة الدعاية العلاوية، والوسائل التي سخرتها.

كتاب أعذب المناهل في الأجوبة والرسائل:

قام بجمعه علي بن محمد الغماري بإشارة من الشيخ عدة بن تونس فصدر عام 1944 وقد قسمه إلى قسمين، القسم الأول خصصه لأجوبة الشيخ في تفسير بعض الآيات القرآنية والأحاديث النبوية

[1]– مما كان يثير استغرابي صمت أتباع الشيخ ابن عليوة عن ما نسب إليه في هذا المقال وخاصة أن بعضها محض افتراء يعرف ذلك كل من تتبع كتاباته بنزاهة، فضلا عن أن يتقبلها مقربوه وأتباعه ممن تربوا على يديه وعايشوه عن قرب وبين أيديهم ما يؤيدون به الحق، متمثلا في سيرته الذاتية والحقائق التي يملكونها وكنت أتساءل هل كانوا يداهنون الاستعمار إلى حد التفريط في حق مرشدهم؟ والباعث على هذا التساؤل هو وما ورد في طبعة الكتاب من أن طبعته الأولى كانت عام 1952 الموافق لعام 1336 . لكن كانت العبارة التي تصف الاستعمار بالإفساد وإذلال أعزة القوم قد استوقفتني فشككت أن تصدر تلك العبارة من الشيخ عدة وهو المداهن للاستعمار حتى أنه لم يدفع الضيم عن شيخه، فواليت البحث عن نسخة من الطبعة الأولى قصد التأكد من الأمر، ووفقني الله للحصول عليه، وتأكدت من وجد العبارة حرفيا في الكتاب، لكني فوجئت بأن الكتاب قد نشر لكن في عام 1936 الموافق لعام 1352وبذلك اتضح لي أن الخطأ مطبعي، وتأكد لدي أن إخراجه بذلك الشكل جاء ردا على ما جاء في مقال أوغسطين بارك، لكن الرد جاء قويا وهادئا، ولعل عدم وجود صحيفة ناطقة باسمهم — ما دامت صحيفة البلاغ الجزائري كانت بين يدي المنشقين – هو الذي ألجأهم لهذا الحل.

وبعض المسائل العلمية والدينية، وقد امتازت أفكاره بالوضوح أكثر من غيرها من كتب ورسائل الشيخ. والقسم الثاني ضم رسائل عديدة منها ما كان لمريديه وأتباعه ومنها الموجهة لخصومه الصنف الأخير أغلبه نشر على صفحات الجرائد، لكنها غير مؤرخة مما يقلل من دلالاتها التاريخية.

وكانت استفادتي من موسوعة تاريخ الجزائر الثقافي لا تضاهى، وما استنفدته في فهم الأحداث وتحليلها وربط بعضها ببعض أكبر مما يظهر في البحث من هوامش.

تنبيهات (اختصارات وأشياء أخرى):

نظرا لطول عناوين كتب ورسائل الشيخ وتعددها مما يترتب عليه منهجيا إعادة كتابة العنوان في كل مرة، ونفس الظاهرة بالنسبة لأغلب كتب النسبة وخاصة كتابي الشهائد والفتاوى، والروضة السنية، ارتأيت كتابة العنوان كاملا المرة الأولى فقط وبعدها أكتبه مختصرا.

- الشهائد والفتاوى: الشهائد والفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمر الشيخ العلاوي.
- المنح القدوسية: المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية.
- الروضة السنية: الروضة السنية في المآثر العلوية.
- أعذب المناهل: أعذب المناهل في الأجوبة والرسائل.
- النصرة النبوية: النصرة النبوية لأهل الطريقة الشاذلية الدرقاوية المدنية الفاسية.
- من أجل صحوة راشدة: من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا.
- القول المقبول: القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول.
- أضاميم المد الساري: من تراث الطريقة العلوية الصوفية أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري
- المواد الغيثية: المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية
- د.م : دون مكان النشر .
- د.ت: دون تاريخ النشر.
- د.م : د.ت: دون تاريخ ومكان النشر.
- ط: الطبعة
- مج: المجلد
- ق: القسم
- ج: الجزء
- SLNA : Rapport de Service des liaisons Nord –Africaines.

وعند التهميش بالمصادر والمراجع المكتوبة باللغة الأجنبية استعملت العبارات التالية:

- المرجع السابق : op-cit. :
- المرجع نفسه : Ibid. :
- المكان نفسه : loc-cit. :

خطة البحث:

تتكون هذه الرسالة من مقدمة وخمسة فصول وخاتمة ، وملاحق و بيبليوغرافيا وفهارس متنوعة.

أما الفصل الأول فقد خصصته لبيئة ابن عليوة وقسمته إلى المباحث الثلاثة الآتية:

المبحث الأول: البيئة المحلية لابن عليوة وفيه تعرضت بالدراسة لمدينة مستغانم محاولة الوقوف على تأثيرها على شخصية الشيخ ومدى انسجامه معها.

المبحث الثاني: الأحداث الوطنية الكبرى المؤثرة في خيارات الشيخ وخاصة منذ تصدره للإرشاد، من ذلك أشكال المقاومة في الجزائر الناهضة مع مطلع القرن العشرين، ثم مشروع ميسمي وموقف صحيفة الحق الوهراني منه، لمحاولة التعرف على تأثير مديرها شارل طابيي -الذي أصبح فقيرا علاويا- على خيارات الشيخ ابن عليوة السياسية، ثم ما صاحب الحرب العالمية من دعاية فرنسا الإسلامية، وموقف الشيخ منها، والتحولات السياسية التي شهدتها الجزائر بعد الحرب، وتتمثل خاصة في إصلاحات فيفري 1919، ومطالب الأمير خالد وكيف تفاعلت الطريقة مع هذا الزخم من الأحداث؟

المبحث الثالث: البيئة الدولية عملت فيه على رصد أهم الأحداث الدولية التي أثرت في توجهات الشيخ ابن عليوة وخياراته، فاستمد منها شرعية تاريخية ودولية لدعم بعض مواقفه من بعض القضايا، فتعرضت للانقلاب العثماني الذي أوحى لنا بأنه عايش أحداثه بالأستانة، واحتلال ليبيا الذي جاء بعد مروره بها وما وجده من قبول فيها، وفرض الحماية على المغرب الأقصى والأقرب روحيا وجغرافيا للمنطقة، ثم الثورة العربية، وأخيرا ردة الفعل التطهيرية التي شهدتها الولايات المتحدة الأمريكية ضد الانحلال الخلقي، فاستمد منها الشرعية التاريخية لمعاداة الأفكار الوطنية والقومية، والعصرنة والانفتاح على القيم الأوربية التي رفضتها حتى الولايات المتحدة الأمريكية في ذلك الوقت. وأنهيت الفصل بخاتمة.

الفصل الثاني: أحمد بن مصطفى بن عليوة المولد والنشأة (1874 – 1934) وقد قسمته إلى أربعة مباحث وهي:

المبحث الأول: المولد ونسبه الطيني، وفيه تعرضت لحياة ابن عليوة ونسبه الطيني

المبحث الثاني: ابن عليوة التلميذ: وتعرضت فيه لمساره العملي والتعليمي مع الاجتهاد في ضبط الإطار الزماني لأهم المحطات التاريخية في حياته.ومحاولة التعرف على العوامل المؤثرة في بعض

سلوكياته الشخصية، بما فيها عدم إقباله على التعلم حال الصغر وشغفه بتحصيله لما كبر وبعد انتسابه للعيساوة، إلى جانب كثرة الزيجات والطلاق معا. وأثر انتسابه للشيخ حمو البوزيدي، ودور ابن عليوة نفسه في ظهور الطريقة البوزيدية.

المبحث الثالث: ابن عليوة المرشد العارف بالله والدال عليه وفيه تطرقت لظروف خلافته لشيخه، وأسرار سياحته لدار الخلافة، مع محاولة ضبط تاريخها الحقيقي، ودوافعها والنتائج المترتبة عنها ثم خَلقه وخُلقه حيث تجسدت في الشيخ صورة العارف المتعارف عليها عند القوم خَلقا وخُلقا.

المبحث الرابع: مؤلفات الشيخ ابن عليوة، تطرقت فيه إلى عدم التناسب بين عدم التناسب بين التحصيل العلمي للشيخ وكثرة مؤلفاته، مع التعرف على أهم خصائص أسلوبه في الكتابة. ومما يساعدنا على الإجابة على هذا السؤال وجود نسخة من مخطوطة برهان الخصوصية والتي أملاها قبل أن يشتهر أمره ويكسب الأتباع المثقفين ولم يحققها أتباعه فضلت مادة خام تعكس إلى حد كبير وبصدق مستوى الكتابة عند الشيخ، ثم عرض لمؤلفات الشيخ مع محاولة تصنيفها حسب مواضيعها.

المبحث الخامس: وصيتا الشيخ وحجه ووفاته، وفيه تعرضت لوصية الشيخ الأولى، ثم أداؤه لفريضة الحج، وتغيير وصيته بعد عودته، ثم وفاته، وأخيرا خاتمة الفصل.

الفصل الثالث :الطريقة العلاوية مقاصدها وهياكلها، ويتضمن ثلاثة مباحث وهي كالآتي:

مقدمة الفصل

المبحث الأول: في التعريف بالطريقة العلاوية ومقاصدها، بدأ بتعليل سبب 'تماد تسمية العلاوية بدل العلوية والعليوية، ثم مقاصد الطريقة من تحقيق للسند، وأخذ للبيعة والعهد، وتلقين للأوراد وهي خطوات للتحقق والفتح لبلوغ درجة الإحسان.

أما المبحث الثاني: الهيكل لتنظيمي للزاوية، حيث نجد في أعلى الهرم المشيخة، وكل أتباعه يسمون فقراء مهما علت مرتبتهم، وحاولت تصنيف فقراء الطريقة المتفاوتون فيما بينهم، تبعا للوظائف التي يشغلونها أما أحباب الطريق وهم المتعاطفون مع الطريقة وتعاليمها، كانوا غالبا من الأعيان فمنهم الموظفون لدى الدولة و أتباعا لطرق أخرى، خاصة الهبرية والتيجانية خاصة، كما حاولت معرفة واجب الفقير في الطريقة وحقوقه عليها.

والمبحث الثالث: أهم زوايا الطريقة العلاوية في الجزائر وممتلكاتها، فعرفت بزواياها الكبرى عبر الوطن بدءا بالزاوية الأم بمستغانم والمرافق التي تتوفر عليها والأدوار التي تؤديها. ثم الزوايا الإرشادية الثلاث للطريقة، وزواياها الأخرى.

ثم الممتلكات العقارية للزاوية من دور والتي كان يطلق عليها غالبا اسم الزاوية مادامت مقرا للشيخ من حين إلى آخر، وإن لم تؤدي وظائفها. إلى جانب المحلات ذات الطابع التجاري، والأراضي الفلاحية وتربية المواشي التي تولى المتجردون العمل فيها.

مع محاولة التعرف ما أمكن على مصادر الدخل في الطريقة، وحاصة المتعارف عليها عند مختلف الطرق الصوفية كالزيارة والهدية وزكاة الأتباع، وتبرعات وإعانات المحسنين. ثم خاتمة الفصل.

الفصل الرابع: ابن عليوة العرف شيخ التربية، وقد قسمته إلى ثلاثة مباحث، هي كالآتي:

المبحث الأول تطرقت فيه لألقاب الشيخ المختلفة ودلالاتها، ثم بعض آرائه في التصوف والفلسفة، وتوقفت عند قضية أركان الدين ومرتبة الإحسان، التي هي غاية السالك والتي لن يبلغها دون شيخ التربية، انتهاء إلى قضية وحدة الوجود وهل كان من القائلين بها أم متعاطفا فقط مع أصحابها؟ وصولا إلى نظرته لعلاقة الفرد بالمجتمع.

المبحث الثاني: الوسائل المسخرة لتربية الأتباع، تعرضت فيها لوسائل وأساليب الشيخ ابن عليوة في تسليك المريدين وتربية الأتباع بدءا بالتربية بالهمة ومفهوم السنة، ثم الذكر والمذاكرة ونماذج منها، وتنظيم الجموع، وإدخال الخلوة، وإقامة العمارة وطقوسها مع الاهتمام بالسماع، إلى جانب السياحات بشتى أنواعها.

المبحث الثالث: تطور الطريقة العلاوية وتأثيرها على أتباعها، يهتم بمناقشة عوامل انتشار الطريقة في الجزائر وخارجها. ثم محاولة رصد مختلف المراحل التي مرت بها الطريقة تطور الطريقة العلاوية بين عامي 1911 و1934، وقد قسمتها إلى ثلاثة مراحل مع محاولة تتبع منجزاتها في كل مرحلة، ثم وقفة عند تأثير الشيخ على أتباعه الذين استتب الأمن وقلت الجريمة بينهم، كما حسنت أخلاقهم وتحسن وضعهم المادي ببركة النسبة، حسب الدعاية العلاوية فزاد تعلقهم بالطريقة وتفانيهم في خدمتها، بل بلغت الحماسة ببعضهم حدا تعذر على الشيخ نفسه التحكم فيه. وختمت بذلك الفصل.

والفصل الخامس: المشروع الإصلاحي للشيخ ابن عليوة، أسسه ووسائل تحقيقه، وقد قسمته إلى أربعة مباحث هي:

المبحث الأول: طبيعة الإصلاح والتجديد العلاوي، حاولت فيه الإجابة على أسئلة: ما هو التجديد؟ ومتى جدد؟ ولمن يجدد؟ ثم ما هو الإصلاح ومن المصلح في الطريقة؟ كما رصدت ظروف بعث المشروع الإصلاحي العلاوي، ثم كيف شخصت الطريقة داء الجزائر من خلال صحيفتي لسان الدين والبلاغ الجزائري ؟ وما هي الحلول التي اقترحتها للخروج من الأزمة؟ مع محاولة تتبع مختلف المشاريع التي اقترحها الشيخ ابن عليوة لتحقيق الإصلاح المنشود.

المبحث الثاني: دعائم المشروع الإصلاحي العلاوي، وتتمثل دعائمه في مداهنة الاستعمار والاعتماد على فرنسا، كخيار وحتمية في آن معا لجلب المصالح لقومه ودرء المفاسد عنهم فكان أحد ثوابت المشروع الإصلاحي العلاوي. إلى جانب الدعوة للتسامح والتعاون بين المذاهب الإسلامية لحفظ

الدين، والدعوة للتمسك بتعاليم الإسلام وإظهار شعائره والالتزام بأحكامه والحرص على المحافظة على قيمه الروحية والأخلاقية أمام العصرنة، فكانت لي وقفة مع موقف الشيخ من حجاب المرأة المسلمة ومن مسألة الاختلاط ، وكذا محاربة التفرنج وتعاطي الخمور وظاهرة البغاء والربا وقاوم بشدة تأثير التعاليم الغربية العصرية على أبناء المسلمين. ثم مقاومة نشاط الإرساليات التنصيرية البروتستانتية. مع التطلع لنشر تعاليم الإسلام في الغرب، وتحسين صورته فيه بما يلائم العصر. والدعوة للتقارب الإسلامي الفرنسي الكاثوليكي.

المبحث الثالث: وسائل الإصلاح ومظاهر التجديد فيها، حيث حاول الشيخ تجنيد دعاة المشروع الإصلاحي في الداخل من مختلف الفعاليات الاجتماعية منبها كل من (نواب الأمة، شيوخ الزوايا، العلماء، أئمة وخطباء المساجد) إلى مسؤولياتهم إزاء الأمة يريد تحويلهم من موظفين إلى دعاة مصلحين في ظل السيادة الفرنسية. وتكوين دعاة للغرب من النخبة الأوربية المسلمة لتكون له ترجمانا في مجتمعاتها.

فضلا عن اقتحام ميدان الصحافة، وهي أوسع وسائل الإعلام انتشارا حينها. والواقع أن صحيفتيه لسان الدين الأولى لعام 1923، والبلاغ الجزائري الصادرة نهاية عام 1926، كانتا أداة للترويج لمشروع الشيخ ابن عليوة الإصلاحي، وهما وإن لم تعلنا نفسيهما لسان حال الطريقة فإنهما عبرتا عن توجهاتها. وقد استعملت وسائل دعاية أخرى منها مؤلفات أتباعه، للإعلان عن ظهور المجدد الذي يجب الالتفاف حوله. وإلى جانب الوسائل السالفة الذكر اهتم الشيخ أيضا بتنظيم الجموع السنوية بصفة تختلف عن الزردات والوعدات المتعارف عليها في الطرق الصوفية، فكانت الزاوية تدعو مختلف فئات الأمة لحضورها ومناقشة المسائل التي تهمها قصد التقريب ما أمكن بين المذاهب الإسلامية.

أما المبحث الرابع والأخير فقد حاولت فيه تقييم المشروع الإصلاحي العلاوي، ومدى نجاح الطريقة في تحقيق أهدافه، وبهذا المبحث ختمت الفصل.

خاتمة البحث حاولت فيها رصد أهم النتائج المتوصل إليها دون أن أدعي أنها فصل الخطاب ولكني تحريت فيها الموضوعية التاريخية والصدق ما استطعت.

ودعمت البحث بمجموعة من الملاحق بعضها تخلل البحث لتدعم النص فتكون أقوى دلالة مثل صور الشيخ ابن عليوة وبعض زوايا الطريقة وفقرائها، وصورة ضريح الشيخ ابن عليوة. وملاحق أخرى منها نموذج لمقالاته الصحفية وصور لبعض صفحات المخطوطات المنسوبة إليه والمختلفة معنى ومبنى. كما دعمت البحث بقائمة ببيليوغرافية بمصادر ومراجع البحث وثبت للأعلام والمدن والأماكن وفهرس الموضوعات.

والله ولي التوفيق

الفصل الأول: بيئة ابن عليوة

المبحث الأول: بيئة ابن عليوة المحلية (مستغانم)

المبحث الثاني: الأحداث الوطنية الكبرى المؤثرة في خيارات الشيخ

المبحث الثالث: المحطات الدولية الكبرى المؤثرة في توجهات الشيخ

الفصل الأول: بيئة ابن عليوة

إنه من الإنصاف لمن يريد دراسة فكر وعمل أي شخصية وتقييمها أن يضعها في إطارها التاريخي الخاص بها، وأن لا يعدو بها زمانها ومكانها إلى زمانه ومكانه هو، لأن بعض ما يبدو له اليوم واضحا مسلما، لم يكن كذلك في ذاك الزمن، فرحم الله امرءا أقام الشهادة لله.[1]

فابن عليوة الذي ولد ونشأ بمدينة مستغانم وانتسب إليها حتى اشتهر بالمستغانمي وطنا، تلك الوطنية التي لم تتعارض مع مبادئه التي كانت ترى أن الوطنية من الأفكار الغربية التي طيرها الشيطان على جناح مكره ليفسد على المسلمين دينهم. فاحتضنت زاويته ونشاطها، واشتهرت به كما اشتهر بها. وكما اشتهرت من قبل المنطقة بالزاوية السنوسية، وكأن قدرها مع الطرق الصوفية تفتح لها طريق التدويل والعالمية.

فما مدى تأثير هذه المدينة في نشأة ابن عليوة، وتطوره العقائدي والفكري؟ وما مدى انسجام ابن عليوة ودعوته مع محيطه؟

ثم ما هي أهم الأحداث والمحطات الوطنية وكيف تفاعل مع زخم الأحداث التي عرفتها الجزائر خلال العقد ين الثاني وخاصة الثالث من القرن العشرين؟ وكيف أثرت تلك الأحداث على توجهات العارف؟ الذي شهد مساره خلال العقد الثالث من القرن الماضي قفزة نوعية حولته من مجرد مرشد لجماعة اعتقدت في ولايته أو على الأقل تعاطفت معه ومع تعاليمه، إلى رئيس حزب ديني، ويدعو مختلف فعاليات الأمة لتتضافر لحفظ الدين، ومحاربة المنكرات وتبليغ دعوة الحق للخلق، مستعملا الخطاب الديني، منطلقا من مقاصد الشريعة في ترتيب أولويات مشروع حزبه الديني، محاولا توظيف الواقع السياسي الراهن والدروس المستمدة من الأحداث التاريخية من ذلك دعاية (فرنسا الإسلامية – تحريم الولايات المتحدة الأمريكية للخمور– الأفكار القومية (العربية والتركية على حد سواء) والوطنية ودورها في القضاء على الخلافة الإسلامية وتمزيق وحدة الأمة ومصادرة سيادة الدول الإسلامية) ودور النكبات المتوالية على الأمة في جعله لا يرى الدواء إلا من قبيل (وداوني بالتي كانت هي الداء)

[1] – يوسف القرضاوي: من أجل صحوة راشدة تجدد الين وتنهض بالدنيا، سلسلة الصحوة الإسلامية، د. م:د. ت. ص 42.

المبحث الأول: بيئة ابن عليوة المحلية (مستغانم)

ينطق أهل مستغانم اسم مدينتهم (مُستغَنيم) بمد النون دون الغين، وقد وردت عدة تفاسير في أصل هذه التسمية أوجزها القاضي حشلاف بقوله: أن مستغانم تسمى (مشتى غانم) وتسمى (مسك الغنائم) كما تسمى(مرسى غانم)، أما تسميتها (مسك الغنائم) فذلك محور عن تسميتها (مشتى غانم)، حيث أنه لا فرق بين الشين المعجمة والمهملة، وبحذف النقط صارت (مستغانم). أما تسمية(مشاتي) أو(مشتاة غانم) فلأن المدينة تشكلت من عدة قرى متجاورة كانت دويرات ورباطا للمجاهدين؛ كما ذهب إلى أن الذي سماها مسك الغنائم مثل صاحب سبيكة العقيان والعشماوي في كتابه، فذلك حسب الميل إليها وتمكن الحب منها لبرودة مائها وعذوبته واعتدال هوائها ورقة نسيمها وكثرة النعم فيها مع تيسر المعيشة في حين يعزو غيره تسمية مسك الغنائم ومرسى غانم إلى نشاطها البحري خلال الحقبة العثمانية[1]

أولا: الخصائص الطبيعية لمدينة مستغانم

تقع مدينة مستغانم إلى الغرب من مدينة الجزائر، عند تقاطع خط غرينيتش مع دائرة عرض 36° شمالا، وإلى الشرق من مدينة وهران على بعد ثمانين كلم. وتتربع على مساحة تزيد عن ألف وأربعمائة كلم، في منطقة لا يتجاوز ارتفاعها مائة وأربعة مترا.يحد ها وادي الشلف من الشمال، ومنخفض المقطع من الجنوب، ووادي مينا من الشرق والبحر المتوسط من الغرب، بواجهة بحرية طولها ثلاثين كلم.[2] ويحتضن القسم الشمالي الغربي منها خليجا أخدوديا ناتجا عن النشاط الزلزالي والبركاني الذي شهدته المنطقة قديما، وأدى إلى تشكيل تضاريس معقدة، وقسم المدينة إلى قسمين بواسطة وادي عين الصفراء.[3]

كما تتمتع مستغانم بمناخ مختلف تماما عن المناخ القاسي السائد في المنطقة الغربية، فحرارتها معتدلة، بمتوسط سنوي يساوي (17.3 م)، ومدى حراري بسيط متوسطه(7 م). فحتى في شهر أوت وهو أشد شهور السنة حرارة، متوسطها الحراري يساوي (24.2 م)، وفي شهر جانفي وهو أشد الشهور برودة، نجد متوسطها الحراري يساوي (10.2 م)

[1]- ينظر: عبد الله بن محمد(بن حشلاف): سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، تونس: 1347- 1929. ص-ص 100 - 102. وأيضا:

- Moulay Belhamissi : Histoire de Mostaganem (des origine à nos jours), SNED, Alger : 1982 . p 13.

[2] – Louis Thireau : Mostaganem et ses environs imprimerie Eugène, Mostaganem : 1912. p124.

[3] - robert Tinthoin : les aspects physiques du tell oranais, L. Fouque, Oran : 1948. p 277.

ومما زاد في تلطيف جوها هبوب نسيم البر ونسيم البحر عليها، وكذلك الرياح الغربية والرياح الشمالية الشرقية الرطبة، مع قلة تعرضها لرياح السريكو صيفا، وللجليد شتاء.[1] لكن الرياح الغربية الإعصارية، كثيرا ما عرقلت حركة الملاحة فيها، ودمرت مرافق مينائها.[2]

أما متوسط التساقط السنوي فيساوي (377 مم)، فالمدينة مناخها جاف، مع تذبذب في كميات التساقط، فأحيانا تزيد حدة الجفاف وأحيانا أخرى تتعرض لأمطار طوفانية،* وإذا كانت مستغانم قد نجحت في تجاوز مشكلة الجفاف بفضل ما تتوفر عليه من مياه جوفية عذبة فإنها لم تجد لمواجهة الأعاصير وكل الأعداء القادمين من البحر إلا صُلّاحها فنصبتهم على شاطئها حراسا، وقد سماهم سكانها (عساسين البحر)**.

ثانيا: تاريخ مدينة مستغانم

ذهب بعض المؤرخين إلى أن الرومان هم من أسسوا مدينة مستغانم، وأعادوا أصل التسمية إلى الميناء الروماني الرياح الغربية (Murustaga)، لكن عدم توفرها على ميناء طبيعي ترسو فيه السفن جعل الأمر مستبعدا فالرومان لا يمكن أن يؤسسوا مدينة بميناء تتعذر فيه الملاحة بمعدل مائة وعشرين يوما خلال السنة بفعل الرياح الغربية.[3]

وذهب فريق آخر إلى أن ابتداء تخطيطها يعود إلى الأمير المرابطي يوسف بن تاشفين، وذلك في حدود عام ألف واثنين وثمانين، عند غزوه المغرب الأوسط، حيث ابتنى مركزا حربيا يدعى (برج المحال) بمكان يدعى مشتى غانم.[4]

---

[1] –Louis Thireau : op-cit. p.126

[2]-(Mostaganem l'histoire et l'équipement d'un port méditerranéen), la vie administrative de l'Algérie, n°: 89 .mai 1956. pp 29-30.

* تلقت مدينة مستغانم يوم 9 نوفمبر 1900 (94مم) من الأمطار، كما شهدت فترة مطيرة دامت عشرة أيام تلقت في هطولين منها (110مم)، وفي يوم 26نوفمبر 1927 وتلقت خلال ثماني ساعات (157مم) من التساقط تسبب في فيضان وادي عين الصفراء الكارثي. أما سنوات الجفاف الحاد فتمثلت خاصة في سنوات : 1850-1867-1892. ينظر:

Robert Tinthoin :op-cit. p 92.

** عساسين البحر الثلاث هم: أمحمد المجذوب ويحرس الساحل الشرقي، الذي أصبح يسمى بشاطئ سيدي المجذوب بالخروبة، وسيدي خرشوش بصلامندر بالساحل الغربي، ومزاره في شاطئ لاكريك، وثالثهم سيدي معزوز يحرس الساحل الأوسط . ينظر:

- Marcel Bodin: op-cit. p 61

و أيضا- رشيد محمد الهادي بن تونس: نيل المغانم من تاريخ وتقاليد مستغانم، ط1 ، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1998. ص 132.

[3] - Moulay Belhamissi:op-cit. pp 26-27.

[4]– أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1984. ص 237

لكن مولاي بالحميسي[1] يستبعد تأسيسها في العهد المرابطي لأن ابن تاشفين أقام معسكرا من الخيام لا مجمعا سكنيا بمرافقه، من دور مزودة بالمياه، ومسجد وقصبة، ومحصنا بصور حتى يمكن تسميته بالمدينة.

وقد برزت مستغانم على ساحة الأحداث السياسية في العهد الزياني، حين أصبحت محل نزاع بين أفراد الأسرة الزيانية حينا،[2] وبين الزيانيين والمرينيين حينا آخرا، ولما استولى عليها أبو الحسن علي بن أبي سعيد المريني أمر بتشييد جامعها الكبير عام 742 للهجرة الموافق تسنة1341-1342 للميلاد.[3]

ولما كانت هذه المدينة لم يؤسسها لا أمير ولا قائد حربي فإنه لم يعرف بدقة تاريخ تأسيسها. ويسود اعتقاد بأنها تأسست بشكل تلقائي، إثر تجمع السكان حول شخصية دينية متنفذة، تتمثل في شخص (سيدي معزوز البحري)* عند البعض، وسيدي عبد الله الخطابي** عند البعض الآخر، ومنهم صاحب الفصول الذي يرى أن الأخير عمرها بإشارة على تلميذه حميد العبد شيخ قبيلة سويد وذلك في آخر القرن العاشر، فكثر عمرانها واتسع البناء فيها، ونمت تجارتها، وتزاحمت العرب على السكن فيها، ومجاورة الشريف الخطابي.[4] وإثر سقوط الأندلس استقطبت المدينة هجرة أندلسية واسعة، وأصبح لأهلها عام ألف وخمسمائة وخمسة عمارة مؤلفة من اثنتي عشرة سفينة قرصنة، يركبها مهاجرو الأندلس الثغريون الذين هاجموا مدنا إسبانية انتقاما من الاسبان وغنموا منها[5]

---

[1] – Moulay Belhamissi: op-cit. pp 33-34.

[2]-Atallah Dhina : Les états de l'occident musulman aux 13-14-et 15 siècles, institutions gouvernementales et administratives, OFPU, ENAL, Alger. pp 90-95.

[3] - Moulay Belhamissi: op-cit. pp 37-39.

* معزوز البحري: يذكر صاحب تعريف الخلف برجال السلف: بأنه كان فقيها مالكيا مشاركا في العلوم نشأ بمستغانم وبها توفي، متعبده ومدفنه كان على جبل بشاطئ البحر عند المدخل الرئيسي لميناء مستغانم وعند توسيع المرسى نقل جثمانه عام 1890 إلى مقبرة البلد (بتيجديت) وصارت المقبرة تحمل اسمه وكان حجاج مستغانم يبيتون ليلة مع ذويهم في ضريحه بعد عودتهم من أداء فريضة الحج. وقد خلف شرحا على متن السنوسية، ونظم لمتن السنوسية، وله أيضا شرح على متن السلم.

ينظر: رشيد محمد الهادي بن تونس: المرجع السابق. ص-ص 96 -97 و126.

وينقل لنا مولاي بالحميسي رواية الشعبية مفادها أن: سيدي معزوز البحري من المرية هاجر منها لتوقعه سقوطها بيد الكفار أمر بعد موته أن يوضع جثمانه على ظهر بغلة وأن يدفن حيث تتوقف، وبوصولها إلى مستغانم تموت فبنيت قبة على المكان الذي سقطت فيه ودفن فيها الولي لذي أصبح محل زيارة إلى يومنا هذا.

- Moulay Belhamissi: op-cit. pp 37-39

** سيدي عبد الله الخطابي: دفين ثغر مدينة مستغانم بقرية المطمر عليه مزارة عظيمة، من الفروع الخطابية السلالة السنوسية ومنهم رئيس الطريقة السنوسية سيدي محمد بن علي المشهور بالسنوسي الخطابي الإدريسي، والحاج احمد (التكوك).

ينظر: رشيد محمد الهادي بن تونس: المصدر نفسه. ص- ص 97- 98.

[4] – عبد الله بن محمد: المصدر السابق. ص 102.

[5] – أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792، ط3، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1984. ص 151.

لكن الاسبان فيما بين عامي (1505) و(1511)، تمكنوا من احتلال الساحل الشـــمالي مـــن المغرب العربي، ومع غياب القائد الجامع، والسلاح الدافع سادت روح الاستسلام فاتصل أعيان مدينة مستغانم بالأسبان ووقعوا معهم على معاهدة مخزية* في (26 ماي1511). وظلت ترزح تحت وطأتهـــا حتى حررها بابا عروج من الأسبان وأمر بتحصينها سنة(1516) ألف وخمسمائة وستة عشر، لكن أهلها تمردوا عليه وأعلنوا ولاءهم للسلطان الزياني، حتى انتزعها منه خير الدين باربروس عام ألـــف وخمسمائة وثمانية عشر، وزاد من تحصيناتها ووضع بها حامية تركية.وعندها اشتد التنازع عليها بـــين الاسبان في وهران والأتراك بمدينة الجزائر[1] والذين نجحوا في صد الاسبان وكانت أشهر المواجهـــات في موقعة مزغران.**

وأصبحت مستغانم أهم مدينة في بايلك الغرب بعد تلمسان منذ نفي المورسكيين مـــن إســـبانيا، خاصة عندما أصبحت عاصمته، في عهد ما بين الفتحين (1732-1792م) فحين أعاد الاســـبان احتلال مدينة وهران عام (1732) انسحب الباي بوشلاغم إلى مستغانم وظل بها خمس سنوات يعزز منشآتها، ثم خلفه ابنه يوسف باي(1737-1738) فالباي مصطفى الأحمـــر (1738 –1748). وأصبحت مستغانم مركزا للإشعاع الفكري والثقافي وتفاخر معسكر حتى شاعت مقولة مفادهـــا أن أهل معسكر عند ازدياد مولود لأحدهم كان يأخذه إلى مكان مرتفع يشرف على مستغانم ليتنســـم هواءها الميمون المبارك.[2]ولا شك أن ذلك من قبيل التفاخر والتنافس بين المدينتين؛ والذي بلغ حـــد العداء، وأخذ مع مرور الوقت طابع العداء الطائفي بين العرب والكراغلة، وخاصة منذ الغزو الفرنسي

---

* مما جاء في معاهدة الاستسلام المؤرخة بتاريخ 26 ماي 1511، أن قائد ومرابطي وشيوخ مستغانم ومزغران وجميع السكان من عرب ويهود، يلتزمون بخدمة ملك وملكة قشتالة، وأن يدفعوا لهما كل المكوس والضرائب والإتاوات التي كانوا يدفعونها من قبل لملك تلمسان ، كما يسرحون الأسرى المسيحيين، مع السماح للأسبان باحتلال قلاع وحصون المدينة ، وأن يبنوا غيرها كما يلتزم أهل المدينة بتموينهم مقابل الدفاع عنهم، واحترام دينهم ، وأن تبقى لهم ديارهم وممتلكاتهم. و لم يكتفي الأسبان بذلك بل حملوا الناس على إمضاء (شواهد الإخلاص). ينظر- المرجع نفسه. ص – ص 146-148.

[1] - Marcel Bodin, op-cit. p 2.

** موقعة مزغران: من 22 إلى 26 أوت 1558، قاد الكونت دالكوديت حاكم وهران هجوما اسبانيا على مدينة مستغانم بجيش قوامه اثني عشر ألف جندي، ومعهم جماعة كبيرة من الأعراب المرتزقة، تدعمهم سفن محملة بالذخيرة، لكن الأسطول الجزائري استولى عليها، في نفس الوقت تحرك حسان بن خير الدين باشا من مدينة الجزائر، كما قاد قلش علي قواته من تلمسان توجه صوب مستغانم، تمكن الاسبان من دخول مزغران دون مقاومة وعاثوا فيها فسادا، ثم حاصروا مدينة مستغانم فاستبسل سكانها في المقاومة يدعمهم المتطوعون من عرب الناحية حتى وصل جيش حسان خير الدين وأبعد الغزاة عنها، بعد أن اقتحموا أسوارها، ليجد الاسبان أنفسهم محاصرين، وأصبح كل همهم فتح طريق للانسحاب، هذا الانسحاب الذي تحول إلى فرار، وهزيمة وأصبح المسلمون يطاردونهم حتى وصلوا إلى مزغران، فاندفعوا صوب أبوابها في فوضى، فقتل قائدهم وأسر ابنه، ومن بقي من الجيش كان إما قتيلا أو أسيرا وكان نصر المسلمين مؤزرا.

ينظر: أحمد توفيق المدني: حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا، المرجع السابق. ص 372-376.

[2] - Marcel Bodin: op-cit. p 9. - Moulay Belhamissi: op-cit. pp 89 – 93.

لبلادنا، وتجلى ذلك عندما فشل الفرنسيون في تنصيب أمير تونسي على بايلك الغرب فأرسلوا القائد إبراهيم بوسنايك*** على رأس مائتي تركي لإخماد التمرد على هذا الأمير، وكانت قد اندلعت في معسكر ثورة ضد الأتراك، وأصبحت تلمسان مقسمة بين العرب من جهة، والأتراك والكراغلة المعزولين في المشور من جهة أخرى[1]، أما مستغانم فقد استأجرت فرنسا حاميتها التركية بقيادة إبراهيم بوسنايك فحافظ عليها باسمها، ودفع الهجمات العربية عنها حتى سلمها لديميشال دون مقاومة في جويلية عام (1833).[2]وقد غادر ديميشال المدينة وخول أمر الدفاع عنها إلى زهاء الستين من الأتراك والكراغلة، وحامية فرنسية قوامها مائتا رجل.[3]وباءت كل محاولات الأمير لاسترجاعها بالفشل[4]، واحتفظت فرنسا بالمدينة بموجب معاهدتي ديميشال في وهران (28 فيفري1834)[5] والتافنة في (20 ماي 1837)[6].

وأراد بيجو الاعتماد على الأتراك بإنشاء بايلك مستغانم، فأصدر مرسوم 9 أوت 1841 وعين الحاج مصطفى بايا على مستغانم وأخاه إبراهيم على معسكر، مستعملا بذلك هذه الأقلية ضد السكان الأصليين. وفعل بالمثل في القليعة وتلمسان، لكن تجربة الاعتماد على الأتراك فشلت[7] لكن العداء الطائفي ظل سائدا يمزق مجتمعنا وقد باركه الاستعمار لتمزيق صف المسلمين . وفشل الهجوم الجريء والمفاجئ لبومعزة على مستغانم في الخامس عشر أكتوبر عام ألف وثمانمائة وخمس وأربعين في استعادة المدينة[8] التي أصبحت إحدى مقاطعات الإقليم الوهراني الأربع منذ عام، 1843 وقد اختط لاموريسيير المواصلات للربط بين معسكر ومليانة وشرشال و مستغانم.[9]

ثالثا: الواقع الديمغرافي والنشاط الاقتصادي والثقافي للمدينة

كان عدد سكان مستغانم اثني عشرة ألفا نسمة عام 1830 و لم يعد بها عام 1833 إلا ألف وخمسمائة ساكنا بسبب هجرة الكثير منهم نحو الغرب وخاصة مدينة فاس، فضلا عن طرد المستعمر

*** إبراهيم بوسنايك: هو القائد التركي الذي قاوم الأمير عبد القادر ورفض كل عروضه وقد أنفق من ماله الخاص حتى باع مجوهرات زوجته وابنته للدفع لجموع الأهالي الذين جندهم ضد الأمير لحساب فرنسا . ينظر:

– Moulay Belhamissi, op-cit. p 110

[1] - Ibid, p p 105-106.

[2]– أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق. ص 277.

[3] – Moulay Belhamissi: op-cit, p 113.

[4] – محمد بن عبد القادر الجزائري: تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق: ممدوح حنفي، ط2، بيروت: 1964. ص- ص 173- 174.

[5] – – Moulay Belhamissi: op-cit, p: 123.

[6] - Ibid. p 131.

[7] - Ibid. p 153.

[8] - Ibid. p 157.

[9] – أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المصدر السابق. ص – ص 298-300.

لعدد معتبر من الحضر لأسباب أمنية وللاستيلاء على مساكنهم، ومن بقي من سكانها تجمعوا بحي تيجديت وكان عددهم حوالي المائة عائلة من السكان القدامى للمدينة.

أما الاستيطان الأوربي فقد بدأ منذ عام 1834 في وادي البساتين واتجه نحو الشرق، وكان أغلب المستوطنين من الاسبان والجنويين وقيمي إطعام فرنسيين، وابتداء من عام 1845 دعم الموقع العسكري بمدينة إدارية، ومنشئات تجارية وصناعية، وأخذت المدينة في التوسع وتزايد عدد سكانها الأوربيين،[1] وظل التفوق العددي في المدينة لصالح المستوطنين الأوربيين حتى عام ألف وتسعمائة وستة(1906). وسجلت سنة ألف وتسعمائة وإحدى عشرة (1911) بداية جزأرة المدينة والجدول التالي يوضح ذلك:

السنة	عدد المستوطنين	عدد المسلمين	المجموع
1906	10716	9554	20270
1911	11417	11652	23069
1921	12006	13050	25056
1931	12776	14063	26839
1936	17565	19396	36961

تطور عدد سكان مدينة مستغانم بين عامي (1906-1936)[2]

مدينة مستغانم إحدى المدن القلائل التي تنفصل فيها المدينة الأوربية بوضوح عن المدينة العربية، وقد فصل بين المدينتين في مستغانم وادي عين الصفرة[3] تتشكل المدينة العربية من عدة تجمعات سكنية، بعضها داخل الصور، وهي محاذية للمدينة الأوربية والبعض الآخر خارجه.[4]

فداخل الصور نجد الأحياء التالية: حي الطُبانة يوجد فيه مترل حميد العبد[5]، وحي الدّرْب: (درب (درب اليهود) وهو ذو حيوية تجارية كبيرة، تمارس فيه شتى أنواع الحرف.[6]

أما حي المَطْمَرْ فيقيم به الحضر وهو مركز تتجمع فيه المؤسسات العسكرية،[7] وقد اقتنى ابن عليوة به سكنا انتقل منه عند بناء زاويته بتيجديت، وبحي المطمر عدة مزارات أشهرها: سيدي عبد الله

---

1 - Moulay Belhamissi: op-cit. p 161.

2- Janine monsonégo: l'activité économique de Mostaganem de 1830 a nos jours, éditions la rose, paris : 1930. p 32.

3 - Marcel Carret : Le Cheikh El Alaoui (Souvenirs), Mostaganem : 1947. p 13.

4 – رشيد محمد الهادي بن تونس: المرجع السابق. ص 39.

5 - Marcel Bodin: op-cit. p 24

6- Ibid, p 7.

7 - – Moulay Belhamissi: op-cit p 118.

بوقبرين، وسيدي حمادوش، وضريح مصطفى الأحمر، وكذلك ضريح الباي بوشلاغم وزوجته لالا عيشوش.[1]

أما القرِيَّة: (بكسر الراء وتشديد الياء) فكان يقطنها الكراغلة والأتراك، وبها عدة منشآت عمرانية دينية وإدارية وعسكرية مثل الجامع الكبير، وقصر الباي محمد الكبير، ومسجد سيدي يحي وبرج المحال.[2]

ونجد خارج الصور حي العرصة، وفيه زاوية الزنوج المعروفة بمقام سيدي بلال، وأيضا ضريح القايد محمد.[3] كما نجد المدينة العربية (تيجديت) التي تتفرع بدورها إلى عدة أحياء منها: حي تطلقين، تطلقين، وحي المَقصر الذي يوصف بأنه حي أرستقراطي هادئ يحرسه سيدي علي، وسيدي بسنوسي هذا الأخير يتحول ليلا إلى أسد يتولى حراسة الحي[4]. وحي السويقة التحتانية، وشارع قادوس المداح وجود عدد كبير من المستهترات فيه أساء لسمعته[5]، وحي السويقة الفوقانية والخرابشة؛ والخرابشة؛ و بتيجديت عدة أضرحة منها: ضريحي سيدي بختي وأمه لالا ستي، ومقام سيدي عبد القادر وأمه أو خادمته ومريدته لالا خيرة، وضريح الخليفة سيدي إبراهيم بن عثمان باي[*]، ومسجد مولى النخلة[6].

ويوجد حي وادي البساتين (الدَّبْدَابَة) على بعد حوالي خمس كيلومترات من المدينة، وقد كان مصيفا للأثرياء من الأتراك والكراغلة والحضر الذين شيدوا به فيلات رائعة، أصبح بعد الاحتلال مهجورا [7]. لكن أراضيه الخصبة، ووفرة مياهه الجوفية، فضلا عن وجود بحيرة كان السكان يقصدونها يقصدونها للصيد و الترفيه، جعلته يجذب الاستيطان الأوربي مبكرا، فبدأ من وادي البساتين واتجه شرقا. حيث أقيمت المدينة الأوروبية الحديثة بمختلف مرافقها الإدارية والثقافية والاقتصادية والعسكرية.[8] وبهذا الحي كانت أثمن ممتلكات الطريقة تتمثل في مزرعة الدبدابة وزاويتها.

---

[1] - Marcel Bodin: op-cit. pp 31-32.

[2] - – Moulay Belhamissi: op-cit. p 117.

[3] - Marcel Bodin: op-cit. p 58.

[4] - Ibid. P 50.

[5] - Ibid. p 35.

[*] إبراهيم بن عثمان باي (ت: 1853) وهو الذي عينه بيجو بايا على مستغانم عام 1843. كما يذكر بودان أن إبراهيم عين خليفة على معسكر وأخاه بايا على مستغانم وأنه توفي فترة وجيزة بعد تعيينه.

–Ibid. p 41.

[6] - Ibid. p 42.

[7] - Moulay Belhamissi: op-cit .pp 162-163.

[8]– رشيد محمد الهادي بن تونس: المرجع السابق. ص ـ ص 68 – 69 .

اشتهرت مستغانم بزواياها والقاضي حشلاف[1] يذكر أنه يوجد بالمدينة عدة زوايا، أعظمها الزاويـــة السنوسية الطكوكية، والزاوية العلاوية الشاذلية، ثم الزاوية القادرية، والزاوية التيجانية وزاوية محمـــد الحراق الكريتلي. لكن باستثناء الزاوية العلاوية فإن باقي الزوايا لم يكن مقرها الرئيس بالمدينة فالزاوية السنوسية التي كان رئيسها عبد القادر بن الشيخ الحاج أحمد بن تكوك، لم يكن لهـــا في المدينـــة إلا زاوية صغيرة من غرفة واحدة للصلاة[2]، تعقد فيها جلسات الصلح بين خدام الشيخ كل سبت يـــوم السوق[3] وتقع في حي الدرب.

وتقع الزاوية التيجانية –التابعة لزاوية عين ماضي ورئيسها الشيخ علي السوسي–[4] في شارع سيدي عبد الله في القرِيَّة، وهي الأخرى عبارة عن غرفة واحدة للتيجانيين حق المبيت فيها، وهم قلة في مستغانم يقدر عددهم بخمسة عشر مريد عام 1932.

ودشنت الزاوية العيساوية في فيفري من عام 1873، أي سنة قبل ولادة ابن عليوة، وكانت أول طريقة ينخرط في صفوفها ويبرع في فنوها، كانت توجد في منطقة صعبة، فلا يتم الوصول إليها عبر ممر مسدود وضيق على انحدار لحي السويقة التحتانية، وقد تضررت كثيرا بفعل فيضـــان عـــام 1927،في عام 1930 كان مقدمها محمد ولد الميسوم وعدد أتباعها زهاء الثلاثين[5].

و لم يكن بالمدينة زاوية قادرية، بل مقام لسيدي عبد القادر وخادمته لالا ستي فحسب. أما الزاويـــة القادرية الكبرى والمعروفة أيضا بالزاوية الأحولية فهي بواد الخير، على بعد أربعين ميلا من مســـتغانم، ورئيسها الشيخ بن الأحول[6].

وكان بالمدينة ثلاث زوايا درقاوية، وذلك قبل تأسيس الزاوية العلاوية. كان أهمها بتيجديت زاويـــة محمد بن بلقاسم الحراق الكريتلي، وزاوية قدور بن سليمان قبل أن يتحول إلى التيجانية، ويقـــال أن مقدمه كان بن عودة بن تونس والد الشيخ عدة بن تونس.[7] وزاوية حمو الشـــيخ البوزيـــدي بحـــي السويقة، ثم الزاوية العلاوية بتيجديت بحي أصبح يعرف بحي الزاوية، وهي وإن كانت آخر الزوايـــا ظهورا، فإنها أصبحت أكبر وأهم زاويا المدينة.

[1]– عبد الله بن محمد: المصدر السابق. ص 101.

[2] - Marcel Bodin: op-cit. pp 14 –15.

[3] - Ibid. P 16.

[4]– عبد الله بن محمد: المصدر السابق.ص 101.

[5] - Ibid. pp 47-49.

[6]– عبد الله بن محمد: المصدر السابق. ص 101.

[7] - Salah khelifa: op-cit. p141

و لم تتوفر مدينة مستغانم الساحلية على ميناء محصن طبيعيا، فكان ميناؤها مفتوحا للأعاصير، كما أن عمق مياهه يتراوح ما بين 10 و40 مترا، وتنتشر به صخور خطيرة ، فكانـــت الســفن لا ترسو فيه لتفريغ حمولتها إلا بعد جذبها إلى الشاطئ.[1]

للأسباب السالفة الذكر، ومن أجل تنمية النشاط التجاري للمنطقة اتخذ قرار بناء ميناء اصطناعي عام 1888، وبدأت الأشغال فيه عام 1890 واستمرت أعمال تهيئته حتى عام 1935 في ظروف صعبة، حيث دمرت الرياح الغربية المطيرة مرافقه خمس مرات متتالية بين عامي (1890-1903)*. وأعطى إنشاء الغرفة التجارية لمستغانم بموجب مرسوم 29 جانفي 1901 دفعا قويا لتقدم أشغال تهيئة الميناء، فأصبح محصنا وحديثا واصطناعيا تماما منذ الحرب العالمية الأولى، وقد تراجع نشاطه خلال الحـــرب، لكنه سرعان ما استرجع نشاطه وأصبح يحتل المرتبة الثانية في الإقليم الوهراني، في مجال تصدير الحبوب والخمور وذلك منذ عام 1926. وفي عام 1933 أصبح ثالث ميناء في تصدير الخمور والمواشي بعـــد وهران والجزائر، وخامس ميناء في مجال التجارة البحرية في الجزائر[2]، رغم أن أعمال تهيئته لم تنتـــه إلا عام (1935)[3]وبتوسيعه وازدهار نشاطه أصبحت مستغانم ميناء تجاريا، ومستودعا للسلع تمون المناطق المناطق المجاورة لها، وتصرف منتجاتها للخارج.[4] وقد طغى على نشاط الميناء طابع التصـــدير بنســـبة الثلثين من مبادلاته، في حين مثلت الخمور التي تولت شحنها سفن فرنسية وأخرى نرويجية وبلجيكية ودانمركية[5] 80٪ من صادراته.[6]

تفاوتت كميات صادرات ميناء مستغانم من الحبوب من سنة إلى أخـــرى تبعـــا للظـــروف المناخية السائدة، لكنه وفي كل الأحوال كان يصرف 80٪ من حبوب الهضاب العليا.[7]كما يصـــدر المواشي وبمعدل 7500 رأسا أسبوعيا منذ عام (1913)،[8]وقد سهل الخـــط الحديـــدي (تيـــارت- مستغانم) العملية حتى بلغ عدد رؤوس المواشي المصدرة عام 1920 (200.000) رأس.

---

[1] – أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المرجع السابق. ص 237. وأيضا:

–Moulay Belhamissi: op-cit. pp 27-30.

* تعرض ميناء مستغانم لما كان في طور الانجاز للدمار مرات عديدة بفعل الأعاصير خلال سنوات: 1890- 1895 – 1896- 1897- 1903 ينظر :

-(Mostaganem l'histoire et l'équipement d'un port méditerranéen) op-cit. pp 29-30.

[2] - Ibid. p 33.
[3] –Ibid. p 30.
[4] -Janine monsonégo: op-cit. p 63.
[5] - Ibid. p 60.
[6] –Ibid. pp 38-39.
[7] -Ibid. p 37.
[8] - Ibid. pp 34-35.

وتمثلت واردات ميناء مستغانم في المواد الاستهلاكية المختلفة ومواد البنــاء، مــن فرنســا، والأخشاب من النمسا والنرويج ويوغسلافيا ورومانيا، والفحم من إنجلترا، والحبــوب مــن كنــدا والولايات المتحدة الأمريكية.[1]

ونظرا لغنى شواطئها بأنواع جيدة من الأسماك، أصبح للمدينة أسطول للصيد البحري ملاكه والطاقم العامل على متنه من أصول إسبانية.[2]أما الأهالي فيمارسون الصيد البحــري التقليــدي، أو يعملون حمالين في الميناء.

أصبح ميناء مستغانم ميناء دوليا وكذلك أصبحت الطريقة العلاوية، التي واكــب ظهورهــا وانتشارها تطور نشاط الميناء واتساعه، ولعب البحارة الأجانب خاصة اليمنيين العاملين في خط البحر الأحمر، دورا بارزا في نشر الطريقة خاصة في هولندا وإنجلترا بأوربا، وفي موطنهم الأصلي اليمن. ولا شك أن العمال الأهالي بالميناء كانوا على الأقل أداة اتصال بين الشيخ ابن عليوة وهؤلاء البحارة.
كما أسهم إنشاء الخط الحديدي مستغانم تيارت مرورا بغليزان عــام 1900، في ازدهــار المدينــة[3] ومرونة التنقل منها وإليها.

وطغت زراعة الكروم على نشاطها الزراعي، حيث اكتسحت ثلثي مساحة الســهل الشــمالي الغربي لمستغانم، فازدهر إنتاجها حتى عانت بين عامي 1904- 1906 من مشكلة فيض الإنتاج. أما زراعة الخضر والحمضيات فكانت تمارس في ضواحي المدينة وأوديتها.[4]
وكانت مدينة مستغانم كثيرة الأشجار تحفها البساتين من النواحي الثلاث، كثيرة الفواكــه واللحــم واللبن والحوت، كما يجلب لها القمح والشعير، والسمن والعسل والصوف من باديتها.[5]
أما الفارق بين الزراعة الأهلية والاستيطانية فقد كان واضحا سواء من حيث الوسائل أو المردود كما يوضحه الجدول التالي:[6]

	فلاحة المستوطنين		الفلاحة الأهلية	
المنتوج	هكتار	قنطار	هكتار	قنطار
قمح صلب	47.204	206.971	83.015	197.013

[1] - Ibid. P 32.
[2] - Ibid. p 62.
[3]- Moulay Belhamissi: op-cit. p 165.

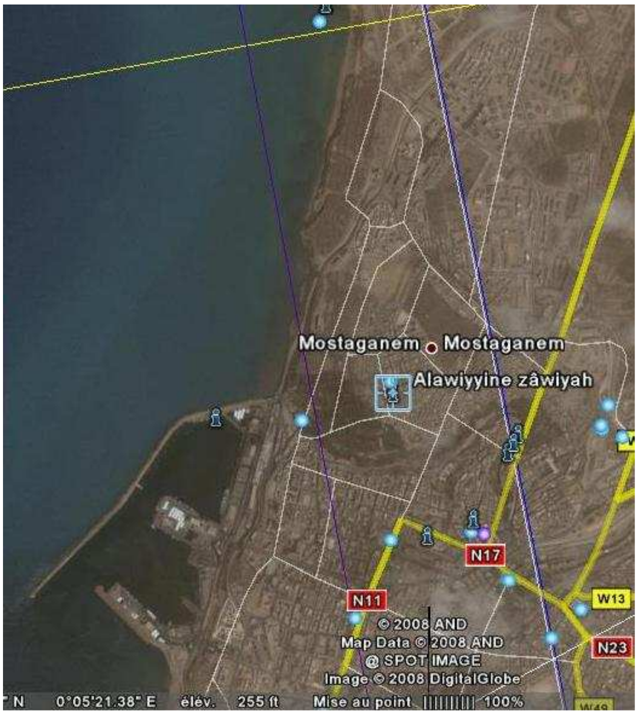
[4] -Salah khelifa: op-cit. pp 138-139.

[5]– عبد الله بن محمد: المصدر السابق. ص 100.

[6] - Janine monsonégo: op-cit. p34

قمح لين	37.656	421.017	27.116	109.367

وقد انتشرت الصناعات التقليدية كالنسيج والتطريز وصناعة الجلود والحلي، في أحياء المدينة العربية، ولكنها كانت تعاني من منافسة خانقة للصناعة الحديثة.[1] وانتشرت بها أيضا حرفة الخرازة و صناعة الأحذية المستغانمية التي تمتاز بخفة وزنها الذي لا يتجاوز مائتي غرام، مع جمال شكلها.[2] فكان يوجد بالمدينة ما يزيد عن الأربعين دكانا للخرازة. وكان ابن عليوة قد مارس هذه الحرفة قبل تصدره للإرشاد.



موقع الزاوية العلاوية بالنسبة لميناء مستغانم

[1] – Salah khelifa: op-cit. pp 138-139.

[2] – رشيد محمد الهادي بن تونس: المرجع السابق. ص 68.

رابعا: شخصيات مستغانمية معاصرة لابن عليوة

عاصر الشيخ ابن عليوة عدة شخصيات مستغانمية بارزة محليا ووطنيا وحتى دوليا كان منها:

الشيخ قدور بن محمد بن سليمان المستغانمي(1843 – 1904):

وصفه الحفناوي بإمام أهل العرفان، الحائز لقصب السبق في ميدان الشهود والعيان، الـــدال على الله بالله، أخذ الطريقة الشاذلية عن شيخه محمد الموسوم*، ثم أخذ الطريقة التيجانية عن أحمـــد التيجاني، ودفن بزاويته بحي تيجديت، وله مؤلفات عديدة قيل أنها تزيد عن عشرين كتابا منها:

- ياقوتة الصفا في حقائق المصطفى صلى الله عليه وسلم.
- جلاء الران، وتنوير الجنان، فيما أشكل من طرق الميراث على الإخوان.
- لوامع أنوار اليقين، بل السف المنير، في قطع ألسنة من نقص الأئمة المجتهدين.
- درر الفيض اللدني، فيما يتعلق بالكسب العياني والسني.
- لآلئ العرفان في نظم قصائد ابن سليمان[1]

الشيخ حمو* البوزيدي المستغانمي (1825 – 27 أكتوبر 1909)

هو الشريف محمد بن الحبيب البوزيدي، من قرية سيدي بوزيد، على شط وادي الشلف وهناك التقى بشيخه محمد بن قدور الو كيلي** بدائرة مستغانم، قام بسياحة للمغرب الأقصى، بزاوية

---

* محمد الموسوم:(1820- 1883) صاحب زاوية قصر البخاري، وهو ممن جمع بين الحقيقة والشريعة، أخذ الطريق على الشيخ عدة بن غلام الله، نشأ في قبيلة عريب في ضواحي مليانة، ثم انتقل إلى قصر البخاري وأقام بها زاويته وعمرها بدروس العلم والإرشاد، وانقادت له فحول الرجال وسلم له العلماء الفطاحل، وأقبل عليه الناس ولاسيما قبيلة العطاف من تلاميذه فيها الحاج ابن الشرقي. له نحو العشرين تأليفا منها: << التحفة المختارة في ثواب الزيارة >> و <<عصى موسى >> في الرد على من أنكر وأساء، و <<الرسالة في اسم الجلالة >> شرح على عقيدة الشيخ السنوسي الصغرى، وأغلب مؤلفاته في الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم مثل: << تفريج الهموم في الصلاة على النبي كل يوم >> و << كشف الغمة في الصلاة على خير الأمة >> و << العقد الثمين في الصلاة على النبي يوم الاثنين >> و غيرها. ينظر: الجيلاني بن عبد الحكم: المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1372. ص – ص 265-267.

[1] – أبو القاسم محمد الحفناوي: تعريف الخلف برجال السلف، ق1، ط1، مؤسسة الرسالة. المكتبة العتيقة، بيروت، تونس: 1402-1982. ص- ص 230-233.

* حمو اختصار لاسم محمد متداولا في المنطقة، كما اعتمد لتمييزه عن محمد البوزيدي الغماري (1747- 1809م) الذي ويعتبر سيد تلاميذ الشيخ العربي الدرقاوي شيخ هذه الطريقة. عن ترجمته ينظر - مصطفى العشعاشي: السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية، تحقيق: مصطفى يلس شاوش بن الحاج محمد، د.ت: د.م. ص – ص 10- 13.

** محمد بن قدور الوكيلي الكركري(1214-1284هـ / 1801-1869) تلميذ عبد القادر الوكيلي الباشا الذي أذن له بالذكر والإرشاد والتربية والتسليك، فرحل إلى بلاد الريف وبنى زاويته في جبل كركر ، ومن تلاميذه الذين أذن لهم ثلاث من كبار الشيوخ وهم:- محمد بن أحمد عبد الرحمن العزاوي الملقب بالهبري، صاحب زاوية بني زناسن بتاغيت. وحمو الشيخ بن الحبيب البوزيدي صاحب زاوية مستغانم.والشيخ عبد القادر البوعبدلي صاحب زاوية غليزان. – المصدر نفسه. ص – ص 15- 16.

كركر، فكان يقول لشيخه يا سيدي – لما يشهد من بركاته سر عجيب وفتح قريب– >>بلادنا خالية من هذا الفن، فيقول أهل بلادكم أولادنا وإنهم يحصلون على سر غريب والناس لا يظنون بهم خير فعند ذلك تسترحون [كذا]<<[1] وظل في خدمة شيخه قرابة ثلاثين سنة، وبعد وفاته عاد إلى مستغانم حوالي عام 1869 مأذون له بالتربية والإرشاد وقد أتى معه بالطريقة للجزائر فكان يعالج المصابين بصرع الجان، وكانت الجن تتبرك به وتعتمده وتأخذ عنه الطريقة وتزوره في مستغانم عند خصوصا المهمات، وكان الفتح على يده قريب[2]>>فكان طبيب الأجسام و القلوب<<[3] ورغم ذلك عند عودته وإعلان دعوته واجهته معارضة شديدة، اضطرته للعيش كطالب خامل، فاكتفى بتعليم القرآن الكريم للصغار، وترقية المرضى، وكان ابن عليوة ممن شفي برقيته من مرض ألم به في صباه.[4] ويقال أن أخوه في الطريق محمد الهبري، قد أرسل له تلميذه محمد البودالي[*] لزيارته في مستغانم وأوصاه بإعانته وإكرامه سريا.[5] ولعل ذلك ما جعل أوغسطين بارك[6] يعتبر حمو الشيخ درقاوي هبري الطريقة. وفي عام 1905 زار فقراء محمد الهبري بتلمسان مع تلميذه ابن عليوة ومكثا بها شهرا كاملا، وامتنع عن إعطاء العهد لمن أراد أن يتفقر على يده وأرشدهم إلى مقدم الشيخ الهبري بتلمسان.[7] ولعل ذلك كان احتراما لمجال نفوذ أخيه، ولعدم إثارة الأحقاد، وإلا فإنه في عام 1907 قبل انتساب محمد بن يلس الهبري له، وأذن له بالإرشاد والتربية وبناء زاوية له بتلمسان[8]. وقد اعتبره تلميذه وخليفته ابن عليوة مرشدا كاملا، بل ومؤسس طريقة، بدليل العنوان الذي أعطاه للمجموع الذي أبرز فيه مآثر شيخه بعد وفاته عنوانه: >>برهان الخصوصية في الطريق البزيدية [كذا] <<[9] دالا على ذلك، وقد

[1]- أحمد بن مصطفى بن عليوة: برهان الخصوصية في الطريق البزيدية، مخطوطة بأرشيف المطبعة العلاوية، بمستغانم. تحت رقم: 0056 م.ع. ص 7

[2] – المصدر نفسه. ص– ص 8- 9.

[3] – المصدر نفسه. ص 9.

[4] – عدة بن تونس : الروضة السنية في المآثر العلوية، ج1، ط1، المطبعة العلوية، مستغانم: 1354هـ- 1936. ص 12 .

[*] محمد البودالي بن عبد القادر الجباري (1847- 1910): تلميذ الحاج محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العزاوي الهبري الذي أذن له بالتربية والإرشاد وبناء زاوية ، وأمره شيخه بالسياحة بين بلعباس وشرق القطر الجزائري فقط، وأن لا يتصل به إلا مراسلة ، فأسس زاوية (بتخمارت فرطاسة) جبل أولاد إبراهيم عين معمر، ونشر الطريقة في تلك البقاع، كما أمره بزيارة حمو بن الحبيب البوزيدي، وأن يكرمه ويعاونه في القيام بأمر زاويته بمستغانم.

ينظر– مصطفى العشعاشي: المصدر السابق. ص– ص 34-35.

[5] – المصدر نفسه. ص 96

[6] - Augustin Berque:(un mystique moderniste le cheickhe benalioua), in RA, T2 : 1936. p 693.

[7]– مصطفى العشعاشي: المصدر السابق. ص 97.

[8]– المصدر نفسه. ص– ص 99-100.

[9] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: برهان الخصوصية، المصدر السابق. ص 2. وقد جاء على ذكره صاحب نيل المغانم لكن ذكره تحت عنوان: (برهان الخصوصية في المآثر البوزيدية). ينظر – رشيد محمد الهادي بن تونس، المرجع السابق. ص 136.

أصيب بالفالج الذي لازمه مدة أربع سنوات، فأصيب بشلل نصفي في البداية[1] ثم أصبح كليا حتى انعقد لسانه عن الكلام حتى توفي في عام 1909 ودفن بزاويته.



ضريح حمو الشيخ البوزيدي

الشيخ عبد القادر بن قارة مصطفى: (1862 – 1956)

وهو ابن عودة بن الحاج محمد بن قارة مصطفى الحسني المفتي والعالم الجليل والمعلم القدير، المصلح الاجتماعي، ذو السمعة الطيبة التي تجاوزت مدينة مستغانم، تعلم في زاوية سيدي الموسوم بقصر البخاري، ثم عاد إلى مستغانم فكان مدرسا.[3]

أبو القاسم بن حلوش: (1877 – 1949)

ولد بمستغانم، حفظ القرآن الكريم وهو في سن الثانية عشر، ثم درس علوم العربية والفقه والسيرة النبوية، كان عضوا في جمعية العلماء المسلمين ورئيس شعبتها في المدينة، وقد تولى تدريس الفقه والنحو في المسجد الحر بحي تيجديت، والذي أصبح يعرف بمسجد بن حلوش. وابنه مصطفى

[1] – أحمد بن مصطفى العلاوي أحمد بن مصطفى بن عليوة: المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، ج1، ط2، المكتبة العلاوية بمستغانم: 1989. ص 192. وأيضا: المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية، ط2، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1998. ص 335.

[2] – أحمد بن مصطفى العلاوي: الروضة السنية، المصدر السابق. ص 29.

[3] – عبد القادر بن عيسى المستغانمي: المرجع السابق.ص- ص 109-110.

بن حلوش (1907 – 1980) الذي مثله بكلمة أدرجت في سجل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام (1934)[1]

عبد الرحمان بن محمد بو حجر الحسني المستغانمي: (توفي عام 1943)

ولد بدمشق حيث كان أبوه مبعدا مع الأمير عبد القادر، ولما عاد للجزائر مع ابنيه عبد الرحمان ومحمد، تعرض الأخير للإبعاد من قبل السلطات الاستعمارية إلى الأغواط حيث توفي، فهاجر أخوه عبد الرحمان إلى ليبيا وشارك في مقاومة الاحتلال الإيطالي، ومنها انتقل إلى السودان ثم إلى مصر ودرَّس بالأزهر الشريف، وفي عام 1926 استلم منصب رئيس هيئة (الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر) بالمملكة العربية السعودية وظل على رأسها حتى توفي.[2]

سيدي محمد بن تكوك (محمد العالم):(1890– 1978)

كان فقيها وعالما ويقرض الشعر ويراسل به عبد القادر بن قارة مصطفى، كما اشتهر بالكرم والورع، وفظ التراعات بين الناس وكتابة العقود المختلفة.[3]

[1] - المرجع نفسه. ص– ص 68 و115 .
[2] - المرجع نفسه. ص – ص 67 – 68.
[3] - المرجع نفسه. ص 85.

محمد بن بلقاسم الحراق الكريتلي: (1850- 1929)

درقاوي شاذلي الطريقة، اشتهر بإكرام الضيف وعابر السبيل[1]، يقال بأنه >> اقترح على المرشدين الاقتصار على مجرد أخذ العهد على العموم لايقام [كذا] الصلاة وما والاها من قواعد الإسلام<< [2] توفي يوم الاثنين 7 جانفي(1929)[3]و دفن بزاويته الكائنة بحي تيجديت.

عبد الله بن محمد (القاضي حشلاف) (1873-1937)

كان جده قد انتقل من زاوية أولاد سيدي علي حشلاف الرحمانية، بثنية بني عيشة إلى مازونة لطلب العلم، ثم حط رحاله عند محمد بن قدور الذي زوجه من ابنته فأنجبت له محمد دفين كتشوة على بعد نحو الخمسة وعشرين ميلا عن مستغانم[4]وهناك ازداد عام (1396ه) عبد الله بن محمد.[5]وهو فقيه وذو دراية واسعة بالأدب، وقد عمل قاضيا بمدينة الجلفة[6]هذه الوظيفة التي قضى فيها أكثر من ثمانية عشرة عاما، وله عدة مؤلفات نشر منها ثلاثا فقط وهي:

- القول الفصل في جواز زيارة أولياء الله الكُمَّل.
- سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول.
- القول الدليل في نسب الشريف أبي الدخيل.[7]

وقد كان من أقطاب التيار الطرقي في صراعه مع الإصلاحيين وجمعية العلماء المسلمين الجزائريين[8]

بالقاسم بن التهامي المستغانمي: (1881-1940)

برجوازي مفرنس وطبيب وسياسي وصحافي ، كان من أبرز الخصوم السياسيين للأمير خالد ومن دعاة التجنيس والاندماج، وهو مدير جريدة المستقبل الجزائري الأسبوعية عام 1920 وإبان الحملة الانتخابية التي فرقت الشبان الجزائريين إلى قسمين قسم مع ابن التهامي المتجنس يؤازره الباشاغا صحراوي، وزروق محي الدين الحلوي ثم أصبح مدير جريدة التقدم **(1923).**

---

[1]– المرجع نفسه. ص- ص 58-59 .

[2] – البلاغ الجزائري، ع: 127، مستغانم: 19 جويلية 1929.

[3] – البلاغ الجزائري، ع: 102، مستغانم: 11 جانفي 1929.

[4] – عبد الله بن محمد: المصدر السابق. ص – ص 64-65.

[5] – المصدر نفسه. ص 67. / لكن عام 1396 يوافق عام 1976، وهذا خطأ ولابد أنه مطبعي وعليه يكون من مواليد عام 1296- الموافق لعام 1879. ولكن نظرا لعدم وجود دليل قوي على ذلك اعتمدت تاريخ ولادته المتداول عند مثقفي المنطقة.

[6] –عبد القادر بن عيسى المستغانمي: المرجع السابق. ص 66.

[7] – عبد الله بن محمد: المصدر السابق. ص 195.

[8] – أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة، ج1، ط1، دار البعث، قسنطينة: 1985. ص 116.

وهو من مواليد مدينة مستغانم لكن إقامته ونشاطه بمدينة الجزائر العاصمة، حال دون أن تلعب مدينة مستغانم دورا سياسيا يذكر[1]، وقد كانت جريدته التقدم الجزائري تهتم بنشاط الطريقة العلاوية فغطت جانبا من نشاط شيخها عند سياحته بمدينة الجزائر عام (1923).[2]

كما نقلت مراسيم دفن عبد الرحمان طبي العلاوي (شارل طابيي) مدير صحيفة الحق الوهراني ونشرت خطبة التأبين التي ألقاها المقدم عدة بن تونس كاملة[3] فما عساه يكون القاسم المشترك بين متجنس من دعاة الاندماج ومحارب للاندماج وسياسة التجنيس؟ أهو وحدة الموطن المستغانمي؟ أم وحدة التوجه السياسي المعارض للاتجاه الوطني؟

[1]- Salah khelifa, op-cit. pp 141-142.

[2]- الشهائد والفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمر ﴿ الشيخ العلاوي ﴾، جمع : بن عبد الباري محمد، ط1، المطبعة التونسية، تونس، 1344- 1925. ص 95. (الهامش)

[3] – المصدر نفسه. ص – ص 59-61. نقلا عن (صحافي فرنسي مات مسلما)، التقدم الجزائري، ع: 10.

المبحث الثاني: الأحداث الوطنية الكبرى المؤثرة في خيارات ابن عليوة

ليس الهدف من هذا المبحث رصد أهم التحولات التي شهدها الجزائر في هذه المرحلة على أهميتها، بقدر ما هو كيف أثرت تلك الأحداث والتحولات في مؤسس الطريقة العلاوية وتوجهاته؟ وكيف تفاعل مع أحداثها؟ فهل واكب تطورها الثقافي والسياسي؟ وما مدى إدراكه لأبعاد السياسة الاستعمارية؟

أولا: نهضة الجزائر وأشكال المقاومة الجديدة فيها

إن الجزائر التي قال عنها مالك بن نبي[1] بأنها رغم إسلامها ظلت حتى عام 1925 تدين بالوثنية التي أقيمت نصبها في الزوايا، ترقص على دقات البنادير، وتبتلع العقارب والمسامير مع الخرافات والأوهام. لم تكن كذلك طيلة الربع الأول من القرن العشرين، فإذا كان ادمون دوتييه في كتابه (الإسلام الجزائري) الذي كان في نظر الفرنسيين ومستشرقيهم، الإسلام الذي يموت فاسحا الطريق لمرور حركة التنصير والاندماج والرسالة الحضارية الفرنسية. وما آلت إليه الشعائر الإسلامية والممارسات الدينية بعد سبعين سنة من الاحتلال من البعد عن روح الإسلام وتعاليمه، وأصبح يتمثل في الشعوذة والسحر والدجل والتخريف، وتنظيم الزردات والوعدات والذبح عند قبور الأولياء والصالحين، والاعتقاد في نفع وضر مشائخ الطرق، وفي الأحجار والأشجار والآثار ممارسات إنما تعكس التخلف والتزمت وضيق الأفق.[2]

لكن عبد القادر جغلول[3] تحدث عن الإسلام الجزائري في مواجهة التحديث الاستعماري. مستدلا بالمصلح السلفي محمد اطفيش: (1818-1914)[4] ونسج على منوال الدكتور سعدالله [5] حين تحدث عن المقاومة الثقافية ممثلة في القصص الشعبي والملاحم والغزوات التي كان يسردها المداح كانت أداة للتنفيس، ورفضا لأن يظل الحال على ما هو عليه.[6]

---

[1] – مالك بن نبي: شروط النهضة، ت: عمر كمال سقاوي وعبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر الجزائر، دار الفكر دمشق: 1987. ص 30.

[2] –أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1998. ص 52.

ينظر أيضا تعريف لوشاتلييه للإسلام الجزائري عام 1910.في كتاب: أبي القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،ج7، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1998. ص 104.

[3] - Djeghloul Abdelkader: elements d'histoire culturelle Algérienne, ENAL, Alger: 1984. p 13.

[4] – Ibid. pp: 13-17.

[5] – أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900– 1930، ج2، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1983. ص –ص 76-79.

[6]- Djeghloul Abdelkader:op-cit. p 25.

بدأ القرن العشرون في الجزائر بالتمكين للمستوطنين فيها بمنحهم حكما ذاتيا ماليا بموجب قانون 19 ديسمبر 1900. وتسليط المزيد من الأحكام الزجرية على الجزائريين ومنها المحاكم الرادعة، وتمديد العمل بقانون الأهالي وإصدار منشور جونار (1906) الذي ضيق على الحريات العامة. ولما طرح مشروع التجنيد الإجباري للنقاش زادت مآسي الجزائريين الذين شعروا بعدم الأمن حتى على دينهم. فبدأت موجة الهجرة نحو المشرق وبلغت أوجها عام 1911، حين غادرت أكثر من ألف ومائتي عائلة مدينة تلمسان نحو سوريا التي أصبح بها 20000 مهاجرا جزائريا.[1] وكان من بين المهاجرين التلمسانيين كل من الشيخ محمد بن يلس* أحد أعيان تلاميذ الشيخ البوزيدي وممثله بتلمسان مع جماعة من أتباعه على رأسهم صهره محمد بن الهاشمي التلمساني.**

لكن الاستعمار في الجزائر وإن كان قد بلغ ذروة قوته في مطلع القرن العشرين ونجح في تفكيك الأطر الثقافية والاجتماعية للمجتمع الجزائري. فإنه لم ينجح في إخماد جذوة المقاومة في الجزائر ففشل المقاومة المسلحة خلف حالة من الذهول والإرباك في المجتمع الجزائري، لكنه لم يصل حد اليأس والقنوط والاستسلام التام، وإنما كان هدف الجميع المعلن أو المضمر، البحث عن طريق لقلب ميزان القوى لصالح الشعب، فقط اختلفوا في أسلوب ووسائل النضال لتحقيق الحرية والانعتاق. وتجلى ذلك خاصة في رد فعل المجتمع على سياسة المحتل التعليمية والثقافية الرامية إلى استئصاله وفصله عن جذوره. وتأكيده على وجود الشخصية الجزائرية بمقوماتها العربية الإسلامية عبر

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900– 1930، المرجع السابق. ص 127.

* الحاج محمد بن يلس (1854– 1927): درس في تلمسان على يد علمائها وخاصة أحمد بن محمد الدكالي (توفي عام 1915) وأخذ عنه الطريق، ودله على شيخه محمد الهبري، فسافر إليه وأخذ عنه الذكر الخاص، وبعد وفاة شيخه عام 1899، انتقل محمد بن يلس إلى وهران ومكث بها معلما ومربيا وعاملا على نشر الطريقة لمدة ثلاثة أعوام وكان من تلامذته: الشيخ الطيب المهاجي، وشيخ زاوية بطيوة الشيخ البوعبدلي، ثم سافر إلى الريف بالمغرب ومكث به عامين، وعاد إلى تلمسان سنة 1906، ولما كثر تلاميذه وانتشرت الطريقة حدثت وشاية أفسدت بينه وبين الشيخ محمد الهبري الابن، فاتصل ابن يلس بحمو الشيخ بمستغانم فأذن له بالتربية والإرشاد وبناء زاوية بتلمسان. في 13 أكتوبر 1911، هاجر إلى الشام سرا وخلف على زاويته العربي بورصالي (توفي عام 1920) وقد أحبه أهل الشام وسلموه الزاوية الصمدية في حي الشاغور، وأثناء الثورة السورية الكبرى ألقت عليه السلطات الفرنسية القبض مع ولده أحمد وبعض تلامذته بتهمة المشاركة في الثورة، ثم أفرج عنه. وقد خلف في سوريا عدة زوايا. وللشيخ ديوان شعر مطبوع، وجمع تلميذه الغوثي البغدادلي. ورسائل كتبها لتلاميذه لكنها لم تطبع.

ينظر– مصطفى العشعاشي، المصدر السابق. ص– ص 37-47.

** محمد بن الهاشمي التلمساني ثم الدمشقي (1881-1961): أخذ الطريقة الدرقاوية على شيخه احمد بن يلس، وقد كان صهره وشريكه في تجارته. ثم هاجر معه. قضى مدة سنتين في مرسين ثم انتقل إلى دمشق، ولازم شيخه فيها، فكان أحد المقدمين في الزاوية، يلقن الورد باسم شيخه وبإذنه، كما كان كاتبه وأمين سره وموضع ثقته حتى توفي. ولما زار الشيخ احمد بن عليوة دمشق عام 1930 نزل ضيفا على محمد بن الهاشمي، أصبح ممثله في بلاد الشام. وأذن له بالمشيخة. ينظر– مصطفى العشعاشي: المصدر نفسه. ص– ص 47 و 70- 71.

التاريخ.[1] وكان على الجزائريين أن يرابطوا ثقافيا ودينيا وسياسيا لمقاومة الاستعمار العقائدي والفكري والاجتماعي، وسيطرته السياسية والاقتصادية كما رابط أسلافهم عسكريا خلال القرن التاسع عشر.[2]

فظهرت في الجزائر مع نهاية القرن التاسع عشر وبداية القرن العشرين نهضة تجلت في إنشاء الجزائريين الصحافة الوطنية والنوادي والجمعيات الإصلاحية ونادوا بالتحرير عن طريق التعليم، كما ظهر صفوة من أبنائها المثقفين دعوا للإصلاح الديني والاجتماعي لكن طغى عليها الطابع الفردي، وكان أغلب هؤلاء المصلحين من أتباع الطريقة التيجانية، فهل كان تتجنهم لكسب حمايتها أم وجه آخر لنشاط لم تتبناه الزاوية التيجانية رسميا وأرادت به الحفاظ على هوية الأمة؟ ومن هؤلاء المصلحين:

صالح بن مهنا القسنطيني الأزهري(1854–1910): عاد إلى الجزائر عام 1887 إثر رحلة طويلة للمشرق العربي، واشتغل مدرسا بقسنطينة بمسجدها الكبير وبالزاوية الحنصالية أيضا. وكان أول من تكلم في الإصلاح الديني والاجتماعي بصراحة وجرأة أثارت ضده ضجة كبرى بالمدينة.[3]

عمر بن قدور (1886–1932): ولد بالعاصمة وبها نشأ وتعلم فكان كاتبا وشاعرا ومن رواد الصحافة العربية الوطنية في الجزائر، سافر إلى مصر ليعود إلى الجزائر عام 1908 عهد النهضة الصحفية والثقافية في عهد شارل جونار فأصدر جريدة (الفاروق) 1913 – 1915، التي كان شعارها:

قلمي لساني ثلاثة بفؤادي ديني ووجداني وحب بلادي[4]

وكان راسم يؤمن بأفكار الجامعة الإسلامية كان عمر بن قدور من المتطلعين للوحدة الإسلامية ولو إقليميا حيث دعا لتكوين جماعة التعارف الإسلامي لأهالي شمال إفريقيا عام (1914).

تعرض خلال الحرب العالمية الأولى لمحنة الاعتقال والسجن بعين ماضي وبها أخذ الطريقة التيجانية[*] عن المقدم <<محمد بن التواتي الأغواطي>> ولم يطلق سراحه إلا في نهاية الحرب العالمية الأولى.. وهو

---

[1] – جمال قنان: قضايا ودراسات في تاريخ الجزائر الحديث والمعاصر، المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر: 1994. ص 180.

[2] – عبد الكريم بو الصفصاف: جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى، 1931-1945، دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر: 1996. ص 38.

[3]– عبد الكريم بوصفصاف: الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا، ج1، دار الهدى عين مليلة، الجزائر: 2005. ص–ص 148-153.

[4] – عبد الكريم بوصفصاف وآخرون: معجم أعلام الجزائر، ج1، مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية، جامعة منتوري: قسنطينة. 1423هـ- 2002م . ص –ص 119-120.

[*] كان عمر بن قدور تيجاني الطريقة فألف كتاب (الإبداء والإعادة في سائق السعادة) الصادر عام 1928واستماتت فيه دفاعا عن الشيخ التيجاني وطريقته وبرأ ساحته من بعض ممارسات الأتباع. وأكد فيه على أن سلوك الطريق ضروري لكل مؤمن يريد حفظ دينه بقوله:<< ليس سلوك الطريقة التصوف بواجب على كل مسلم وإنما هو ضروري لكل مؤمن يخشى هول المعاد. ولذا ابتليت هذه

من كتاب البلاغ الجزائري، فإلى أي مدى يمكن أن ينطبق عليه رأي الدكتور سعد الله[1] بأن <<معظم شيوخ الجزائر، كانوا ينخرطون في الطرق الصوفية لحماية أنفسهم، لأن من لا شيخ له، لا حماية لــه من سوط الإرهاب الاستعماري. و لم يكن انضمام بعضهم عن عقيدة راســخة>> وفي عــام 1928 أصبح مدير مدرسة الشبيبة الإسلامية التي كان يديرها قبله مصطفى حافظ.

عمر راسم[*] (1884–1959): وهو صاحب أول مجلة عربية يصدرها جزائري، حيث أصدر عام 1908 مجلة الجزائر وإن لم يصدر منها إلا عددين. كان بدأ الكتابة الصحفية في الجرائد التونسية المرشد ومرشد لأمة (1909) لمقاومة داء الصهيونية. و(الحق الوهراني) 1912. ثم مد يد المســاعدة لعمر بن قدور ليؤسسا معا جريدة <<الفاروق>> ولما خلصت لابن قدور، أنشأ راسم جريدته <<ذو الفقار>> في أكتوبر (1913) واتخذها منبرا لإصلاح الأوضاع الاجتماعية على الطريقــة العبدويــة وخلال الحرب العالمية الأولى تعرض هو الآخر لمحنة السجن بحجة تحريضه على التمرد على فرنســا. [2] فهل حمى نفسه هو الآخر بأن تتجن؟

عبد الحليم بن سماية (1866–1933) أحد رواد الحركة الإصلاحية في الجزائــر، ومــن أتباع الطرق الصوفية ولعله كان تيجانيا هو الآخر، ومع ذلك لما أصدر رسالته (الكنز المدفون والسر المكنون) هاجمها رجال الطرق وخاصة التيجانية وحذروا من قراءتها وأحرقوا ما جمعوا من نسخها.[3]

الطائفة أن تكون سخرية بين العباد. وأوذيت كما أوذي صفوة الخلق من النبيين والمرسلين حتى يوافيهم الحق وهم به قائمون>> وأهدى نسخة منه للشيخ ابن عليوة وكأنه يواسيه عما واجهه من معارضة شديدة. كما رد فيه على بعض ما جاء في كتاب إرشاد الراغبين للحسن بن عبد العزيز.

[1]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج5، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1998. ص 284.

[*] عمر راسم: حفظ القرآن وهو ابن سبع سنوات وعمل حزابا وعمر اثنتي عشر سنة، كما درس سنة في المدرسة الشرعية ثم تركها في ظروف غامضة، بعد اندلاع الحرب العالمية الأولى عثرت إدارة البريد الانجليزية على رسالة يعتقد أنها بخط راسم موجهة لمدير جريدة الشعب المصرية مما جاء فيها: <<يجب على المسلمين أن يقتدوا بخليفتهم، وألا يعينوا أعداءهم>> اعتقل في 13 أوت وحكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة في نوفمبر1915، وأفرج عنه سنة 1921 بعد مراجعة القضية وتدخل بعض الفرنسيين والجزائريين لصالحه. آثاره لم تجمع بعد رغم ما ذكره أحمد توفيق المدني من أن عمر سفنجية ابن عمة راسم تكفل بجمع كتاباته المبعثرة، من آثاره:

- لوحات فنية بالخط العربي الجميل ومنها حكم الشيخ ابن عليوة.
- مجموعة تراجم لأعيان علماء الجزائر (ما زالت مخطوطة ولعلها ضاعت)
- تفسير للجزء الأول من القرآن الكريم بطريق الإشارة (وهو الآخر مخطوطة وربما مفقودة أيضا)

– ينظر أبو القاسم سعدالله : تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1998. ص 281. وأيضا – أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ق2، المصدر السابق. ص68. وعبد الحميد الزاهري: الإسلام بحاجة إلى دعاية وتبشير، ط2، مطبعة الاعتدال، دمشق: 1352هـ–1934. ص 30.

[2] – محمد ناصر: عمر راسم المصلح الثائر ، د.م: د.ت. ص – ص 14- 16.

[3] – عبد الرحمن الجيلالي: تاريخ الجزائر العام، ج4، ديوان المطبوعات الجامعية، دار الثقافة، الجزائر، بيروت، 1402هـ- 1982. ص 417.

وكان من أشكال المقاومة ما سماه الدكتور عبد القادر جغلول بــــ (المقاومــة-الــرفض) و(المقاومة-الحوار). أما (المقاومة — الرفض) والتي وصفها بالمحاولات البطولية اليائسة، التي تصــدت للتوسع الاستعماري بالانتفاضات المحلية، ولصوصية الشرف والسياسة، والهجرة نحو المشــرق. أمــا (المقاومة — الحوار) فرغم اعتراف أقطابها - ومنهم الدكتور ابن العربي في الجزائر العاصمة والدكتور مرسلي في قسنطينة وسي امحمد بن رحال في ندرومة - المؤقت بالأمر الواقع الاســتعماري، وإنمــا حاولوا تطويعه، وتخفيف وطأته على الجزائريين، وإنقاذ ما يمكن إنقاذه ولاسيما الهوية الثقافية.[1]

لكن إذا كان هؤلاء الرواد قد فرض عليهم السياق التــاريخي حينــها ذاك الأســلوب في مقاومــة الاستعمار والتعبير عن مطالب الجزائريين. فإننا سنجد في الطريقة العلاوية تكريسا لهذا الشكل مــن المقاومة كخيار ثابت رغم وجود بدائل ممكنة أكثر فعالية. في وسط برزت فيه مطالب راديكاليــة لا تكتفي بالدفاع عن هويتنا الثقافية وإنما مطالب وطنية الهوية إحدى دعائمها.

وقد اختار الشيخ ابن عليوة العودة للجزائر، بعد أن تجول بتونس وطرابلس الأستانة وما عاد يضيق بما كان قد استهجنه من قبل من أحوال وطنه وأخلاق أهله، بل عاد للجزائر التي أصبح يحمــد أخلاق أهلها وجمودهم على عقيدة آبائهم. فعاد لتثبيت الطرقية في الجزائر وبث طريقته فيها، كمــا عاد للجزائر شبان آخرون درسوا بجامعات المشرق وخاصة الزيتونة والأزهر، وعادوا معهــم بفكــر إصلاحي أدخلوه معهم ويريدون بثه والتمكين له في الجزائر، وكان عبد الحميد بن بــاديس خــريج الزيتونة أحد هؤلاء العائدين إلى قسنطينة.[2]

في الوقت نفسه كانت حركة هجرة الجزائريين وتهجيرهم قد اشتدت، حيث انتقلــت آلاف الأســر الجزائرية وخاصة من تلمسان فنقل المهاجرون معهم طرقهم الصوفية خاصة إلى الشام. وكــان مــن مهاجري تلمسان من كان على معرفة واسعة بالشيخ ابن عليوة.

كما هُجِّرَ من بلاد القبائل أكبر عدد من اليد العاملة الجزائرية إلى فرنسا فنقل هؤلاء معهم عقائــدهم ولما كانوا فئة معتبرة فقد شكلوا وسطا ملائما لبث الدعوة الإصلاحية بخطاباتها المختلفة.

كما حشدت فرنسا إلى جبهات القتال بأوربا 173000 جنديا مــن الأهــالي، و119000 ألــف جزائري للعمل بها. وفي عام 1918 أصبح أكثر من ثلث الجزائريين الذكور مسخرين في فرنسا.[3]

---

[1]- Djeghloul Abdelkader, op-cit. p 51.

[2] –Gilbert Minyer: l'Algérie révélée, la guerre de 1914-1918 et le premier quart du xx^{e} siècle, librerie droz, genève, paris: 1981. p 246.

[3]- Charles- Robert Ageron: Histoire de l'Algérie contemporaine (1830-1973), que sais-je? Presse universitaires de France, Paris: 1974. p 73

ثانيا: التجنيد الإجباري 1912 وصحيفة الحق الوهراني

يجدر بي في بداية هذا المبحث أن أوضح للقارئ الكريم لماذا ربطت قضية التجنيد الإجبـــاري بصحيفة الحق الوهراني دون غيرها من الصحف الصادرة في تلك الفترة، والحال أن مشروع ميســـمي الذي صنع الحدث قد تفاعلت معه كل الصحف الصادرة، وكل صحيفة تناولته بمـــا يتوافـــق مـــع قناعات وتطلعات الشريحة الاجتماعية التي تمثلها؟

إن الاهتمام بهذه الصحيفة سببه العلاقة الوطيدة بين مديرها شارل طبيبي والشيخ ابن عليـــوة الـــذي يصفه بالصديق؛ وهي العلاقة التي لا تكون إلا بين الأنداد لا بين الشيوخ والأتباع، هذا من جهـــة، ومن جهة أخرى فإنه في فيفري 1912 أعلنت جريدة الحق الوهراني عدة مشاريع منـــها: وداديـــة وهران للمعلمين، ورابطة مكافحة الإدمان، ونادي الشباب الوهراني، وبنك خاص بالمسلمين، ونـــزل إسلامي بوهران ووضعت برنامجا رآه زهير احدادن لا يمكن إلا أن يكون مشروع دولة[1]. ولاشك أن جوانب من هذا المشروع ستجد مجالها للتجسيد بالتعاون بين الشيخ وصديقه الـــذي كـــان ينصـــح بتدشين نظام الإشراك والتعاون بين الفرنسيين والأهالي ولا يعني ذلك إذابة العناصر غير المتجانسة في بوتقة واحدة، وإنما توحيد الجهود في الجانب الاقتصادي والاجتماعي لا السياسي للخروج من الوضع المزري الذي كان قائما.[2] لكن مع الحذر من تلقين الأهالي نزعة وطنية لا مبرر لوجودها، والحـــرص أن لا تتجاوز الوطنية عندهم حب موطنهم الصغير، قريتهم أو مدينتهم، وترسيخ احترام وحب الوطن الكبير حامي الحمى، نظير الحنان الذي يلقونه منه.[3]

وأصدر احدادن[4]حكمه –بعد قراءة تحليلية جادة لمقالات صحيفة الحق الوهراني– واعتبر أن مهمتـــها احترازية ومحاولة لامتصاص غضب الأهالي المسلمين بأسلوب ماكر، حين تكلمت باسمهم وأصـــغت إلى غضب أعيانهم ونشرت عرائضهم الموجهة للسلطات، بل وأرشدتهم للسبل الواجـــب إتباعهـــا. وتفادت التشكيك في الإدارة المركزية الاستعمارية. وبذلت وسعها لإقناع الأهالي بأن أسباب هجرة الجزائريين هو ما يكابده المسلم من الظلم. كما حاولت إقناعهم بأن التجنيد ليس شرا في حد ذاتـــه، فقط يجب محاربة التجاوزات المؤسفة.

وقد وضح شارل طابيي هدفه والذي قال عنه: <<من أجل خدمة بلدي>> وذلك بجعل الأهلـــي لا يحمل السلاح ثانية لمحاربة الوجود الفرنسي، ففي إحدى الافتتاحيات أكد أن<< الشعب المســـتعمر سيصمد بعزة نفس صلبة، وسوف يحترم قوانين البلد الذي يحميه، ولن يستجيب لأية ثورة غير

---

1 -Ihddaden Zahir : <u>Histoire de la presse Indigène en Algérie des Origines jusqu'en 1930</u>, Enal, Alger : 1983. p 225.

2 - Ibid. p 219.

3 – Ibid. pp 215 - 216.

4 – Ibid. p 216.

مجدية...سيمضي في طريقه، محافظا على عاداته، وسيحتك بالأشياء الجديـــدة دون أن يستأصـــل أي شيء من ماضيه ومن طباعه، وسيكون شعبا موازيا... <<[1].

وفي افتتاحية ثانية يقول: >> إن عهد العنف قد ولى؛ فأسلافكم قد سقطوا بشرف في ساحات الوغى لأجل استقلالهم، واصلوا أنتم المقاومة في الميدان السياسي والاقتصادي...ابقوا متضـــامنين. وســـواء كنتم مثقفين أو جاهلين أغنياء (إن بقوا) أو فقراء، موظفين أو فلاحين، شكلوا شعبا واحـــدا وأمـــة واحدة<<[2] إن هذا المزيج من الكلمات النارية كان في الواقع قنبلة منزوعة الفتيل. وهدفه تلقين أفكار أخرى للأهالي وضحها بقوله: >> واجبنا هو أن نفهم العربي أنه حان الوقت ليقلد المستوطنين ويقتدي به في العمل<<[3] وإبعادهم عن الحياة السياسية، وإقناعهم بأن الطريق الأنجع هو إثبات الذات بالعمـــل الذي يؤمن لهم الرفاهية الاقتصادية في إطار التعاون بين الفرنسيين والأهالي. مشددا علـــى ضـــرورة التمسك بالإسلام والتصدي للفرنسة والتجنيس، والأوربة والإدمان[4].

ولعل هذا الموقف الحذر لزهير احدادن من شارل طابيي له ما يبرره من خـــلال الســـياق التـــاريخي للأحداث، وموقع الرجل وواقعه يجعله مشبوها هو أجنبي عرقا ودينا.

لكن تحفظاتنا عليه والتشكيك في صدق نواياه تجاه المسلمين يصبحان أقل فالرجل شهد له معاصـــروه من المسلمين بحب الخير لعموم البشر، بل إنه اعتنق الإسلام، وغير اسمه عبد الرحمان طبي، وتقمـــص الزي الإسلامي في وقت تنكر له أبناء المسلمين حتى أشاد به مامي إسماعيل[5] قائلا: >>إن مسيو طـــبي وضع على رأسه العمامة عندما نجد المسلم يضع على رأسه البرنيطة بافتخار<<.

تخلى عبد الرحمان طبي عن السياسة يقال بأن الشيخ ابن عليوة هو من اشترط عليه ذلك. فلم يـــبرز نشاطه ثانية على الساحة السياسية، ولكنه واصل نشاطه في خفايا الزوايا دافنا نفسه في أرض الخمول، فأينع مشاريع ميزت المشروع الإصلاحي العلاوي الذي تجاوز محاربة الأوربة والإدمان والتجنيس، إلى تطلعات ميزته تمثلت خاصة في طموح أسلمة فرنسا، والعمل علـــى تجســـيد التقـــارب الإســـلامي الكاثوليكي. وهي مشاريع خدمت بلده فرنسا وعلى المدى الطويل. لعل الشيخ ابن عليوة كان مرشد طابيي في السلوك والطريقة، أما طابيي فقد كان مرشد الشيخ السياسي.

---

[1] - Ibid. p 220.
[2] - Ibid. p 218.
[3] - Loc- cit.
[4] – ibid. p 225.

[5] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص- ص 60- 61.

لكن الشيخ ابن عليوة لم يكن الوحيد المتأثر بخطاب جريدة الحق الوهراني، فقد أعاد عمر بن قـــدور صياغة تأكيداتها باللغة العربية وفي جريدته الفاروق، كما أضحت بعد عشرين ســـنة المبـــادئ الـــتي ستناضل من أجلها جمعية العلماء المسلمين الجزائريين.[1]

[1] Ihddaden Zahir:op-cit . p 220

ثالثا: دعاية فرنسا الإسلامية

بثت فرنسا دعاية فرنسا الإسلامية لتقاوم بها النشاطات العثمانية – الألمانية المعادية لها في الجزائر ولكسب ولاء الجزائريين، لهذا الغرض أصدرت سنة 1913 جريدة <<فرنسا الإسلامية>> لتتصدى لدعاية الجامعة الإسلامية وسياسة ألمانيا الإسلامية. كما بنت مساجد للجنود الجزائريين على الجبهة الأوروبية، وبعثت إليهم بأئمة مسلمين ليؤموهم في الصلاة، معلنة أن تركيا لم تعد قادرة على حماية الإسلام، وكذلك ألمانيا. وأن فرنسا أمة قوية، وصورتها على أنها أمة إسلامية تعنى بالدرجة الأولى بشؤون الإسلام والعالم الإسلامي، وحتى الكولون فتحوا حملة تآخ بينهم وبين الجزائريين. ولكن أكثر ما كان يهم الفرنسيون حينها هو وقف موجة الوطنية الجزائرية، ومنع أي ثورة وطنية.[1]

وفي نهاية عام 1915 أصدر قائد الجيش الفرنسي في الجزائر منشورا يوصي فيه باستعمال أساليب مغرية في تجنيد الأهالي ومن تلك المغريات استعمال الموسيقى والولائم للدلالة على كرم فرنسا وتحويل أنظار الجزائريين عن الدعاية المعادية لفرنسا، وجذبهم للخدمة في الجيش الفرنسي.[2]

ولاشك أن تشجيع الضباط الفرنسيين لعدة بن تونس أحد أتباع الشيخ ابن عليوة عند تسييره المجندين المسلمين على صفة الذاكرين يندرج في هذا الإطار.

هذه الدعاية كان لها عظيم الأثر على توجهات ابن عليوة السياسية ومواقفه من فرنسا وتواجدها الاستعماري بالجزائر، وقد غذى هذه النزعة لديه دون شك شارل طابيي.

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية في الجزائر، المرجع السابق. ص- ص 262- 263.

[2]- المصدر نفسه . ص 264.

رابعا: التحولات السياسية في جزائر ما بعد الحرب

1- إصلاحات فيفري 1919

جندت فرنسا 173000 جنديا من الأهالي، وحشدت 119000 ألف جزائري للعمل في فرنسا فأصبح أكثر من ثلث الجزائريين الذكور مسخرين في فرنسا عام 1918.[1]

وعرفانا بالجميل وافق البرلمان الفرنسي على قانون ومرسوم فيفري، الذي تضمن إصلاحات[*] خجولة لا تتوافق مع وعود عام 1914، وبرفض أي تمثيل ولو غير مباشر للمسلمين في البرلمان الفرنسي والاكتفاء بإنشاء هيئة انتخابية جزائرية فحسب لم تزد تلك الإصلاحات عن فتح الباب للمواطنة الجزائرية.[2] وأكدت هذا الحجز القائم بين الجزائريين والفرنسيين. وهو إن سوى نظريا بين الجزائريين والفرنسيين في الضرائب، ووسع القسم الانتخابي الجزائري فإنه أبقى تمثيلهم دوما أقلية لا يعتد بها، فكانت تلك الإصلاحات <<مضادة للديمقراطية ومضادة للوطنية، وغير واقعية>>[3]

2- مطالب الأمير خالد الإصلاحية

لم ترض هذه الإصلاحات الهزيلة طموحات الجزائريين، وخاصة الأمير خالد الذي كان قد رفع عريضة إلى الرئيس الأمريكي ولسون، عند انعقاد مؤتمر الصلح بفرساي، يطلب فيها وضع الجزائر تحت وصاية العصبة المزمع تشكيلها.

ولما خابت مساعيه في باريس، عاد لممارسة نشاطه السياسي محليا، فحققت قوائمه نجاحا باهرا خلال انتخابات ديسمبر 1919 البلدية على حساب قائمة الدكتور ابن التهامي الإدماجي، ذي التوجه اللائكي المطالب بالجنسية الفرنسية بقطع النظر عن قضية الدين، المرافع لصالح التعاون مع فرنسا[4].

---

[1]- Charles- Robert Ageron: Histoire de l’Algérie contemporaine (1830-1973), que sais-je? Presse universitaires de France, Paris: 1974. p 73

[*] – تمثلت تلك الإصلاحات في: المساواة بين المسلمين والأوربيين في دفع الضرائب بإلغاء الضرائب العربية. ورفع مستوى التمثيل النيابي للمسلمين. ومنح حق الانتخاب والترشح لكل مسلم مستوفيا لجملة من الشروط من بينها تأدية الخدمة العسكرية، أو الحصول على نياشين، أو مالك لأراضي أو حامل لشهادة تعليم متوسط أو عالي. كما يفتح باب التجنس بالجنسية الفرنسية لكن مع التأكيد على شرط التخلي عن الأحوال الشخصية الإسلامية. / جمال قنان: المرجع السابق. ص 181.

[2] -Charles- Robert Ageron: Histoire de l’Algérie contemporaine (1830-1973), op-cit. p 74.

[3] – أبو القاسم سعدالله: الحركة الوطنية الجزائرية، 1900-1930، ج2، ط 4، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1992. ص 276.

[4] – المصدر نفسه. ص- ص 290-292.

أما الأمير خالد فقد كان برنامجه ينادي بمساواة الجزائريين مع الفرنسيين مع احتفاظهم بأحوالهم الشخصية الإسلامية. و لم يكن لا إسلاميا ولا انفصاليا وكان يحتوي على النقاط التالية:

- إدماج الجزائريين دون شرط.
- إلغاء السلطات التأديبية للمتصرف الإداري في البلديات المختلطة.
- المساواة أمام القانون
- تحقيق التمثيل النيابي للجزائريين غير المتجنسين.
- مساواة الجزائريين مع الفرنسيين في الألقاب والترقيات والوظائف..[1]

ورغم أن مطالب الأمير خالد لم تكن لا إسلامية ولا انفصالية فإن الإدارة الاستعمارية قد خشـــيته، ولمواجهة تأثيره يذهب الدكتور زهير احدادن[2] إلى أنها أعادت بث الروح في النشاط المرابطي فعرفت عدة زوايا في بضع سنوات إشعاعا مدهشا، و كانت الزاوية العلاوية بمستغانم أهم هذه الزوايا. والتي كانت متأكدة من الثقة التي تضعها الإدارة الاستعمارية فيها قامت بحملة واسعة ضد رجال السياســـة من الأهالي المعترضين باسم الإسلام، وضد الإصلاحيين الذين يبحثون عن نفـــخ روح جديـــدة في التعاليم الإسلامية. لكن هل كانت الزاوية العلاوية مسخرة من قبل الإدارة الاستعمارية؟ أم أن الزاوية انتهجت تلك السياسة لكسب رضاها؟

معلوم أن الزاوية قد عارضت المطالب الإصلاحية للأمير خالد، بدليل ما ورد في ركن بريـــد الخيال في صحيفة لسان الدين من<<أن بعض الفقهاء سئل: فهل السعي وراء إصلاح مسلمي الجزائر هو من الواجب أم من قبيل المكروه؟ فأجاب أن في ذلك نظرا لأسباب وعوارض منها..ومنها أم أنـــا فتعجبت من سؤال السائل، فكيف يكون السعي وراء الإصلاح من قبيل المكروه، كما تعجبت أيضا من جواب الفقيه حيث قال: إن في ذلك نظر. حتى قرأت ما ذكرته جريدة <<لاديبش الجيريـــان>> في شان الأمير خالد. فعلمت أن الفقيه متضلع من الفقه فأوصيت عنه.>>[3]

ويبدو أن الزاوية العلاوية كانت تنسق باسم الزوايا المختلفة مع الحكومة الفرنسية لإفشـــال حركة الأمير خالد من ذلك البرقية الموجهة للحاكم العام في 14 جويلية بواسطة عبد الكريم جوصـــو ومريم بوشي(سرينو) وجعفر الطيار- وكلهم من أتباع الشيخ ابن عليوة- والتي يتساءل أصحابها عما إذا كان التونسي مختار بن الطيب بن الحاج محمد مكلف بنقل كلمة السر فيما يخـــص الانتخابـــات المقبلة للزوايا الدينية؟[4]

---

[1] - المصدر نفسه. ص 292.

[2] - Ihddaden Zahir: op-cit. p 381.

[3]-(بريد الخيال): لسان الدين، ع: 2. الجزائر: 9-جانفي 1923.

[4]- Mahfoud Kaddache : Histoire du Nationalisme Algérien, 2eme édition, T1, Enal, Alger:1993. p 120 . (bas de page).

المبحث الثالث: الأحداث الدولية المؤثرة في توجهات ابن عليوة

أولا: الانقلاب العثماني (1908- 1909)

شهد عام 1907 ميلاد جمعية (الاتحاد والترقي) فكان لها في تركيا مقر داخلي بسالونيك ضم عناصر عسكرية تولت عمليات التنظيم والتوقيت والتنفيذ، ومقر خارجي بباريس ضم عناصر مدنية سياسية تمثل الجمعية في العالم الخارجي.[1]

وقد بدأت أحداث الانقلاب العثماني يوم الخميس 23 جويلية 1908، بدعوة جمعية الاتحاد والترقي للاجتماع لإعلان القانون الأساسي والحرية واجتمعوا في ذلك اليوم في ميدان أولمبيوس على الرصيف رافعين شعار <<إما الحرية و إما الموت>>[2] في 24 جويلية أعلن السلطان إعادة العمل بالدستور، الذي كان قد عطله عام 1878، وأطلق سراح جميع المعتقلين السياسيين، وأطلق الحريات.[3]وحققت الثورة أهدافها دون إراقة للدماء، ووقفت الدول الأوربية إلى جانب الثوار وتشكلت في فرنسا جمعية تسمى (أصدقاء الشرق)[4]

وأسس المتدينون في تركيا (جمعية اتحاد محمدي) ذكرت في مقالاتها أن الإسلام قد أصبح مهددا بالفناء على يد جماعة الاتحاديين، وتركيا الفتاة، التي هي رهط من الملحدين والماسونيين واليهود وأنهم يسيرون بالدولة والإسلام في طريق الاضمحلال، وهكذا اجتمع الأحرار ورجال الدين ورجال الصوفية في هجومهم على الاتحاديين. وقتل أحد أعضاء حزب الأحرار الذين كان يهاجم بمقالاته الاتحاديين فاتهموا باغتياله. فحدثت مظاهرة اسطنبول في 13 أفريل 1909 اشترك فيها الجنود ورجال الدين وطالبت باستبعاد بعض النواب، وإعادة المفصولين من الجيش إلى عملهم، وبتطبيق الشريعة الإسلامية، وأدت إلى استقالة وزارة حقي باشا، وفرار زعماء الاتحاديين بعد قتل عدد منهم، وسيطر نواب العناصر غير التركية وعناصر المعارضة على البرلمان. لكن سرعان ما قام جيش سالونيك بالاستعداد للزحف على القسطنطينية والقضاء على الثورة المضادة كما اجتمع نواب الاتحاديين في سان استيفانو وما إن دخلت قوات محمود باشا إلى إسطنبول حتى أصدر نواب سان استيفانو فتوى من شيخ الإسلام بخلع السلطان عبد الحميد[2] الذي تنازل عن العرش لأخيه محمد رشاد (محمد

[1] – جلال يحي: تاريخ العرب الحديث، مطبعة المصري، الإسكندرية:د.ت. ص 437.

[2]– أنيس محمد : الدولة العثمانية والشرق العربي (1514-1914)، مكتبة الأنجلو مصرية، دار الجيل للطباعة، القاهرة: د.ت. ص 256.

[3] – أنطونيوس جورج: يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ت: ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، ط2، دار العلم للملايين، بيروت: 1969. ص 175.

[4] – جلال يحي: تاريخ العرب الحديث، المرجع السابق. ص 438.

[2] – المصدر نفسه. ص- ص 450 -451.

الخامس) في 27 أفريل 1909، وإمعانا في إهانته فرضت عليه الإقامة في قصر لأحد كبـــار الأثريـــاء اليهود خارج مدينة صالونيك، لينقل منه عام 1912 إلى قصر بكربك على الضفة الآسيوية حيـــث منعوا عنه الزيارة[1].

وكان من نتائج الانقلاب العثماني أن أسرعت النمسا بضم البوسنة والهرسك، وانفصـــلت بلغاريـــا تماما عن الدولة العثمانية، واحتلت ايطاليا طرابلس الغرب وبرقة.[2] وكان أول أعمال جمعيـــة الاتحـــاد والترقي إلغاء جمعية الإخاء العربي العثماني.[3] وشهد عامي 1910- 1911 شـــدة الصـــراع العـــربي التركي، وعزل الوزراء العرب على قلتهم[4] ومنع دخول صحف المؤيد لعلي يوسف والمنار لرشيد رضا إلى تركيا.[5] وهي الفترة التي كان فيها ابن عليوة في دار الخلافة فشهد عبـــث القـــوميين والـــوطنيين **باخلافة الإسلامية وما جرته عليها من صراعات أفضت إلى سقوط الخلافة في نهاية المطاف**. حيث كانت حركة تركيا الفتاة تسير في تعارض تام مع حركة القومية العربية، فالأولى تجميعية داخل حدود الدولة بينما الثانية حركة انفصالية، كما أن غالبية أعضاء الجمعية كانوا أتراكا، اعتقدوا بأن الدولة يجب أن تكون تركية، وتأثرت بآراء الجامعة الطورانية المعتقدة بتفوق الجنس التركي على بقية الأجناس، وقد ابتعدت عن المبادئ الدستورية التي أعلنتها بالمساواة بين كل الأجناس التي تسكن الإمبراطورية. فطبقت نظام الحكومة المركزية وعملت على إحكامه أكثر من ذي قبل.[6]

وأدى شعور العرب بثقل أعباء الحكم العثماني لديهم، وشعور المسلمين بثقل الاستعمار الأجنبي، دفع العرب للسير صوب الأجانب لتخليصهم من الأتراك، ودفع باقي المسلمين للسير صوب الأتراك في ظل الإسلام لتخليصهم من حكم الأجانب.[7]

ولكن ابن عليوة يئس من الأتراك وعاد إلى الجزائر ليتعايش مع الأمر الواقع مع محاولة تطويعه. خاصة وأن ليبيا التي توقف بها في رحلته لدار الخلافة ووجدها صالحة للإقامة لولا ما حل بها من بلاء إثر احتلال إيطاليا لطرابلس الغرب مما جعله يعجل بالعودة إلى الجزائر.

[1] – حلاق حسان: موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية(1798– 1914)، ط2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت: 1999. ص– ص 319–320.

[2] – جلال يحي: العالم العربي الحديث، المرجع السابق. ص 492.

[3] – المصدر نفسه. ص 451.

[4] – المصدر نفسه. ص 454.

[5] – المصدر نفسه. ص 457.

[6] – المصدر نفسه. ص– ص 493 – 494.

[7] – المصدر نفسه. ص 525.

ثانيا: الاحتلال الإيطالي لليبيا

فوجئ العالم في آخر شهر سبتمبر بايطاليا تقدم إنذارا للدولة العثمانية تبلغها فيه تصميمها على احتلال طرابلس وبرقة بحجة عرقلة تركيا لنشاطها في المدينتين، وتهييج الرأي العام ضد الايطاليين بطرابلس نتيجة تحريض الموظفين للأهالي ضد الأجانب رافضة أي تسوية أو مفاوضات. وبارك البابا الحملة في ايطاليا، وأبحر أسطولها مستغلا الأحوال الجوية الملائمة لإنزال الجنود وفرض الحصار البحري على طرابلس يوم 28 سبتمبر، وفي اليوم الموالي أعلنت ايطاليا الحرب وطلبت تسليم المدينة في ظرف 24 ساعة، وهددت بقنبلتها بالمدفعية ، واستسلمت المدينة بسهولة ونزلت الحملة بمدينة طرابلس وكان أول عمل قامت به إقامة صلاة الشكر ووضع الصليب مكان الهلال.

كما احتلت طبرق درنة وحمص، وظهر بمدينة طرابلس عمليات مقاومة ردت عليها ايطاليا بأعمال إبادة ومجازر عنيفة، مما أثار ضدها الأهالي الذين انضموا للقوات العثمانية بليبيا مؤيدين بروح التضامن الشعبي في كل أقطار العالم العربي والإسلامي.[1] واستعملت حكومة الاتحاد والترقي نفوذ السلطان لاستمالة السنوسيين أنصار السلطان عبد الحميد والجامعة الإسلامية، وهم أكبر قوة منظمة في برقة لمقاومة الغزو الايطالي.[2] لكن تركيا التي تعددت متاعبها الداخلية والخارجية نفضت يديها من المشكلة الطرابلسية لما بدأت محادثات لوزان في جوان 1912 وانتهت بقبولها بالشروط الايطالية وتوقيعها على معاهده أوشي في 15 أكتوبر 1914.[3]لكن المقاومة الشعبية والسنوسية تواصلت.وقام الجزائريون بحملة واسعة للتضامن مع إخوانهم الطرابلسيين في عز حملتهم ضد التجنيد الإجباري لأبنائهم. ومن ذلك الحملة التي قامت بها صحيفة الحق الوهراني.

ثالثا: الحماية والتقسيم في المغرب الأقصى

لم يكن المغرب الأقصى أفضل حالا، ولا أبعدت عنه أزمة أغادير 1911 الخطر، ولا أعادت لمدينة فاس سيادتها، حيث انتهت بتوقيع اتفاق 4 نوفمبر 1911، الذي وضع حدا للمنافسة الألمانية لفرنسا على المغرب الأقصى، وكان ذلك التنافس يمثل عقبة أمام خطط فرنسا، التي تهيأت لها الظروف لاستكمال فرض حمايتها على البلاد، خاصة حينما لجأ إليها السلطان عبد الحفيظ، طالبا معونتها لإنقاذه من الأوضاع المتردية التي أصبحت سائدة في البلاد، فأبرمت معه معاهدة 30 مارس

---

[1] – جلال يحي: العالم العربي الحديث، المرجع السابق. ص- ص 471 - 478.
[2] – المصدر نفسه. ص- ص 509-510.
[3] – المصدر نفسه. ص 483.

1912[1].ولما خلا لفرنسا الجو استطاعت أن تتفق مع اسبانيا على التقسيم فمنحتها 1/21 من أرض المغرب، مع الإدارة الدولية لميناء طنجة.[2]

وبذلك كادت تخلص الأقطار المغاربية الثلاثة لفرنسا، التي سيزداد نفوذها في الوطن العربي اتساعا بعد الحرب العالمية الأولى.

رابعا: الثورة العربية (جوان 1916- 1918)

عارض الشريف حسين-الذي مد نفوذه الفعلي على الحجاز منذ سنة 1908-التجنيد الإجباري على إقليمه، وأدت حاجة الدولة العثمانية إلى عدم التشدد معه، وماطلها في إعلان الجهاد بحجة حماية الأماكن المقدسة، مع تجنيده العرب بدعوى الاستعداد للحرب.

وكان أعضاء جمعية الفتاة والعهد قد اتفقوا على عدم القيام بأعمال عدائية ضد تركيا حتى لا يعرضوا الأقاليم للعربية للغزو الغربي، إلى أن يحصلوا على ضمانات بعدم وقوعهم تحت الحكم الأجنبي وإلا فالواجب الوقوف إلى جانب تركيا ولما اتصل بهم فيصل بن الحسين وكشف لهم عن عروض الانجليز لوالده،[*]اعترفوا بالشريف حسين متحدثا باسمهم واسم العرب وقدموا له شروط التعاون مع الانجليز تتلخص في الاعتراف باستقلال البلاد العربية

وعقد حلف دفاعي بين بريطانيا والدول العربية المستقلة في الخليج العربي والهلال الخصيب والمحيط الهندي والبحر الأحمر[3]وكانت نتيجة قصور النظر والثقة بالأعداء ودعاياتهم وتكذيب الحقائق التي

---

[1] - زاهية قدورة: تاريخ العرب الحديث، دار النهضة العربية، بيروت: 1405هـ- 1985. ص 545.

[2] - المصدر نفسه. ص 548.

[*] مراسلات الحسين- مكماهون بدأت في جويلية 1915، بين ممثل بريطانيا في مصر وشريف مكة ممثل العرب، كانت مطالب الحسين واضحة أما مكماهون كانت مذكراته يشوبها الغموض، وتردد الانجليز في مناقشة اقتراح حدود الدولة العربية المستقلة، واكتفى الشريف بالوصول إلى مبدأ الاعتراف باستقلال العرب، وتجنب الدخول في تفاصيل تقضي على مشروعه كله. وقرر ترك المسائل المعلقة حتى نهاية الحرب.إن وضوح المطالب العربية وشرعيتها منعاه من الاعتقاد إلا في انتصار العرب في كل منهما ولكنه لم يقدر قوة المصالح الاستعمارية البريطانية الفرنسية في المنطقة، وإمكانيات هذه الدول للسيطرة على منطقة الشرق الأوسط حق قدرها. ينظر- جلال يحي، المرجع السابق. ص 545.

[3] - المرجع نفسه. ص- ص 522-523.

سيصدقها الواقع، تآمر القوى الاستعمارية على تقسيم المنطقة بموجب اتفاقية سايكس بيكو** ووعد بلفور.***

وبانتهاء الحرب العالمية الأولى وجدا سبيلهما للتنفيذ، فكانت سنة 1920 سنة النكبة عند العرب، حين أقر مجلس عصبة الأمم المنعقد بسان ريمو بايطاليا في 25 أفريل 1925 وضع الهلال الخصيب تحت سلطة الانتداب* الفرنسي والبريطاني، كما قسم سوريا الكبرى،ووضع سوريا ولبنان تحت الانتداب الفرنسي، وحصلت انجلترا على انتداب على العراق وآخر على فلسطين. وأضافوا حاشية تذكر أن الانتداب على فلسطين سينفذ مع تطبيق وعد بلفور. متجاهلا تماما مطالب العرب في المنطقة والتي أكد عليها تقرير كينغ كراين** الأمريكية. كما جاءت متناقضة مع مبدأ حق الشعوب في تقرير مصيرها.[1]

فهل كان القوميون العرب والأتراك هم المسؤولون عن انهيار الإمبراطورية العثمانية؟ وعليه تكون المبادئ القومية رجس ومن عمل الشيطان؟ أهي من الأفكار الغربية التي يجب محاربة انتشارها في أمتنا

** معاهدة سايكس – بيكو (16 ماي 1916): معاهدة سرية بين بريطانيا وفرنسا توصلت بموجبها إلى اتفاق لاقتسام المشرق العربي فيما بينهما، وعرضتاها على روسيا القيصرية فوافقت عليها مقابل اعترافهما بحقها في ضم مناطق معينة من آسيا الصغرى. وظلت المعاهدة سرية حتى نشرتها روسيا بعد قيام الثورة الشيوعية سنة 1917، لكن بريطانيا سارعت إلى طمأنة العرب بأن المعاهدة أصبحت لاغية بعد انسحاب روسيا من الحرب وانضمام العرب إلى جانب الحلفاء.

***وعد بلفور (2 نوفمبر 1917): تصريح أرسله جيمس بلفور وزير خارجية بريطانيا إلى اللورد روتشيلد، جاء فيه <<... أن حكومة جلالة الملك تنظر بعين العطف إلى تأسيس وطن قومي للشعب اليهودي في فلسطين، وستبذل جهدها لتسهيل تحقيق هذه الغاية...>> وقد عرض قبل نشره على الرئيس الأمريكي ولسون فوافق عليه، كما وافقت عليه فرنسا وايطاليا رسميا سنة 1918.

* نظام الانتداب استحدثته عصبة الأمم ويقضي بأن تأخذ الدول العريقة في مضمار الحضارة بأيدي الشعوب العاجزة عن حكم نفسها بنفسها نحو الاستقلال، وهو أصناف بحسب درجة تطور البلدان الخاضعة لهذا النظام. فهناك الانتداب من صنف- أ- يقتصر على إسداء المشورة الإدارية ويطبق على البلدان الأكثر تطورا وقابلية للاستفادة من التسهيلات والمساعدات التي تقدمها الدولة الوصية، يطبق في منطقة الهلال الخصيب لصالح فرنسا وبريطانيا. وهناك صنف- ب- للبلدان الأقل تطورا والمحتاجة لوقت أطول للوصول إلى مرحلة الاستغناء عن الوصاية، طبق على المستعمرات الألمانية في إفريقيا وانتدبت لها فرنسا وبريطانيا وبلجيكا لتحضير الأهالي. أما الصنف- ج- فهو صالح للنوع القابل للإلحاق المباشر بالدولة الوصية. وقد استلمت استراليا واليابان إدارة في آسيا واقيانوسيا. وقد وجدت الدول الوصية في الانتداب طريقة جديدة لممارسة سيطرتها الاستعمارية على كثير من الشعوب، ووسيلة قانونية لتحقيق أغراضها السياسية.

ينظر- عبد الحميد زوزو: تاريخ أوربا والولايات المتحدة 1914- 1945 محاضرات ونصوص، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر: 1996. ص- ص 99- 101.

** لجنة كينغ كراين: اقترح الرئيس الأمريكي ولسن على المجلس الأعلى لقوات الحلفاء إرسال لجنة تحقيق إلى المشرق للوقوف على رغبات السكان، وتقديم تقرير إلى مؤتمر الصلح، ومع أن المجلس اقر الاقتراح، فإن بريطانيا وفرنسا امتنعتا عن الاشتراك في لجنة التحقيق لأنهما كانتا تعرفان مسبقا أن النتيجة لن تكون في مصلحتهما، واقتصرت على المندوبين الأمريكيين هنري كينغ وتشارلز كرين، وأعدت اللجنة تقريرها مسجلة رفض العرب لإقامة وطن قومي لليهود بأرض فلسطين، وإصرارهم على الاستقلال التام. و لم ينشر تقريرها إلا عام 1922، كما لم يأخذ الحلفاء بتوصياتها.

[1] – جلال يحي: تاريخ العرب الحديث، المرجع السابق. ص- ص 616-617.

الإسلامية لنحفظ ما بقي من كيانها؟ ومن الشيطان الذي طير تلك الأفكار على جناح مكره لأمتنا ليتمكن منها؟ أهو الاستعمار؟ لا شك أنها من دسائسه ومنفذ من منافذه؟ أم هي الحركة التنصيرية؟ لكن التوسع الاستعماري الفرنسي، وسيطرة فرنسا على سوريا ملاذ الجزائريين وملجأهم في أوقات الشدة جعل لا مفر من فرنسا إلا إليها، وقد بدت لابن عليوة بهذا التوسع لا عدوة للعالم الإسلامي أكثر من قبل، وإنما إسلامية أكثر من ذي قبل.

خامسا: ردة الفعل التطهيرية في الولايات المتحدة(1918- 1929)

تفشت في أوربا وأمريكا ما بعد الحرب العالمية الأولى ظاهرة التحرر من قيود الأعراف القديمة وممارسة عادات جديدة من قبل الرجال والنساء على حد سواء. فالنساء الأوربيات والأمريكيات عزمن على أن يصبح الدور الذي أدينه إبان الحرب وتعويضهن للرجال المجندين عاملا أساسيا لرقيهن وتحررهن من قيود الماضي مظهرا وسلوكا. فأخذت صور الاحتشام الأنثوي تتراجع. وباتت المرأة ذات الشعر القصير والفستان الضيق، والتي تحضر الحفلات وتشرب الخمر وتدخن علانية، نموذجا للمرأة المتحررة. كما خلقت ظروف الحرب وسط الشبان ميلا للهو، وأيقظت فيهم غريزة الاستمتاع بالحياة والانسياق وراء ملذاتها. من مغامرات عاطفية وإقبال بلا حدود على الجنس. ومكن لهذه الأعراف الجديدة الانتشار الواسع للراديو والسينما -خاصة وأن العشرينيات هي عهد هوليود- اللذان لعبا دورا فعالا في تقريب الأذواق وتنمية المحاكاة، وتوحيد العادات الاجتماعية.[1]

لكن هذه التحولات التي مست الحياة الأمريكية اصطدمت بردود فعل محافظة ومقاومة شديدة كان هدفها تأكيد التمايز الحضاري لأمريكا واستقلالها الثقافي عن قارة أوربا، مما أدى إلى حدوث صراع حول القيم والمثل العليا التي ينبغي أن تكون أساسا للمجتمع الأمريكي، وقد جاءت ردود الفعل هذه خاصة من الفئة التي بقيت متعلقة بقيم أمريكا الزراعية المحبة للفضيلة، أو من الفئة المحرومة من حياة أفضل. وكلتاهما تحملان الأجنبي والتفتح على الخارج المسؤولية. ولذلك كان رجوع أمريكا إلى عزلتها الدبلوماسية جانبا من هذه المقاومة.

كما تمثلت المقاومة أيضا في بعث الأصولية الدينية التي تأخذ بتعاليم الإنجيل على المذهب البروتستاني أخذا كاملا وفق نظرية المعماديين والميتوديين. وأخذت الحركة الدينية تنمو وتنتشر بمناطق الجنوب وغرب نهر المسيسبي إلى أن بلغت ذروتها بين عامي 1921- 1925، في مواجهة المفاهيم العصرانية، التي كانت أكثر شيوعا في الشمال الشرقي حيث النفوذ للكاثوليك واليهود وللأجانب.[2]

ومن مظاهر ردة الفعل التطهيرية الأمريكية أيضا صدور قانون منع الخمر في مطلع سنة 1919 والذي نص على تحريم المشروبات الكحولية إنتاجا وتسويقا واستهلاكا بعد عام من الموافقة على حظر إنتاج المشروبات المسكرة في الداخل أو بيعها أو نقلها أو استيرادها إلى الولايات المتحدة أو جميع الأراضي الخاضعة لسلطانها أو إصدارها منها لاستخدامها لأغراض الشرب.

فحبذته الأوساط الريفية والغالبية البروتستانتية وكل من كان مناوئا للحرب ومحبا للعزلة، عارضته الطائفة الكاثوليكية والمراكز الحضرية الكبرى.[3] فزاد الإقبال على تعاطي الكحول في كبريات المدن

---

[1] – عبد الحميد زوزو: المرجع السابق. ص- ص 263-264.

[2] – المرجع نفسه. ص 265

[3] – المرجع نفسه. ص- ص 267-268.

كتحد لهذا الإجراء الرسمي الذي اعتبر مساسا بالحريات الفردية فانتشرت خلوات خاصة لشرب الخمر ونشطت تجارة الخمور وصناعتها وتهريبها. مما أدى إلى استحالة تطبيق قانون حظر الخمور بالولايات فألغاه الديمقراطيون رسميا بعد بلوغهم السلطة من جديد عام 1932، وبذلك فشلت في بعث المثل الأمريكية وصيانة قيمها التقليدية.[1]

لكن الشيخ ابن عليوة وجد في هذا التيار التطهيري بالولايات المتحدة ما يستمد منه شرعية دولية لمحاربة ظواهر الإدمان والإلحاد والانحلال الخلقي فضلا عن الشرعية الدينية التي كانت منطلقه الأول، ففي الجواب الرابع من الأجوبة العشرة[*] يستدل بتحريم الولايات المتحدة لتعاطي الخمر على خطورة ظاهرة الإدمان ويتعجب كيف لم تحز فرنسا على قصب السبق في هذا الميدان...وفاخر بأنه إذا كانت الولايات المتحدة الأمريكية لم تنتبه لخطورة تعاطي الخمور إلا في مطلع القرن العشرين، فإن الإسلام حرم الخمر منذ أربعة عشر قرن. ولعله بعد فشلها في تطبيقه وصل إلى قناعة أن حال البشر لن يصلح إلا بالتعاليم السماوية لا بالقوانين الوضعية، خاصة وأن تعاليم الإسلام نجحت حيث أخفقت القوانين الوضعية في حماية الأخلاق وصيانة المروءة، وما الانحلال الخلقي السائد إلا نتيجة البعد عن تعاليم الإسلام وبفعل الغزو الثقافي.

---

[1] - المرجع نفسه. ص – ص 268-269.

[*] ينظر الفصل الثامن من الجواب الرابع. ملحق رقم: ثلاثة عشر. ص 262 من البحث.

خاتمة الفصل:

احتضنت مدينة مستغانم ابن عليوة وأرضعته من لبنها عقيدة الولي وتعظيم الصلحاء. وقد شهدت هذه المدينة مع مطلع القرن العشرين تطورا هاما، بفضل ربطها بخطوط للسكة الحديدية، واستصلاح مينائها وتوسيعه، مما سهل انفتاحها على الداخل والخارج على حد سواء، مما سهل انتقال أخبارها وترويجها.

وكان من خصوصيات مدينة مستغانم انفصال المدينة العربية عن المدينة الأوربية التي يقيم فيها المستوطنون، وكم كان البون شاسعا بين المدينتين، وبين الجزائريين والمستوطنين، فعلى من تعود تبعة ذلك؟ أعلى الجزائري لكسله وجهله وتخلفه؟ أم على السياسة الاستعمارية؟ أم أن فرنسا ليست محل اتهام أصلا؟ ومع ذلك هناك من نظر لهما على أنهما توأم، وإن كان غير حقيقي.

أما على المستوى الوطني فانه رغم كل المآسي، فان روح المقاومة لم تخمد، سواء كانت المقاومة المسلحة، أو المقاومة– الرفض، أو المقاومة – الحوار، هذه الأخيرة التي تدعمت بسياسة فرنسا الإسلامية، هذه السياسة التي آمن بها أنصار الوفاق والتقارب الإسلامي الفرنسي، ووجدت فيهم آذانا صاغية.

كما أن تفاقم مشاكل العالم الإسلامي مشرقا ومغربا، جعل الجميع في الهم شرق، فلم يعد لأبناء الجزائر مفر من مواجهة واقعهم بشجاعة، والتفاعل معه ايجابيا لمعالجة مشاكله.

أما دوليا فقد سادت الروح المادية ببرودتها وقسوتها، وانتشرت موجة الإباحية في أوربا وأمريكا، هذه الأخيرة التي شهدت ردة فعل تطهيرية غايتها صيانة الفضيلة وحفظ القيم الدينية.

فجاءت مشاريع ابن عليوة الإصلاحية منسجمة مع تيار إصلاحي وطني وإقليمي وآخر دولي فجاءت متأثرة وطنيا بدعاية فرنسا الإسلامية وسياسة الإشراك. وإقليميا ودوليا جاءت متأثرة بالأفكار المناوئة للمذاهب القومية والوطنية والتجديد والتغريب.

الفصل الثاني: أحمد بن مصطفى بن عليوة المولد والمسار

(1934-1874)

المبحث الأول: أحمد بن عليوة المولد والنشأة

المبحث الثاني: ابن عليوة التلميذ

المبحث الثالث: ابن عليوة العارف

المبحث الرابع: مؤلفات الشيخ ابن عليوة

المبحث الخامس: وصيتا الشيخ، حجه ووفاته

الفصل الثاني: أحمد بن مصطفى بن عليوة المولد والمسار (1874-1934)

شهدت الجزائر في نهاية القرن التاسع عشر ميلاد رواد الحركة الإصلاحية بشتى أطيافها، السياسية والدينية، وكان ابن عليوة واحدا منهم لكن مع فارق واضح فجل الذين تصدروا لتوجيه الرأي العام في الجزائر كانوا من خريجي المدارس الفرنسية أو الجامعات العربية، إلا ابن عليوة فقد كان عارفا، مما أعطى مساره خصوصيات نتعرف على بعضها من خلال مباحث هذا الفصل، فمن هو ابن عليوة الذي لم تكن في بداية مشواره أية مؤشرات عن ما سينتهي إليه؟ وكيف تمكن من تأسيس طريقة صوفية جديدة، وهو المعروف بأنه شبه أمي؟ ومن أين استمد سلطته على الأتباع من فقراء ومحبين؟ بل وفي المجتمع حتى تصدر لإرشاده؟

المبحث الأول: مولد ابن عليوة ونشأته

أسعى في هذا المبحث إلى تحديد تاريخ ولادة ابن عليوة، ومعرفة مكانة أسرته في المدينة، والدور الذي لعبه أحمد الابن في أسرته؟ وهل كان الابن الوحيد المدلل –ومن شأن الدلال المفرط إفساد تربية الأبناء–؟ أم أن الحرمان الذي عانت منه أسرته حال دون أن يتمتع بذلك الامتياز؟ ثم ما تأثير تلك النشأة على شخصيته؟ نحاول معرفة ذلك من خلال استعراض جوانبا من حياة الشيخ كما يرويها هو نفسه وبعض ممن عرفه.

أولا: مولده (13 أكتوبر 1874) ونسبه الطيني

تضاربت التواريخ المعطاة لولادته وقد رصد أغلبها الدكتور سعدالله[1]، لكن وثائقه الرسمية، تشير إلى أنه من مواليد الثالث عشر أكتوبر من عام ألف وثمانمائة وأربعة وسبعين (13 أكتوبر 1874)[*] وهو التاريخ الذي يؤكده تلميذه عدة بن تونس[2] حين قال: <<ولد رضي الله عنه بحاضرة مستغانم سنة 1291 >>

[1] – تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1998. ص 126-127.

[*] اعتمدت هذا التاريخ انطلاقا من البيانات الواردة في تأشيرة السفر التي منحها نائب رئيس بلدية مستغانم لابن عليوة وقد كانت تلك البيانات مستمدة من بطاقة هويته رقم: 949. ينظر الملحق ص 60 من البحث.

[2] – الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 9./ لكن في الطبعة الثانية لكتاب الروضة السنية نجد تحريفا لتاريخ ميلاد الشيخ ابن عليوة بتصرف من المحقق الذي غيره وجعل الشيخ من مواليد عام (1286ه – 1869م). ينظر – عدة بن تونس: الروضة السنية في المآثر العلاوية، ط2، المطبعة العلاوية بمستغانم: د.ت. ص 19. دون أن يشير لا إلى التصحيح ولا إلى دواعيه، ولعله كان يريد أن يوافق التاريخ الذي أعطاه عدة بن تونس ما جاء على لسان شيخ ابن عليوة حين كتب – أن أمه– << انتقلت إلى رحمة الله عام 1332، وأنا في سن الستة والأربعين سنة... >>مما جعل المحقق يجتهد ويستنتج أن الشيخ كان من مواليد عام 1286 للهجرة .

–ينظر:عدة بن تونس: الروضة السنية في المآثر العلوية، ط1، المصدر السابق. ص 10.

وقد عرف ابن عليوة بنسبه من خلال ما نقله عنه محمد بن قاسم البادسي الفـــاس بأنـــه: >> أبو العباس سيدي أحمد بن مصطفى بن محمد بن احمد المعروف بالقاضي بن محمـــد المعـــروف ببوشنتوف القائل فيه صاحب سبيكة العقيان (والحنفي اللازم التعبد نجل عليوة الفقيه المهتدي) ابن الولي الصالح الملقب بمدبوغ الجبهة ابن الحاج علي المعروف عند العامة بعليوة وهو المنتسب إليه ابن غانم وهو القادم من الجزاير إلى مستغانم قصد السكنى بها، ولا زال من بقي منهم معـــروف إلى الآن وبيتهم بيت علم وصلاح<<[1] وأقره على ذلك مفتي مدينة مســـتغانم عبـــد القـــادر بـــن قـــارى مصطفى،[2] الذي يقول: >>هو فينا ذو نسب ومن أسلافه العلماء والصلحاء والفضلاء <<.

كما أقر بذلك أيضا مفتي تلمسان علال بن محمد بن الحاج علال،[3] الذي اعتـــرف بعراقـــة نســـبه ومكانته بين أهل مستغانم.

وقد كان ابن عليوة >>كرغلي الأصل، حنفي المذهب<<[4] لكنه تحول من المذهب الحنفـــي إلى المذهب المالكي اقتداء بشيخه البوزيدي، وبقيت بعض معاملاته تتم على مذهب الإمام الأعظـــم أبي حنيفة النعمان مثل حبسه لأملاكه وزواياه. [5]

والألقاب التي ألحقت بآبائه وهي (القاضي و بوشنتوف والولي الصالح) يستشف منها القـــارئ مـــا كان لهذه الأسرة من مكانة وثراء وصلاح. وهو ما أعلنه وبجرأة نادرة الشيخ عدة بن تونس[6] حـــين ذكر أن ابن عليوة >>من أعرق العائلات المستغانمية في المجد والثروة، غير أن الثروة قد أخذت مـــن بينهم في الذبول، بالنظر لما كانت عليه من قبل من حين يوم الاحتلال وما أدراك ما فتنته (إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون)[7] وقد قيل إن خطة القضـــاء قـــد كادت تكون وقفا عليهم في أيام الدولة العثمانية، وقد قيل تولاها منهم ثلاثون شخصـــا[*]<< وهـــو بوصفه الاستعمار بالفتنة، وإذلال أعزة القوم، يرد على أوغسطين بارك الذي أكد أن ابن عليوة من

---

[1] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: كتاب الأنموذج الفريد الموصل لعين التوحيد في شرح النقطة المشيرة إلى الوحدة ، المطبعة التونسية، تونس: 1331 – 1913. ص 2.

[2] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 12./ و لقب ابن قارى هو نفسه بن قارة، ويدل على الأصول الكرغلية.

[3] – المصدر نفسه. ص 20.

[4] – Johan Cartigny : cheik al Alawi : documents et témoignages, éditions les amis de l’islam, paris: 1984. p 80.

[5] – الروضة السنية في المآثر العلوية،ط1، المصدر السابق. ص 108.

[6] – المصدر نفسه. ص 7.

[7] – سورة النمل، الآية: 34.

[*] أكد محمد بن عبد الباري: أنه تولى هذه الوظيفة من أسرة ابن عليوة نحو ستة وعشرين قاضيا آخرهم ابن عمه المتوفي من نحو ثلاث سنين يدعى السيد ابن هشي ابن السيد الحاج حمو بن عليوة. الشهائد والفتاوى، المصدر السابق . ص- ص 12-13.

أصول متواضعة،[1] نافيا عن أسرته أي عراقة أو مجد. وتبعه في هذا الرأي بعض التقارير الاستعمارية.[2] وأخذ بهذا الرأي رجال جمعية العلماء الذين كتبوا عنه[3].

غير أن الشيخ ابن عليوة نفسه وفي معرض سرده لسيرته الذاتية بعد أن اشتهر أمره وازدهرت أحواله المادية، لم يشر لا إلى عراقة نسبه ولا إلى جاه أسرته مكتفيا بالترجمة التي نشرت مع أول إصداراته وأصبحت ملازمة لأغلب مؤلفاته. وإنما تحدث عن عائلة >> أعوزها ما كان بين يديها<<[4].

وما كان ذلك ليضيره في شيء فالمحتقرون في نظر العامة من بينهم يُبْحَث عن المرشد الدال على الله وهو القائل: >> أخي إذا أردت أن تفتش عن سر الله وتأخذه من أربابه فإنك تجده في الغالب عند من لا يعتنى بهم في الطريق، المحتقرين في نظر العامة. فأولئك لهم سر مع الله وأعلم أنه لا توجد الخبايا إلا في الخفايا.<<[5]

ثانيا: علاقته بوالديه

كانت له المكانة المتميزة في أسرته والتي تكون عادة للغبن الوحيد، غير أن والده (مصطفى) الذي كان يحبه حبا مفرطا، ما ضربه قط إلا بسبب تراخيه في حفظ القرآن الكريم وعن ذلك يقول ابن عليوة[6]: >> ولم نعقل عنه أنه نهرني أو ضربني الا أوقات تعليمه إياي، كان ذلك منه بما اني كنت متراخيا عن القراءة <<. لكن الولد ظل بارا بوالده، ومن بره له ممارسته عدة مهن ومنذ صغره لإعانة أبيه على متطلبات الحياة وللتخفيف من وطأة الفقر على أسرته، ولم يعمر والده طويلا فقد توفي وأحمد الابن في السابعة عشر من العمر. فبدأت التحولات في حياة الابن تظهر، فرغم أنه أصبح المسؤول عن إعالة أسرته نجده أخذ يتوجه لتحصيل بعض العلوم، وكأنه أراد بذلك استدراك ما فاته وتحقيق أمنية أبيه وبره ميتا. وكانت البداية بتعلقه بالطريقة العيساوية التي شغف بتحصيل فنونها وحضور مجالسها الليلية خاصة.[7] فكان ذلك سببا في غضب أمه التي كانت لشدة محبتها له وخوفها عليه تعارض خروجه ليلا لحضور تلك المجالس، ولقد حاولت منعه من الخروج بشتى

---

[1] - Augustin Berque :op- cit. p 691 .

[2]- Service des Liaisons Nord Africaines: Les Confréries Religieuses en Algérie, l'Archive de la Willaya de Batna, n°: 499. P 116.

- P.G .André : contribution a l'étude des Confréries Religieuses Musulmanes, préface de j. Soustelle, éditions la maison des livres, Alger:1956 . p 259.

[3] – أنظر أحمد حماني: المصدر السابق. ج1. ص 287. وأحمد توفيق المدني: حياة كفاح، المصدر السابق. ص – ص 80-81.

[4] – عدة بن تونس: الروضة السنية في المآثر العلوية، المصدر السابق. ص 10.

[5]– أحمد بن مصطفى العلاوي: المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، ج 1، المصدر السابق. ص 219.

[6]- الروضة السنية،ط1، المصدر السابق، ص 10.

[7]– المصدر نفسه. ص– ص 10-11.

الوسائل، بما في ذلك الشتم والضرب وغلق الباب عليه لكن دون جدوى، لينتهي الخلاف باستسلام أمه للأمر الواقع.[1] ولكن ابن عليوة يؤكد أنه ظل بارا بها مقدما لحقها على من سواها.

وقد دفعت الظروف المادية الصعبة للأسرة أحمد الابن -رغم صغر سنه- لممارسة عدة حرف لا نعرف عن طبيعتها شيئا، إلا أنه يذكر بأنه برع في صناعة الخرازة وهي حرفة اشتهرت بها مدينة مستغانم، عن هذه التجربة يقول ابن عليوة[2]: >> فترددت على عدة مهن وفي الآخر لازمت صناعة الخرازة، فمهرت فيها وتوسع الحال من أجلها فبقيت عليها سنوات إلى أن انتقلت إلى التجارة.<< فأصبح له متجر صغير لبيع المواد الجلدية[3] مع شريكه وأخيه في الطريق بن عودة بن سليمان وقد تعرف فيه إلى شيخهما حمو البوزيدي. ويبدو أن تجارة ابن عليوة شهدت نماء، فتحسن وضعه المادي كثيرا فتعاقد عام 1906 مع مقاول عمومي لبناء سكن له من طابقين بحي المطمر بقيمة إجمالية قدرها ثمانية آلاف فرنك فرنسي يدفع نصف المبلغ قبل استلام المفاتيح والباقي يدفعه على أقساط بعد استلامها، قيمة كل قسط مائتان وخمسين فرنك ويدفع كل ثلاثة أشهر.[4]

فهل جمع ثروته من العمل بالخرازة والمتاجرة بالجلود؟ أم أنها نمت بعد أن أصبح من أعيان الطريقة العيساوية، ثم من أعيان أتباع حمو الشيخ البوزيدي وقد كان من أتباعه تجار كبار وأثرياء ومنهم صهره محمد بن ثريا والتاجر الكبير أحمد بن إسماعيل.

لا شك أن المكانة الاجتماعية المرموقة ومخالطة الأثرياء تيسر تحقيق الثراء، وقد صدقت المقولة التي كان الشيخ البوزيدي يرددها على مسامع أتباعه >>نحن نأكل عليها الحشيش – الطريقة- وأولادنا يعيشوا في الريش.<<[5] ولم يعد بإمكان ابن عليوة تكريس كل وقته لنشاطه التجاري فقد أصبح مقدم الشيخ حمو ومبعوثه الخاص في منطقة وهران[6] وزادت مسؤولياته بعد مرض شيخه وإصابته بالشلل. فهل كان ذلك سبب ادعاء أوغسطين بارك أن تجارته قد أفلست في عام (1908)[7]؟ خاصة خاصة وأنه في تلك السنة كان قد انتقل إلى وهران فكان يجتمع فيها مع الفقراء في محلاتهم الخاصة[8]. الخاصة[8]. ومما يؤكد أنه لم يصب بالإفلاس تأشيرة السفر التي منحتها له السلطات الفرنسية عام 1909 أثبتت له صفة (ملاك)[9]. وقد اعترف ابن عليوة بتقصيره في اهتمامه بتجارته، حيث كاد

[1]– المصدر نفسه. ص 10.

[2] - الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 10.

[3] – Salah khelifa: op-cit. p 430

[4] - Ibid. p 248.

[5] – لقاء مع الحاج مراد بن الشيخ المهدي بن تونس، بالزاوية العلاوية بتيجديت بتاريخ: 11 جويلية 2001.

[6] – Salah khelifa: op-cit. p 247.

[7] –Augustin Berque: op-cit. p 691.

[8] – مصطفى العشعاشي: المصدر السابق. ص - ص 100- 101 .

[9] – تأشيرة السفر الممنوحة لابن عليوة والمضاة من قبل نائب رئيس بلدية مستغانم .

متجره أن يتحول إلى زاوية للذكر نهارا، وللتدريس ليلا. ولكنه ينفي إفلاسه بل يؤكد بأن ثروته لم تتأثر، والفضل في ذلك إنما يعود إلى شريكه المقدم سيدي الحاج بن عودة بن سليمان، الذي حفـظ ماله وضبط أموره[1]. أما تصفيته لممتلكاته فربما تمت لما عزم على الهجرة من الجزائر.

ومنذ عاد من رحلته إلى الجزائر وتصدره للإرشاد انقطع عن العمل وتفرغ للإرشاد كما أخبر بذلك الحسن بن عبد العزيز[2]الذي علق على قول شيخه:

ولما جاد الوهاب عني بنشرها*** أهلني للتجريد من حيث لا أدري

بأن الشيخ << كان في أول أمره تاجرا ولما أراد الله تصدره للإرشاد ألقى في قلبه العزم على الهجرة، فتخلى عن جميع تجارته، وتجرد عن الأسباب، ثم تعذر من أسباب الهجرة وجاء الأمر بالدلالة علـى الله، فلم يمكنه بعد ذلك العود للأسباب.>>

المبحث الثاني: ابن عليوة التلميذ

لم يكن ابن عليوة يتكل حتى على والده حين كان حيا لتأمين رزقه، بل دلت سيرته الذاتية على روح المسؤولية التي كان يتمتع بها منذ صغره، فهل كان إقباله على العلم بنفس الهمة والنشاط؟

أولا: علمه (علم أم معرفة؟)

عرف المسار التعليمي لابن عليوة عدة اضطرابات، فقد بدأ حياته عازفا عن حفظ القرآن الكريم حتى يعاقبه أباه، ليشغف بحضور مجالس العيساوة حتى تعاقبه أمه لمنعه من الخروج إليها ليلا، ثم يداوم على حضور بعض الدروس المسجدية، حتى أمره حمو الشيخ بالكف عن حضورها مؤقتا، ليزداد شغفه بالمطالعة التي تستغرق منه الليل كله حتى أهمل أهله، فهو رغم اعتزازه بعلمه اللدني إلا أنه لم ينكر تعاطيه الدروس، وإنما يأبى أن يكون ما بلغه نتيجة لها وعن ذلك يقول ابن عليوة[3]في مستهل سيرته الذاتية:<<أما صناعة الكتابة فلم نتعاطاها، ولا دخلت الكُتّاب، ولا يوما واحدا، إلا ما استفدته من أبي رحمة الله عليه، عندما كان يلقي علي بعض دروس قرآنية بدارنا، وإلى الآن[*] لم نحصل على القدر الكافي منها، وانتهى بي الحفظ في كتاب الله عند سورة الرحمن فبقي اللوح على

[1] – عدة بن تونس : الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 17 .

[2] – الديوان، المطبعة التونسية، تونس: 1339. ص 43. (الهامش)

[3] – أحمد بن عليوة: الروضة السنية في المآثر العلوية، المصدر السابق. ص – ص 9-10. ويذكر مارتن لينغز أنه بذلك يكـون قـد حفظ تسعة أعشار القرآن وهو خطأ ينظر :

Martin Lings: un Saint musulman du veingtieme siècle ,le Cheikh Al Alawi, édition traditionnelles, Paris :1978. p 58.

[*] يبدو أن الشيخ قد أملى سيرته الذاتية في فترات متباعدة بدليل أن محمد بن عبد الباري أشار إليها عند جمعـه لكتـاب الشـهائد والفتاوى مما يدل على أن الشيخ بدأ في إملائها قبل عام 1925. كما أن الشيخ في معرض سرده لسيرته الذاتية يـذكر أخـاه في الطريق المقدم بن عودة بن سليمان بصفة المرحوم وهذا الأخير توفي في 13جانفي 1929، مما يدل على أن ما أملاه كان بعد عـام 1929.

تلك السورة >> فهل كان ابن عليوة شاذا في عدم إقباله على التعلم؟ أم أن الظاهرة معروفة عند العرفين؟ إن ظاهرة عدم الإقبال على التعلم في الصغر يشترك فيها ابن عليوة مع عارفين آخرين منهم معاصره: الشيخ محمد بن أحمد بن عبد الرحمن الهبري* فقد جاء في إحدى رسائله لتلميذه البودالي قوله: << كان الوالد يقرئني في اللوحة، وكنت جامدا قليل المذاكرة، فضربني بيده ضربة منكرة...حتى أسكرني. >>[1]

وكذلك كان أبو مدين شعيب بن الحسين الأندلسي** الذي عرف عنه أنه قرأ القرآن حتى انتهى إلى سورة الملك وقد سأله في ذلك فقيهان من عصره، فأكد لهما ذلك << فانفصلا عنه وقد تأكدا العلم عندهما بأن لله مواهب لا تسعها المكاسب، وأن الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء>>[2] بل هـــو يعلـــل ذلك بقوله: << لو تجاوزتها(سورة الملك) لأحرقتني>>[3].

لكن ابن عليوة تعلم علوما وفنونا أخرى وبرع فيها، اخترع له أوغسطين بارك رحلة أسطورية دامت عشر سنوات حتى بلغ الهند لتحصيل علوم باطنية شتى.... في حين كل ما حصله من فنون كان بالجزائر، ومن ذلك تعلمه فنون العيساوة بين عامي (1889- 1894) فأتباعه يذكرون بأنه <<نشأ...في طاعة الله وعبادته مع اجتهاد في البحث عن أهل الطرق...واخذ ابتداء الطريقة

---

* محمد بن أحمد بن عبد الرحمن العزاوي الشهير بالهبري (1823- 1899) شريف النسب، حفظ القرآن الكريم منذ طفولته أخـــذ العلم عن أحمد بن موسى الكرزازي (الذي نقل عنه ابن عليوة أنه لما سئل: هل قرأت من العلم شيئا؟ أجاب بنعم، قرأت بيتين مـــن الألفية وهي [كذا] قوله فما لنا إلا اتباع أحمد. وقوله: فما أبيح أفعل ودع ما لم يبح) – أحمد بن مصـــطفى العـــلاوي : المـــنح القدوسية، المصدر السابق. ص –ص 26 – 27 . وأخذ العلم أيضا عن بوعزة الشريف المهاجي، فألهمه الله بالواردات أن يذهب إلى جبل كركر، حيث التقى محمد بن قدور الوكيلي، وكان الفتح على يديه، ولما عاد إلى صحوه بعد سكره أذن له الشيخ بالذهاب إلى جبل تاغيت في بني زناسن ليبني زاويته هناك، فبناها في أسفل جبل تاغيت، ثم بنى أخرى في أعلى الجبل وبجانبها مسجد، ثم بنى ثالثة في واد صفرو وبجانبها طاحونة لحاجة أهل تلك المنطقة إليها، ثم أقام زاوية رابعة ومسجدا في << الضربيوة>> قرب السعيدية وجعل طاحونة وأرضا واسعة وقفا عليهما. وقد أدى ثلاث حجات.(1878- 1888- 1892) كانت كلها بالجمعة.ينظر: مصـــطفى العشعاشي: المرجع السابق. ص –ص 18-27.

[1] – المصدر نفسه. ص 124.

** أبو مدين شعيب (510- 594ه/ 1116- 1197م): هو شعيب بن الحسن الاندلسي البجائي من قطنيانة من عمل اشبيلية ، عمل راعيا عند إخوته ثم أجيرا للصيادين ، في مراكش جلس إلى حلقات الفقهاء والذاكرين يقول : (فلم أثبت على شـــيء إلى أن جلست إلى أبو الحسن حرزهم) ولما سمع بكرامات أبي يعزى ذهب إليه في جماعة إلى جبل برجان وأخذ عنه الطريـــق ، وفي الحـــج اجتمع بالشيخ عبد القادر الكيلاني (ت: 560ه/ 1164 م) وألبسه الخرقة، وأخذ الحديث الشريف في الحرم الشـــريف، ورجـــع فاستقر ببجاية، توفي وهو في طريقه إلى المغرب الأقصى فدفن بالعباد بتلمسان.

ينظر– محمد البهلي النيال: الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي، مكتبة النجاح للنشر والتوزيع، تونس: 1384-1965. ص – ص 204-206.

[2] – أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني: عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: رابـــح بونـــار، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر،1981. ص – ص 57 - 58.

[3]– المكان نفسه. وأيضا: محمد البهل النيال، المرجع السابق. ص – ص 204-205.

لعيساوية* فاجتهد فيها أياما عديدة>>[1]وعن ذلك يقول ابن عليوة:[2]<< أول ميل كان وقع لي لاهل النسبة... تعلقي بأحد الرجال من السادات العيساوية** ... وبعد ذلك اشتغلت بما تقتضيه تلك النسبة اشتغالا كليا وأعانني على ذلك حالة الصبا وما عليه الطبع الفطري من جهة ميله للخوارق، وقد مهرت في ذلك وكانت لي حظوة بين رجال تلك النسبة>> لكنه لم يذكر شيئا عن فنون العيساوة التي مهر فيها، واقتصر فقط على ذكر أخذه الحية. حيث وظف تلك المهارة في التحكم في نفسه وتربتها وتربية أتباعه. وقد كان تنصله من الطريقة العيساوية كما يقول إلهاما، دون أن يذكر الحديث الذي قرأه على ورقة كانت معلقة بالجدار واستفاد منه وجوب تركها. وعن ذلك يقول: <<ولما أراد الله أن يلهمني كنا ذات يوم ببعض الاجتماعات... فوقع بصري اتفاقا على كلام ينسبه صاحبه حديثا فاستفدت منه ما ألزمني بترك ما كنت أتعاطاه من الخوارق وألزمت نفسي على أن أقتصر في تلك النسبة على ما كان من قبل الأوراد والأحزاب... وكنت أريد أن أزحزح الجماعة بتمامها ولكنه لم يتيسر، أما أنا... لم يبق لي من ذلك إلا أخذ الحية فقد استمررت على أخذها...إلى أن اجتمعت بالأستاذ الشيخ سيدي محمد البوزيدي>>

وفي الفترة الانتقالية التي تخللت انسحابه من العيساوة وانتسابه للشيخ حمو تردد ابن عليوة على المسجد الكبير بمستغانم لحضور دروس علال محمد ولد مصطفى***وذلك بين عامي (1896- 1898) وهي الفترة التي نظم فيها التعليم بالمساجد الذي تولاه مدرسين تعينهم الدولة، ويقدمون دروسا وفق برنامج موحد صادر عن مصلحة شؤون الأهالي، بهدف امتصاص عدد من خريجي المدارس الشرعية الذين بقوا عاطلين عن العمل، إثر تقليص دور القضاة المسلمين، واستقطاب

---

* الطريقة العيساوية نسبة للشيخ محمد بن عيسى دفين مكناس، وقد ولد بها خلال القرن الخامس عشر ، وتوفي خلال سنة 933هـ-1526م وهي من فروع الشاذلية- الجزولية، اشتهرت عند العامة على أنها من الطرق المهرجة، لما فيها من رقص وأعمال عنف وتضارب وسحر. وقد اتخذت في الجزائر والمغرب طابعا شعبيا وهو مظهر يختلط فيه الجد والهزل والدين والشعوذة تنفيسا وترويحا عن روح الشعب المكبوت. فهي نوع من الانفجار الداخلي، لكن ليس ضد العدو وإنما ضد الجسد، وتبسيط الدين إلى درجة القيام بأعمال السحر والخرافة.

ينظر أبو القاسم سعدالله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1998.ص- ص 81.82.

[1]- أحمد بن مصطفى ابن عليوة: كتاب الأنموذج الفريد، المصدر السابق. ص 2.

[2]- الروضة السنية في المآثر العلوية،ط1، المصدر السابق. ص 11.

** أعرض الشيخ ابن عليوة عن ذكر اسمه في سيرته الذاتية، وعندما سألت عنه مقدم الزاوية العيساوية بمستغانم عمار بن إبراهيم (المولود عام 1903) أجابني بأنه كان المقدم دحو ولد المجذوب./ لقاء بمترل السيد عمار بن إبراهيم الكائن بحي تيجديت بمستغانم بتاريخ: 17 جويلية 2001.

*** علال محمد ولد مصطفى مدرس مستغانم (ولد عام1860) تخرج من مدرسة تلمسان سنة 1882، وعين إماما لجامع سيدي إبراهيم الغريب، واستمر في هذه الوظيفة ثماني سنوات، ثم عين مدرسا في 18 يناير 1890، وفي عام 1903 حصل على وسام الأكاديمية، وفي عام 1905 كان مدرس مستغانم، واستمر بها مدرسا مدة عشرين عاما(1896- 1916) حتى تولى وظيفة الإفتاء بتلمسان عام 1916 وحتى عام 1923 كان لا يزال مفتيها. ينظر- مصطفى العشعاشي: المصدر السابق. ص 58. وأيضا - الشهائد والفتاوى: المصدر السابق. ص - ص 19-20.

خريجي الزوايا الذين بقوا مهمشين مشكلين في نظر الفرنسيين خطرا عليهم. ولما أصدر شارل جونار في 6 ماي 1905 قرارا بتنظيم التعليم المسجدي وتوسيعه، وفرض عليه الرقابة والتفتيش من قبل مدراء المدارس الشرعية ومن هؤلاء الفريد بال، فكان علال محمد من المدرسين الذين فتشهم الفريد وزكاهم.[1]لكن ابن عليوة[2]فيقول: << أما ملازمتي للدروس فلم تكن تعتبر، ولولا القريحة وملكة الفهم ما كنت أتحصل منها على شيء يذكر>> وبالفعل فما كانت مدة ملازمته للدروس تبلغ حد السنتين[3] ومع ذلك فقد كان ابن عليوة يذكر في مجالسه الخاصة محمد بن علال على أنه من أخص مشائخه في العلم،[4]دون أن يشير إلى اسمه في سيرته الذاتية. وكان أستاذه محمد بن علال[5]يثني عليه ويعتز بحضوره مجالس تدريسه بقوله: << كان يحضر بعض دروسنا خصوصا علم التوحيد* والمرشد المعين في الفقه وغيرهما، وكنت أبصر فيه في ذلك الوقت بنور الله لوائح الصلاح، فكنت أقول له: يا ليتك اشتغلت بالعلم لحسن سؤاله وآدابه، فحقق الرجاء فيه، وإني تشرفت به حيث كان ممن حضر مجلسي>> وقد توافقت ملازمته لتلك الدروس مع انتسابه للشيخ حمو البوزيدي، فلما فتح حليه كان شرحه للمرشد المعين بطريق الإشارة. كما يذكر ابن عليوة بأنه عكف شهورا على المطالعة المكثفة كانت تستغرق الليل بأسره، وكان يستعين عليها بشيخ يقرأ له[6]لا نعرف عنه شيئا.

---

[1] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج3، دار الغرب الإسلامي، بيروت: 1998. ص - ص 118- 119.

[2] – الروضة السنية في المآثر العلوية، المرجع السابق. ص –ص 10-11.

[3] – أحمد بن مصطفى ابن عليوة: كتاب الأنموذج الفريد الموصل لعين التوحيد في شرح النقطة المشيرة إلى الوحدة ، المصدر السابق. ص 2. (المقدمة) وكذلك - أحمد بن مصطفى بن عليوة: الروضة السنية في المآثر العلوية،ط1، المصدر السابق، ص 11.

[4] – قدور المجاجي: الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص- ص 19-20.

[5] – المصدر نفسه. ص 20.

* علم الكلام أو التوحيد: <<فهو ماهيات الممكنات من حيث دلالتها على وجوب وجود موجدها وصفاته وأفعاله، إنه بتعبير أوضح ذات الله وذات رسله من حيث ما يجب وما يستحيل وما يجوز، والممكن من حيث يستدل بها على وجود صانعه، والسمعيات من حيث اعتقادها. يقول البيجوري: علم الكلام هو علم يبحث في إثبات العقائد الدينية المكتسبة من أدلتها اليقينية...أو إفراد المعبود بالعبادة مع اعتقاد وحدته ذاتا وصفاتا وأفعالا، وقيل إثبات ذات غير مشبهة للذوات ولا معطلة عن الصفات>>

جمال الدين بوقلي حسن: الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، د.ت. ص 9. حاشية على متن السنوسية

[6] – الروضة السنية، المصدر السابق. ص - ص 10-11.

ثانيا: خدمته لحمو الشيخ وأثرها(1896-1909)

إن الشيخ الوحيد الذي اعترف له ابن عليوة بالمشيخة وبأنه أستاذه الفعلي ويعتز بالتتلمذ على يديه وخدمته هو الشيخ محمد بن الحبيب البوزيدي والمعروف بحمو الشيخ، ومادام قد قضى في صحبة شيخه- المتوفي عام 1327هـ/ 1909- خمسة عشر سنة،[1]فإن انتسابه له يكون في حدود عام 1312هـ/ 1894، حين كان عمر ابن عليوة زهاء الواحد والعشرين عام، ولما يمض على انخراطه في سلك العيساوة إلا أربع سنوات مادام قد انخرط في سلكها بعد وفاة أبيه وكان حينها عمره (17 سنة) وبذلك يكون قد اجتهد فيها سنينا. يؤكد ابن عليوة بأنه لم يكن يعرف الشيخ حمو، وإنما سمع به فقط في صغره إثر مرض ألم به، فجيء إليه برقية من عند حمو الشيخ فاستعملها فعوفي من مرضه[2].

ولا شك أن تلك الرقية التي شفي بها قد تركت الأثر الطيب في نفس ابن عليوة. ولكنه لم ينتسب إليه إلا بعد أن ترك العيساوة وأخذ مع شريكه بن عودة بن سليمان يبحثان عن شيخ مرب، وعن ذلك يقول ابن عليوة[3] <<كنا في أبلغ شوق... لمن يأخذ بأيدينا في طريق الله... ولكن كنا نستبعد الحصول على من هو بتلك الصفة المقررة ... إلى أن وفق الله رفيقي ...فقال لي كنت أعرف أحد المشايخ يدعى سيدي حمو الشيخ ... تعلقت به جماعة وقد كان تكلم في طريق القوم غير أنه سلط الله عليه من يؤذيه...وعند ذلك عقدنا العزم على الاجتماع به<<وقد قيل المريد الصادق يأتيه الشيخ ولو من سبعة بحور، هو ما يؤكده ابن عليوة الذي لم يسع إليه قط ولم يقصد محله، بل مر حمو الشيخ قرب متجرهما يوما، فدعاه شريكه للدخول والجلوس، ومن ذلك الحين أخذ يتردد عليهما بمحلهما، فكان أكثر حديثه مع شريكه ابن عودة بن سليمان، في حين كان ابن عليوة منشغلا بشؤون تجارته غالبا، أو متهيبا من الحديث معه، فكان حمو الشيخ من يبادره بالحديث. من ذلك أنه سأله يوما: هل صحيح ما بلغه من أنه يأخذ الحية ولا يخشى لسعها؟ فأجابه بنعم، فسأله إن كان يمكنه أن يأتيه بواحد ويريه مهارته؟ فقال له بأن ذلك متيسر، فخرج من حينه يبحث عن حية وقضى نصف يوم في البحث ولم يجد إلا واحدة صغيرة، فجاء بها ووضعها بين يدي حمو الشيخ وأخذ يقلبها كما هي عادته وهو ينظر إليه[4]. ثم قال له: <<هل تستطيع أن تأخذ غير هاته الحية مما هي أكبر منها جرما ؟ فقلت له انها عندي على السواء فقال لي ها انا ادلك على واحدة

---

[1] – المصدر نفسه. ص 18 / غير أن ابن عليوة يذكر في مخطوطة برهان الخصوصية في الطريق البزيدية أنه اجتماعه بشيخه كان عام 1314هـ. مما يجعل مدة ملازمته له ثلاث عشرة سنة بالتقويم القمري. ص: 6.

[2]- المصدر نفسه. ص 23.

[3]- المصدر نفسه. ص 12.

[4]- المصدر نفسه. ص 11- 12.

اكبر واشد منها باسا فان امسكتها فانت الحكيم فقلت له فاين هي؟ فقال هي نفسك التي بين جنبيك، فإن سمها اشد من سم الحية>>[1].

و تمكن حمو الشيخ من جذب انتباه ابن عليوة إليه نهائيا بإشارتين هامتين، الأولى حين أمعن النظر فيه يوما ثم قال بأن فيه قابلية للتربية، والثانية حين بشره بأنه سيكون من أمثال الشيخ محمد بن عيسى مؤسس الطريقة العيساوية إن امتد به العمر، وعن ذلك يقول ابن عليوة[2] أن حمو الشيخ <<أخذ ذات يوم يحقق النظر في ثم قال... إن الولد صالح للتربية، أو قال فيه قابلية للتربية، وفي مرة أخرى، وجد في يدي ورقة فيها ما يتعلق بمدح الشيخ سيدي محمد بن عيسى...بعدما نظرها قال لي إن دامت الحياة بنا تكون إن شاء الله من أشباه الشيخ سيدي محمد بن عيسى أو قال تكون في مقامه>> ويبدو أن البشارتين فعلتا فعلهما، حيث عجل ابن عليوة بالانتساب للشيخ حمو البوزيدي، الذي لقنه أوراد الصباح والمساء، وأوصاه بأن لا يتحدث بذلك. كما أوصى من قبل ابن عودة بن سليمان حين انتسب له، لان دعوته بدأت هذه المرة سرية خشية أن تتجدد ضده المعارضة.

وبعد أسبوع أخذ يكلمه في الاسم الأعظم[*] وكيفية الاشتغال به، وأمره بالانقطاع للـــذكر بكيفيـــة معينة، كما أمره بالكف عن حضور دروس محمد علال مؤقتا، وقد شق عليه تركها وخاصة دروس التوحيد. وبعد أن شغل أوقاته بالذكر في الخلوة أدرك كم كان علمه في التوحيد قاصرا حين ظهرت له نتائج الذكر، وهي معرفة الله عن طريق المشاهدة.[3]

ولما عاد لحضور دروس محمد علال بأمر من أستاذه يقول: >> وجدت نفسي على غير ما كنت عليه من الفهم، وصرت أتلقف المسألة قبل أن يتم الشيخ تصويرها، ثم أستنتج فهما زائدا على ما يعطيـــه ظاهر اللفظ ... وجدت فهما لا مناسبة بينه وبين ما كنت عليه، وهكذا أخذت تتوسع عندي دائرة الفهم، حتى كان إذا قرأ القارئ شيئا من كتاب الله تسبق مشاعري إلى حل معانيه بأغرب كيفية في زمن التلاوة، ولما تمكن ذلك مني، وتحكم تحكم الطبيعيات، خشيت أن أدخل تحت تصرف ذلـــك الوارد الملازم فأخذت في كتابة مـــا يمليـــه الضـــمير في كتـــاب الله، فأخرجـــه في صـــيغة غـــير

---

[1]– المصدر نفسه. ص 12.

[2]– المصدر نفسه. ص 13.

[*] الاسم الأعظم: هو ورد الطائفة وهو لفظ الجلالة **(الله)** تعتبره الصوفية بمختلف طوائفها الاسم الأعظم الجامع لمعان أسماء الله الحسنى كلها، وهو سلطان الأسماء كلها عندهم، واسم الجلالة لا يتغير بنقص بعض الحروف منه فالكمال فيه غير متفرق على الحروف وإنما موجود في كل حرف حرف فلو حذف منه اللام أصبح (إله) وإذا حذفت اللامين نطق(آه) وإذا حذفت منه اللام والهاء نطق باسم رباني عظيم .

– حسن الشرقاوي: معجم ألفاظ الصوفية، ط1، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة: 1987. ص 44. وأيضا- أحمد بن مصطفى بن عليوة: أعذب المناهل في الأجوبة والرسائل، ط2، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1993. ص- ص 74و 66.

[3]– أحمد بن مصطفى بن عليوة: الروضة السنية، المصدر السابق. ص- ص 24-25.

مألوفة>>[1] وكانت ثمرة هذا الفتح أن أخرج كتابيه: (شرح المرشد المعين بطريق الإشـــارة) وقبلــه كتاب (مفتاح الشهود في مظاهر الوجود) ولذلك اعتبره ابن عليوة شيخه الوحيد، فالقوم يقولون: >> ليس شيخك من سمعت منه إنما شيخك من أخذت عنه، وليس شيخك من واجهتك عبارته إنما شيخك الذي سرت فيك إشارته، وليس شيخك من دعاك إلى الباب إنما شيخك الذي رفع بينــك وبين الله الحجاب، وليس شيخك من واجهك مقاله، إنما شيخك الذي نهض بك حاله...>>[3] لكن ابن عليوة يذكر أنه حين أعترف بفضل شيخه عليه وشكر فضله وكرمه معه حيث التقاه وليس فيه من قابلية الطريق إلا مجرد المحبة، فلم تمر عليه أياما حتى أصبح في مقام يعجز عن وصفه، يقول بـــأن حمو الشيخ رد عليه بقوله بل >> أنتم جزاكم الله خيرا حيث أتيتمونا. فوالله لو تلاقينا بمن لا يحسن الشهادة لعلمناه بما علمناكم بدون شعور>>[4] فهل ذلك جحود من ابن عليوة لمنة الشيخ عليـــه؟ أم أنه تذكير بحقيقة وظيفة الشيخ؟ وهي أنه >> يستخرج للمريد ما هو كامن فيه لا غير...وليس مـــع الشيخ شيء يعطيه للمريد خارجا منه.. >>[2] وقد حدث شيء من ذلك بين الشيخ زروق وتلميـــذه أحمد بن يوسف حين اعترف أمام الملأ من تلامذته>> بأن ما يبدو على تلميـــذه...مـــن صـــواب وتوفيق ليس ثمرة سلوكه على يده، ولا من فعل غيره من الخلق، بل هو من فعل الحق الذي فتح عليه في علم وفهم خصه بهما دون بقية الآخذين عليه.>>[6]

ثم انتقل ابن عليوة من مرحلة التتلمذ إلى التذكير والإرشاد بإذن من شيخه الذي أمره بإرشاد الناس لطريقة شيخه يقول ابن عليوة[7]: >>فقلت له: وهل ترى أنهم يسمعون لي فقال: إنك تكـــون مثـــل الأسد مهما وضعت يدك على شيء إلا وأخذته. فكان الأمر كما ذكر وكنت مهما تكلمت مـــع أحد عقدت العزيمة على انقياده للطريق إلا وانقاد لكلامي وعمل بإشارتي حتى انتشرت النسبة.. >>

ويبدو أنه في عام (1319هـ)[8] الموافق لعام (1901م)، ألف رسالة صغيرة يقال أن عنوانهـــا (معـــراج السالكين ونهاية الواصلين) دفاعا عن شيخه، ويشرح فيها إحدى قصائده لما أنكر عليه البعض مـــا جاء فيها فاجتهد ابن عليوة في توضيح مقاصدها.[9] ولازم شيخه حمو الشيخ وظل يخدمه بتفان مـــدة

---

[1]- المصدر نفسه. ص 27.

[2]- المكان نفسه .

[3] – أحمد بن يوسف الفاسي: شرح رائية الشريشي، المطبعة العامرة الشرقية، مصر: 1316. ص 26

[4]– أحمد بن مصطفى العلاوي: المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، ج 1، ط2، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1989. ص 117.

[5] – عبد الوهاب الشعراني: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، حققه وقدم له: طه عبد الباقي سرور، السيد محمد عبد الشافعي، ج 2، مكتبة المعارف، بيروت: 1414هـ- 1993. ص 17.

[6] – عبد الله نجمي: التصوف والبدعة بالمغرب، طائفة العكاكزة (ق 16- 17م)، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط: د. ت. ص 80.

[7] – الروضة السنية في المآثر العلوية، المصدر السابق. ص 16-17.

[8]– أحمد بن مصطفى العلاوي: معراج السالكين ونهاية الواصلين، ط2، المطبعة العلاوية بمستغانم: 1992. ص 35.

[9]– المصدر نفسه. ص – ص 10- 11.

خمسة عشرة ستة >>إلى أن اطلعه الله على ما عنده فاجتباه من بين الأصحاب وصدره في حياته وأشاع ذكره بين الأحباب<<[1] واجتهد خلالها في بث الطريق كما قال يؤازره في ذلك عدة رجال من أتباع الشيخ حمو حتى أنه أهمل شؤون أسرته وتجارته[2].

ومنذ ذلك الحين آمن ابن عليوة بأنه أصبح من العارفين الذين نور الله بصائرهم بالشهود والعيان حتى شاهدوا غوامض الجبروت في ظواهر الأكوان. حيث أن البون الشاسع بين ما حصله من علوم وبين ما هو عليه من معرفة فآمن بخصوصيته وأنه عارف ذو علم لدني.

ولذلك عندما سأله أحد رجال الدين المسيحيين بباريس عندما زارها بمناسبة تدشين مسجدها: من أي الجامعات تخرجت؟ أجابه: تخرجت من الجامعة التي تخرّج منها المسيح عليه السلام.[3]



[1] – أحمد بن مصطفى ابن عليوة: الأنموذج الفريد الموصل لعين التوحيد في شرح النقطة المشيرة إلى الوحدة، المصدر السابق. ص2.

[2] - الروضة السنية في المآثر العلوية، المصدر السابق. ص 17.

[3] – رواية متداولة بين أتباع الشيخ أخذتها عن الأستاذ علاوة أرتباس بسطيف.

ثالثا: علاقة ابن عليوة بزوجاته

تزوج ابن عليوة تسع مرات[*1] ! و لم ينجب الأبناء من أي واحدة منهن، غير أنه كفل ابـــني أخته (محمد وخيرة بن برنو) فكانا بمثابة الابنين عنده. حتى أن أتباعه كانوا يعتبرون محمد بن برنـــو نجله فيدعونه محمد بن عليوة نجل الأستاذ.[2]وقد كان محمد بن برنو مترجم الشيخ، كما يعمل مترجما بالمحكمة الشرعية، وتولى وظيفة وكيل زاوية تيجديت حتى وافته المنية عام 1927. أما أخته خـــيرة فقد أعدها الشيخ ابن عليوة لوراثة سره وتوريثه بدورها لذريتها، ثم زوجها لتلميذه عدة بن تونس[3] الذي سيخلفه.

فهل كان لعدم إنجابه للأطفال تأثير على حياته الأسرية؟ لم يتحدث ابن عليوة عـــن هـــذه المشكلة صراحة ولكنه أشار إلى عدم توفق الكثير من زوجاته في علاقتهن بوالدته، ودون ريب كان عدم الإنجاب من أهم أسبابه حيث طلق أربعة منهن لقولـــه: <<قضـــى الله علينـــا بمفارقـــة أربـــع زوجات>>[4]

فما هي أسباب كثرة الطلاق عند ابن عليوة؟ ولماذا لم يعتبره نقيصة لا في حقه، ولا حمل طليقاتـــه مسؤوليته؟ بل إنه جعل ذلك من قضاء الله وقدره، والغريب في الأمر هو طلاقه كما يقول لم يخلف أحقادا بل إن أصهاره لم يعاتبوه عليه، ولا أفسد للود قضية بينه وبينهم!. وبينه وبين بعض مطلقاته اللائي سمحن في بقايا مهورهن[5] ولعله كان مؤخر الصداق، وبذلك لم يخلف طلاقه المتعدد لا أحقادا ولا عداوة كما هي العادة في مثل هذه الأحوال، وذلك لعلم أصهاره بأنه لم يتعمد الأذى، وإنمـــا كان إما مغلوبا على أمره، أو منشغلا بالعلم والذكر، أو بارا لأمه. من ذلك ما ذكره ابن عليوة من أن بعض زوجاته طُلِّقْنَ عليه ومنهن قريبة حمادي بن قارة مصطفى، التي طلقت لرفع الضرر عنـــها حين أهمل حقوقها الزوجية في ظرف يقول عنه: << كنت نديم المطالعة، وقد نستغرق [كذا] الليـــل بتمامه، وكان يعينني على ذلك بعض المشايخ كنت نصحبه [كذا] لمترلي، ودمنا على ذلـــك مـــدة

---

* – شهادة أدلى بها الحاج عواد بن تونس مقدم زاوية تيجديت، وقد ذكر بأن خال سلطان المغرب ونقيب الأشراف قد أهداه اثنتين منهن وهما جوهرة وكترة. زاوية تيجديت، جويلية 2001. وفي معرض سرده لسيرته الذاتية المنشورة في كتاب: الروضة السنية، ذكر ست أخريات، أربعة طلقهن أو طلقن عليه، وخامسة تلمسانية توفيت قبيل خلافته لحمو الشيخ وسادسة توفي عنها وهي بالورقة مغنية آخر زوجاته.

2 - عدة بن تونس: (اعتذار)، البلاغ الجزائري، ع:8، 8 شعبان 1345،- 11 فيفري 1927/ من تراث الطريقة العلوية الصوفية: أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري، ج3- قدم له وحققه: عبد القادر القاسمي، راجعه وأشرف عليه: عدلان خالد بن تونس، ط1، (1420هـ - 1999) . ص 323. وفيه ورد ما يلي: <<بمناسبة وفاة المرحوم سيدي محمد بن عليوة نجل الأستاذ سيدي أحمد بن عليوة هاطلت علينا...مكاتيب التعزية..>>

3 -(مستغانم- زفاف فاضل)، النجاح،ع: 173، قسنطينة: 5 سبتمبر 1924.

4 – أحمد بن مصطفى ابن عليوة : الروضة السنية،ط1، المصدر السابق. ص 32.

5 – المصدر نفسه. ص 33.

شهور حتى تضرر بذلك بعض الزوجات، وطلقن علينا بدعوى عدم قيامنا بحقوقهن<<[1] ولم يجد ابن عليوة في ذلك حرجا ولا غضاضة، فالمشهور عن العارفين ترك النساء حالة دخولهم لهــذه الحضـــرة ابتداء فتجدهم >> في أول أمرهم غافلين عن أزواجهن، تاركين لحقوقهن. متباينين كل التباين لما هم فيه من التعظيم الناسخ لكل لذة، ولذا تجد زوجات المنتسبين لهذا الفن في ابتدائهم منكرين [كـــذا] عليهم ساخطين [كذا] على أفعالهم، قائلين [كذا]، إنهم ليسوا برجال، وكل ذلك لعـــدم قيـــامهم بحقوقهن وإهمالهم لهن إهمالا كليا، لما هم عليه من حلاوة المشاهدة ولذة المناجاة. <<[2]

ولكن ذلك لا يستمر مدى الحياة فبعد >> تمكنه في المقام وانتقاله إلى حالة...البقاء، فيتمكن [كذا] له أن يشتغل ببشريته اشتغالا ما، وأن يحل له ما كان ممنوعا<<[3]

ولكن ظاهرة الطلاق تستمر في حياة ابن عليوة رغم انتقاله إلى حال البقاء كما يقول، وهنا يســوق سببا آخر وهو ظاهرة سوء العشرة بين بعض زوجاته وأمه، ولعلنا نقدر أن مناصبة أمـــه لزوجاتـــه العداء، كان بسبب عدم إنجاب فكانت ترفض أن يكون العيب في ابنها وتحمل الزوجة في كل مـــرة المسؤولية، وتطالب ابنها بتطليقها والزواج من أخرى، ومن هؤلاء الزوجات ابنة محمد بن ثريا، التي ذكر أنه لم يشق عليه فراق زوجة من زوجاته كما شق عليه فراقها! والتي لما استحال التوفيق بينـــها وبين أمه طلقها بإلحاح من أبيها الذي قال له: >> لا يصلح بك الا مراعات [كذا] حق الوالدة، أما حق الزوجة يصح فيه أن يقال: (وان يتفرقا يغن الله كل من سعته)[4] وكل ذلك لا يثير أدنى شيء في مودتنا <<[5]

لكن ابن عليوة طلق هذه المرة زوجته لا مراعاة لجانب أمه فحسب، وإنما فارقها آسفا تحت إلحـــاح داعي الهجرة، التي عزم عليها وهو لا يعرف مداها ولا منتهاها، كما أنه لا يستطيع اصطحابها معـــه مادامت رخصة السفر الممنوحة كانت له وحده دون أهله.

---

[1] – المصدر نفسه. ص- ص 10-11.

[2] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: المنح القدوسية، المصدر السابق. ص 358.

[3] – المكان نفسه.

[4] –سورة النساء، الآية: 130.

[5] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: الروضة السنية، ط2، المصدر السابق. ص 20.

المبحث الثالث: ابن عليوة العارف

يعد هذا المبحث محاولة للوقوف على ظروف خلافة ابن عليوة لشيخه -وهو العازم على الهجرة من الجزائر-، وبحثا عن من أين استمد شرعيات خلافاته؟ ولماذا أصر على الهجرة بعدما نال ذلك الشرف؟

أولا : ظروف خلافته لحمو الشيخ

توفي حمو الشيخ البوزيدي يوم الاثنين 10 شوال من عام 1327 هجري.[1] الموافق 27 أكتوبر عام 1909. و لم يعين خليفة له كما يروي أتباعه صونا لسر الطريق وتأدبا مع الله–فعندما سئل من بعض أعيان تلامذته ممن يرى في نفسه خيرا ويرى فيها الكفاءة للقيام بشؤون النسبة–عمن يخلفه، أجابه: <<مثلي كمثل رجل كان مستقرا في دار لصاحبها، ولما أراد الخروج منها رجَّع مفاتيحها إلى صاحبها، وصاحبها هو الذي أدرى بمن يليق متصرفا بداره، وليس لي الآن من الأمر شيء (والله يخلق ما يشاء ويختار) >>[2]. ومما يجعل الاختيار صعبا هو أنه خلف من بعده رجالا من أهل الفن يقرب عددهم من أربعين رجلا.[3] فالمستعدون لخلافته إذا كانوا كثر، أما ابن عليوة الذي عزم على الهجرة مع جماعة من أصدقائه وبني عمومته، وقام بتصفية تجارته ورهن ما تعذر بيعه، وحصل على رخصة سفر له ولأسرته، لكنه لما اشتد المرض على شيخه عز عليه تركه على تلك الحال، وتأخر رحيله بفعل وفاة شيخه ثم زوجة ابن عليوة التلمسانية، وفي الوقت نفسه انتهت مدة صلاحية رخصة السفر الممنوحة له، ليجد نفسه دون ممتلكات ولا شيخ ولا زوجة،[4] وكأنه في بلد غير بلده كما يقول.

في تلك الظروف كان أتباع الشيخ حمو يتفاوضون فيمن يخلفه، لكن اجتماعاتهم باءت بالفشل، فلم يتفقوا على من سيخلفه لعلمهم بعزم ابن عليوة على الهجرة، حتى أنه لم يحضر مفاوضاتهم خاصة وأنه عالم بوجود من هو مستعد لهذا المنصب.[5] وعندما لم يتوصلوا إلى اتفاق اقترح عليهم المقدم

---

[1] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: برهان الخصوصية، المصدر السابق. ص 7.

[2] – عدة بن تونس: الروضة السنية،ط1، المصدر السابق. ص 130. لعل الشيخ حمو صرح بذلك في بداية مرضه وقبل أن ينعقد لسانه عن الكلام. ينظر– المصدر نفسه. ص 18.

[3] – أحمد بن إسماعيل: (أهلا وسهلا حللتم)، لسان الدين، ع: 16، مستغانم، 30 رجب 1355هـ.

[4] –عدة بن تونس: الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 19.

[5] – المكان نفسه./ لكن العشعاشي – وهو من أحباب الطريقة– يورد رواية أخرى نقلها عن صهره أحمد بن إسماعيل من أعيان أتباع حمو الشيخ وقد شارك في عملية الاختيار فأخبره بأنه <<في أسبوع وفاة الشيخ حمو البوزيدي، اجتمع بعض كبار الفقراء، ليتذاكروا في شأن من يتولى رياستها...وبعد مذاكرتهم اتفقوا على تولية ...الحاج محمد بن يلس...ولكنه اعتذر لكثرة سياحاته، ولأنه مكلف بزاوية تلمسان، فولوا سيدي الحاج بن عودة بن سليمان المستغانمي بهاته المهمة فاعتذر بدوره، فاتفقوا على تولية الشيخ سيدي أحمد بن عليوة المستغانمي. وكان ملازما شيخه لا يشغله شاغل آخر، فقبل المهمة. >> ينظر – مصطفى العشعاشي، المصدر السابق. ص 100.

الحاج بن عودة بن سليمان الاستخارة فيمن يصلح لذلك، وبعد أسبوع تواردت مرائي وافرة ومـــا من رؤيا إلا وهي صريحة الدلالة في كون الأمر موجه لابن عليوة، فاشتد تمسك الفقراء به وألزمـــوه برعاية شؤون زاوية الشيخ حمو البوزيدي وإرشاد فقرائها ولو مؤقتا في انتظار صدور رخصة ســـفر جديدة. وتمت مبايعته في اجتماع ترأسه الحاج محمد بن يلس، بحضور أكابر الفقراء الـــذين بـــايعوه قولا أما المبتدئين فبالمصافحة.[1]

فمن أين كسب ابن عليوة شرعية الخلافة؟ هل من المرائي وحدها أم عاضدتها أدلة أخـــرى؟ لقـــد تعددت الأدلة على شرعية خلافة ابن عليوة للشيخ حمو البوزيدي ومن ذلك، مكانته عنـــد شـــيخه الذي كان ملازما له مستأثرا به دون غيره، إلى أن أطلعه الله على ما عنده فاجتباه من بين الأصحاب وصدره في حياته وأشاع ذكره بين الأحباب.[2]وقد أقبلت طوائف الفقراء مختارة لمبايعته لما سمعوه من إشادة الشيخ حمو البوزيدي به وخاصة بكتابه المنح القدوسية.[3]

وقد تكفل ابن عليوة بابن شيخه (مصطفى المجذوب)، رغم وجود عميه، فالشيخ حمو وهو يحتضر كان يمد ببصره لابنه الذي يخشى عليه أن يهمل بعده، و لم يرتح باله إلا عندما طمأنـــه ابـــن عليوة بأنه سيتولى أمره،[4]ويبدو أن المحافظة عليه كانت شرطا في خلافته كما دلت عليـــه مرائـــي بعض كبار أتباع الشيخ حمو، ومنهم (العربي قسوس)[5]الذي قال: <<رأيت الشيخ رضي الله عنه بعد وفاته ومعه إنسان من مشايخ الوقت، وإذ بالشيخ يخاصم في ذلك الانسان، ويقول لـــه: أتريـــد أن

---

[1] – عدة بن تونس: المصدر نفسه. ص- ص: 19-21./ وقد سألت الحاج مراد بن تونس هاتفيا كيف كانت تتم بيعة الأعيان وبيعة الفقراء المبتدئين فقال: كان الأعيان يعترفون له بخلافة حمو الشيخ مشافهة بأن يقول كل واحد من إخوانه في الطريق: <<أعترف بأن سيدي أحمد بن عليوة هو خليفة سيدي الشيخ حمو>> أما الفقراء المبتدئين فبايعوه بالمصافحة وهي مبايعة لتجديد العهد.

[2]– أحمد بن مصطفى بن عليوة: كتاب الأنموذج الفريد في نقطة الوحدة المشير لخالص التوحيد، المصدر السابق. ص 2 .

[3]– أحمد بن مصطفى بن عليوة: مفتاح الشهود في مظاهر الوجود، المصدر السابق. ص3. (مقدمة الشيخ عدة بن تونس للكتاب.)

[4] – عن مصطفى بن الشيخ حمو يقول ابن عليوة: <<هو إنسان مجذوب لا يضبط له حال غير مشكوك في ولايته وكان أبوه يشهد له بذلك ويوصنا عليه وإني أوصي نفسي والمنتسبين من إخواننا بالمحافظة على وده والاشتغال بمصالحه ولا يضجر أحد من الاحسان إليه لان الولد نسخة من أبيه...وقد كنت مرة عند الأستاذ ...حالة مرضه والسيد مصطفى معنا وإذا بالشيخ ينظر إليه بلهفة ويبالغ فعلمت منه ما يريد فقلت له يا سيدي اكفنا في ما أهمنا من أمورنا عند الله اكفيك فيما تريد من ابنك وان السيد مصطفى بين أظهر الفقراء لا تهتم من أجله فرأيت البشرى تظهر على وجهه>> – برهان الخصوصية، المصدر السابق. ص- ص 7- 8. وفي المخطوطة استعمل الشيخ ابن عليوة عبارة (السيد مصطفى) بدل (سيدي مصطفى) في كتاب (الروضة السنية) الذي كتبه بعد وفاة مصطفى البوزيدي، وفي حين جعل واجب العناية به مسؤولية مشتركة بينه وبين فقراء الشيخ البوزيدي، في مخطوطة (برهان الخصوصية) –لعل ذلك عائد لعزمه على الهجرة– نجده في كتاب (الروضة السنية) جعلها مسؤوليته الخاصة وقد وفى بما وعد و لم يثقل عليه من أمره ما ثقل على غيره. وقد دلت عدة مرائي لأصحاب الشيخ حمو أن الأمر لن يخلص لمن بعد إلا إن كان ابنه مصطفى معه.

ينظر : أحمد بن مصطفى بن عليوة: الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 18.

[5] - برهان الخصوصية، المصدر السابق. ص 50. وكذلك رؤيا الحبيب بخاتم(كذا) المصدر نفسه. ص 54.

تلعب بلحيتي فليس هذا العهد الذي بيني وبنيك، وهل رأيت من يعطي لحيته لغيره.- وكان يعني بلحيته في ذلك الحال من الطريق – ثم قال: من لم يحافظ على ابني مصطفى فليس مني. >>

كما قدم ابن عليوة للصلاة على جثمان شيخه حمو الشيخ[1] رغم وجود الأقرب رحما، والأكبر سنا والأسبق في أخذ العهد عن الشيخ، وفي ذلك اعتراف بأنه الأقرب من بين كل الأهل والأتباع، خاصة إذا علمنا أن القعدة الفقهية تنص على أن الأولى بالصلاة على الميت، هو من أوصاه المتوفي بذلك إن رجي خيره، ثم الحاكم العام للمسلمين إن وجد، ثم الأقرب فالأقرب من أقربائه ويقدم أفضلهم عند التساوي في القرب.[2]

لكن ما هي دوافع عزمه على الهجرة؟ هل كان في نيته أن يهاجر من وطنه لدوافع دينية وسياسية، فتكون بذلك هجرته هجرة شرعية[*] تعبيرا عن موقف عقائدي وسياسي؟ أم كانت هجرته لغير ذلك؟

ذكر ابن عليوة[3] من أسباب عزمه على الهجرة، أنه قبل وفاة الأستاذ ألقى الله في قلبه حب الهجرة، فأخذ يتسبب في الانتقال إلى جهة المشرق بكل وسيلة. فرارا مما عليه الوطن من فساد الأخلاق وكانت جماعة من أصدقائه على هاته النية ومع علمه بأن الأستاذ لن يسمح له بمفارقته إلا إذا كان مصاحبا لهم وهو عاجز حتى عن أبسط الحركات فقد مضى في مشروع الهجرة مبررا ذلك بقوله: << ولكن حملتني على ذلك دواعي متعددة >>[4] فحصل على رخصة سفر له ولأفراد أسرته، ضمن موجة الهجرة الجماعية للجزائريين إثر طرح مشروع التجنيد الإجباري للمناقشة وهو ما يوحي بأن لها بعدا عقائديا وسياسيا، لكن ابن عليوة لم يكن معنيا بالتجنيد الإجباري، فلا هو في سن التجنيد ولا أبناء له يطالهم. وزد على ذلك أن شيخه لم يأذن له بالسفر وقد رأى رؤيا يمنعه فيها من الهجرة، لكونه أحد قوائم الطريقة الأربع وهي لا تقوم على ثلاث.[5] كما اشتد على شيخه المرض، فكيف يتخلى عنه في أيامه الأخيرة وهو المشهود له بالتفاني في خدمته؟

---

[1] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 19.

[2] – مصطفى ديب البغا: التحفة المرضية في فقه السادة المالكية – شرح وتكملة متن العشماوية ، ط1، دار الهدى عين مليلة، الجزائر: 1413، 1992. ص 494.

[*] الهجرة الشرعية: هي خروج المسلم، المكلف، القادر من أرض الحرب إلى أرض الإسلام فرارا بالكليات الست وهي حفظ الدين والنفس والعقل والنسل والمال و العرض، أو جهادا في سبيل الله./ أنظر: محمد بن عبد الكريم: حكما الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1981. ص 21.

[3] – الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 17.

[4] – المكان نفسه.

[5] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: برهان الخصوصية ، المصدر السابق. ص 30.

إن الإجابة على هذا السؤال تتطلب الوقوف على ماهية التلقي ومكانته عند القوم؟ لأن سبب هجرته الحقيقي هو ما ألقي في قلبه من حب الهجرة. وكذلك اعتقاده بأن الله قد أقامه مقام الإرشاد فماذا يترتب عن ذلك؟

إن التلقي عند القوم هو ما>> يتلقاه المريد الصادق من الحق تعالى من أوامر ونواهي، سواء كان ذلك في شكل رؤى يراها المؤمن، أو من طريق إلهامات وموارد تتوارد على القلب، للقيام بعمل أو تجنب فعل أو السفر إلى مكان، أو بملاقاة إنسان أو مصاحبة أحد من الأئمة أو الصالحين من الأولياء بطريق التوجه أو الإلهام. أو كرؤية الرسول صلى الله عليه وسلم مناما أو رؤية أحد الأقطاب الموتى أو الأحياء<<[1] وإثر التلقي ما على المريد الصادق إلا الطاعة والإخلاص فيما يتلقاه، فابن عليوة إذا حين عزم على الهجرة ولو دون إذن شيخه فلأنه يعتقد أن الأمر من الحق تعالى وهو الأولى بالطاعة. كما أنه اعتقد أن الله قد أقامه للإرشاد، وهو ما يعني أنه قد بلغ سن الفطام و لم يعد لشيخه عليه حكم إلا التأدب معه، فابن عربي يقول: >> إذا علم الشيخ أن المريد قد استقل وكملت تربيته ودخل أوان فطامه، وجب عليه أن يقطع عنه الإمداد من جهته، وتركه مع ربه إن شاء أقامه الله بين العباد، وإن شاء ستره بينهم ولا حكم بعد ذلك للشيخ عليه.<<[2] والذي أفاد ابن عليوة أن الله قد أقامه للإرشاد عدة أمور منها الرؤيا التي على إثرها ألقي في قلبه حب الهجرة يقول عنها ابن عليوة:[3]>> قبل وفاة أستاذنا...بأيام رأيت نفسي جالسا، وإذا بداخل علي فقمت إجلالا له، لما لحقني من هيبته، وبعدما أجلسته، جلست بين يديه فظهر لي انه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فعدت على نفسي باللوم، حيث لم أقم بواجب احترامه، لأني ما كنت أظن أنه رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبقيت منكمشا مطرق الرأس، حتى خاطبني قائلا: ألم تعلم لأي سبب جئتك؟ فقلت لا أدري يا رسول الله ! فقال لي: إن سلطان* الشرق قد توفي، وستكون أنت ان شاء الله سلطانا بدله. فما تقول؟ فقلت: إذا توليت أمر ذلك المنصب، فمن ذا الذي ينصرني؟ ومن ذا الذي يتبعني، فأجاب عليه الصلاة والسلام: أنا معك، وأنا أنصرك[4] ثم سكت، وبعد هنيهة انصرف

---

[1] - حسن الشرقاوي: المرجع السابق. ص 87.

[2] –عبد الوهاب الشعراني: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، حققه وقدم له، طه عبد الباقي سرور، ج2، مكتبة المعارف، بيروت: 1414هـ- 1993. ص 118.

[3] – الروضة السنية،ط1، المصدر السابق. ص 131.

* السلطان: ورد في الموسوعة الإسلامية أن:>> لقب السلطان من الألقاب التي أصبحت تخلع ابتداء من القرن 7هـ/ 13م على كبار مشايخ التصوف الإسلامي، ولم يستعمل من قبل، ويفيد بلوغ حامله مرتبة الحاكم وقوته في العالم الروحي<< أنظر عبد الله نجمي: التصوف بالمغرب، طائفة العكاكزة، المصدر السابق. ص 105. وعليه فإذا كان الجيلي قد لقب بسلطان الصالحين وابن الفارض سلطان العاشقين، فابن عليوة هو سلطان الشرق.

[4] عبارة >> أنا معك وأنا أنصرك >>وردت في مخطوطة: برهان الخصوصية في الطريق البزيدية، بصيغة: >>أنا الذي ننصرك وأنا الذي نتبعك<<- المصدر نفسه ص- ص 29-30. ولما كان معناه غير مقبول لا عقلا ولا نقلا فقد تم تصحيحها في كتاب الروضة السنية. لكن ما في هذا المعنى نجده في أشعاره أيضا من ذلك قوله مخاطبا الرسول صلى الله عليه وسلم:

عليه الصلاة والسلام، فاستيقظت على أثر خروجه من عندي، وكأني ألاحظ أثر انصرافه يقظة.>>

ثم تواترت الكرامات والمرائي الدالة على إقامة الله لابن عليوة مقام الإرشاد: وهو ما يؤكده بقوله[1]: << لما أقامني الله في مقام الإرشاد، وكنت لا أرى لنفسي استحقاق ذلك، ولكن لما تحققت إقامة الله إياي في ذلك المقام انطرحت بين يديه بدون أن أتكلف إلى شيء لعدم رغبتي فيه[!]، وقلة استعدادي لذلك الشأن، فكان الحق ينوب عني في أشياء لا خبر لي بها، وقد أخبرني أكثر الفقراء على اختلاف طبقاتهم بكرامات ظهرت لهم أفادتهم الرسوخ في الطريق والتعظيم لجنابنا...فضلا عن المرائي التي يتعذر حصرها >>

والجدير بالملاحظة هو ما للمرائي من اعتبار لدى ابن عليوة وأتباعه فله رأي خاص فيها فلا يراها مبشرات فحسب، بل مصدر إلهام، وتشريع أيضا تستمد منها الأحكام.[2]

ولنا أيضا أن نتساءل كيف أمكنه، مع ضعف حاله وقلة استعداده، أن يتصور نفسه سلطان الشرق؟ لكن الاستغراب قد يزول إذا عرفنا حدود الممكن عند ابن عليوة، فحين سئل عن الممكن في أي شيء ينحصر؟ أجاب:<<كل شيء يتصوره العقل، ماعدا الشريك لله، وإن لم يحتمل العقل وقوعه لضيق دائرته فهو محتمل في خارجها>>[3]فقناعاته إذا هيأته لقبول فكرة أنه سيكون سلطان الشرق، ولعلها كانت أيضا وراء مشاريعه الطموحة، والرائدة والتي سنقف على جوانب منها في هذا العمل.لكن مشروع الهجرة تأجل على الأقل لمدة عام، توافدت خلاله جموع الفقراء على الشيخ ابن عليوة فكان ينفق عليهم من المال الذي أعده لهجرته ولا يقبل منهم المال. كما ورد في سيرته الذاتية التي نشرها خليفته عدة بن تونس.[4]

وبدأ ابن عليوة يراجع نفسه باحثا عن السبب الذي قد يكون حال دون تنفيذ مشروعه وتحقيق ما بشر به، ولعله وجد السبب حين ذكره بعض أحبابه بما نذره منذ ستة عشر سنة، بأنه إن فسح الله في حياته، وتولاه بفضله، وأتم عليه نعمته، ليجعلن شرحا على حكم الولي أبي مدين شعيب تبركا به، وتشريفا لقدره، ولكنه نسي ما عاهد الله من خدمة هذا الولي ومن خدم الصالحين انتفع

أنا مسلم نشهد ما عندي تشكيك ... لاشك لا ريب موحد والنسبة يكفيك

نعجبك صوفي وموحد من صنعة يديك ... جربني واصحبني تجد بروحي نفديك

نعرفك تبغي تتعبد في هذي وذيك ... نترك لك خلوة تتهجد في الصبح أناتيك

نحفظك من سوء الوارد بنفسي نقيك ... ما عزك يا روح الجسد والعز يواتيك

ينظر: دواوين آيات المحبين في مقامات العارفين. ط5 ، جمع محمد الهادي بن تونس، المطبعة العلاوية، مستغانم:1993. ص- ص 94- 95./ في نفس المعنى ينظر أيضا: المصدر نفسه. ص 52

[1] – المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، ج2، المصدر السابق. ص- ص 225 – 226.

[2] – احمد بن مصطفى بن عليوة: برهان الخصوصية، المصدر السابق. ص 29 .

[3] – أحمد بن مصطفى العلاوي: أعذب المناهل، المصدر السابق. ص 100.

[4]–الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص- ص 21- 22.

بخدمته.[1]فاجتهد ابن عليوة للوفاء بنذره، وجمع كتابه (المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية)عسى أن ييسر له الله ما عسر عليه من أمر سفره، فأنهاه يوم السبت العشرون من رمضان سنة ألف وثلاثمائة وثمانية وعشرين الموافق للرابع والعشرين من شهر سبتمبر سنة ألف وتسعمائة وعشرة[2]. وهو بذلك حتى نهاية سبتمبر عام 1910 كان لا يزال مقيما بمستغانم.لعله بمجرد وفائه بنذره تيسر له أمر السفر؛ لنجده بتونس في أواخر عام (1910) ألف وتسعمائة وعشر حسب شهادة محمد المدني،[3] ومطلع عام (1911) ألف وتسع مائة وإحدى عشرة حسب شهادة الطاهر بن الحاج العربي التونسي.[4]وهو ما ينفي ما ذهبت إليه بعض المصادر الفرنسية وصالح خليفة من أنها بدأت في نوفمبر عام 1909، وما ذهب إليه كل من أوغسطين بارك[5] وسبنسر ترمنجهام[6]من أنها استغرقت عشر سنوات. وما ذهبت إليه التقارير الفرنسية من أنه عاد للجزائر عام 1909.[7]وذهب لينغز إلى أن أن سياحته كانت خلال عامي 1909و 1910[8]

ثانيا: أسرار سياحته لدار الخلافة (1910- 1911)

هل كانت رحلة مدروسة معروفة المسار محددة الهدف سلفا؟ أم كانت تعتمد كليا على الإلهام خالية من التخطيط كما يعتقد مارتن لينغز؟ رواية الشيخ توحي لنا بأنها بدأت سياحة للترويح عن النفس في بادية المنطقة، وإذا بها تتحول عن هدفها الأول لآخر يتمثل في البحث عن مطبعة لطبع كتاب المنح القدوسية داخل الوطن أو خارجه، لنجد صاحب المنح مرشدا بتونس ينجح في كسب أتباع ينتسبون له، وإذا به يتركهم ويترك كتابه لمن يعتني به ويسافر في ظروف جد صعبة إلى الأستانة؟ فهل كان الهدف من رحلته الترويح عن النفس؟ أم طبع كتاب المنح القدوسية؟ أم كانت سياحة للتذكير والدعوة؟ أم لتحصيل علم ووراثة سلسلة ؟ ومتى كانت؟ وكم دامت؟

---

[1] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، ج1، المصدر السابق. ص- ص 8- 10.

[2]– أحمد بن مصطفى العلاوي: المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية ،ج2، المصدر السابق. ص 234.

[3]– (لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم)، البلاغ الجزائري، ع: 66، 29 شوال 1346ه - 25 أفريل 1928 / من تراث الطريقة العلوية الصوفية أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري، قدم له وحققه: الزهري علال، راجعه وأشرف عليه: عدلان خالد بن تونس، ج2،ط1، طنجة: 1408ه- 1987. ص 219.

[4]– الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 145.

[5] - Augustin

[6] – سبنسر ترمنجهام: الفرق الصوفية في الإسلام، ت: عبد القادر البحراوي، ط1، دار النهضة العربية، بيروت: 1997.ص 382.

[7] – P. G. André, op-cit. p 258.

[8] - Martin Lings: un Saint musulman du veingtieme siècle, le Cheikh Al Alawi, édition traditionnelles, Paris:1978. p : 92.

بعد خلافته للشيخ حمو البوزيدي ظل متحيرا، لا يعرف أين توجد مرضاة الله؟ أفي الهجرة؟ أم في البقاء لأداء واجب تربية الفقراء؟ وعن ذلك يقول ابن عليوة:[1] >> إلى أن قضى الله بزيارتي لدار الخلافة فألقى في باطني ذات يوم شيء من الانقباض، ودام علي فأخذت أتسبب فيما ينشـــرح بـــه صدري، فظهر لي أن أزور بعض الفقراء خارج البلد بنحو أربعين ميلا، فأخذت بيدي أحد الطلبـــة كان في ضيافتنا يدعى الشيخ (محمد بن قاسم البادسي الفاسي) وسرنا على بركة الله وعندما زرنـــا المحل المقصود ظهر لنا لو أننا زرنا بعض الفقراء بمدينة غليزان...وبعد ما قضـــينا في زيـــارتهم نحـــو اليومين قال لي رفيقي لو أننا وصلنا لمدينة الجزائر... نباشر بعض المطابع فربما تيســـر طبـــع (المـــنح القدوسية على المرشد المعين) لأنها كانت بأيدينا في ذلك الوقت فساعفته على ذلك... <<.

إننا كلما تمعنا في سياق رواية ابن عليوة يتضح لنا أنها لم تكن سياحة للترويح على النفس فحسب، فقد جاءت بعد أن هيأ لها ابن عليوة أسبابا منها: أنه استقدم هذا الطالب (محمد بن قاسم البادسي) من المغرب الأقصى، لمهمة محددة وهي مراجعة كتابه >> المنح القدوسية << وإعداده للطبع والنشـــر، وحين أكملا العمل خرجا ومعهما نسخة من المخطوط ورخصة للسفر، فهدف السياحة الأول كان البحث عن مطبعة يتعاقد معها لطبع كتابه، ولا شك أنه خلال سياحته بضواحي مستغانم وغليزان أمن المال اللازم لسفره وطبع كتابه؛ ولما تعذر طبعه في مدينة الجزائر قال له رفيقه: >> لو أننا ذهبنـــا إلى مدينة تونس لكان الأمر فيها متيسرا من كل الوجوه. وكنت أنا أقوم بتصحيح الكتاب وبمراجعة الطبعة، وبما هو من ذلك القبيل فساعفته على ذلك <<[2] وبذلك يتضح لنـــا غـــرض الشـــيخ مـــن اصطحابه لمحمد بن قاسم البادسي في سياحته دون غيره، ويفسر لنا انقياده لما يشير به عليـــه فهـــو بحاجة ماسة إليه، وبالفعل توجها إلى تونس التي كان قد زارها أول مرة عام 1905* عندما أراد تقديم كتابه >> مفتاح الشهود << للطبع،[3] وكان يعرف بها من الذاكرين (الحاج العيد)** الـــذي كـــان يمـــر بمستغانم عند زيارته شيخه بالمغرب، كما كان يعرف بها أحد علمائها الأعيان وهو الســـيد (صـــالح الشريف) وقد وجده مهاجرا، لكنه لم يذكر أنه كان مهاجرا بالأستانة وقد نزل عنده ضيفا لما حل بها.[4] كما كان يعرف مدير جريدة الرشيدية وهو السيد (حسن بن عثمان) ويعرف بها كـــثيرا مـــن

---

[1] - الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 22.

[2] – المكان نفسه.

* سنة 1905 كانت السنة التي أصيب فيها شيخ حمو البوزيدي بمرض الفالج، فهل بدأ ابن عليوة يستعد لخلافته بطبعه ذاك الكتاب؟

[3] –Martin Lings : op-cit. P 71.

** محمد العيد الباري التونسي (ت: 1377هـ- 1957) وهو من تلاميذ الحاج محمد الهبري في المغرب، كان كفيفا وحافظا لكتاب الله، لذا قدمت له الحكومة التركية مرتبا شهريا لما هاجر إلى الشام بعد موت أستاذه./ ينظر- مصطفى العشعاشي: المصدر السابق. ص 54.

[4]- الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص- ص 124-125.

المهاجرين الجزائريين لكنه لم يشأ الاجتماع بأحد منهم،[1] وأحاط تواجده بتونس بالسرية التامة لحاجة في نفس يعقوب. وبدأ يتصرف بشكل يدل على خصوصيته فاتخذ محلا يقصده الناس إليه ولا يقصدهم هو، كما لم يغش أي من المجالس العامة، فحبس نفسه في مترل ينتظر جماعة بعينها تدخل عليه ولن يخرج إلا معها، كما رآها في منامه، وحين أخبر رفيقه بالأمر، كبر ذلك عليه وقال له: أنا ما جئت لأمكث بين الجدران. فكان يخرج ليقضي بعض الأمور، ويتجول في بعض المواطن، ثم يرجع. وبعد أربعة أيام تتحقق الرؤيا و تأتيه الجماعة وهم من أتباع الصادق الصحراوي المدني الدرقاوي الشاذلي وقد توفي منذ أشهر، فسمعوا له واتخذوه مرشدا وأخذوا عنه الطريقة.[2] وهو ما يؤكده الطاهر الزعموشي[3] بقوله: <<فاجتمعنا به و أخذنا عليه وسلبنا له الإرادة>>. ولم يألوا جهدا حتى أخرجوه معهم وانزلوه بمحل محمد الصكلي الخنيسي الكائن بالحجامين.[4] وبذلك يتضح لنا أن مهمة رفيقه لم تكن مقتصرة على الإشراف على طبع ومراجعة كتابه فحسب، وإنما كان أيضا أداة اتصال بين الشيخ ابن عليوة وأتباع الشيخ الصادق الصحراوي الذين أصبحوا يفتقدون للمرشد بعد وفاة شيخهم، وقد نجح في مهمته.

ويتضح لنا أيضا الهدف المرحلي من هذه الرحلة وهو طبع ونشر كتابه (المنح القدوسية) وفيه يعلن ابن عليوة رسميا عن ظهور مجدد الأمة على رأس القرن العشرين، ولعله كان يريد أخذ نسخ منه إلى دار الخلافة، وقد زادت ثقته بنفسه إثر القبول الحسن الذي لقيته مذاكرته المقتبسة من ذلك الكتاب، لدى كل من اجتمع بهم سواء من جماعة الصادق الصحراوي، أومن فقهاء وطلبة ومدرسي جامع الزيتونة الذين انتسبت إليه جماعة منهم.[5] فزاد تطلعا وشوقا لزيارة الأستانة، ولما تأكد أن مدة إنجاز الكتاب ستطول نسبيا، تركه تحت الطبع لعناية رفيقه محمد بن بالقاسم البادسي الفاسي، وتوجه هو صوب مدينة طرابلس الغرب كما يقول<<لزيارة أبناء عمنا كانوا مهاجرين بها...وقد تحركت في ذلك الحين داعية لزيارة بيت الله الحرام...ومن سؤ الحظ ورد علينا كتاب من مستغانم في ذلك الحين يخبر أن الحج ممتنع، ويحذرني من الوقوف في تلك السنة ، بما يعود علي من العقوبة>>[6] وكأن الشيخ الشيخ يريد صرفنا عن إدراك غايته من سفره حين يوهمنا بأنه كان ينوي أداء فريضة الجج لولا منعه

---

[1]- الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص- ص 22- 23.

[2]- المصدر نفسه. ص 23.

[3]- الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 145.

[4] - محمد المدني: (لا تكثروا الكلام بغير ذكر الله فتقسوا قلوبكم)، البلاغ الجزائري، ع: 66، مستغانم: 29 شوال 1346-25 أفريل 1928 / أضاميم المد الساري، ج2، المصدر السابق. ص 219.

[5]- الروضة السنية، ط2، المصدر السابق. ص- ص 23-24./ لمعرفة أسماء بعض من انتمى له ينظر- المكان نفسه وأيضا محمد بن عبد الباري: الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 175.

[6]- الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 24.

وهو في شهر محرم كان بتونس،[1]لكننا نعلم من ملاحظته تلك على الأقل أن خط سيره كان معلوما لدى أتباعه بمستغانم، وقد كانوا على اتصال دائم به. كما أن الاتصال بينه وبين أبناء عمه كان مؤمنا حيث وجدهم بانتظاره بميناء طرابلس، وصحبوه إلى سكنهم وشجعوه على الإقامة فيها، بل إن أحد الأتراك وهو الشيخ أحمد رئيس دائرة الواردات البحرية بالميناء وعده بأن يحبس زاوية وما حاذاها من الحوانيت عليه وأنه سيكون خادما له بعد حوار دار بينهم إن هو مكث معهم[2]- لكن تعلق الشيخ أحمد به وما وعده به من حبوس لم يثنه عن عزمه، فبعد ثلاثة أيام غادر طرابلس إلى دار الخلافة؟ لماذا غادر وقد وجد في تونس أتباعا لم يكسبهم حتى في مستغانم إلا بالنيابة عن شيخه، كما أنه لا يملك فيها من العقارات شيئا بعد أن صفى ممتلكاته ورهن ما تعذر بيعه، وهو الآن يجد أتباعا وأملاكا وخداما. **!**؟ يذكر ابن عليوة أن مما أغراه على السفر أن الباخرة تنقل بثمن زهيد والرحلة ستكون مباشرة إلى الأستانة؟ لا شك أنه تبرير غير مقنع خاصة وأن البحر في ذلك اليوم كان هائجا حتى أن ابن عمه الذي كان قد وعده بالسفر معه، تخلى عنه فسافر وحده، فهل كان الهدف كما يقول جون كارتنيي[3]<<لوراثة السلسلة من الأستانة>>؟ وهل كان أصلا بحاجة لوراثتها وقد ورثها من قبل عن شيخه. وهو فوق ذلك يعتقد أن الله قد أقامه مقام للإرشاد **!**؟

ومن المبررات الأخرى التي ساقها ابن عليوة[4] لرحلته قوله: تطلعت<< لزيارة دار الخلافة ربما أن أدرك من العلم ما أنا إليه في احتياج>> وهي عبارة غامضة، فنحن لا نعرف ما هو هذا العلم الذي يريد إدراكه فيها؟ ولا عمّن سيأخذه؟

فلو كانت زيارته للأستانة في عهد السلطان عبد الحميد لرجحنا أنه يطلب دعمه وهو الذي قرب إليه رجال الدين في إطار فكرة الجامعة الإسلامية ومنهم الشيخ ظافر المدني* وأجرى عليهم مرتبات كما أجراها على غيرهم ممن تخلف في بلده وكان له نفوذ إسلامي،[5] كما أنه اعتقد في الطريقة

---

[1] – الطاهر الزعموشي: الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 145.

[2] – الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 25.

[3] – J-H-Probest-Biraben : (La Tariqa Alawiyya), in:Johan Cartigny :Cheikh Al Alawi Document et témoignages, édition, les amis de l'Islam, Paris : 1984. p 81.

[4]- الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 26 .

* – محمد حسن بن حمزة ظافر المدني: خرج من المدينة عام 1807 قام بسياحة طويلة انتهت به إلى المغرب الأقصى في طلب الوصول إلى الله، وقد أخذ الطريقة الشاذلية على الشيخ العربي الدرقاوي عام (1224) وحصل له الفتح على يديه، وأقام في صحبته نحو تسع سنين، ثم سرحه شيخه وأمره بالعودة إلى دار الهجرة فمكث فيها ثلاث سنوات، ثم عاد لزيارة شيخه ولبث في حضرته عدة شهور حتى توفي الأستاذ العربي، أياما بعد دفنه قفل راجعا إلى المدينة لكنه لما وصل إلى طرابلس الغرب تعلق به أفرادها لما شاهدوه من حسن أوصافه وكمال اتصافه، فأخذوا عنه وانتسبوا له واشتهرت الطريقة به وعرفت بالمدنية.

– Martin Lings : op-cit. pp 86 - 87.

نقلا عن– محمد ظافر المدني: الأنوار القدسية في طريق الشاذلية، اسطنبول: 1884. ص– ص 38-40.

[5] – محمد فريد بك المحامي وإحسان صدقي: تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ط 2، دار النفائس بيروت: 1403هـ- 1983. ص– ص 744-745.

الشاذلية الدرقاوية، وقرب شيخها محمد ظافر المدني وجعله مستشارا له، وأقام له زاوية في (يلــدر كوشك) في اسطنبول ومنها أدار نشاطه ووجه مبعوثيه إلى المغرب والحجاز داعما فكــرة الجامعــة الإسلامية، ومحاربا الاستعمار الأوروبي حتى توفي عام (1903)[1].

فهل تطلع ابن عليوة إلى كسب أتباع محمد ظافر المدني هناك كما كسبهم في تونس مثلا؟ وهل بعد ما رأينا يمكننا أن نقبل ما ذهب إليه مارتن لينغز[3]من أنها كانت رحلة خالية من التخطيط فيما يتعلق بالتفاصيل مع الاعتماد الدائم على الإلهام بصورة أو بأخرى ليوجهه إلى ما يفعل، كما هو ديدنه في كل حياته!؟ بل ويضيف أن خروجه لأداء وظيفة خارج حدود زاويته لم يكن لرغبة شخصية، وإنما كان بتوجيه من الروح الأعلى. وأن إدراكه القوي لحقائق الواقع، وحسن تفاعله معها، واســتفادته منها على أحسن وجه، لم يتحقق إلا بإتباعه وحي اللحظة. وهو المولع بترديد هذا البيت من الشعر:

سلم لسلمى وسر حيث سارت *** واتبع رياح القضا ودر حيث دارت.

ولنا أن نتساءل هل توجه ابن عليوة لدار الخلافة هائما على وجهه لا يعرف وجهته؟ خاصة وهــو وقد اشتكى ابن عليوة[4]بقوله: لم أجد بالمدينة<< في ذلك الحين ولا أنيســا يأخــذ بيــدي، وقــد اضطررت حتى لعبارة التحية ... وفي ذات يوم كنت أجول في أطراف البلدة، وإذا برجل صــافحني وحياني بلسان عربي مبين، فسألني عن اسمي وبلدي فنسبت له، وإذ به أحد الفقهاء الجزائريين يتصل نسبه بالنسب الشريف وكنت يومئذ حريصا على زيارة دار الخلافة فاستعنت به، فكان خير معين لي على الغرض المذكور>>لكني لا أعتقد أنه لم يخطط لرحلته تلك، ولا أشك في أن جماعــة الصــادق الصحراوي المدنية بتونس- و التي انتسبت له- قد هيأت له ظروف الاجتماع بأتباع ظافر المــدني بالأستانة، لكن ربما ما عاناه من دوار البحر الذي كاد يقضي عليه حال دون وصــوله إلى المكــان المتفق عليه سلفا؟ كما أنه لم يقصد الأماكن التي اعتاد الجزائريون على التجمع فيها، حول جوامــع بايزيد، والفاتح، وسليمان القانوني، حيث كانت العائلات الغنية قد اعتادت استقبال أهل إفريقيــا الشمالية الذين يأتون كتجار وحجاج، وسياح.[5]

ولكن ابن عليوة لم يأت لأي من الأغراض السالفة الذكر، ولذلك لم يقصد إحدى تلك الأمــاكن وظل يتردد على المكان المتفق عليه خارج البلد، حتى اهتدى أحدهم له، وكان على حد قوله أحــد الفقهاء الجزائريين و لم ينسبه للذاكرين، كما أنه لم يعرف باسمه، ولا ذكر لقاءه بصــالح الشــريف التونسي في الأستانة؟ ولا موقفه من تلك الشخصية المناهضة للاستعمار، فقد كــان مــترل صــالح

[1] - أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي،ج4، المصدر السابق. ص- ص 122-123.

[3] -Martin Lings : op-cit. pp 125 -126.

[4] – الروضة السنية، المصدر السابق. ص 39.

[5]– أبو القاسم سعد الله: الحركة الوطنية الجزائرية 1900- 1930، ج2، المرجع السابق. ص- ص 130-131.

الشريف[*] مقصد العلماء والعارفين، وقد نزل عليه ابن عليوة ضيفا عام (1911) فأكرم وفادته حتى أنه كان يخدمه بنفسه كما ذكر الشيخ ابن عليوة لأصحابه في مجالسه الخاصة. وعند صالح الشريف اجتمع ببعض الجزائريين، ومنهم الحاج قويدر بن مناد.[1] لكنه لم يتفق معه على ما يبدو على موقفه من الاستعمار الفرنسي، بل كانت قناعاتهما مختلفة تماما.

بل عاد ابن عليوة للجزائر والعودة خيار للصف الذي سيقف فيه، وظل صالح الشريف في دار الخلافة ومنها توجه إلى ألمانيا داعما لسياستها المناوئة لفرنسا خاصة. لكن متى عاد الشيخ ابن عليوة للجزائر؟ وبما عاد؟

إن تاريخ عودته للجزائر كان هو الآخر محل خلاف،[2] لكن مما يساعدنا على ضبط تاريخ عودته قول عدة بن تونس[3] بأن ابن عليوة عاد <<من جولته وكتابه (المنح القدوسية) قد تم طبعه، وانتشر ذكره >> ومادام الانتهاء من الطبع كان في (12 رمضان 1329) الموافق للخامس من سبتمبر(1911)،[4] فإن عودة ابن عليوة من دار الخلافة تكون بعد هذا التاريخ مما يعني أنها تزامنت مع الغزو الإيطالي لليبيا واحتلال طرابلس في29 سبتمبر 1911، والتي كان قد وجدها من قبل ملائمة للإقامة.[5] فعجل بالعودة للجزائر مرعوبا وهو يحمد الله ربما لما لمسه في الأستانة من تنكر

---

[*] أهو صالح الشريف التونسي الذي أسس (لجنة استقلال الجزائر وتونس) في برلين عام 1916، و تولى قيادتها مع بعض الجزائريين الهاربين من الجيش الفرنسي والمهاجرين، وقد قامت هذه اللجنة بحملة واسعة تثقيفية ووطنية ضد فرنسا كما شجعت هروب جنود إفريقيا الشمالية من الجيش الفرنسي، وعملت على استقبالهم وتكوينهم الفكري، ثم أرسلت بهم إلى بلادهم للثورة أو إلى الشرق الأدنى لكي يحاربوا مع تركيا – المرجع نفسه. ص 221./ نقلا عن

J. desparmet: la turcophile en algerie, in SGA, (1916- 1919). T: 22, 1917. p 3.

وكان الشيخ صالح الشريف التونسي المدرس بالزيتونة هو أول الموقعين على عريضة علي باش حمبة المطالبة باستقلال تونس والجزائر، والتي رفعها لمؤتمر الصلح المنعقد بباريس عام 1919. ينظر –

-Claude Collot – Jean –Robert Henry : le mouvement national Algérien Textes 1912-1954. 2e édition, office des publications Universitaires, Alger: 1981. p 29.

[1] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 162. وقويدر بن مناد كان في عام 1924 مدرسا متطوعا بمدينة البليدة. وقد كان كثير التجوال بين الأستانة ومكة والمدينة وتونس وفاس ومراكش. ينظر ـ المكان نفسه.

[2] – أوغسطين بيرك، يحدد لعودته عام 1919 مؤكدا أن رحلته استغرقت مدة عشر سنوات لكنه يناقض نفسه حين يقول في نفس المقال بأن ابن عليوة لم يكن معروفا قبل عام 1914 مما يعني أنه أصبح معروفا لدى مصالحهم بين عامي 1914 و1919. ينظر–

– Augustin Berque : op-cit. p 692

في حين جون لوي ميشون يحدد تاريخ عودته بعام 1910و يوافقه في الرأي صالح خليفة.

–Jean Louis Michon: le shaykh Mohammad al - Hachimi et son commentaire de l échiquier des gnostiques, arché: 1998. p 27.

[3] – الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 37./ وقد أدلى السيد علاوة أرتباس –صاحب مطبعة العالمين– برأيه كخبير في الطباعة فأكد على أن طبع كتاب بحجم كتاب المنح القدوسية في ذلك الوقت وتلك الظروف، حيث تتم عملية التصفيف بطريقة يدوية يستغرق ما بين 8 و12 شهرا . سطيف: 29 أفريل 2005.

[4] – أحمد بن مصطفى العلاوي: المنح القدوسية، المرجع السابق. ص 389.

[5] – المصدر نفسه. ص 37.

للطرقية في ظل حكم الشبان الأتراك، ولهول ما حل بليبيا من مصائب، وعن عودته يقـــول: >> لم يرتح بالي و لم يسكن روعي إلا يوم وطئت فيه تراب الجزائر وحمدت الله على ما كنت استحســـنه بالطبع من عوائد أمتي وجمودهم على عقيدة آبائهم وأجدادهم وتشبثهم بأذيال الصالحين<<[7] لكـــن لماذا سكت عن الحديث عما حل بطرابلس الغرب؛ وهو وإن لم يكن شاهد عيان، فقد عايش المأساة عن قرب !؟ في حين يسرد أحداثا لم يشهدها وكأنه عايشها عند زيارته لدار الخلافة حين يقول: >> لم أشفي(كذا) غليلي منها لتكوين الحواديث (كذا)الخلافية التي كانت على وشك الاندلاع، فيمـــا بين الأمة التركية وشبابها الناهض، أو المصلح كما يقولون... <<[2] فيوحي للقارئ بحديثه هــذا بأنــه شهد الانقلاب العثماني الذي شهدته تركيا خلال عامي (1908- 1909) في حين أنه كان حينها بالجزائر ونشاطه محصورا بين مدينتي وهران ومستغانم، وشيخه لم يتوف بعد ليخلفه؟ وبعد أنه خلفه انشغل بترتيب أمور زاويته وأتباعه و لم يبدأ سياحته لدار الخلافة إلا بعد مرور عام على الأقل مـــن وفاة شيخه وخلافته له. وتوجد مؤشرات تدل على أنه في أكتوبر عام 1911 كان قد عاد للجزائر. من ذلك أن محمد بن يلس الذي سيهاجر للشام أوصى ابن عليوة بتفقد أتباعه في زاوية تلمسان وإرشادهم[3]. وبدا المكان وكأنه لا يسع الرجلين معا، حيث هاجر ابن يلس بمجرد عودة ابن عليوة إلى مستغانم !؟ وللإجابة على سؤال بما عاد من الأستانة؟ علينا أن نعرف ما هدفه من تلك الرحلة؟ لا شك أنه كان يريد بلوغ مقام سلطان الشرق وتحقيق ما جاء في رؤياه، ولعله هو ما عبر عنه أحد أتباعه الأوربيين[4] بوراثة السلسلة؟وابن عليوة بقوله: >> فتشوفت لزيارة دار الخلافة وظهر لي ربما أدرك من العلم ما أنا إليه في احتياج<<[5] فهل كان يريد وراثة القطبية هناك؟ لكن ممن؟ أمن السلطان عبد الحميد؟ الذي اعتبره الجزائريون حينها حسب ديسبارمي الكبريت الأحمر.[6] وهل ذلك يعيد الاعتبار لتلك الشهادة التي وجدها أجرون فريدة من نوعها، ومن اختراع ديسبارمي، إثر الانتصارات التركية في الدردنيل، وأنه لا ينبغي إعطاؤها أكثر من حجمها، خاصة وأن الجزائريين لم يستجيبوا لدعوة السلطان للجهاد.[7]

---

[1] – الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 27.

[2] – أحمد بن مصطفى بن عليوة : الروضة السنية ، ط2، المصدر السابق. ص 39.

[3] – مصطفى العشعاشي: المصدر السابق. ص 103./ ويحدد لهجرة ابن يلس تاريخ 15 شوال 1329 الموافق لـــ 13 أكتـــوبر 1911، المصدر السابق. ص 43./ لكن جون لويس ميشون يحدد لهجرته إلى الشام تاريخ 20 رمضـــان 1329 الموافـــق ل 14 جويلية 1911 وهو تاريخ يفتقر إلى الدقة ما دام رمضان عام 1329 يوافق سبتمبر1911.

[4] – J-H-Probest-Biraben .op-cit. p 81.

[5] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: الروضة السنية، المصدر السابق. ص 26.

[6] – Charles–Roberts–ageron: les algérien musulmans et la France(1871-1919), T2, Presses Universitaires de France, Paris: 1968. p 909

[7] –Ibid, p : 913.

وتوجد مؤشرات أخرى توحي بأن ابن عليوة كان يتطلع للإقامة بالأستانة، ولكنه عدل عن ذلك بعد ما شاهده في الأستانة من تحولات نلمس ذلك في قوله: << فتيقنت وأن ما أريده من المقام بتلك الديار غير متيسر...فقفلت راجعا إلى الجزائر مكتفيا من الغنيمة بالإياب>>[1] هل يعني ذلك أنه لم ينقل القطبية للجزائر؟ لا شك أنه يعتقد بأنه فعل لكننا لا نملك إجابة على ممن نقلها؟ ولا عن كيفية نقلها؟ لكن الأكيد أنه منذ عودته بدأت حركة، كانت بوادرها الأولى شراء أرض لبناء زاوية جديدة يستقل بها عن زاوية شيخه حمو البوزيدي، بل وعن درقاوة المنطقة أيضا.



رخصة السفر الممنوحة لإبن عليوة عام 1909

1– الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 27.

ثالثا: من الطريقة البوزيدية إلى الطريقة العلاوية(1911- 1914)

سلك ابن عليوة مسلك شيخه الذي اعتبره مؤسس الطريقة البوزيدية، وكما فعل أخوه في الطريق محمد الهبري مؤسس الطريقة الهبرية. وهو كذلك مسلك الشيوخ الكبار، المدافعين عن تنوع الطرق إلى الله، الذين عمل كل منهم على إنشاء طريقة تحمل اسمه وتقوم علـــى بنـــات أفكـــاره. بالحصول على الاستقلال على أية طريقة سابقة، وإن كان يحرص منها على السند، وهذا التحريـــر يفسح له المجال كي ينشأ مذهبه وينشره[1]. فمتى كان تحرر ابن عليوة من الارتباط بالطريقـــة الأم؟ فقد تعددت التواريخ المعطاة من قبل أتباع الشيخ المقربين، ولكل تاريخ ما يدعمه ويبرره، فهـــذا محمد بن عبد الباري[2] يذهب إلى >> أن ظهورها كان بتاريخ عام 1327 << الموافق لعام 1909، لكنه تاريخ مستبعد إذ بعد وفاته جمع ابن عليوة كتابا سماه (برهان الخصوصية في الطريق البزيدية) مما يدل على أنه كان يرى شيخه مؤسس الطريقة البوزيدية، وهو حتى ذلك التاريخ (1910) لم يكـــن يعتبر نفسه إلا خليفة لحمو الشيخ على زاويته بتيجديت وراعيا لفقرائها.

أما عبد الله رضا[3](الفونس إيزار) فيذكر أن الطريقة العلاوية تأسست عام 1911. وهـــي السنة التي انتسبت فيه جماعة الصادق الصحراوي بتونس لابن عليوة والتفت حوله وآزرته منذ ذلك الحين على أنه المرشد العارف والمجدد الذي يبعثه الله على رأس كل قرن ليجدد للأمة أمـــر دينـــها. وإذا صدق هذا الأمر على أتباعه في تونس فإن الأمر لم يكن كذلك في الجزائر، فمن بايعوه من قبل على خلافة حمو الشيخ ظلوا يجتمعون كل خميس حول ضريحه يشعلون البخور وينشدون القصـــائد حتى صرح لهم عشية اندلاع الحرب العالمية الأولى بقوله: لا أظن أن سيدي حمـــو الشـــيخ أعطانـــا معرفته لنخلفه فحسب، فنحن فسائل لشجرة كبيرة ماتت، وقد أعطت الفسائل ثمر علينا تسويقه إذا تعذر ذلك عند جذع الشجرة، وجب ترويجها في السوق، علينا أن نعرف بما عندنا وأن لا نخفيه عن إخواننا[4].

---

[1] – عبد الله نجمي: التصوف والبدعة بالمغرب، طائفة العكاكزة (ق 16 – 17 م)، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط: د. ت. ص 121.

[2] – الشهائد والفتاوى ، مرجع سابق. ص 4.

[3] – El morchid, n°: 31. N° : 31. 3e Année, Mostaganem : 1er safar 1369- 23 Novembre 1949. p 5

[4]– Saleh khelifa: op-cit. p 259

وإثر إعلانه تأسيس طريقته العلاوية حوالي سنة 1333ه الموافق لعام 1914- 1915 واجه معارضة شديدة يقول عدة بن تونس[1] أنه أصبح << محسودا من معاصريه، ومغبوطا من إخوانه، إلا من ألهمه الله إلى تجديد العهد به، وهم يومئذ لا يتجاوزون عدد الحواريين[2] عليهم السلام، أما الحسـدة فلـم تألوا جهدا في تنويع العراقيل كل بما يوحيه إليه شيطانه من سوء الأعمال والآراء. >> ولم يأبه بهم و لا بالعراقيل وهو القائل:

فأنا الساقي المجدد *** حامي الحمى والوفود
والحق حق لا يرد *** بالرغم عن الجـحود[3]

وينعت منكرا لقطبانيته بالغباء والجهل بحقيقة مترلته بقوله:

فمنكر اقتطابي *** غبي لا علم لـه
جاهل بانتسابي*** يحسب أني سواه[4]

ومضى في مشروعه وتمكن من وضع أسس زاويته بتيجديت عام 1914، على الأرض التي كان قد اشتراها له أتباعه عام 1912.

---

[1] – عدة بن تونس: الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 29./ أول محرم 1333 يوافق 19 نوفمبر 1914، وبالتالي تزامن تأسيس ابن عليوة لطريقته مع اندلاع أحداث الحرب العالمية الأولى، وليس مع نهايتها كما يقول سبنسر ترمنجهام الذي يحدد تاريخ انشقاقه عن الدرقاوية بعام 1918، متأثرا بسياق رواية أوغسطين بارك عن رحلة ابن عليوة الأسطورية التي دامت عشر سـنوات. الفرق الصوفية في الإسلام، المرجع السابق. ص 381. وكذلك:

P. G. André: op-cit. p 258.

[2] – كان عدد حواريي المسيح عيسى عليه السلام اثني عشرة حواريا.

[3] – أحمد بن مصطفى العلاوي: دواوين آيات المحبين، المصدر السابق. ص 46.

[4] – المصدر نفسه، ص 76.

رابعا: خَلْق وخُلق العارف

لفتت هيأة ابن عليوة أنظار المتتبعين له، ولما تتبعت مختلف الأوصاف وجدها تشكل صورة العارف قلبا وقالبا. فهل رسم له أتباعه بورتري العارف؟ أم أنه تقمص تلك الصورة؟ أم أن الرجل عارف وخَلْقَه وخُلُقَه، ظاهره وباطنه، يدلان عليه وعلى خصوصيته؟

وصفه عدة بن تونس[1] بأنه: كان طويل القامة[2] أخمص البطن، نحيف الجسم، أسمره تعلو على وجهه الحمورة، أبيض اللحية سبطها سهل الخدين طويل الأنف شامخه، ضلع الفم، مستوي الجبين، فيه أسارير، بارز الحاجبين موفورهما، هذب الاشفار، قوي العينين أنجلهما، ترى في اماقه صفورة؛ وقد شدت عيناه ونظرته كل من تعرف إليه ومنهم أوغسطين بارك[3] الذي وصف نظرته بالحيوية والصفاء، تنم عن حذقه في توجيه النفوس، وعن قوة متعجرفة واثقة من ذاتها، ويذهب الصحفي الحر حسن وارزقي[4] إلى أبعد من ذلك فيرى في بصره قوة يؤثر بها على ضعاف الإرادة فيقهرهم بها، وبها جذب غالب أتباعه، ويسكت بها خصمه إن كان عالما غير شريف النفس، أو تنقصه الشجاعة، وإن كان أحمد توفيق المدني[5] قد وصفه بأنه وئيد الخطى، وعلى وجهه شبه ابتسامة بأن في عينيه شيء من حيوية، فإن شيون[6] يجدهما ثاقبتان وكأنهما تخترقان الأشياء وقد بدتا كأنهما مصباحان ثبتا في قبر، تكاد تكون قاسية في ثباتها المحير، ولكنها مع ذلك تفيض بحب الخير، وكان شكل عينيه البيضاوي كثيرا ما يتحول إلى الاستدارة، كأنما من أثر دهشة أو مشهد عجيب قد عن له. وكان فريجوف شيون قد عرف الشيخ في مرضه وقبيل وفاته ومما وصفه به بأنه كان شيخا نحيفا ووقورا، إذا رأيته بجلابته البنية وعمامته البيضاء، ولحيته الفضية، وعيناه الثاقبتان وذراعيه الطويلتان المثقلتان بفيض البركة، تحس بريح طاهرة معتقة تفوح منه كأنه سيدنا إبراهيم الخليل، وكانت إيقاعات الذكر والرقص يتردد دوما في داخله، فتهتز رأسه إلى الأمام وإلى الخلف بإيقاع منتظم، فيبدو وكأنه ليس من أهل الأرض، فكم كان يبدو نائيا، بعيد المنال، وكم كانت عسيرة الإحاطة به لبساطته، ويحيط به كل ذلك الجلال الذي هو حق للقديسين وللقادة وللشيوخ وللمتحضرين.

---

[1] – عدة بن تونس: الروضة السنية ، ط1، المصدر السابق. ص 141.

[2] – من خلال البيانات الواردة في رخصة السفر التي منحها نائب رئيس بلدية مستغانم لابن عليوة والمأخوذة فإن الطول: 1.85؛ لون الشعر: أسود؛ شكل الوجه: طويل؛ أسمر البشرة؛ ذو لحية رمادية.

[3] – Augustin Berque: op-cit. p 692.

[4] -(كلمات لشيخ العليويين)، الشهاب، ع: 128، المصدر السابق. ص – ص 9 -11.

[5] – أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ق2، المصدر السابق. ص – ص 70-71.

[6] -Martin Lings: op-cit, p 37

ويذكر طبيبه ومحبه مارسيل كاري،[1]أن أكثر شيء شده إلى الشيخ عند رؤيته لأول مـــرة >>كـــان شبهه بالصورة التي تعودوا إعطاءها للمسيح<<؛ ووصفه مريده جوصو بأن>> لـــه وجهـــا جمـــيلا كالمسيح، متأملا رقيقا<< .

وقد وولى أحد رجال الدين الجزويت المعروفين بعدائهم للمسلمين فرارا حافيا، حين رأى الشيخ في مجلسه، بعد أن ظل واجما لا يتلفظ بكلمة لمدة ربع ساعة، لأنه شعر وكأن المســـيح هـــو الجـــالس هناك.[2]

أما ابن عليوة[3] فيرى أن ذلك ناجم عن كونه عارفا بالله ومن أراد أن يرى وجهه سبحانه وتعالى عن ذلك علوا كبيرا – لا وجه المسيح عليه السلام فحسب – فلينظر في وجه العارف لأن >>عليـــه رونق الهيبة والجلال لما فيه من رائحة الحق عز وجل ... وأنه عز وجل ليشتد ظهوره في العارف حتى قيل (لو كشف عن نور العارف لعبد من دون الله)، ولهذا لما ظهر الله عز وجل البعض من نوره على ذات >>عيسى<< عليه السلام عبده النصارى من دون الله، فمن حيث ما أظهر عليه من النور كان الله هو المعبود على الحقيقة، ولهذا يقال: لو عبدوا ما عبدوا غيره...[و] من أراد أن ينظر في وجه الله فلينظر في وجه العارف إن وجده<< والإشارة واضحة على الأقل في كون ابن عليوة قد أفاض الله عليه من نوره، كما أفاضه من قبل على ذات المسيح عليه السلام.

ومما لاحظه عليه معاصريه صفة الصمت والسكون فيه حتى بدا لشيون وكأنه ليس من أهل الأرض، وأثار دهشة أحمد توفيق المدني[4]حيث كان وهو >> يتكلم لا يتحرك ولا يبدي إشارة، كأنما هو آلة مسجلة تلقي إلى الأسماع ما نقش فوقها<<كما بدا لمارسيل كاري لما زاره للمرة الثانية >> وكأنـــه لم يتحرك بوصة واحدة من ذلك الموضع الذي تركه عليه في اليوم السالف، فبدا كالتمثال الـــذي لا يأبه إلى الزمن يمر حوله<<[5]

أما جوصو الفقير العلاوي فقد سجل التميز في صورة الرجل متحدثا وصامتا حين وصفه بأنه:>>ذو وجه شاحب زاهد بتعابير متعالية، منغلق، متى رفع جفناه، تكشف عن عينين بـــاسمتين، وابتســـامة مشرقة، فإذا الرجل المتكلم يختلف تماما عن الرجل الصامت، تنساب الكلمات من فيـــه انســـيابا، تتخللها لازمة (لا أكا سيدي) ثم متى توقف عن الحديث تختفي فجأة تلك الابتسامة، ويعود وجهـــه إلى انغلاقه في نفس الوقت الذي يسدل فيه جفنيه.<<[6]

---

[1] – Marcel Carret: <u>les Souvenirs</u>, op-cit, pp 12.

[2]- Salah Khelifa: op-cit, p : 836 / Humanitate, mai, 1952.

[3] - أحمد بن مصطفى العلاوي: المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، ج2، المصدر السابق. ص 182- 183.

[4]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح ،ق2، المصدر السابق. ص 70-71.

[5] – Pascale M. Benouali-Rickenbacher: op-cit. p 17

[6] - Abdou-L-Karim Jossot: Le Sentier d' ALLAH, 2 eme édition, imprimerie allaouia, Mostaganem : 1990. p 41.

وسكونه وسكوته هذا مرده لكونه ذاكرا، وعارفا واصلا، لقولهم: >> إذا رأيت العـــارف ذاكـــرا فاعلم أنه غافل، ولو كان ذاكرا لكان السكوت أولى به، وهذا هو الذكر المعتبر لدى العـــارفين<<[1] وكذلك قولهم: >> الطريقة أولها جنون ووسطها فنون، و آخرها سكون<<[2] وبالتالي خُلُقه وهيأتـــه تدل على كونه عارفا.

وقد اعترف معارضوه[3] قبل أتباعه ومحبيه بذكائه وشدة دهائه، في معاملة الناس، ويزيد على ذلـــك حسن وارزقي[4] الذي يقول أن له >> ذكاء مفرط ومن فرط ذكائه أنه يتظاهر في بعـــض الأحيـــان بالبلاهة<< وبحسن سياسة مريديه وأتباعه وأصدقائه، وحتى مع خصومه ومقاومي طريقتـــه. فقـــد وصفه أتباعه بأنه >>سليم القلب، صافي السريرة، لينا متواضعا يحب المساكين ويجالسهم، ويأكل مع أصحابه، ويؤانسهم، يحترم العلم وأهله، ويرفع قدر الشريف ويجله<<[5] بل و يتـــأدب حـــتى مـــع الحيوان،[6] وقد وصفه المقربون إليه من الفرنسيين بالتسامح، والميل للمصالحة، وبأنه نموذج للمـــرابط العصري المساير للتطور إعجابه بروح التسامح لدى الشيخ مع اليهود والنصارى، مع أنه يؤمن بـــأن الإسلام هو أكمل العقائد السماوية، ومع المسلمين المخالفين له حيث لم يخرج من دائرة الإسلام كل من أتى بأركانه الخمس.[7]

يذكر الشيخ ابن عليوة أن التسامح من خُلق العارفين، فهم يحسنون معاملة مـــن يســـتحق القتـــل، ويهشون في وجه من يستحق الزجر، إما إشفاقا عليهم أو طلبا لهاديتهم، وإما مداراة لـــه >> لقولـــه عليه الصلاة والسلام (داروا سفهاءكم) كما قيل أيضا (دارهم ما دمت في دارهم) وقوله صـــلى الله عليه وسلم (إننا لنبش في وجوه قوم وقلوبنا تلعنهم)<<[8]

وهذا من شأنه أن يكثر من أتباعه ويعزز جانبه بعلماء يعاضدون مشروعه التجديدي، ويكسبه ثقة الإدارة التي آمن بدعايتها القائمة على أن فرنسا أمة إسلامية، وتعمل على...فتعلق بها وعلق آماله عليها في معاضدة مشروعه التجديدي والتمكين للإسلام وتعاليمه في الداخل والخارج.

---

[1]– أحمد بن مصطفى العلاوي: المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، المصدر السابق. ص 164 .

[2]– المصدر نفسه. ص 131.

[3]– أنظر: أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ق2، المرجع السابق. ص 164.وأيضا: – صراع بين السنة والبدعة، ج1، المرجع السابق. ص 50.

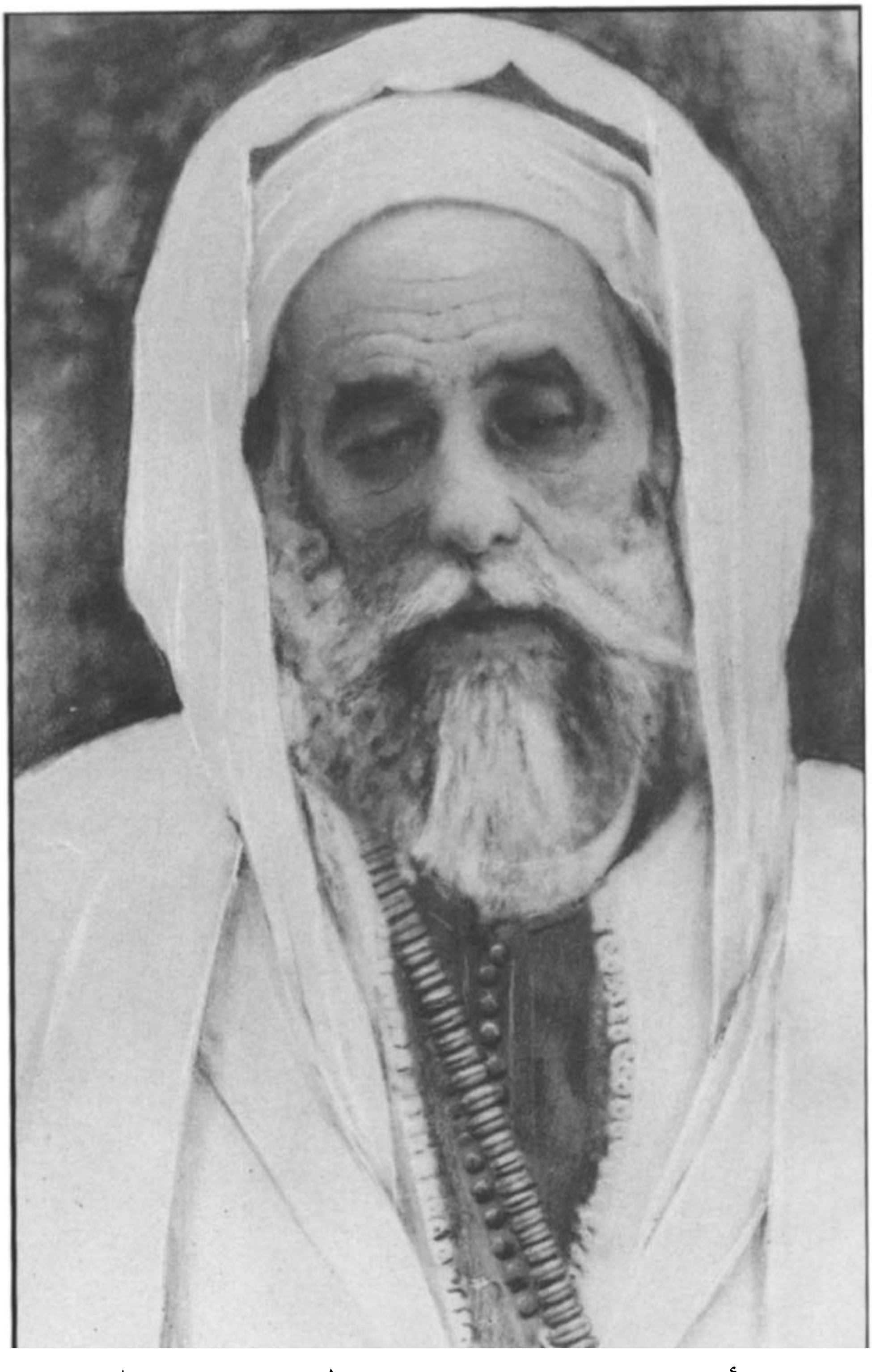
[4]–(كلمات لشيخ العليويين)، الشهاب، ع: 128، السنة الثالثة، قسنطينة: 5رجب 1346هـ - 29 دصامبر 1927م، ص – ص 9 -11.

[5]– عبد الرحمان بوجنان الوزيداني: الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 95.

[6]– عمار بن يزيد البوعبدلي: الشهائد والفتاوى، المصدر نفسه. ص 46.

[7] – Augustin Berque, op-cit. pp 692-693 . - Marcel Carret, op-cit. pp 16–.25

[8]– أحمد بن مصطفى العلاوي: المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، ج1، المصدر السابق. ص 84.



الشـــيخ أحمـــد بـــن مصـــطفى بـــن عليـــوة

المبحث الرابع: مؤلفات الشيخ ابن عليوة

أولا: بين الأمية والمكتوبية

طالما أثارت مؤلفات الشيخ ابن عليوة جدلا، حول ما كتبه ومن يكتب؟ فالجدل لم يقتصر على المحتوى وخاصة ما ورد في بعض قصائده، بل تعداه إلى إنكار قدرته على الكتابة والتأليف أصلا فهو معروف بأنه شبه أمي ولا يكاد يبين. فذهب خصومه من الإصلاحيين إلى أن أتباعه هم الـــذين كانوا يكتبون له. وكان سعيد الزاهري أحد القائلين بذلك فهو يقول: << أعرف الشيخ ابن عليـــوة معرفة شخصية وأعرف أنه لا يقرأ ولا يكتب إلا قليلا، فيبعد عندي أن يكون من رجال التـــأليف والتفسير >>.[1]

فهل كان أتباعه هم الذين يكتبون له ثم ينسبون كتاباتهم للشيخ قصد دعم مركزه أمام العلماء؟ وهل يقبل الشيخ أن ينسب له ما ليس له؟ وأن يحمد بما لم يفعل؟ إننا إذا عدنا إلى آداب القوم نجد ذلـــك ممكنا ولعله مستحب فالشيخ ابن عليوة[2] يرى أن << المأموم ...الإمام سترته، فتستره في الطريق هـــو إقتداؤه بغيره، حتى إذا صدر منه ما يقتضي تبجيله وميلان الطالبين إليه، فينســـب ذلـــك الوصـــف المحمود لشيخه، ويقول كل ما صدر مني فهو مأخوذ من فيضه وبركاته، وأما أنا كالآلـــة في يـــده، فيقلب بصر الناظرين لأستاذه، ويكون متسترا من ورائه >>. ولا يخفى ما في هذا الكلام من حـــث للأتباع على خمول الذكر، ومن شأنه أن يحفزهم لنسبة تآليفهم إلى شيخهم. ولكنه ليس من السهل على المرء أن يفرط في عصارة فكره لغيره كائن من كان، ولئن فعل أتباعه ذلك، ففي ذلـــك دليـــل على مدى اقتناعهم بولايته، وتفانيهم في خدمته، وإن كان هناك من يراهم مـــأجورين لأداء هـــذا العمل. غير أني أعتقد أنه من الظلم اعتبارهم مجرد مرتزقة وقد عرف عنهم أنهم شدة إيمانهم بولايتـــه مع انقيادهم له، ولا شك أن لهم امتيازات وقد شكلوا طبقة متميزة. وحاجة الشيخ لهم كبيرة، وهو المعترف بقصر باعه في التأليف والكتابة معا.[3]

كما أن الشيخ ابن عليوة بصفته رئيسا للطائفة فقد استعمل الكتاب كما هو الحال بالنسبة لكـــل الرؤساء، الذين يستعينون بكتابهم في صياغة أفكارهم وتصوراتهم، فقد يقتصر دور الـــرئيس علـــى إعطاء الخطوط العريضة لفكرة ليتولى كتابه صياغتها على شكل مقالات أو خطب ولا يمنع ذلك من نسبتها للرئيس حين يلقيها أو ينشرها.

---

[1]– احمد حماني: صراع بين السنة والبدعة، ج1، المصدر السابق. ص 298.

[2] – أحمد بن مصطفى العلاوي : المنح القدوسية ، المصدر السابق. ص- ص 169 – 170 .

[3] – من ذلك قوله:

معترفا بتقصيري فيما أعلم *** وضعف الأنـــامـــل لأخـــذ القلم

وباعتبار مقتضيات الزمان *** من ضعف الفقه وكذا لحن اللســـان.

–أحمد بن مصطفى العلاوي: الرسالة العلاوية في بعض المسائل الشرعية، ط2، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1990. ص 9.

من خلال قراءتي لكتب ورسائل ومقالات الشيخ ابن عليوة يمكنني تسجيل الملاحظات التالية:

- التباين والاختلاف في لغة الخطاب محتوى ومستوى، فمن خطاب رمزي صوفي موجه للخاصة[1] نجده خاصة في كتاب المنح ورسالة النقطة، ورسالتا تفسير سورتي النجم والعصر، وديوانه الشعري، وهي كتابات يدعو فيها للالتفاف حول المرشد الحي، صاحب الوقت ومجدد القرن، الساقي الأوحد. إلى خطاب عام يتجلى خاصة في الأجوبة العشرة، ومقالات صحيفة لسان الدين الأولى والبلاغ الجزائري، الهادفة إلى الإصلاح الديني والاجتماعي، يقبل فيها صاحب الوقت أن يكون أحد أقطاب الإصلاح لا قطبه الأوحد.
- تمتاز مقالات الشيخ الصحفية، بالاقتباس المطول فالشيخ يحاول طرح وجهة نظره في فقرة قصيرة يقدم بها للاقتباس المطول الذي يستعين به لتوضيح أفكاره والدفاع عنها ويكون هذا النص المقتبس عادة لشخصية شهيرة (أديب كاتب أو مستشرق أو رجل سياسة) ثم يختمه بفقرة صغيرة كخاتمة للمقال، فينحصر جهد الشيخ في المقدمة والخاتمة. غير أن ظاهرة الاقتباس المطول لا تقتصر على المقالات فحسب، بل تتعداها لكتابات، حيث حضورها قوي في مخطوطة الأجوبة العشرة. كما يقتبس اقتباسا مطولا في (رسالة الناصر معروف) عن صياغات محمد عبده لعقيدة وحدة الوجود، في الجزء الثاني من رسالته المسماة الواردات.[2] وفي (رسالة القول المعروف) نجد اقتباسا مطولا من كتاب النصرة النبوية.
- كما يمتاز أسلوب الشيخ ابن عليوة في الكتابة بطغيان طابع العربية الدارجة المهذبة عليه، مع استعمال نون الجمع للمخاطب المفرد. وأبرز مثال على ذلك مخطوطة برهان الخصوصية في الطريقة البوزيدية التي كتبها في حدود عام 1910.
- وقد يجد القارئ أحيانا صعوبات جمة في إدراك المعاني التي يرمي إليها الشيخ وقد اعترف الشيخ نفسه بذلك. ففي مقال له تحدث فيه عن الوطنية وخطورتها على القومية الإسلامية[*]، يبدو أنه نشر دون تصحيحه، جاءت عباراته تقرأ فضلا عن أن تفهم أفكاره غير أن الشيخ ابن عليوة

---

[1]– من هم الخاصة؟ الشيخ ابن عليوة يتحدث عن الإيمان بسر الخصوصية فيقول في معرض تفسيره لقوله تعالى >> والذين يؤمنون بما أنزل إليك >> ترى التفخيم عائدا على من آمن بما أنزل على النبي في خاصة نفسه من العلوم المكتومة إلا على أهلها، وهذا هو وجه التخصيص، وإلا فما فائدة التنصيص، لأن الحكم عام نزل عليهم كما نزل عليه. ثم إن الإيمان بسر الخصوصية هو من أعلى درجة في الذي عز منا لها العموم، ولهذا قال في الصحابة: (أولئك على هدى من ربهم وأولئك هم المفلحون) وقد أشارت أقوال الأكابر لمثل ذلك قال بعضهم : من صدق بهذا العلم فهو من الخاصة. ومن فهمه فهو من خاصة الخاصة ومن عبر عنه وتكلم فيه فهو النجم الذي لا يدرك و البحر الذي لا يترك .**وبالجملة إن الإيمان** بذلك **يعتبر كالركن في الدين** . حتى قال بعضهم >> من ليس له نصيب من علم القوم يخشى عليه من سوء الخاتمة ، وأقل نصيب منه التصديق بأهله، ومن فاتته المنة في نفسه: فلا يفوته أن يصدق بها غيره >> أحمد بن مصطفى العلاوي: البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور، ج1، ط2، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1995. ص -ص 58 – 59

[2]- Martin Lings: op-cit. p 129.

[*] – ينظر مقالا الملحقين رقم : أربعة، وأربعة مكرر.

عزا ذلك لانفعاله وشدة غضبه من غفلة زعماء الأمة عن هذا الخطر بل وانقياد الكثير منهم لـــه فقال: << ...فننفعل من ذلك فيضطرب القلم مني في الكتابة واللسان في العبارة حتى لا نفهـــم أحيانا ما نكتبه ولا نفقه ما نشرحه بما ينسد في وجهي من متسع الآمال لـــولا أني أســـتغفر الله وأحمده على كل حال>>[1]

- جاءت بعض من كتب الشيخ ورسائله بلسان الخصوصية فمادتها ومعارفها من قبيـــل التوجـــه والتلقي من حضرة اله، ليس له فيها تكلفا ولا عناء والقوم يقولون<< أن التعبير بقدر التنوير ولا يستطيع التمييز بين عباراتهم إلا من كان مستشرفا على مقامهم أما من سواهم فانهم ينادون من مكان بعيد >>[2]وثمرة ما ورد على قلب ابن عليوة فقيده بإشارة من شيخه حتى لا يتغلب عليـــه كتابي: (مفتاح الشهود في مظاهر الوجود) والذي – بعد تحقيقه الذي لم يوضح فيه المحقق نصيبه في الكتاب – لم أعثر فيه على أثر لأسلوب ابن عليوة في التعبير والكتابة. والكتاب الثاني هـــو (المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية) والذي كان حسب شـــهادات كتـــاب (الشهائد والفتاوى...) سبب اهتداء الكثيرين للشيخ واقتدائهم به، في هذا الكتاب يجد القارئ أسلوب الشيخ فيها واضحا ففقرات كثيرة جاءت باللهجة العربية الدارجة. ولعل طبعته الأولى تونس عام 1911 كانت أكثر مصداقية[3]وقد قيل بأنها كثيرة الأخطاء والتحريف والتصـــحيف المطبعي فتولى تصحيحه الهلالي محمد بن الطاهر في الطبعة الثانية بمصر في عـــام 1936[4] بعنايـــة الشيخ محمد الهاشمي التلمساني وحاول فيها تدارك الأخطاء التي وقعت في طبعة تونس.[5]
- ومن كتبه ورسائله ما كان بلسان الخصوصية وقد كتبها قبل اشتهار أمره وقبل أن يصبح لديه كتابا، ماعدا تفسيره الذي عنوانه: (البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور) فقد جمعه آخر كتابه التمسماني وصححه لغويا وأثراها.

---

[1]– (هل تسمح لنا التعاليم العصرية بالبقاء على الإسلام؟؟!)، البلاغ الجزائري، ع: 28، مستغانم: 15 محرم 1346- 15 جويلية 1927/ أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 162.

[2]– محمد بن عبد الباري: الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 28.

[3] – أحمد بن مصطفى العلاوي: المنح القدوسية، المصدر السابق. ص 389.

[4] – المكان نفسه.

[5] – المصدر نفسه. ص 9.

ثانيا: أهم مؤلفات الشيخ ابن عليوة

ألف ابن عليوة في أغراض شتى منها المناقب وتتمثل في : مخطوطة برهان الخصوصية، التي لا تزال إلى يومنا هذا مخطوطة لم تنشر و لم تدخل عليها التصحيحات التي قد تذهب بقيمتها التاريخية. وسيرة ابن عليوة الذاتية التي نشرها عدة بن تونس في كتاب (الروضة السنية في المآثر العلوية) وقد كتبها في فترات متباعدة خلال العشرية الثالثة من القرن العشرين، ومع ذلك توقف عند عام 1911 تاريخ عودته للجزائر وسكت عن سرد المرحلة التي شهدت نشاط شيخ التربية، وحركة المجدد، ولو أنهاها لكانت قيمتها لا تضاهى. وقبلها كتب ترجمة لشيخه وولي نعمته حمو الشيخ الذي اعتبره مؤسس الطريقة البوزيدية وعنونها:

برهان الخصوصية في الطريق البزيدية:

يذكر يحي برقة[1] أنه أنهاه مثل كتاب المواد الغيثية عام 1910. وقد جاء في الصفحة الأولى من المخطوطة: << إذا أنعم الله بنعمة على عبد أحب أن ترى عليه، وأي نعمة أعظم من معرفته، فمن كتمها و لم يعبأ بها فهو مغرور، وجاحدها لا محالة هالك مثبور، ولنا منها والحمد لله حظ وافر.<<
وقد قسمها إلى أربعة فصول هي: << الفصل الأول في ذكر بعض من أحوال أستاذنا الكبير ولينا الشهير وفيه من تعريفه وتاريخ وفاته <<[2]
و<< الفصل الثاني في بعض النثر المنسوب إليه وفيه من النثر ما يدل على خصوصيته.<<[3]
و<< الفصل الثالث : في سلسلة طريقه رضي الله عنه وفيما يترتب عليها من أخذ العهد وكيفية الذكر وتلقينه.<<[4]
وجاء << الفصل الرابع في بعض المراءي[كذا] الحاصل للفقراء أيام وفاة الأستاذ رضي الله عنه وفي ذلك ما يدل على علو مقامه.<<[5]

ومن الكتابات التي قال ابن عليوة أنها من قبيل الفيض الإلهي حيث جاءت بلسان الخصوصية، التي لم تكن عن اجتهاد أو كسب، كتابي: (مفتاح الشهود...) و(المنح القدوسية...) أما كتابه:

---

[1] – الشيخ العلاوي المؤلف والكاتب الصحفي ، ملتقى التربية والمعرفة في مآثر الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي، المرجع السابق. ص 268. / صورة النسخة المخطوطة التي معي لا توجد فيها الصفحة الأخيرة التي تحمل عادة تاريخ الكتابة ولعل يحي برقة وجدها، والتاريخ الذي أورده معقول جدا.

[2] –أحمد بن مصطفى بن عليوة: (برهان الخصوصية) المصدر السابق. ص – ص 2- 8.

[3] – المصدر نفسه. ص – ص 8- 21.

[4] – المصدر نفسه. ص – ص 22- 28 .

[5] – المصدر نفسه. ص – ص 28- 62.

مفتاح الشهود في مظاهر الوجود:

انتهى ابن عليوة من تأليفه في 15 شعبان 1322 للهجرة[1] الموافق لسنة 1904، النســـخة الحالية أسلوب الشيخ ابن عليوة في الكتابة مغيب.

المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية:

يذكر الشيخ عدة بن تونس[2] أن الشيخ حمو البوزيدي قد طرب بكتاب تلميذه هذا فكان يحب مطالعته << وأحيانا يمسكه فيجهش بالبكاء. ثم يضعه ويكثر من حمد الله على نجابة ابنه الذي أمده الله بفيوضاته، وأجرى الحكمة من قلبه على لسانه.>> مما يدل على جمعه قبل مرض أستاذه الذي استغرق أربع سنوات، فيكون بذلك تأليفه في حدود عام 1905. و لم يجد أي من كتب الشيخ الشهرة التي لقيها هذا الكتاب عند الأتباع، الذين اعتبروه برهانا على خصوصية الشيخ.

ولخدمة الصالحين كتب:

رسالة معراج السالكين ونهاية الواصلين:

عام 1901،[3] شرح فيها إحدى قصائد شيخه لما أنكر عليه البعض ما جاء فيها فاجتهد في تحقيق مقاصدها.[4] وقد صححها ونقحها يحي برقة دون أن يبن ما صححه لكنه لم يترك فيها شيئا من أسلوب الشيخ و لم يذر. ولنفس الغرض أيضا ألف الشيخ ابن عليوة كتاب:

المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية:

وقد انتهى من تأليفه في سبتمبر عام 1910. شرح فيه حكم أبي مدين شعيب، وقد نشر في جزأين، وهذا الكتاب لا ينسجم مع مستوى الكتابة الذي يمكن للشيخ أن يكتب بها في مختلف مراحل حياته فضلا عن أن يكتب به عام 1910.

وخلال الحرب العالمية الأولى أصدر أربعة رسائل[*] وهي: رسالة (الأنموذج الفريد...)، ورسالة (نور الأثمد...) و(لباب العلم...)و(دوحة الأسرار...).

أما رسالة الأنموذج الفريد الموصل لعين التوحيد في شرح النقطة المشيرة إلى الوحدة:

---

[1]– أحمد بن عليوة: كتاب مفتاح الشهود في مظاهر الوجود ،المطبعة العلوية بمستغانم، الجزائر: 1360. ص 91.

[2] المصدر نفسه. ص 10.

[3] - أحمد بن مصطفى العلاوي: معراج السالكين ونهاية الواصلين، ط2، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1992. ص 35

[4] - المصدر نفسه. ص- ص 10-11.

[*] ظن يحي برقة الذي حقق وقدم كثيرا من رسائل الشيخ وكتبه – أن الشيخ ابن عليوة لم يستأنف الكتابة إلا بعد نهاية الحرب العالمية الأولى، باستثناء ما كان ينظمه من قصائد ينشدها الأتباع في مجالس الذكر. ينظر– (الشيخ العلاوي المؤلف والكاتب الصحفي)، ملتقى التربية والمعرفة في مآثر الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي: المرجع السابق. ص 268.

فقد نشرها بتونس عام 1913 على نفقة الصادق الصحراوي والطاهر بن الحاج العربي واستعمل فيها مصطلح وحدة الوجود صريحا.[1] لكنه حين أعاد طبعها عام 1344 هجرية الموافق لسنة 1926، غير من عنوانها ليصبح:

الأنموذج الفريد المشير لخالص التوحيد:

وفي هذه الرسالة احتفظ بمتن الرسالة السابقة مع تغيير في بعض المصطلحات الأساسية التي حتما سبب له استعمالها متاعب، أو خشي من متاعبها فعوض مصطلح وحدة الوجود، بوحدة الشهود، والحضرة المحمدية، بالروح الأعظم.[2]

والرسالة الثانية هي: نور الأثمد في سنة وضع اليد على اليد

جاءت جوابا عن سؤال وجهه محمد المدني- وهو الأجدر بالإجابة – لشيخه عن حكم وضع اليد على اليد في الصلاة[3]، وما هو مذهب الإمام مالك وأصحابه المتقدمين في ذلك، فجاء الجواب في خمس وعشرين صفحة من الحجم الصغير، لم يشر إلى تاريخ تحريرها، كانت طبعتها الأولى بالمطبعة التونسية عام 1914. [4]هاجم فيها الفقهاء الذين علموا أن القبض في الصلاة سنة ثبتت عن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم أنهم إذا قاموا للصلاة تراهم سادلين أيديهم والحال أن المسلم متى تحققت لديه سنة وجب عليه العمل بها.[5]وهي خلاف الرسائل الثلاث الأولى لا تصدر إلا عن فقيه متمرس، مثل محمد المدني.

والرسالة الثالثة كانت :لباب العلم في سورة والنجم

انتهى من تأليفها عام (1333هـ)[6]الموافق لسبتمبر عام 1915، ونشرتها المطبعة الأهلية بتونس عام 1916 في ست وعشرين صفحة وتولى تصحيحها علي بن الصادق الصحراوي والطاهر بن الحاج العربي[7] ويبدو أن انتشارها كان محدودا كسابقيها(كتاب المنح) و(رسالة الأنموذج الفريد) مقتصرا

---

[1]– أحمد بن مصطفى بن عليوة: الأنموذج الفريد الموصل لعين التوحيد في شرح النقطة المشيرة إلى الوحدة، المصدر السابق. ص 5. ينظر الملحق رقم: تسعة.

[2]– أحمد بن مصطفى العلاوي: منهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن (الأنموذج الفريد المشير لخالص التوحيد)، المصدر السابق. ص 21.

[3] – أحمد بن مصطفى العلاوي: نور الأثمد في سنة وضع اليد على اليد في الصلاة، ط3، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1992. ص 6

1. [4] – التليلي العجيلي التليلي العجيلي: (صدى الطريقة العليوية بالبلاد التونسية بين 1920 و1934)، المجلة التاريخية المغربية، ع: 69 - 70، زغوان، ماي 1993. ص 148. (الهامش)

[5] – المصدر نفسه. ص ـ ص 7- 8.

[6]– أحمد بن مصطفى العلاوي: منهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن (لباب العلم في تفسير سورة والنجم)، المصدر السابق. ص 92.

[7]– التليلي العجيلي، المرجع السابق. ص 147. (الهامش)

على الأتباع. فخفي أمرها على السعيد الزاهري الذي اعتقد أنها نشرت لأول مرة عام 1927، بعد الاتصالات التي كانت للشيخ ابن عليوة مع الأب جياكوبيتي، منذ عام 1926 [1]

أما الرسالة الرابعة فهي: دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار

انتهى من تأليفها عام (1335) الموافق لعام 1917 جوابا لمحمد بن الحبيب بـــن الصـــديق الفاسي مما يدل على انتشار ذكر الشيخ في المغرب الأقصى.[2]

وفي التفسير إلى جانب تفسير سورة والنجم له تفسير مختصر لسورة العصر بعنوان:

رسالة مفتاح علوم السر في تفسير سورة والعصر

وسبب تأليفها كالعادة سؤاله من قبل بعض العلماء الأعيان أن يبسط له بعض الحـــديث في شأن ما يتعلق بسورة (والعصر) على طريق الفهم الخاص. في الطبعة الثانية ووضح بأنـــه زاد عليهـــا بعدم كانت من قبل لا تزيد عن بضعة أوراق وقد طبعت بمدينة تونس بواسطة أحد الأصدقاء.[3]وأهم الأصدقاء.[3]وأهم ما كتب في التفسير ما جاء بعنوان:

البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور

وهو من آخر ما أملاه الشيخ من كتبه، ولم ينشر لا في حياته ولا في حياة خليفته. وقـــد اتبـــع في تفسيره منهجية معينة وضحها بقوله: << ظهر لي في ترتيبه أن نذكر شيئا من (التفسير) الـــذي هـــو المقصود من كتاب الله، ثم نذكر ما (يستنبط من أحكامه) وهو أخص مما قبله، ثم نأتي بشـــيء ممـــا تتوسع فيه (الإشارة) على مصطلح أهل الله، ثم نذكر كلاما أخص منه، معبرا عنه بـــ (لسان الروح) وهي أنهار أربعة، تراهم (قد علم كل أناس مشربهم).[4]ونبه من أراد السلامة أن لا يشـــرع في هـــذا التفسير حتى يتذرع << بحسن الظن ما أمكنه، ولا يقيس ما يجد فيه على ما عنده، فإنه أبعـــد مـــن التطابق، لأن كلام الروح يباين كلام البدن، فأكثره بلسان الخصوصية...من قبيل التوجه والتلقي من حضرة الله، والمعنى أنه ليس هو من قبيل التكلف والتعسف<<[5]ويذهب في تفسيره مذهب الشـــيخ محي الدين ابن عربي من أن للقرآن حدا ومطلعا، وظاهرا وباطنا.[6]وهو الآخر عمل المحقق فيه محق لغة لغة الشيخ ابن عليوة في الخطاب.

---

[1]– أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة، ج1، المصدر السابق. ص- ص 296- 297.

[2]– أحمد بن مصطفى العلاوي: دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار، ط3، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1991. ص 37.

[3]– أحمد بن مصطفى العلاوي: منهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن(مفتاح علوم السر في تفسير سورة والعصر)، المصدر السابق، ص- ص 98- 99 .

[4] – أحمد بن مصطفى العلاوي: البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور، ج1، المصدر السابق. ص 13.

[5] – المكان نفسه.

[6] – محي الدين بن عربي: تفسير القرآن الكريم، تحقيق وتقديم، مصطفى غالب، المجلد الأول، ط: 3، دار الأندلس، بيروت: 1401هـ 1401هـ - 1981. ص 4. وفيه يقول<< قول النبي الأمي الصادق عليه أفضل الصلوات من كل صامت وناطق: << ما نزل مـــن القرآن آية إلا ولها ظهر وباطن، ولكل حرف حدٌّ ومطلعٌ <<.وفهمت منه أن الظهر هو التفسير، والبطن هو التأويل، والحد ما ينتهي

الديوان

جاءت طبعته الأولى بتونس (عام 1920) على نفقة الفقراء العلاويين. واهتم بتصحيحه، حسن الطرابلسي، وحسن بن عبد العزيز القادري التلمساني الذي قدم له الأول موضحا منهجيته في تصحيح الديوان بقوله: <<..فشرعت في جمع ما كان شاردا وألفت ما كان مشتتا بيد الإخوان...وأخذت في إصلاح ما كان متحرف [كذا] الألفاظ حسب طاقتي القاصرة وقلة الاستعداد. ثم استعنت بعد بمراجعة الأستاذ.>>[1] وحقق قصائده مشيرا لوجود أبيات لأتباعه.[2] ووقف عند مناسبة وظروف بعض قصائده، ورأي بعض العارفين فيها، دون أن يهمل ما أثبتت الأيام صدقه.[3] وأغلب قصائد الديوان من الشعر الصوفي شعر الرؤيا والتجربة، شعر يسبح في فضاء خاص، منفتح على المطلق اللانهائي. شعر يحدثك بلغة أخرى غير لغة شعر الأغراض الأدبية.

ولما اشتدت المعركة بين التيار الإصلاحي والتيار الطرقي، واجهه العلاويون بنوعين من الرسائل تتمثل في رسائل في الذب عن مجد التصوف، وأخرى في الفقه ليدفعوا عن أنفسهم تهمة إهمال الشريعة، ولذلك للذب عن التصوف أصدر:

رسالة القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف

طبعت على نفقة الفقراء العلاويين، وأشرف على الطبع والتصحيح كل من الحسن بن عبد العزيز، والحاج حسن الطرابلسي، بالمطبعة التونسية عام 1921. في السنة نفسها التي كتبت فيها، وكان جمعها بمدينة وهران.[4] وقد رد فيها على كتاب (المرآت[كذا] لإظهار الضلالات) للشيخ عثمان بن المكي، المدرس بجامع الزيتونة.[5] وكان الأخوان بغدادي قد نزلا عند الطاهر بن الحاج العربي الغرابلي مقدم زاوية سيدي الكشباطي واتفقا مع المطبعة التونسية في البلاط على طبع ما بين خمسة وثمانية آلاف نسخة وعرضت الرسالة للبيع بمكتبات الحاضرة بخمسة فرنكات للنسخة، ثم خفض ثمنها إلى ثلاث فرنكات فقط بطلب من الشيخ ابن عليوة تيسيرا لرواجها. وأُرسل الباقي طرودا بريدية إلى الشيخ بمستغانم.[6]

إليه الفهوم من معنى الكلام، والمطلع ما يصعد إليه منه فيطلع على شهود الملك العلام، وقد نقل عن الإمام المحق السابق جعفر بن محمد الصادق عليه السلام أنه قال: << لقد تجلى الله لعباده في كلامه ولكن لا تبصرون >>.

[1]- حسن بن عبد العزيز: ديوان العارف بالله والدال عليه أحمد بن مصطفى العلاوي، المصدر السابق. ص 3. (المقدمة)

[2] - المصدر نفسه. ص 24. وينظر هوامش الصفحات: 62. 64 . 73.

[3] - المصدر نفسه. ص 20. وينظر هوامش الصفحات: 15. 19. 21.

[4]- أحمد بن مصطفى العلاوي : رسالة القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف، المطبعة التونسية، تونس: 1339. ص 76.

[5]- المصدر نفسه. ص 2.

[6] - التليلي العجيلي: المرجع السابق. ص 146- 147.

رسالة الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف

جمع فيها محمد الهاشمي مقالات نشرتها صحيفة الـــبلاغ الجزائـــري بإمضـــاء << الناصـــر معروف>>[1] فجاءت الرسالة في مائة وست وعشرين صفحة ثم أضاف لها تقاريظا للعديد من العلماء الشام.

رسالة القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد:[2]

هي الأخرى رسالة جمعها محمد الهاشمي ونشرها بدمشق عدد صفحاتها ثلاث وستين صفحة، منـــها خمس وعشرون صفحة وهي عبارة عن مقالات نشرت في البلاغ الجزائري،[*] وباقي الصفحات تقريظ العلماء للرسالة.

وله في الفقه والتوحيد عدة رسائل ظهرت في وقت تشعبت فيه انشغالات الشـــيخ، وزادت معركة أهل الفقر وأهل الفقه حدة، فكان الاهتمام بقضايا الشريعة أكثر من ضرورة لحفـــظ الـــدين ورد التهمة وهي:

1. القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول

وهي رسالة في التوحيد كتبها الشيخ 1331 من الهجرة[3] الموافق لعام 1913، فلم يتجـــاوز عـــدد صفحاتها التسع صفحات.

2. رسالة مبادئ التأييد في بعض ما يحتاج إليه المريد

واشتملت على بيان معنى الدين وأركانه.[4] ومعنى الإسلام وأحكامه،[5] والإيمان وأركانـــه،[6] وكتـــاب التوحيد.[7] واستحوذ كتاب الطهارة[8] على نصيب الأسد من الكتاب.

3. المنهج المفيد في أحكام الفقه والتوحيد

اشتملت على مقدمة في طلب العلم، والتعريف بالمكلف والعقل والحكم الشـــرعي والبلـــوغ.[9] ثم كتاب التوحيد[1]. وكتاب الإيمان.[2] وكتاب الصلاة.[3]

---

[1]- أحمد بن مصطفى العلوي: الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف، ط1، مطبعة التوفيق، دمشق: 1931. ص – ص 2- 3.

[2] – أحمد بن مصطفى العلوي: القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد، ط1، مطبعة الاعتدال، دمشق: 1931.

[*] المقالات كانت قد نشرت في صحيفة البلاغ الجزائري، الأعداد: 69-70-71.

[3] – أحمد بن مصطفى العلوي: القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول، مطبعة النهضة، تونس: د . ت . ص 10.

[4] – أحمد بن مصطفى العلاوي: مبادئ التأييد في بعض ما يحتاج إليه المريد، ج1، ط3، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1989. ص 9.

[5]- المصدر نفسه. ص 10- 16 .

[6] – المصدر نفسه. ص 17- 20

[7] – المصدر نفسه. ص 21- 46 .

[8] – المصدر نفسه. ص 47- 109.

[9] – أحمد بن مصطفى العلاوي: المنهاج المفيد في أحكام الفقه والتوحيد، ط1، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1997. ص 9.

4. الرسالة العلاوية في البعض من المسائل الشرعية

وهي قصيدة حوت قضايا الفقه المالكي، وقد سار فيها على نسق الشيخ الخليل في مختصره، وتضم ألف بيت.[4]

الأبحاث العلوية في الفلسفة الإسلامية

ضمن ابن عليوة رسالته هذه سبعة وعشرين بحثا، سماها في مقدمة الكتاب (الأبحاث الابتدائية، في التعاليم العلاوية)[5]وقد جاءت الرسالة في ثلاث وثلاثين صفحة وقد تولت نشرها جمعية أحباب الإسلام بباريس مع ترجمتها للغة الفرنسية.

مخطوطة الأجوبة العشرة[6]

جاءت ردا عن أسئلة عشرة[*]وجهها شارل طابيي(عبد الرحمان طبي) للشيخ واشترط في تحرير إجابتها منهجية معينة، وتعهد بأن يتولى هو ترجمتها للفرنسية. ويبدو أن الشيخ ابن عليوة لم يجد من يملئ الفراغ الذي خلفه وفاة شارل طبيي و لم يجد بين أتباعه الأوربيين من يقوم مقامه، حتى

---

[1] – المصدر نفسه. ص 14- 34.

[2] – المصدر نفسه، ص 35- 63.

[3] – المصدر نفسه. ص 63- 297 –هيمنت أحكام الطهارة على أغلب صفحات الرسالة من الصفحة 85 إلى الصفحة 294.

[4] – السلام بن أحمد الكنوني: من تراث الطريقة العلوية الصوفية أضاميم المد الساري في صحيفة البلاغ الجزائري، ج1، ط1، قدم له وحققه: عبد السلام بن أحمد الكنوني، راجعه وأشرف عليه: عدلان خالد بن تونس، شركة نشر المهدية ش.م. طنجة ص 10.

[5] – أحمد بن مصطفى العلاوي: الأبحاث العلاوية في الفلسفة الإسلامية، أحباب الإسلام، باريس: 1984. المقدمة.

[6] – ذكر عدة بن تونس أن لشيخه كلمة في أجوبة كان يأمل تسميتها (بالأجوبة العشرة) ولكنها لم تتم و لم يحرر منها إلا أربعة. ينظر– الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص. 137./ ويضيف عدة بن تونس أنها جاءت إجابة عن أسئلة عشرة ألقاها عبد الرحمن طبي الذي طلب منه أن يجيبه عنها كتابة ليترجمها إلى اللسان الفرنساوي ولكنه لسوء الحظ توفي قبل إنهائها/ الشهائد والفتاوى، المصدر السابق، ص: 61./ نقلا عن جريدة التقدم ع: 11.

[*] تمثلت الأسئلة العشرة كما نقلها الحسن بن عبد العزيز عن السائل بعد أن ترجمها للشيخ فيما يلي:

الأول منها هل الإسلام يضمر سوءا لمن سواه من الأمم أو يسمح بالمودة والبرور؟

الثاني ما هي عقيدة الإسلام في الأناجيل الموجودة الآن بين أهلها ؟

الثالث هل ترون أن المسيحيين يلزمون باعتناق الدين الإسلامي أم لا ؟

الرابع هل أحكام الإسلام تطابق المدنية العصرية أم لا ؟

الخامس هل يوجد في الأحكام الشرعية منافع دنيوية زيادة عن كونها تعبدية ؟

السادس ما هي عقيدة الإسلام في الإله وما هي دلائل وجوده عندكم ؟

السابع ما هي عقيدة الإسلام في محمد عليه السلام وما هي دلائل نبوته ؟

الثامن ما هي فائدة الأمة الفرنسوية لو اعتنقت الدين الإسلامي على التقدير؟

التاسع هل يوجد في الإسلام من الرخص ما يوافق حال المبتدئين إن قصدوا الدخول فيه؟

العاشر بأي قول أو فعل يلزم من أراد اعتناق الإسلام بحيث يكون كافيا له في كونه مسلما؟

– مخطوطة الأجوبة العشرة، هامش الصفحة الأولى./ ينظر – الملحق رقم: اثنا عشرة.

أنه في عام 1926 اقترح على الأب جياكوبيتي أن يتعاون معه في ترجمته فقبل الفكرة مبدئيا[1] لكن هذا التعاون لم يتم تجسيده على أرض الواقع، وحتما لن يقبل هذا الأب التعاون لترجمة مثل ذلك العمل وهو رجل الدين المسيحي. المخلص لدينه وقضيته، ولن يكون أداة لتحقيق مشروع هدفه <<دعوة اروبا بتمامها إلى اعتناق الملة الحنيفية السمحة >>[2].

ولم ير هذا المشروع النور واكتفى باقتباس مقالات من الجوابين الأول والرابع قام بنشرها في صحيفة البلاغ الجزائري[3]. كما نشر مقدماتها الشيخ عدة بن تونس ضمن كتاب الروضة السنية. أما الأجوبة فلم تنشر كاملة ولم تترجم إلى الفرنسية إلى يومنا هذا، ولعلها لن تتم ترجمتها، مادام قد تعرض فيها بصراحة وحرية ضمير لموقف الإسلام من الأديان السماوية، ونظرته للجهاد، وموقف الإسلام من المدنية الحديثة، وخاصة مسائل: المرأة والاختلاط وتعاطي الخمور والتعليم الإجباري.

ولم يترجم منها إلا مقدماتها من طرف باسكال بن والي، مع الإشارة لبعض محتويات الأجوبة الأربع.[4]

المبحث الخامس: وصيتا الشيخ حجه ووفاته

أولا: الوصية الأولى (1929)

لما اشتد المرض بالشيخ ابن عليوة منذ عام 1929،[5] الذي أصبح يتعرض لأزمـــات حـــادة هددت حياته بالخطر مما جعله يفكر جديا في مصير الطريقة بعده ، فبادر إلى تسجيل وصيته الأولى التي عين فيها عدة بن تونس مسيرا لأملاك الزاوية تحت الرقابة الثنائية لابن زفيطة عبد القادر، وابن اسماعين أحمد.[6]

وعندما كان في فترة نقاهة بغليزان في عام 1929 استطلعت رأيه الجريدة الفرنسية المسماة: الصحافة الحرة (لابريس ليبر) في موضوع الاحتفال المئوي الذي تستعد فرنسا لإحيائه، وسألته عن ما يراه مناسبا لإحياء الذكرى[7]. ولم يؤخذ برأيه في شيء لا في ما حذر منه ولا فيما اقترحه.

---

[1] –Augustin Berque: op-cit, p 738

[2]– عدة بن تونس: الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 35.

[3] – أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري، ج1، المصدر السابق .ص- ص 163-170

[4] – Pascale M. Benouali-Rickenbacher: op-cit. p 17

[5]– محمد المدني القصيبي: (الأستاذ العلوي)، البلاغ الجزائري ، ع: 111، 10 شوال 1347- 22 مارس 1929./ أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 311.

[6]- SLNA: op-cit. p 118

[7] - (مقابلة): البلاغ الجزائري، ع: 127. مستغانم: 11 صفر 1348– 19 جويلية 1929.

ثانيا: حجه وسياحته ببلاد الشام(1930)

لاشك أنه تحت وطأة المرض الذي جعله يشعر بدنو أجله، ولعله أيضا تملصا من حضور الاحتفال المئوي، اختار الشيخ ابن عليوة عام 1930 لأداء فريضة الحج مع جماعة من مريديه وقد وافقت وقفة عرفات ذلك العام يوم الثامن ماي. وبعد أدائه لمناسك الحج والعمرة، وفي طريق عودته للجزائر

افترق عن أتباعه في منطقة السويس حيث واصل أتباعه طريقهم للجزائر إلا تلميذه عدة بن تونس فقد ظل مع الشيخ ابن عليوة ليكون في خدمته خلال مدة إقامته ببلاد الشام، واختصاص الشيخ ابن عليوة بعدة بن تونس دون سواه لخدمته استدل بها محمد الهاشمي التلمساني على خصوصية مكانة عدة بن تونس عند شيخه.[1]

زار ابن عليوة خلال سياحته ببلاد الشام بيت المقدس، أولى القبلتين وثالث الحرمين الشريفين في ظرف ميزته أحداث ثورة البوراق 1929[*] التي شهدتها القدس، وقد قدمت لجنة تحقيق دولية أوفدتها عصبة الأمم، فقدم في جوان 1930 للدفاع عن إسلامية البراق أو الشهادة أمامها، قدم على فلسطين علماء من مصر وسورية ولبنان والعراق وجاوة والهند وإيران وتركيا. في ذلك الوقت مر الشيخ ابن عليوة بالمنطقة ولا نعرف أي شيء عن موقفه منها. ثم توجه إلى دمشق ونزل عند محمد الهاشمي التلمساني الذي كان يواجه مشاكل إثر وفاة شيخه محمد بن يلس، فأخذ العهد على الشيخ ابن عليوة الذي أذن له في للإرشاد بدمشق والشام، وأصبح ممثل الشيخ ابن عليوة في المنطقة. وبعد عودة من سياحته التي قادته من الشام إلى مرسيليا، نزل بمدينة الجزائر وأقام بها يومين للراحة ثم عاد إلى مستغانم.

ثالثا: الوصية الثانية (1931)

جاءت وصية الشيخ ابن عليوة الثانية في ظرف ميزه تزايد المتاعب الصحية للشيخ الذي اتصلت أيام مرضه وبنفس القدر تفاني عدة بن تونس في خدمته، وكما هو وارد في أدبيات القوم ما حاز على رضا الشيوخ إلا من خدمهم. وبالفعل غير الشيخ ابن عليوة وصيته الأولى في21 سبتمبر 1931، ليصبح عدة بن تونس بموجب الوصية الثانية قيما على ممتلكات زاوية تيجديت وعقارات أخرى

---

[1] – شهادة محمد الهاشمي للشيخ عدة بن تونس موجهة لرئيس جمعية النهضة الصوفية . ينظر الملحق رقم: سبعة.

[*] نسبة لحائط البوراق كما يسميه المسلمين، أو حائط المبكى عند اليهود، اندلعت أحداثها، وقد ساد فلسطين هياج وخرج اليهود في مظاهرة صاخبة يوم 15 أوت 1929 واتجهوا نحو الحائط ورفعوا العلم الصهيوني وهتفوا (الحائط حائطنا)، رد عليها المسلمون بمظاهرة عنيفة في اليوم الموالي، تحولت مع مرور الأيام من مواجهات فردية في مع اليهود الحرم الشريف، إلى مشادات عنيفة بين المسلمين واليهود،و تعرض المسلمون للقمع البريطاني، لكن مختلف التقارير وآخرها تقرير لجنة البراق الدولية الصادر في ديسمبر 1930، أثبت ملكية المسلمين للحائط لكونه جزءا من الحرم الشريف.

عينها الشيخ في وصيته لكن هذه المرة دون رقيب. وفيها نلاحظ أن الشيخ لم يطلق اسم الزاوية إلا على زاوية تيجديت، وسمى الباقي بأسمائها الحقيقية.

وقد نصت الوصية الثانية على حبس جميع ما يملكه الشيخ من دور وعقار وأثاث بزاويته الكائنة بمستغانم بضاحية تيجديت، ويعني بذلك المسجد وما اتصل به من البيوت، حبس المسجد على المصلين عموما وعلى العلاويين خصوصا يجتمعون فيه للذكر والصلاة وتلقي الدروس.

كما حبس الدور المتصلة بالمسجد والخارجة عنه، وبستان الدبدابة والدار الكائنة بشاطئ البحر، وما يتبعها من الأراضي، و(البحائر) الموجودة حذو الدار من الجهة الفوقية، والدار الكائنة بالجزائر بسانت أوجين، وبقية الأراضي الكائنة بعرش زغير وقطاره ومينا وتاحمدة.

وحبس على زوجته بالورقة مغنية بنت علي نفقة غير مضيقة مع سكنها، وأثاثها ما لم تتزوج. وللمحبس والمتصرف حق استبدال مكان بمكان إذا تحقق أن في ذلك فائدة الحبس.

وخص عصبته بخمسة وعشرين ألف فرنك، مع منحة باختيار المحبس شرط موافقتهم على الحبس.[1]

فأثارت تلك الوصية - نظرا لقيمتها المادية والمعنوية- مشاكل وصراعات بين أعيان الطريقة كانت لها انعكاسات خطيرة على مسار ها وعلى إشعاعها لكنها ظلت مكبوتة لتظهر عنيفة اثر وفاة الشيخ ابن عليوة . كما رفضها أبناء عمومة الشيخ ابن عليوة وهم الذين أرادوا أن يرثوا أملاك وعقارات الزاوية، فرفضوا ما جاء في الوصية.

رابعا: وفاة الشيخ ابن عليوة (14 جويلية 1934)

أصيب الشيخ في آخر حياته بمرض ذي الجنب الذي توفي به،[2] في 14 جويلية عام 1934، وقد تولى تغسيله وتكفينه، مقدم تلمسان العربي التشوار.[3] ودفن الشيخ بزاويته بتيجديت، وبوفاة (المرشد الحي) فقد الحسن بن عبد العزيز وجماعته أهم عامل جمعهم ووحد وجهتهم ووجه جهودهم صوب غاية واحدة.

فهل كانت عملية إعادة دفن* رفات الشيخ في (14 جويلية 1946)[4] إيذانا بتجاوز الشيخ عدة بن تونس للأزمة التي كادت تعصف بالطريقة؟ وإن كان الأمر كذلك ما هو الثمن الذي دفعه الشيخ

---

[1] Ben Allioua Ahmed: Hobous n° 763, Mostaganem, 21 septembre 1931.

[2]- محمد بن صالح التمسماني: الحلل المرضية على الرسالة العلاوية، ط2، المطبعة العلوية ، مستغانم: د ت. ص - ص 20 – 21.

[3]– عدة بن تونس: الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 81.

* عن أسباب إعادة الدفن يذكر أعيان الطريقة أن الشيخ ابن عليوة كان قد دفن في وسط الغرفة التي كان يخلو فيها لنفسه للذكر والكتابة، وكان الفقراء عند زيارة قبره يطوفون حوله، فكان أن رأى الشيخ عدة بن تونس، شيخه في المنام يأمره بوضع حد لذلك، فأعاد دفنه في نفس الغرفة لكن بمحاذاة الجدار وبشكل يستحيل معه على الفقراء الطواف حوله.

[4] - Salah khelifa: op-cit. p 360.

عدة بن تونس حتى تجاوز الأزمة؟ وهل سيكتفي أتباع الشيخ ابن عليوة المعتزين بالمرشد الحي بالتبرك بالأموات؟ وهل سيواصلون رسالة المرشد المجدد أداء للأمانة؟ أم ستعمل فيهم يد الاستعمار كعادتها لتوسيع شقة الخلاف بين الأخوة المتنازعين حتى يستحيل رأب الصدع؟ ثم كيف كانت انعكاسات هذا الشقاق على الطريقة وعلى مشروعها التجديدي الإصلاحي؟



[1]



[1] - vitamine dz .com

خاتمة الفصل

لم تكن رحلة ابن عليوة إلى الأستانة صدفة كما صور لنا بل كانت مدروسة معروفة المسار محددة الهدف سلفا، كما لم يكن اصطحابه لفقير مغربي غريبا عن الجزائر وتونس اعتباطا بل كـــان لأداء مهمة في غاية السرية، وكللت بعدة نجاحات أولها العثور على مطبعة اتفق معها على طبع كتابه (المنح القدوسية...)، والنجاح الثاني تمكنه من كسب جماعة الصادق الصحراوي، مع جماعـــة مـــن طلبة الزيتونة سلبوا له الإرادة وأخذوا عنه العهد. ومع ذلك تركهم إلى طرابلس ومنـــها للأســـتانة رغم هيجان البحر وانعدام الرفيق، سافر إلى بلد يجهل لغته ليحصل على ما هو إليـــه في احتيـــاج، ورغم أنه يقول بأنه اكتفى من رحلته تلك من الغنيمة بالإياب، فإن حياته بعد العودة تشهد مســـارا آخرا ، فيبدأ مشوار شيخ التربية الذي كلله بمشروع المرشد المجدد.

ومن براهين خصوصيته، الكتابات التي نسبت له رغم أنه شبه أمي بشـــهادات متـــواترة، ولكن مهما كانت إمكانيات الشيخ ابن عليوة في الكتابة متواضعة وقدرته على التأليف محدودة، فإنه كان يكتب فعلا ومستواه الحقيقي تعكسه بصدق مخطوطة برهان الخصوصية التي أملاهـــا قبـــل أن يكسب علماء في صفوف أتباعه، علماء قادرين على صياغة أفكاره صياغة سليمة أو تصـــحيحها، و لم يعتن أتباعه بطباعتها مما مكننا من معرفة مستوى الكتابة الحقيقي للشيخ على الأقل قبـــل عـــام 1911.

غير أن بعض كتب الشيخ مثلما اشتهر بها شهَّرت به، مثل ديوانه الشعري، فكان ينبغي أن تظل محدودة الانتشار، مقتصرة على الأتباع، يتم تداولها منسوخة أو مطبوعة في نطاق محدود، لكن توزيع بعض مؤلفاته على المكتبات وإطلاع غير الطرقيين عليها، جرَّ على الطريقة حمـــلات واســـعة جعلتها في موضع الدفاع عن النفس، دفاعا استغرق منها جهدا، وكان من أبرز نتائجـــه إصـــدارها صحيفة لسان الدين الأسبوعية عام 1923 و نشر كتاب الشهائد والفتاوى عام 1925، ثم أسبوعية البلاغ الجزائري أواخر عام 1926. لكن التحدي الأكبر المتمثل في الإعلان عن ظهور المجـــدد لـــن يتأتى ذلك دون المجازفة بنشر تلك المؤلفات على خطورة ما فيها. وبدأ الشيخ ابن عليوة يبرز وطنيا ودوليا كمصلح حتى غدت شهرته المصلح أوسع من شهرة الولي مرشد، وإن كان الوجهان لعملـــة واحـــدة.

الفصل الثالث: الطريقة العلاوية في الجزائر ومقاصدها وتنظيمها

المبحث الأول: الطريقة العلاوية ومقاصدها

المبحث الثاني: الهيكل التنظيمي للزاوية

المبحث الثالث: أهم زوايا الطريقة في الجزائر وممتلكاتها

المبحث الأول: الطريقة العلاوية ومقاصدها

توحيدا للمصطلح اخترت استعمال اسم الطريقة العلاوية، وهي التسمية التي يصر أتباع الطريقة حاليا على استعمالها بدل العلوية أو العليوية،* لكني لم أعتمده من باب مجارات القوم وإنما لأسباب موضوعية يمكن حصرها في سببين هامين هما:

السبب الأول: يتمثل في أن هذا الاسم ارتبط بالطريقة ومؤسسها منذ إعلان الشيخ ابن عليوة تصدره لإرشاد الأمة، وأنه المجدد على رأس القرن منذ عام 1920، فقدم الشيخ في الديوان الذي جمعه وحققه حسن بن عبد العزيز[1] باسم العلاوي، واستعمله أيضا في مخطوطة الأجوبة العشرة. واسْتعُمِل أيضا في أغلب كتب ورسائل الشيخ المطبوعة في تونس وخاصة كتاب الشهائد والفتاوى.

السبب الثاني: يتمثل في تفادي أي التباس وتداخل بين العلوية الشيعية، أو الأشراف العلويين والطريقة العلاوية موضوع الدراسة، كما حدث عندما أعاد عميور محي الدين الهلالي القسنطيني نشر كتاب المنح القدوسية، والذي ورد فيه عند التعريف بصاحبه تلاعبا مغرضا بالتسمية.*

أولا: تعريف الطريقة

ما هي الطريقة عند القوم؟ وما خصوصياتها عند العلاويين؟

الطريقة هي المذهب والمنهج الذي ارتضاه أهل التصوف في سيرهم إلى الله والذي يقتضي منهم التخلي عن كل مذموم وتجاوز كل عائق والتدرج في مدارج الكمال.[2] ولا تُتلقى إلا من صدور الرجال لأنها علم أذواق وأحوال لا علم أوراق وأقوال، أما ما كتب في السطور فما هو إلا إشعاع ما في الصدور ولا يستفيد منه إلا مجرد الإيمان به والمُسَلِّم لأهله ومن جاء إلى تآليفهم بقلب سليم أما من أتاها ونظرها بعين الانتقاد فلا يرجع إلا بالطرد والإبعاد.[3]

---

* عند مراعاة الاشتقاق من اسم مؤسسها ابن عليوة يكون الصواب تسميتها بالطريقة (العليوية)، ومع ذلك فإن صحيفة البلاغ الجزائري كانت لا تستعمل إلا تسمية (العلوية)، قد يكون الدافع إلى ذلك استسهال النطق به. ينظر- التليلي العجيلي: المرجع السابق. ص 143.

[1]– أحمد بن مصطفى العلاوي: ديوان العارف بالله والدال عليه، المطبعة التونسية، تونس: 1339. ص 3.

* ويتضح التلاعب بالتسمية في بعض العبارات التي قدم بها للكتاب ومنها قوله: <<مولانا المؤلف الكبير، والفرد الجامع القطب الشهير الشيخ الأستاذ سيدي أحمد بن مصطفى **العلوي الحسني** المستغانمي الجزائري>> ينظر- أحمد بن مصطفى بن عليوة: المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية، ط2، المطبعة الوطنية، مصر، 1355هـ. ص (أ) **المقدمة**.

وللتأكيد على أن الشيخ من الأشراف كتب << جدد طبع هذا الكتاب على نفقة الفقير إليه تعالى: (محي الدين الفاني بن الهلالي القسنطيني الجزائري بالأزهر الشريف، والمحب في الله...محمد صلاح عبد اللطيف الفالوجي الفلسطيني... إكراما لأبناء **النسبة العلوية الحسنية** >> ينظر- المصدر نفسه. ص (ب).

[2] – عبد الرحمن بن خلدون: المقدمة، مطبعة عبد الرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية، القاهرة:د.ت ص 333.

[3]– الحسن بن عبد العزيز: المصدر نفسه. 47.

وعرف الشيخ ابن عليوة الطريقة، بأنها تطبيق لأحكام الشريعة ظاهرا وباطنا، بهدف التحقق وبلوغ مرتبة العرفان بقوله: >>الشريعة هي عبارة عن الأحكام المنزلة على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، المستفادة من قوله تعالى: (وما آتاكم الرسول فخذوه، وما نهاكم عنه فانتهوا)[1]والطريقة، عبارة عن تطبيق تلك الأحكام على أعمال المكلف ظاهرا وباطنا، تطبيقا محكما، والحقيقة هي ما يحصل للمريد من المعارف والعلوم الناشئة عن أعماله، قال تعالى (واتقوا الله، ويعلمكم الله)[2]<<[3]

أما الطريقة العلاوية بالجزائر فقد عرفها المريد العلاوي اليمني والمقيم بإنجلترا محمد علي المرادي[4] بأنها:>>عبارة عن حزب ديني يدعو إلى المحجة البيضاء التي ليلها كنهارها ويدعو إلى الأخوة الإسلامية والسلام، ومن الناس من شعر بهذه الفضيلة وتعلق بالنسبة...ومن الناس من لم يزل مغمورا في نومه لم يخط ولو خطوة واحدة نحو حياته القلبية وهؤلاء هم الذين تشكل من سوادهم الأحزاب السياسية المختلفة الأشكال والألوان<<

وهو هنا يعرف بالدور المزدوج الذي لعبته الطريقة على الساحة الوطنية خاصة، بعد اشتهار شيخها بالمرشد المجدد، وعكس جوانبا من برنامجها ومشروعها الإصلاحي التجديدي، والذي سنتعرف عليه في الفصل الخامس من البحث، وكذلك واقعها التنظيمي وثقلها على الساحة الوطنية آنذاك. فهي لم تعد مجرد تعاليم، وأوراد وأذكار تنحصر مقاصدها في المكابدة والمجاهدة والمشاهدة، للسلوك أولها أذكار ووسطها أنوار وانتهاؤها أسرار.[5]

وإنما تطورت مع مرور الوقت من طريقة تقليدية يطغى على نشاطها طابع السرية، إلى حزب ديني، يشمل الطائفة العلاوية التي يرأسها الشيخ ابن عليوة الذي تجرد لخدمته وخدمة الطريقة متجردون من الخاصة والعامة، كما كان له مجلس استشاري يساعده في تسيير شؤونها، يتمثل في أتباعه من منطقة مستغانم في الأمور الطارئة، ويتسع أحيانا ليشمل إلى جانب كتابه كبار المقدمين والدعاة المذكرين وأعيان الطريق القائمين على خدمتها ماديا ومعنويا. كما كان له سفراء ومبعوثون إلى الخاصة في الجزائر وخارجها، فضلا عن الذين يبثون دعوته وينافحون عنها بين العامة، وله برنامج إصلاحي قائم على عدم التدخل في السياسة، والأخوة الإسلامية والسلام، وإحياء السنة، ومحاربة البدعة بالمفهوم الطرقي.

وكان هدف أتباعه في مطلع العشرينات الدعوة إلى انضواء أتباع الطرق الصوفية الأخرى تحت لواء المجدد المرشد العارف الحي بدل الاكتفاء بالتبرك بالأموات. تجلى ذلك في دعاية أتباعه في المنتديات العامة، وفي كتاب كاتبه الحسن بن عبد العزيز (إرشاد الراغبين إلى ما احتوت عليه الطريقة من الفتح

---

[1] – سورة الحشر، الآية: 7.

[2] – سورة البقرة ، من الآية: 282.

[3] - أحمد بن مصطفى العلاوي : أعذب المناهل في الأجوبة والرسائل، المصدر السابق. ص 67.

[4] – (عشرة أشهر من بين الاخوان)، المرشد، ع: 24، الجمعة 1 جمادى الثاني 1368. ص 4.

[5] – الحسن بن عبد العزيز: المصدر السابق. ص 27.

المبين) ومقالات لسان الدين التي عرض على صفحاتها لأول مرة مشروعه الإصلاحي. وكلها تقدمه على أنه الساقي المجدد الأوحد في ذلك العصر كما صرح بذلك في ديوانه.

ولما أصدر البلاغ الجزائري نجده يقبل أن يختص مع حزبه الديني بجانب من جوانب الإصلاح ألا وهو التجديد الديني الإيماني، ويتعاون مع مختلف فعاليات المجتمع الجزائري لإصلاح أوضاع المسلمين، بالمحافظة على هويته الإسلامية وإظهار شعائر الدين. دون السماح بأي شكل من أشكال الصدام مع الحكومة الاستعمارية وقبل من فرنسا أن تمنحه وحزبه رخصة إنشاء جمعية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، تستمد سلطانها من هيبة فرنسا للقيام بهذه الوظيفة بين المسلمين، ولكنها لا تريد أن تكون عميلة للاستعمار بل يطمح شيخها إلى أسلمة فرنسا، ومساعدته على دعوة أوربا للإسلام وتحسين صورته لدى الغرب.

وكانت الزوايا بمثابة المقرات لأتباع هذا الحزب وأبناء الطائفة ومحبيها، وكانت صحيفتا لسان الدين والبلاغ الجزائري، لسان حاله. قدمتا لبرنامجها، ودعتا للالتفاف حوله، ودافعتا عنه. ومن هذا المنطلق اعتمدنا عنوان الطريقة العلاوية للدلالة على هذا الحزب المنظم ومشروعه التجديدي الإصلاحي إلى جانب دورها التقليدي المتمثل في تسليك المريدين.

ثانيا: مقاصد الطريقة العلاوية

حتى يرتبط المريد العلاوي بسلسلة أهل الله فيكون أهلا لما يلقى إليه، فإن أول ما يلقنه الشيخ ابن عليوة لمريده كان الورد العام كما أخذه هو عن شيخه حمو الشيخ البوزيدي، وبسر التلقين المسلسل يأخذ المريد حظه ونصيبه من النور النبوي، ثم يأمره بالاشتغال بما يعود عليه بالنفع من فقه وآداب وتربية القلب على المحبة والانقياد ويستمر إلى أن يسري فيه نور الذكر ويطمئن به قلبه فتنفتح بصيرته بالذكر الخاص فيرى من الأسرار الربانية والمعارف الإلهية المتدفقة عليه من حضرة الغيب بفضل الطريق، ثم يعمر أوقاته بإدامة الفكر والتفكر والاعتبار. وبقدر المنة والاستعداد يتفاوت الذاكرون في الفهم والاستغراق في معرفة الله لكن الجميع لا يعدمون حظهم من التوحيد الخاص[1] وليتحقق سر التلقين المسلسل لا بد من تحقيق سند الطريقة، والتأكد من اتصال حلقاته إلى أن تتصل بسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم.

ويجب على كل منتسب إلى القوم أن يحقق مستنده لأن الحقائق لا تؤخذ من كل ذي دعوة إلا بعد تحقق انتسابه على الوجه الأكمل. فما هو سند أو سلسلة الطريقة العلاوية؟

[1]– الحسن بن عبد العزيز: المصدر السابق. ص– ص 27-28.

1- سند الطريقة العلاوية

كان الشيخ ابن عليوة أول من أورد سند الطريقة العلاوية نثرا ثم نظما في مخطوطة برهان الخصوصية، ولكن قصيدة أهل السلسة[1] لم تنشر في الطبعة الأولى للديوان رغم سهولة الوصول إليها، وذلك بسبب عدم استيفائها لشرط اتصال السند. لذا اعتنى [2] أحد كتاب الشيخ ابن عليوة بتحقيقه وأورده على لسان شيخه كما يلي: <<...سيدنا ومولانا محمد بن الحبيب البوزيدي الشريف المستغانمي ...فعنه رضي الله عنه أخذنا، وهو أخذها عن أستاذه أبي المواهب مولانا محمد بن قدور الوكيلي[3]عن سيدنا محمد بن عبد القادر الباشا[4] وعن أبي يعزى المهاجي.[5]وهما عن سيدي العربي بن أحمد الدرقاوي. عن سيدي علي الجمل.عن سيدي العربي بن عبد الله.[6]عن سيدي أحمد بن عبد الله.عن سيدي قاسم الخصاصي.[7]عن سيدي محمد بن عبد الله. عن سيدي عبد الرحمان الفاسي.عن سيدي يوسف الفاسي. عن سيدي عبد الرحمان المجذوب. عن سيدي علي الصنهاجي. عن سيدي إبراهيم الفحام.[8]عن سيدي أحمد زروق. عن سيدي أحمد الحضرمي.[9]عن سيدي يحي القادري.عن سيدي علي بن وفا. عن أبيه سيدي محمد وفا.[10]ن سيدي داوود الباخلي.[11] عن سيدي أحمد بن عطاء الله.عن سيدي أبي العباس المرسي.عن سيدي أبي الحسن الشاذلي. عن سيدي عبد السلام بن مشيش. عن سيدي عبد الرحمان العطار الزيات. عن سيدي تقي الدين الفقير بالتصغير فيها. عن سيدي فخر الدين. عن سيدي نور الدين أبي الحسن علي. عن سيدي محمد تاج الدين. عن سيدي محمد شمس الدين. عن سيدي زين الدين القزويني. عن سيدي إبراهيم البصري. عن سيدي أحمد المرواني. عن سيدي سعيد.عن سيدي سعد.عن سيدي فتح السعود. عن سيدي سعيد الغزواني. عن سيدي أبي محمد جابر.عن سيدي الحسن بن علي. بن سيدنا علي بن أبي طالب

---

[1] – برهان الخصوصية، المصدر السابق. ص 24- 28.

[2] – الحسن بن عبد العزيز : المصدر السابق. ص 40- 42 .

[3] – في المخطوطة << محمد بلقدور الوكيلي >> .

[4] – ساقط من المخطوطة .

[5] – في المخطوطة << عن سيدي أبو عزة المهاجي >> هل هو نفسه أبو يعزى؟

[6] – في المخطوطة << العربي بن احمد >> .

[7] – في المخطوطة << عن ابو الفيض سيدنا قاسم الاخصاصي >> .

[8] – في المخطوطة << عن سيدي محمد بن ابراهيم الفحام >> .

[9] – ساقط من مخطوطة برهان الخصوصية ويوجد بدلا منه << أبو محمد احمد بن عقبة >> .

[10] – وردت في المخطوطة كما يلي: << عن سيدي علي وفا رضي الله عنه، عن ابنه[كذا] محمد بحر الصفا >> .

[11]– << عن سيدي داود ابن [كذا] باخلي >>

رضي الله عنه وكرم وجهه. عن سيد المرسلين سيدنا ومولانا محمد بن عبد الله[1]عليه أفضل الصلاة وأزكى التسليم.>>

2- البيعة (أخذ العهد والتلقين) والإذن

عندما يلتحق المريد بالمرشد ليتعهده بالتوجيه والإرشاد إلى الطريق الحق، فيضيء له ما أظلم من جوانب نفسه ليعبد الله على بصيرة وهدى ويقين، فيبايعه المريد على طاعة الله ورسوله والمواظبة على الأذكار وما يترتب عليها من سلوك وآداب وأن يأتمر بأوامره.[2]وبتلقين الشيخ للمريد الأوراد وإذنه له بذكرها يدخل في سلسلة القوم، ويصبح كأنه حلقة من حلق السلسلة الحديد، إذا تحرك في أمر تحركت معه سائر السلسلة.[3] لذا يسمي الصوفية البيعة والإذن والتلقين باسم (القبضة)، يتلقاها واحد عن واحد، يقبض كل منهما يد الآخر، فكأنما التقى السالب بالموجب فارتبط التيار واتصل السند ونفذ التأثير الروحي المحسوس المجرب.[4]

وعند أخذ العهد>>ينبغي للمريد أن يجلس أمام المرشد جلوس العبد، خافض الرأس جامع همته، حافظ [كذا] لما يتلقاه من أستاذه، ثم يضع الأستاذ يده اليمنى في يده، ويذكر قوله تعالى: (وأوفوا بعهد الله إذا عاهدتم ولا تنقضوا الأيمان بعد توكيدها، وقد جعلتم الله عليكم كفيلا)[5]. ثم الصلاة على الرسول بهذه الصيغة:>> اللهم صلي صلاة كاملة وسلم سلاما تاما على سيدنا محمد تنحل به العقد وتنفرج به الكرب، وتقضى به الحوائج، وتنال به الرغائب وحسن الخواتم، ويستسقى الغمام بوجهه الكريم وعلى آله وصحبه في كل لمحة ونفس بعدد كل معلوم لك يا الله يا الله يا الله<<[6]ثم يوصي المرشد المريد بتقوى الله وبالخصوص الصلاة لوقتها وأن يعقبها بالأوراد. ثم يشتغل بتعليمه أو يكلف من يعلمه فرائض الإسلام، فمن أراد الله به خيرا فقهه في الدين.<<[7]

تتم البيعة عادة بحضور شهود من المريدين، وفي آخرها يدعو المرشد للعضو الجديد في الجماعة بالبركة، ثم يقبل المريد يد شيخه وكذا أيدي الحاضرين.[8]

---

[1] – في المخطوطة جاءت كما يلي: >> عن سيدنا ومولانا محمد صلى الله عليه وسلم، عن الأمين جبرائيل عن رب العزة جل جلاله، وان إلى ربك المنتهى>>

[2] – أحمد التجاني الفوتي: التصوف الإسلامي، مبادئه ومقاصده وغاياته، ط 2، مطبعة المنار، تونس: 1987. ص 31.

[3] – أعذب المناهل، المصدر نفسه. ص 40.

[4] – عبد القادر عيسى: المصدر السابق. ص 81.

[5] – سورة النحل، الآية : 91.

[6] –أحمد بن مصطفى بن عليوة: برهان الخصوصية، المصدر السابق. ص- ص 22-23.

[7] – المصدر نفسه. ص 23.

[8] – من رسالة المقدم د. موهوب نصر الدين مقدم زاوية البرج العلاوية، أنظر الملحق رقم: اثنان.

أما بيعة النساء فكانت تتم بقراءة الشيخ في الماء أو على سبحة الآية الكريمة، والصلاة على الرسول صلى الله عليه وسلم، ثم تشرب المريدة ذلك الماء، أو تأخذ تلك السبحة، فالشيخ لم يكن يصافح النساء.[1]

والعهد قسمان عهد تبرك وعهد سلوك، وإذا كان الشيخ حمو يؤكد على الثاني بقوله: >> طريقتنا هذه طريقة سلوك لا طريقة تبرك<<[2] فإن الشيخ ابن عليوة لكونه مرشدا مجددا كان يأخذ كليهما، فكان إذا دخل بلدا يأتيه أهله جميعا >> لأخذ العهد، وهم إن لم يطمحوا في سلوك الطريق كانوا يأتون إليه من أجل >>عهد التبرك<<[3] وكان الدعاة والمذكرين الذين كان يرسلهم إلى مختلف مختلف المناطق يقبلون من الذين لا يريدون السلوك أن يعاهدوهم على المواظبة على الصلاة. بقولهم: >> قصدناكم لتأخذوا عنا الطريق وعلى الأقل تعاهدوننا على المواظبة على الصلاة << [4]

أما عهد السلوك فيكون بتلقين الاسم الأعظم (**الله**) بطريقة خاصة ويلتزم المريد بذكره في عزلة وحبذا لو كان عند السحر، مع الوضوء واستقبال القبلة، وإغماض العينين وجمع الحواس بطريقة ذكرها الشيخ ابن عليوة[5] مفصلة في رسالته إلى (سعيد سيف اليمني) الذي لقنه الاسم الأعظم مراسلة بقوله: >> ... تخيل حروف اسم الجلالة بقلبك، كأنك تراه في الخارج، مع استغراق في الاسم الأعظم، وهو قولنا (**الله**) جهرا بقدر الإمكان، مع تغليب مخارج الصدر، والمد يجاوز الحد الطبيعي، وهكذا حتى يرتسم اسم الجلالة في قلبك بسهولة، بحيث كلما تذكرته وجدته، وبعد ارتسامه تتكلف إلى مد الحروف إلى الآفاق، إلى أن تصل من الأرض إلى السماء، وعندما تحصل هاته الغاية، تنتقل إن شاء الله إلى حالة هي أرفع، وكل هذا يحصل بسهولة مع تمرين الخيال على تصور الحروف، واللسان على الذكر، والقلب على الحضور مع المذكور<<

والإذن العام يكون من الشيخ للمريد بالذكر الخاص والوظيفة اليومية فالسر فيهما متوقف على إذنه.

أما الإذن الخاص فيكون من الشيخ للخاصة من أتباعه فيأذن لهم في ترقية المريدين ودلالتهم على الله وبعثهم على الذكر والتوجه ويفوض الأمر إلى الله، فيما يفتح به على قلوب الذاكرين من الحقائق وأنواع المعارف. وهي من مهام مقدمي الطريقة. ولم يأذن في تلقين الحقائق للمريدين بأنفسهم حسب استعدادهم وقابليتهم لتوسيع دائرة معارفهم في الإلهيات، إلا لقلة من أتباعه على رأسهم أصحاب المدارس التذكيرية في الداخل والخارج.[6]

---

[1] – الحاج مراد.

[2] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: برهان الخصوصية، المصدر السابق. ص 23.

[3] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 100.

[4] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 185.

[5] – أحمد بن مصطفى العلاوي: أعذب المناهل، المصدر السابق. ص 176.

[6] – المصدر نفسه. ص ـص 182- 183.

ثالثا: ورد الطائفة

الِورد بالكسر، الوظيفة من قراءة ونحو ذلك، وجمعها أوراد. وهو مصطلح يطلقه الصوفية على أذكار يأمر الشيخ تلميذه بذكرها صباحا بعد صلاة الصبح، ومساء بعد صلاة المغرب.[1] وتعتبر عنوان الانتماء الرسمي للطريقة،[2] ويشتمل الورد عادة على: آيات من القرآن الكريم وأذكار وأدعية من السنة. أو مما تلقاه الصوفية عن طريق الاستفاضة الروحية؛ أو ما ألهمهم به الله.[3]

ويؤكد الإمام الشعراني[4] على أن الله جعل مدد وسر كل شيخ وسر طريقته في أوراده، فمن ترك ورده فقد نكث عهد شيخه، وما قطع مريد ورده إلا انقطعت عنه الإمداد في ذلك اليوم.

ويأذن المرشد للمريد بأذكار تتناسب مع حاله وحاجاته وترقيه في السير إلى رضوان الله فتختلف الأذكار من مريد إلى آخر، ولأهميته وجب على المريد قضاء فوائته.[5]

وأوراد الطائفة تتمثل في الورد الخاص للسلوك، والورد العام يمكن أخذه للتبرك والوظيفة اليومية.

1- الورد الخاص

ووِردُ الطائفة العلاوية هو الاسم الأعظم (**الله**) وبه يكون الفتح والوصول إلى مقام التحقيق.[6] وهو متوقف على سر الإذن فيه، وهو اسم الله العظيم الأعظم الجامع لمعاني الأسماء والصفات الذي إذا دعي به أجاب وإذا سئل به أعطى. فمن طلبه لذاته أي لمعرفته الخاصة بصفة الذل والانكسار، وإظهار العبودية والافتقار وبالأخص على يد مرشد وجد الإجابة أقرب إليه من كل شيء.[7]

2- الورد العام

وهو من الوسائل المستجلبة للخيرات ومن الأسباب المؤهلة للترقي في سلم الكمالات. وهو حسبما لقنه لنا لمريديه وأجاز في إعطائه بعض خاصته كما يلي: صباحا و مساء يقول المريد أولا: أعوذ بالله من الشيطان الرجيم (مرة) بسم الله الرحمان الرحيم(ثلاثا) ثم يتلو قوله تعالى(وما تقدموا لا نفسكم من خير تجدوه عند الله هو خيرا واعظم آجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) (مرة) استغفر الله (مائة) ثم قوله تعالى (إن الله و ملائكته يصلون على النبي يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه و

---

[1]– عبد القادر عيسى: حقائق عن التصوف، المرجع السابق. ص- ص 185-186.

[2] – عبد المجيد الصغير: المصدر السابق. ص 145.

[3] – أحمد التيجاني الفوتي: المصدر السابق. ص ؟؟؟

[4] عبد الوهاب الشعراني: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج2، المصدر السابق. ص 104.

[5] – عبد القادر عيسى: المرجع السابق. ص – ص 150- 190-192.

[6] –الحسن بن عبد العزيز : المصدر السابق. ص – ص 27- 28.

[7]– المصدر نفسه. ص 29 .

سلموا تسليما)[1](مرة) اللهم صل على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله و صحبه وسلم (مائة) وعلى رأسها يزيد وسلم تسليما ثم قوله تعالى (فاعلم انه لا اله إلا الله واستغفر لذنبك)[2] (مرة) لا اله إلا الله وحدة لا وحدة لا شريك له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير (مائة) هذه ثلاثة تسابيح و في الختام يقرأ سورة الإخلاص (ثلاثا) ثم يدعو الله لنفسه و لشيخه ولأهل سلسلة الطريق ولجميع المسلمين.[3]

وهو من أوراد الطائفة الشاذلية وكان يعمل به على عهد الشيخ حمو البوزيدي[*]

وأما ما انفردت به الطائفة العلوية زيادة على ما سبق فذكر لا اله إلا الله مع مد الصوت (ثلاثا) و بعدها محمد رسول الله عقب كل صلاة مفروضة اغتناما لما في الحديث(من قال لا اله إلا الله ومد بها صوته اسكنه الله دار الجلال ورزقه النظر إلى وجهه الكريم)[4]

3- الوظيفة اليومية

تتمثل في قراءة (سورة الواقعة) صباحا ومساء، مع قراءة مزج أبي المواهب التونسي للصلاة المشيشية (مرة) وبعدها قراءة الصلاة الكاملة للعارف بالله الشيخ سيدي محمد بن الحبيب بن الصديق الفاسي التي آجراها الله على لسانه في المنام وهي: <<اللهم صلي وسلم بأنواع كمالاتك في جميع تجلياتك على سيدنا ومولانا محمد أول الأنوار الفائضة من بحر عظمة الذات. المتحقق في عالمي البطون والظهور بمعاني الأسماء والصفات.

فهو أول حامد ومتعبد بأنواع العبادات والقربات والممد في عالمي الأرواح والأشباح لجميع الموجودات. وعلى آله واصحابه صلاة تكشف لنا النقاب عن وجه الكريم في المراءي [كذا] واليقظات. وتعرفنا بك وبه في جميع المرات وخطرات. واللطف بنا يا مولانا بجاهه في الحركات والسكنات واللحظات والخطرات.>> (ثلاثا)

---

[1] سورة البقرة، الآية: 110.

[2]– سورة محمد، الآية: 19.

[3] – الحسن بن عبد العزيز: المصدر السابق. ص 31.

[*] << يقول المريد بعد صلاة الصبح وبعد صلاة المغرب : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم، مرة واحدة؛ ثم يقول بسم الله الرحمن الرحيم، ثلاث مرات؛ ثم يقرأ الآية الكريمة: (وما تقدموا لأنفسكم من خير تجدوه عند الله هو خير وأعظم أجرا واستغفروا الله إن الله غفور رحيم) ثم يقول أستغفر الله مائة مرة؛ ثم اللهم صلي وسلم على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه وسلم ، وعند تمام المائة يقول وسلم تسليما؛ ثم يقول: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك وله الحمد وهو على كل شيء قدير، مائة مرة؛ ثم يقرأ سورة الإخلاص ثلاث مرات وهذا الورد إن كان الأصل فيه الاستحباب فقد حل محل الوجوب بالنسبة للسالكين>> . أحمد بن مصطفى بن عليوة: برهان الخصوصية، المصدر السابق. ص ـص 23- 24

[4] – الحسن بن عبد العزيز: المصدر السابق. ص 32 .

ثم قراءة ما ذيل به الأستاذ رضي الله عنه هاته الوظيفة وهو: >> اللهم يا من جعلت الصلاة على النبي من القربات. اتقرب إليك بكل صلاة صليت عليه من أول النشأة إلى ما لا نهاية للكمالات (ثلاثا) سبحان ربك رب العزة عما يصفون و سلام على المرسلين و الحمد لله رب العالمين<<.[1]

المبحث الثاني: الهيكل التنظيمي للزاوية

أولا: المشيخة

المشيخة هي وظيفة الدلالة على الله وتوصيل المريد إلى مقام التوحيد والعرفان[2] فلا يتولاها إلا شيخ واصل فتح عليه على يد مرب راسخ القدم في التربية الصحيحة ولا يكون شيخا >>حتى تخمد نار بشريته ويصبح محفوفا في سره وعلانيته من أن ينخدع لهوى من أهواء نفسه. وهو لا يعرف هذا من نفسه حتى يصل إلى ((مقام التوحيد والعرفان)) ويستوي إيمانه في مقعد صدق.<<[3]

وتكون المشيخة لشيخ التربية المنقطع للعبادة والذكر والمذاكرة، يأخذ العهد والبيعة من المريدين ويلقنهم الأوراد ويربيهم ويدلهم على الطريق[4]

والشيخ ابن عليوة جمع بين السلطتين الروحية والمادية في الطريقة، فلم يكن مجرد شيخ منقطع للعبادة وأخذ العهد وتلقين الأوراد بل هو فضلا عن كونه عارفا بالله والدال عليه كان أيضا المرشد المجدد والأستاذ والإمام ورئيس الطائفة. وهي ألقاب كما تعكس مكانته لدى أتباعه، يتجلى فيها أيضا جانبا من طموحاته وأعماله.

وكما كان يشرف على السير الحسن لمصالح الزاوية وأتباعها ويتابع أعمال المقدمين والمذكرين وينظم الجموع ويرأسها ويستقبل الزوار ويوجه السياحات الكبرى، كان أيضا ومنذ بداية العشرية الثالثة من القرن العشرين يمارس أدوارا سياسية، وإن أنكر الإصلاح السياسي ورأى فيها إضرارا بالمسلمين ودينهم، مؤكدا على أن لا سبيل لإصلاح أحوال المسلمين إلا بالإصلاح الديني، فكان له نشاطا كان له صدى على الساحة الوطنية.

أوقات الشيخ وأعماله اليومية

>> كان قليل النوم، إذا نام استيقظ قبل صلاة الفجر ليقوم ببعض النوافل، ويذكر الاسم الأعظم بصوت منخفض، ثم يصلي صلاة الفجر والصبح. ثم يذكر الورد اليومي، فإذا طلعت الشمس، يأوي لبعض أتباعه ليكلفهم بمهامهم اليومية.

---

[1] - المصدر نفسه. ص 20.

[2]- عمر بن قدور: المصدر السابق. ص 184.

[3]- المصدر نفسه، ص ـ ص 156- 157 .

[4]- محمد المدني: جواهر المعاني في بعض رسائل المداني، المصدر السابق. ص- ص 50-51.

يدخل بيته لتناول فطوره البسيط المتكون من الشاي والخبز، ثم يدخل مكتبته ليعطي أجوبة الرسائل التي وردت سابقا وهذا في مكتبه الخارجي، أو يُحِضّر ويحرر بعض المقالات، ثم يستقبل الزائرين ويعود إلى بيته حيث يتناول طعام الغداء ثم يخرج لأداء صلاة الظهر وبعدها يستريح قليلا.

يعود الشيخ إلى مكتبه الخارجي أو يتحرك إلى الزاوية المجاورة لشاطئ البحر، وهناك يجتمع بالمريدين فيقومون بالذكر والمذاكرة حتى صلاة العصر، ثم يؤدون الورد ويتم هذا الجمع حتى صلاة المغرب، وبعدها يعود إلى مترله.

وقد يجد بعض الناس الذين قدموا لزيارته فيحدثهم حتى صلاة العشاء. فيتناول قليلا من الطعام ثم يدخل مكتبه الداخلي الخاص به. وقد يمكث بهذا المكتب مطالعا وكاتبا مرة أخرى حتى مطلع الفجر.

ولربما ترك الكثير مما كتب على مكتبه – حينذاك يكلف سيدي عدة بقراءة ما كتب إذا كانت [كذا] ذات معاني سهلة مفهومة – فيأمر بالاحتفاظ بها والأخذ منها كي تدون للانتفاع بها أما إذا كان ما بهذه الأوراق من المعاني العميقة والأسرار الغمضة [كذا] التي لا يفهمها إلا الخاصة فيأمر بحرقها حتى لا تقع في أيدي من لا يعرف سرها.

إنه من الصعب الإلمام بيوميات الشيخ العلاوي لأنه دائم الحركة والنشاط، وأعماله متعددة، وكان كل الوقت لا يكفيه. هذه المقالة التي أقدمها قد أخذت مصدرها من أقوال الذين عاصروه. وخاصة جدتي السيدة الفاضلة (خيرة).>> [1]

ثانيا: الفقراء وطبقاتهم

يصنف أتباع الطريقة إلى مريدين[*](الفقراء) وأحباب. أما تسمية الفقير فيذهب صالح خليفة[2]إلى أنها تطلق على كل المريدين مهما كان موقعهم الاجتماعي، سنهم، وأصلهم وهي مستمدة من قوله تعالى:(والله الغني وأنتم الفقراء[**])[1].

[1] – رسالة تلقيتها بتاريخ 3 جوان 2006 .من الحاج مراد بن المهدي بن تونس. إجابة عن سؤال كيف كانت أوقات الشيخ وأعماله اليومية في الظروف العادية اعتمادا على شهادات حية ممن عايشوا الشيخ بالزاوية، فجاءت هذه الشهادة نقلا عن ما سمعوه من (خيرة بن برنو، ت.افريل1999) وهي ابنة أخت الشيخ ابن عليوة والتي تولى تربيتها بنفسه، وزوجها لعدة بن تونس، وكيل الزاوية عهد ابن عليوة، وخليفته بعد وفاته.

المريد والفقير: المريد هو الذي تعلقت إرادته بمعرفة الحق، ودخل تحت تربية المشايخ، وأما الفقير: فهو الذي افتقر مما (عدى) ورفض كل ما يشغله عن الله ولذلك قالوا الفقير لا يملك ولا يملك، أي لا يملك شيئا ولا يملكه شيئا فهو أنهض من المريد وأخص لأن المريد قد يكون من أهل الأسباب، وقيل الفقير هو الذي لا تقله الأرض ولا تظله السماء والذي لا يحصره الكون لرفع همته ونفوذ بصيرته.

وقال بعضهم: شروط الفقير أربعة: رفع الهمة وحسن الخدمة وتعظيم الحرمة ونفوذ العزيمة.

ينظر – ابن محمد بن عجيبة الحسني: المصدر نفسه. ص ـ ص 47-48 .

[2] –Salah khelifa: op-cit. P 430.

[**] يرى ابن تيمية أن اسم الفقير الوارد في الكتاب و السنة المراد به الفقير المضاد للغني. ولكن لما كان الزهد في الفقراء أغلب صار الفقر في اصطلاح كثير من الناس عبارة عن طريق الزهد وهو جنس التصوف، فإذا قيل هذا فيه فقر أو ما فيه لم يرد به عدم المال،

فما هي طبقاتهم؟ وما هي واجبات كل طبقة منهم؟ وما هي الحقوق المترتبة عن الانتماء للطريقة؟
أما المريدون من عامة الفقراء فالواحد منهم ليس معدا لإصلاح غيره وإنما هو مشغول بإصلاح نفسه فقط ليخرج من رعونتها[2] وينصح بعدم مجالسة العوام والسفهاء لهدايتهم، لأنه لا يستطيع أن يثبت في مجالسهم على طاعة ربه، فضلا على أن يهديهم[3] ولكنه يساهم في أعمال الزاوية ماديا ومعنويا، فيدع أعماله الخاصة ويقوم بالسياحة من أجل التعريف بالطريق متى طلب منه ذلك، ويساهم في إنجاز مشاريع الطريقة الكبرى بجهده وماله، كبناء زواياها، وصناعة مختلف تجهيزاتها، والمشاركة في أعمال التويزة في عقاراتها الفلاحية كل حسب طاقاته وقدرته وفي المجال الذي يناسبه، فضلا الاشتراكات المالية الإجبارية والطوعية.
ومقابل تلك الخدمات يدلهم الشيخ على الله على الوجه الأكمل ليصل بهم إلى درجة العرفان وسر التحقيق والإيقان وانفتاح البصائر واكتحالها بأثمد التوحيد الخاص والتمتع بالشهود والعيان وإفراد الوجهة القلبية بالتوجه لله سبحانه وتعالى وانقطاعها عما سواه بالكلية. وإخلاصها له بالعبودية ببلوغ مرتبة الإحسان.[4]
ويلقى الأتباع كل الدعم المادي والمعنوي من الشيخ وإخوانهم في الطريق، فيتبنى الشيخ قضاياهم ويسعى في مصالحهم ويتكفل بهم وبأسرهم أوقات الشدة والأزمات والاضطرابات والنكبات، فيجدون في مختلف زواياها المأوى والإطعام، وإن تعذر على الزوايا استضافتهم فإنها تؤمن لهم المأوى سواء بالكراء أو عند إخوانهم. كما تتكفل الزاوية بمن تعرض للإفلاس من أتباعها وقد يضمنه الشيخ المدين منهم لدى الدائنين، وقد يقترض لأجلهم.[5]

كان أتباع الشيخ ابن عليوة في الجزائر يتواجدون في المناطق الأكثر تخلفا[6] ولكن التركيبة الاجتماعية والثقافية لأتباعه متنوعة جدا والفوارق بينها واضحة حيث نجد من بين أتباعه كثير من القضاة والمفتين إلى جانب عدد من كبار التجار والموظفين والحرفيين والفلاحين، ويتردد أن من بينهم أيضا قطاع طرق ولصوص مواشي، ومجرمين قتلة تابوا على يد الشيخ ووجدوا في الزاوية من

ولكن يراد به ما يراد باسم الصوفي من المعارف والأحوال والأخلاق ونحو ذلك، ورجح أكثر الناس الفقير على الصوفي، وربما يختص هؤلاء بالزوايا وهؤلاء بالخوانك.

ينظر – مجموع فتاوى شيخ الإسلام أحمد بن تيمية، جمع وترتيب: عبد الرحمن محمد بن قاسم، المجلد الحادي عشر، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب: د.ت. ص – ص 20- 22.

[1] – سورة محمد، الآية: 38.

[2] – عبد الوهاب الشعراني: المصدر السابق. ص 121.

[3] – أحمد بن مصطفى العلاوي: المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، ج1، المصدر السابق. ص 84.

[4] - الحسن بن عبد العزيز: إرشاد الراغبين لما في الطريقة العلوية من الفتح المبين، المصدر السابق. ص 17.

[5]– اتصال هاتفي مع الحاج مراد بن تونس، بتاريخ: 3-12-2006.

[6] – Augustin Berque: op-cit. p 761.

يحتويهم وغير انتسابهم للطريقة سلوكهم و لم يعرف أن أحدهم عاد للإجرام. وإلى جانب كل هؤلاء مثقفين فرنسيين أمثال: طبي، جوصو، جعفر الطيار، مريم سرينو، بروباست بيرابان، وفريجوف شيون.

ويتمايز الفقراء عن بعضهم بعض بالأعباء التي يتحملونها خدمة للطريقة والوظائف التي يضطلعون بها، وأهم فئة اجتماعية تتمثل في أعيان الطريقة وعلى رأسهم:

1- وكيل الزاوية

كان شيوخ التربية يوكلون تسيير شؤون الزوايا المادية – من تحصيل أسباب العيش واقتبال الزائرين وإطعامهم – إلى وكلاء لهم ينوبون عنهم في ذلك، خاصة عند تكاثر عدد المريدين وتزايدت أعباء التسيير اليومي لشؤون الزاوية، حتى لا يشغلهم شاغل عن التعبد وتلقين المريدين الأوراد وتربيتهم[1] كما حدث للزاوية العلاوية بتيجديت، حتى تحتم تنصيب وكيل فيها، ولما كان هذا المنصب حساسا فقد أسنده أولا ابن أخته محمد بن برنو الذي تولى تربيته حتى عرف بمحمد بن عليوة.

كان الوكيل يشرف على الشواش والمتجردين بالزاوية، يدير ممتلكاتها وعقاراتها، ويوفر حاجات الزاوية الكبرى بمستغانم. ويشرف على السير الحسن لها.

والوكيل هو الناطق الرسمي باسم الشيخ، كما تدل عليه البيانات والمقالات التي كانت تنشرها صحيفة البلاغ الجزائري وممضاة باسم عدة بن تونس.[*] الذي قدمه قدور بن أحمد المجاجي[2] في سنة 1925 على أنه <<مدير شؤون الزاوية العلاوية بمستغانم>> ولعله تولى تلك المهام بصفة غير رسمية إثر مرض صهره محمد بن برنو، و لم يصبح وكيلا رسميا للزاوية إلا بعد وفاة الأخير مطلع عام 1927. وبموجب وصية الشيخ الثانية عام 1931 أصبحت الوظيفة حصريا في ذريته ما بقي له نسل.

---

[1] – محمد منصور: التاريخ وأدب المناقب (تصوف الشرفاء، الممارسة الدينية والاجتماعية للزاوية الوزانية من خلال مناقبها)، الملتقى الدراسي الرباط، 8-9 إبريل 1988 منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي. ص 17

[*] من ذلك ما كتبه عدة بن تونس تحت عنوان (حتى كليب يسبني !) ردا على المقال الصادر في جريدة لسان الشعب تحت عنوان: الحادث الفظيع: وكذلك مقال (اختلاف ممقوت) و(علي القرن العشرين) إثر حادثة الاعتداء على ابن باديس ومحاولة اغتياله من قبل فقير علاوي من زاوية الجعافرة والذي وصفته الشهاب بابن ملجم القرن العشرين، فرد عدة بن تونس بهذا العنوان متهكما . البلاغ الجزائري، ع: 5، 21 جانفي 1927. ونعيه لمحمد بن عليوة، البلاغ الجزائري، ع: 08، 11 فيفري 1927. ونعيه لمحمد بن يلس، – البلاغ الجزائري، ع: 49، 16 ديسمبر 1927. كما هاجم أبو يعلى الزواوي، حتى قبل انفصاله عن العلاويين وانضمامه رسميا لصف العلماء الإصلاحيين، ينظر: (إلى الشيخ أبي يعلى : هكذا يفضح الله من لا يتقيه)، البلاغ الجزائري، ع: 31، 5 أوت 1927.

[2] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 257. كما تولى إلقاء خطبة تأبين عبد الرحمن طبي.

لم يذكر ابن عبد الباري، عدة بن تونس لا بصفة مقدم الزاوية، كما قدمته جريدة النجاح إثر مصاهرته للشيخ ابن عليوة. ولا بصفة وكيل الزاوية ولعل ذلك يعود لأنه سجل شهادته قبل أن يصبح مقدما للزاوية وربما توفي ابن عبد الباري قبل أن يتولى عدة بن تونس الوكالة فاستدرك ذلك المجاجي في فهرس الكتاب.

2- كتاب الشيخ وسفراؤه

شكل كتاب الشيخ طبقة خاصة ومتميزة من أتباعه، وإن كانوا كلهم يصبحون متجردين متى تولوا هذه الوظيفة لفترة قد تطول وقد تقصر، فرئيس الطائفة وككل الرؤساء بحاجة إلى كتاب، ينظمون مواقيته، ويضبطونها ويدونون ملاحظاته، ويحررون مراسلاته ... لكن حاجة الشيخ ابن عليوة للكتاب كانت أشد وهو القائل:

معترفا بتقصيري فيما أعلم *** وضعف الأنامـــل لأخذ القـــلـــم

وباعتبار مقتضيات الزمان *** من ضعف الفقه وكذا لحن اللسان[1]

وقد يتعدد كتاب الشيخ في الفترة الزمنية الواحدة، وهم يتولون قراءة البريد الوارد، وتحرير ما يمليه عليهم من الرسائل والردود، وكذلك أفكاره وأجوبته خلال مذاكراته. فضلا عن جمع نظمه ومنهم يشرف على طبع ونشر وتصحيح كتبه ورسائله ويروج لها مطبوعة ومخطوطة، فضلا عن التبشير بظهوره، كما كان منهم المبعوثون الخاصون للشيخ، وخاصة مرافقيه في سياحاته الكبرى. كما تحملوا عبء تحرير صحيفة لسان الدين عام 1923 والتي كانت ولادتها عسيرة.

ويؤكد محمد التمسماني[2] وهو آخر كتاب الشيخ أن كتابات الشيخ كلها كانت بإملاء منه على كتابه، كأنما يوحى إليه في كل ما يمليه عليهم.

وإذا كنا لا نعرف شيئا عن الكتاب الذين أملى عليهم: رسالة إرشاد الراغبين عام (1901) وكتابيه مفتاح الشهود عام (1904) ثم: المنح القدوسية عام (1905)- وهم دون شك من أتباع الشيخ البوزيدي المثقفين – فإننا نعرف أنه بعد خلافته للشيخ حمو البوزيدي استقدم من المغرب الأقصى أول كتابه وهو:

محمد بن قاسم البادسي الفاسي:

هو الذي رافق الشيخ ابن عليوة في رحلته إلى تونس وظل بها مشرفا على طبع وتصحيح كتاب (المنح القدوسية..)[3]ولا يستبعد عندي أن يكون هو من أملى عليه الشيخ مخطوطة (برهان الخصوصية..) وكتاب (المواد الغيثية..) اللذان يتوافق تاريخ الانتهاء منهما تواجد محمد بن قاسم البادسي بزاوية حمو الشيخ.

الطيب بن الشنين:

كان أول مريد تعلق بنسبة الأستاذ وأول كاتب له منذ تصدره للإرشاد إلى أن توفي.[4]

---

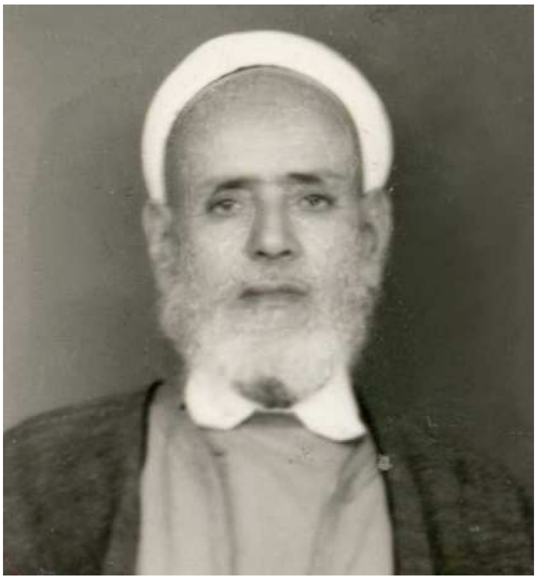
[1] – أحمد بن مصطفى العلاوي: الرسالة العلاوية في البعض من المسائل الشرعية، المصدر السابق. ص 9.

[2] – محمد بن صالح التمسماني: الحلل المرضية على الرسالة العلاوية، ط2، المطبعة العلوية ، مستغانم، د. ت. ص- ص 20 – 21.

[3] –أحمد بن مصطفى العلاوي : المنح القدوسية ، المصدر السابق. ص 34.

[4] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 196.

محمد بن خليفة المدني: (1888 – 1959)



التقى بابن عليوة عام 1910، وكان حينها في سنواته الأخيرة من دراسته بجامع الزيتونة، وقد أعجب بمشربه الصوفي وسافر معه إلى مستغانم، وبقي في خدمته نحو ثلاث سنوات غير متتالية استكتبه فيها لتأليف رسائله وهو أيضا من محرري جريدة لسان الدين، وقد أذن له بتأسيس زاوية بتونس بقصيبة المديوني، وأصبحت طريقته تعرف بالمدنية العليوية وله عدة رسائل منها:

- جواهر المعاني في بعض رسائل المداني
- كتاب منهل التوحيد على كفاية المريد

الحسن بن عبد العزيز القادري التلمساني:

وهو من أعيان الطريقة ومن أشهر كتاب الشيخ كان متجردا في الزاوية، فكان كاتب الشيخ وأمين سره بعد الحرب العالمية الأولى، جمع ديوان شيخه وعلق عليه وأشرف على نشره عام 1920، وبين شهري ماي وأكتوبر عام 1921 أشرف على طبع رسالة القول المقبول بتونس، إدارة صحيفة لسان الدين بعد اعتذار مصطفى حافظ عنها لكثرة مشاغله في المدرسة القرآنية[1]وهو صاحب كتابي: (إرشاد الراغبين) و(النجم الثريا)[2]وفي سنة 1924 سافر في مهمة خاصة مبعوثا للشيخ في مدينة فاس حيث كان التقى ببعض علمائها وفضلائها، وكانت عدته مخطوطا يعرفه عبد العزيز القادري[3] في مراسلته لشيخه<< كتابكم المجموع فيه الأسئلة والأجوبة>> وممن اجتمع بهم (محمد الحبيب بن الصديق المغراوي الحسني) المدرس بالقرويين، وهو من أتباع الشيخ العلاوي وقد كان زاره مرتان بمستغانم[4]، و(محمد الفاطمي بن محمد الحبيب الحسني الإدريسي المحمودي) الدرقاوي طريقة، والشريف البركة(أحمد الدباغ) والسيد (محمد العطار)، والمحب الخير(عمار اللبار) من أعيان النجار الأفاضل، وممن زارهم العلامة المحدث الشيخ سيدي (محمد عبد الحي الكتاني).[5]وهو بذلك أعد لزيارة شيخه الأولى للمغرب الأقصى عام 1924.[1]

---

[1] – مصطفى حافظ: (اعتذار للقراء)، لسان الدين، ع: 7، الجزائر: 13 فيفري 1923.

[2] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص ـ ص 215- 216.

[3] – المصدر نفسه. ص 218.

[4] – المصدر نفسه. ص ـ ص 216- 217.

[5] – المصدر نفسه . ص 218.

ابن عبد الباري التونسي (توفي عام 1925)

معروف لدى أتباع الطريقة باسم محمد العيد الشريف، وهو جامع كتاب الشهائد والفتاوى، وقد توفي قبل إتمامه فتولى التعليق عليه قدور بن أحمد المجاجي[2] كما كان من كتاب لسان الدين الأولى.

الطاهر بن الواضح الزعموشي:

(الطاهر الزعموشي بن الحاج العربي) الحاج الطاهر بن العربي الغرابلي وهو من جماعة الصادق الصحراوي التي انتسبت للشيخ ابن عليوة عام (1911).[3] مقدم زاوية سيدي الكشباطي بتونس بعدها حضر إلى مستغانم وأقام بها مدة عام قائما بوظيفة الكتابة للشيخ ابن عليوة.[4] وفي عام (1913) ممن تحمل نفقة نشر رسالة الأنموذج الفريد الموصل لعين التوحيد. في شرح النقطة المشيرة إلى الوحدة.[5] كما كان من الذين رافقوا الشيخ ابن عليوة في سياحته إلى العاصمة، وزواوة، وبرج بوعريريج.[6] وهو من أسباب انتساب كل جوصو ورفيقيه للطريقة.[7]

محمد بن بشير الجريدي:

كان يشغل وظيفة الكتابة للأستاذ، وذلك بعدما انقطع لخدمة النسبة متجردا لأداء واجباتها سنوات. وقد كان يشغل هذه الوظيفة عند جمع ونشر كتاب الشهائد والفتاوى في عام (1925).[8]

قدور بن أحمد المجاجي:

من كتاب الشيخ و لعله تولى المهمة بعد وفاة محمد العيد بن عبد الباري، مع محمد بن بشير الجريدي، الذي تعاون معه في إنهاء كتاب الشهائد والفتاوى حيث تولى التعليق عليه،[9] وله مقالات غزيرة في صحيفة البلاغ الجزائري.

---

[1] - Salah khelifa: op-cit. p 269.

[2] - الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 180.

[3] – المصدر نفسه. ص- ص 124-125.

[4] - المصدر نفسه. ص 179.

[5] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: الأنموذج الفريد الموصل لعين التوحيد في شرح النقطة المشيرة إلى الوحدة، المصدر السابق. الغلاف.

[6] – الطاهر بن الواضح الزعموشي: الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 179.

[7] – ينظر رسالة جعفر الطيار للشيخ ابن عليوة في: المصدر نفسه. ص- ص 233-236.

[8] – المصدر نفسه. ص 178.

[9] – المصدر نفسه. ص 2.

محمد بن صالح التمسماني:

من المغرب الأقصى، وهو الذي أملى عليه ابن عليوة كتابه <<البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور>>وقد فرغ من نسخه سنة(1934)[1] وهو بذلك من آخر كتاب الشيخ. وقد شرح نظم أستاذه المعنون بالرسالة العلاوية في بعض من المسائل الشرعية[2]

محمد بن محمد العوادي (من مواليد عام 1914)

التقى بالشيخ ابن عليوة عام 1354 واتخذه قدوة وقد لازمه بزاويته الكبرى بمستغانم مدة عام ونصف. يقول متحدثا عن نفسه:<<ولما علم مني صحيح القصد وحسن التوجه أخذ يكلفني رضي الله عنه بما يناسب حالي من الاشتغال ببعض المهمات ومنها أني كنت أشغل عنده وضيف الكتابة حسب الاستطاعة من آخر تلك المدة التي قضيتها معه ثم بدا له أمر هام من بلادنا بشواطئ الريف بالمغرب الأقصى واختارني لقضائه فتوكلت على إذن الله فجاء حسب مراده.>>[3]ولم يعد إلى إلى مستغانم إلا بعد وفاة الشيخ وتولى وظيفة الكتابة لخليفته الشيخ عدة بن تونس.

من سفراء الشيخ ابن عليوة أيضا كل من عباس الجزيري التلمساني، والحاج صالح بن ديمراد.

عباس الجزيري التلمساني:



يقول عباس الجزيري: <<منذ أن نصب نفسه[ابن عليـــوة] للتربية وإرشاد الأمة وأنا محاذ له جنبا لجنب وقلبا لقلب>>[4] وهو من جماعة محمد بن يلس فهو ممن هاجر معه، ثم عاد للجزائر، وكان من المنفصلين مع العربي التشوار عن الفقراء اليلسيين والمنتسبين للشيخ ابن عليوة.[5]فيكون انتسابه بعد عام 1920. لما أعلنت دعوة مجدد دين الأمـــة. قـــد بـــذل الجزيري جهده في تأييد هذه النسبة، وتركز نشاطه التذكيري ولفترة طويلة في بلاد الشـــام بحكـــم معرفته بها. فكان مبعوث الشيخ إليه حاملا معه بعض كتبه ورسائله ففي بيروت التقى بيوسف بـــن إسماعيل النبهاني ولما أطلعه على بعض مؤلفات شيخه، تعجب كثيرا من وجود مثله بالجزائر وتطلـــع

[1] – أحمد بن مصطفى العلاوي: البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور، المصدر السابق. ص 9.

[2] – ينظر: محمد بن صالح التمسماني: المصدر السابق.

[3]– محمد العوادي: إرشاد النبيل إلى مقالات الأستاذ الجليل، المصدر السابق. ص 1.

[4] – عباس الجزيري: الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 98.

[5]– مصطفى العشعاشي: المصدر السابق. ص 106.

لزيارتها لأجله حسب رواية الجزيري. ووجدت مؤلفات الشيخ في دمشق نفس الصدى لدى مـــن التقى بهم مبعوثه من المشائخ فشهدوا لابن عليوة بأنه صاحب الوقت.[1]

الحاج صالح بن ديمراد:

كان من أسرة ثرية[*] في المنطقة ومقيم بغليزان. تكفل بنفقات كتاب الشهائد، وتبرعاته للزاوية كبيرة، وقد كان الشيخ ابن عليوة يثق به ويستعمله في المهمات الخاصة من ذلك أنه في بداية العشرينات كان عدة بن تونس ملازما لجامع الزيتونة بتونس فبلغ الشيخ ابن عليوة خبرا مفاده أنه سيتزوج هناك، عندها أمر بعودته على الفور وأرسل صالح بن ديمراد للعودة به إلى مستغانم.[2] واعترف الشيخ عدة بن تونس[3] بأنه << رجل وإن لم تكن له بضاعة علمية فله حظ وافر من خشية الله وإلمام تام بفن الطريق وقد اجتباه الاستاذ من بين أقرانه وكان يعتمده في أغلب مهماته وكان ممن يشاورهم في الأمر وكان أشبه بالسفير في شؤون النسبة. >>



[1]– عباس الجزيري: الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص – ص 100-101.

[*] عائلة بن ديمراد: لها فروع متشعبة في عمالة وهران بغليزان ووهران وسيق ومستغانم وبلعباس، من أفرادها العربي بن ديمراد ، والجيلالي بن ديمراد بتلمسان، وأخويه صالح –صاحب امتياز صحيفة لسان الدين الأولى–وبومدين وكلاهما من كبار التجار بغليزان ولهم أقارب بوجدة. ينظر – لسان الدين، ع: 40. رمضان 1356ه .

كما تمتلك هذه الأسرة مجموعة حافلات بن ديمراد مقرها بساحة المشور بتلمسان العاملة على خطوط الغزوات تلمسان وجدة وبلعباس، كما دلت على ذلك إعلاناتها المنشورة على صفحات جريدة النجاح.

[2]– معلومة متداولة لدى فقراء الطريقة العلاوية وقد ذكرها لي الكثير منهم في مستغانم و سطيف.

[3] – الروضة السنية في المآثر العلوية، المصدر السابق. ص 82.

3- المقدمون الكبار

وهم مجازون من قبل الشيخ ومأذون لهم بالإرشاد، ولهم معرفة واسعة بالشريعة وأسرار الطريقة، يعينهم الشيخ، كما ينشطون الحياة الروحية للأتباع، وينوبون عنه في تسليك المريدين الجموع والأذكار[1] ويمثلون الشيخ في أقاليمهم ويشرفون على مقاديمها ويقومون بسياحات كل في منطقة نفوذه، وهم أصحاب مدارس تذكيرية لا يتعدى عددها الثلاث وهي مدرسة تلمسان، مدرسة الجعافرة، ومدرسة عنابة. كان مأذون لهم بأخذ العهد من المريدين، وتلقينهم الورد الخاص، وإدخالهم الخلوة، وتلقين بعض الحقائق لمن لديه استعداد وهم:

الحاج ابن عودة بن سليمان: (1857 – 13 جانفي 1929)

قدم قاضي مستغانم الشيخ عبد الرحمن بن اسبيع[2] عام 1925، على أنه مقدم الطائفة الشاذلية بالمدينة، في حين الحاج بن عودة كان مقدما في زاوية الشيخ البوزيدي حتى توفي ودفن في ضريح الشيخ حمو البوزيدي في جوار مسجده الخاص. فهل جمع بعدها بين مقدم زاوية شيخه، وزاوية صاحبه الشيخ ابن عليوة؟ أم اختص بالأولى فحسب؟ لا يوجد لدينا جواب حاسم في الموضوع، لكن عدة بن تونس قدم في الصحافة عام 1924 على أنه مقدم الزاوية العلاوية.[3] كما قدم بنفس الصفة كل من محمد بن برنو وصالح بن عبد العزيز[4] ويبدو أن لقب مقدم أصبح يطلق على كل من تحمل مسؤولية في الزاوية، أما مدينة مستغانم فقد خصص الشيخ ابن عليوة لكل حي من أحيائها مقدما، كان أحدهم حميدة بن قدة الذي أصبح مقدم مستغانم في عهد الشيخ عدة بن تونس.[5]

---

[1] - Martin Lings: op-cit. p 435.

[2] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 10.

[3] – النجاح ،ع : 168 ، 8 أوت 1924. وأيضا: النجاح، ع: 173، 5 سبتمبر 1924.

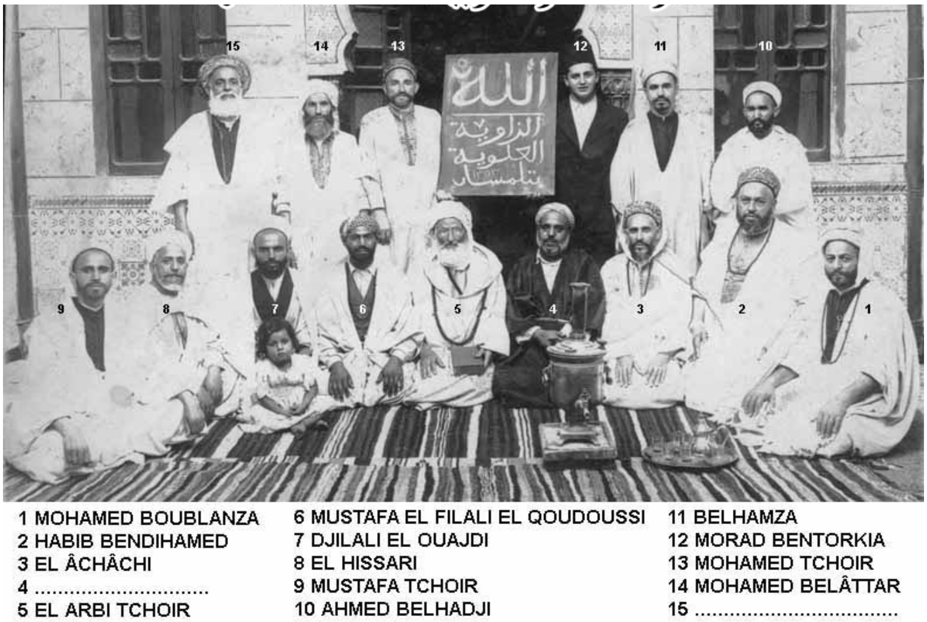
[4] -Salah khelifa: op-cit. p 384.

[5] – رواية الأستاذ علاوة أرتباس. والحاج مراد بن تونس.

العربي بن مصطفى التشوار التلمساني (1854 – 1955)



كان اكبر المقدمين سنا وهو من هبرية محمد بن يلس وجامع[1] ديوانه، ثم انفصل عنهم[*] عام 1920 فأسند له ابن عليوة التقديم على الزاوية العلاوية بتلمسان.[2] ويكون انتسابه لابن عليوة متزامنا مع الإعلان عن مجدد دين الأمة وهو الذي تولى تغسيل الشيخ ابن عليوة وتكفينه.[3]



[4]

1 -- www. Tasawouf.ws موقع التصوف الإسلامي وطريقة القطب الشامل الشيخ أحمد العلاوي.

* كان العربي بن مصطفى التشوار من الذين انشقوا على ابن يلس المقيم ببلاد الشام مع آخرين منهم: (الحاج بن عودة حميدو، محمد بوقلي حسن (بوشناق ت: 1964) والحاج عبد الرحمن الوزيداني، أمام قرية أولاد ميمون(ت 1966) والحاج العربي بـــوحجر، وعباس الجزيري ، وحامد المنشد، والحاج صالح بن عبد العزيز، ومحمد شكشو) وكلهم أصبحوا من أعيان الطريقة العلاوية. ينظر – المصدر نفسه . ص 106

2 – المكان نفسه .

3 – المصدر نفسه. ص 103.

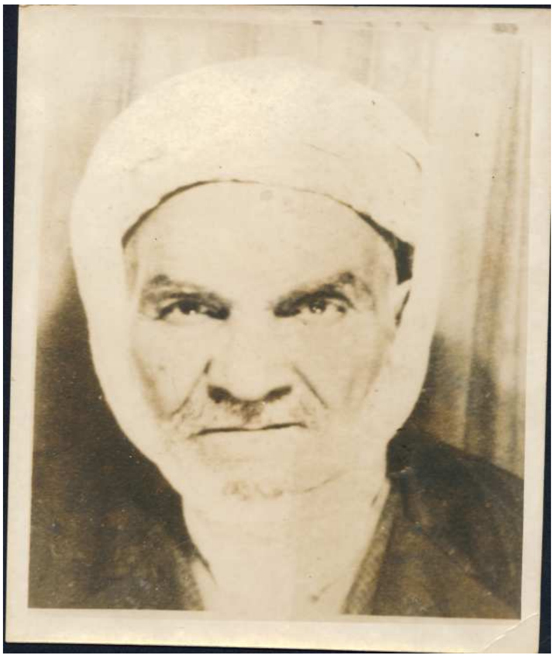
4 – الصورة من أرشيف الزاوية العلاوية بمستغانم، قدمها لي الحاج مراد بن تونس.

عبد الرحمن بن الحسن بوعزيز الجعفري:

وهو كبير مقدمي بلاد القبائل، ومقدم الزاوية الكبرى بعرش الجعافرة.[1] انتمى للأستاذ في أواخر عام 1918، بواسطة محمد الشريف الزواوي كان منتسبا للطريقة الخلوتية مأذون فيها ولما زار الشيخ ابن عليوة بلاد القبائل عام 1921 جدد على يده العهد. ثم زاره في مستغانم الشيخ وأدخله الخلوة وأذن له في الإرشاد، وأصبح من أخص أتباع الشيخ[2] وصاحب مدرسة تذكيرية في بلاد القبائل.[3]

الحاج حسن بن محمد الطرابلسي (1895- 26 أفريل 1974)

وهو كبير المقدمين في منطقة قسنطينة والشرق الجزائري،[4] قصد الشيخ إلى مستغانم و لم تمر عليه أيام قلائل حتى حصل على بغيته ونصيبه من معرفة الله الخاصة.[5] وأصبحت زاويته بمدينة عنابة أهم زاوية علاوية في الجزائر بعد زاوية تيجديت. وصمدت في وجه اكتساح التيار الإصلاحي لمنطقة الشرق الجزائري.



6

[1]- عدة بن تونس: الروضة السنية،ط1، المصدر السابق. ص 84.

[2] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص ـ ص 121-124.

[3] – عدة بن تونس: الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 84.

[4] –SLNA, op-cit. p 120.

[5] – محمد بن عبد الباري: المصدر نفسه. ص 109.

[6] – صورة قدمها لي المريد علاوي السيد محمد الهادي طرشة تلميذ الحاج حسن الطرابلسي.

ومن المقدمين البارزين أيضا: نجد لخضر عمروش مقدم زاوية الجزائر العاصمة والذي كان مع عبد الرحمن بوعزيز الجعفري سبب فتح زاوية باريس.[1] وصالح بن عبد العزيز البغدادي التلمساني: (ولد عام 1895) مقدم وهران[2]وصالح بن ديمراد: مقدم زاوية غليزان.[3]الهاشمي بوعمامة: كان مقدما بزاوية آبائه في بني يعلى بدشرة (المقارب)[4]وكذلك كان محمد السعيد بن البشير العياضي: في زاوية بني عياض جنوب برج بوعريريج.[5]

المقدمات: يقال بأهن كن كثيرات خاصة في بلاد القبائل، أما في الزاوية الكبرى بمستغانم فقد كانت مقدمتها فاطمة بنت محمد طه البوزيدي من بني خطاب كان والدها من أعيان تلاميذ حمو الشيخ البوزيدي، وزوجها فقيرا علاويا، كانت تقيم بالزاوية ثم خصص لها سكنا بجوارها.[6]

إجازة المقدمين:

وهي شهادة أهلية الإرشاد وحيازة صفاته[7] لم أعثر إلا على إجازة واحدة للمقدم إبراهيم بن بن أبي بكر السينغالي* بمناسبة إرساله إلى السنغال، وتتضمن أركان الدين بالنسبة للطريقة وهي الإسلام والإيمان والإحسان، ونصائحه بالأخذ بالتعاليم القرآنية على وجهها، ليكون داعيا إلى الله بإذنه ولم أعثر على إجازة غيرها.[8]وقد كان الشيخ ابن عليوة يعين بنفسه المقدم ويوجهه مذكرا للمنطقة التي سيبث فيها دعوته، وفي حال وفاة أحد المقدمين غالبا ما يقترح الشيخ مقدما آخر ليخلفه فيقره الأتباع في ذلك المنصب. وقد يتم اختياره من قبل الأتباع.

[1] – المصدر نفسه. ص 123.
[2] – عدة بن تونس: الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص103.
[3] – المصدر نفسه. ص 82.
[4] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 246.
[5] – المصدر نفسه. ص 156.
[6] – الحاج مراد بن تونس: اتصال هاتفي بتاريخ 11 جويلية 2006.
[7] – عبد القادر عيسى: المرجع السابق. ص 70.
* إبراهيم سوف بن أبي بكر: مسلم من مدينة دكار درس شيء من العلوم العربية الابتدائية، وتخرج من مدارس مدينته الفرنسية ثم انتقل إلى باريس وعمل كاتبا بوزارة الخارجية الفرنسية، فكان متأثرا بمدنيتها بعيدا عن تعاليم دينه حتى التقى فيها بالشيخ ابن عليوة بمناسبة تدشين مسجد باريس عام 1926. ولما غادر ها الشيخ لحق به في مستغانم وأقام بها مدة من الزمن، فعاد إلى باريس درجة لبث دعوة شيخه بين بني جلدته، ثم استقال من عمله ليتفرغ للعمل الدعوي فأجازه الشيخ لتبليغ الدعوة في بلاده .
ينظر – (إبراهيم سوف بن أبي بكر) ، البلاغ الجزائري، ع :301 الجزائر : 28 ربيع الأول 1352 –21 جويلية 1933 .
[8] – إبراهيم سوف بن أبي بكر: (التعاليم العلوية)، البلاغ الجزائري، ع: 120، 21ذي الحجة1347-31 ماي 1929./ أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص ـ ص 108- 112.

4- المذكرون

من هم المذكرون؟ مذكرو الطريقة: وصفهم البيضاوي بالفرق الفدائية،[**] ووصفتهم بعض المصادر الفرنسية بأعوان الدعاية العلاوية.[1] وهم في الطريقة العلاوية: ذاكرون مذكرون، مجازون ومأذون لهم من قبل الشيخ في الإرشاد والدعوة إلى الله، وبث الطريقة، كل واحد منهم في منطقته، وغالبا ما تكون الموطن الأصلي للمذكر، فيخرجون سائحين لأداء واجبهم، و(من أذن له في التعبير فهمت في مسامع الخلق عبارته وجلبت إليهم إشارته)كما جاء في الحكم.[2] فمذهب الشيخ ابن عليوة عليوة أن لا يتصدر أحد للإرشاد إلا بعد تصفية باطنه وتنوير بصيرته، وبإذن من الأستاذ[3] <<كان السواح يقصدون المناطق المنهمكة حرصا منهم على بث الشرائع الدينية والسنن المحمدية...إلى أن امتدت فروعها في الحاضر والبادي>>[4].

لقد كان كبار المقدمين يقومون بالدعوة والتذكير كل واحد منهم في منطقة نفوذه، وتكون سياحات التذكير جماعية، وقد يجتمع في بعضها عدد من أقطاب الطريق، فهذا مفتي البليدة (ابن قدور أحمد بن الحاج العربي)[5] وهو من أحباب الطريق استضاف بمترله وفدا فيه كل من عدة بن تونس ومحمد العيد التونسي، ومحمد الشريف الزواوي أوائل عام 1921، فكان مترل مفتي البليدة مكان تذكيرهم واجتماعهم بالمقبلين عليهم من البليدة والجزائر.

ومن أشهر مذكري الطريقة:

الحاج حسن بن محمد الطرابلسي (1895- 1974) الطرابلسي منشأ البوني مسكنا، حافظ لكتاب الله، وحاصل على شهادة التطويع من الزيتونة ودرس فيه سنوات، ومع ذلك حين سأله ابن عليوة حين جاءه يريد السلوك: هل تستطيع أن تعرض الآن عن جميع ذلك وتستأنف التعليم عندنا من حروف الهجاء؟ أجابه: بقوله: <<أما أنا فأرى ذلك من السعادة لأني ما كنت أرى

[**] ذكر الشيخ أحمد حماني أن أفراد هذه الفرق ممن دخلوا الخلوة وخرجوا منها محبين للشيخ، إخوة مخلصين لمريديه أعداء زرقا لمن عاداهم. ونقل عن الشهاب قولها أن الشيخ يعقد لهم اجتماعات وقد شكل منهم شبه **جمعية فدائية** آونة أو شبه **لجنة تنشر الدعوة** غالبا. ففي الحالة الأولى تبحث عمن يستنقص الشيخ أو يجرح عواطفه لكي تحل به غضبها وتنتقم منه لشيخها، وقد تكررت اعتداءاتها على من لا يؤمن بغوثية شيخها. وفي الحالة الثانية ينتقل بعض أعضائها في البلدان ويتحدثون عن الشيخ وماله من الأسرار، ويشترون بعض أصحاب الذمم الخربة ممن ينتسبون للعلم لكي يشهد لشيخهم، أو يؤلف كتابا باسمه يصطادون به البسطاء ويغروهم بأنه عالم كبير. صراع بين السنة والبدعة، ج1، المرجع السابق. ص 166.

[1] – التليلي العجيلي: المصدر السابق. ص 146.

[2] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص ـ ص 246 و222 .

[3] – المصدر نفسه. ص 124.

[4] – المصدر نفسه. ص 5.

[5] – المصدر نفسه. ص 183.

لنفسي أهلية لتلقي الحروف على مصطلح أهل الله>> [1] ثم أذن له في الطريقة ووجهه إلى مدينة عنابة فقام بنشر النسبة فيها. فكان يلقي بزاويته خمسة دروس علمية في العبادات وغيرها وقد اهتدى على يده خلق كثير[2] ويذكر أحد أعيان الطريق وهو (الحسن بن المشري التبسي)[*] أن تمسكه بهذه النسبة كان بمدينة عنابة على يده. هذه المدينة التي أعطاها طابعا علاويا وكأن ريح الإصلاح التي اجتاحت معظم نواحي قسنطينة لم تصل إليها.[3] كما أشرف مع الحسن بن عبد العزيز على مراجعة وتصحيح بعض مؤلفات الشيخ ابن عليوة.

عدة بن تونس (1898-1952)

كان من مذكري الطريق الأوائل على حداثة سنه وصعوبة الظرف، وأول ميدان برز فيه نشاطه التذكيري كان حينما فرض عليه التجنيد الإجباري، حيث نجح في استمالة شبابا من المجندين المسلمين، فأصبحوا يرددون كلمة الإخلاص ليلا ونهارا، وأثناء سيرهم واستعرضهم، ولما استحسن ذلك ضباط ثكنة (الشارة) بتيجديت منه ذلك ألزموا بها باقي الجنود حال السير. وفعل مثل ذلك حينما تم نقله إلى مدينة رأس الماء[*] من جهة تسيير العساكر في صفة الذاكرين.[4] ولا شك أن ذلك كان من بين الوسائل التي استعملتها فرنسا لجذب المجندين الجزائريين للخدمة في الجيش الفرنسي وتحويل أنظارهم عن الدعاية المعادية لفرنسا، ففي سنة 1915 أصدر قائد الجيش الفرنسي منشورا يوصي فيه بالتجنيد بطريقة مغرية للجزائريين، فلجأت إلى استعمال الموسيقى والولائم ونحو ذلك[5] ولا ذلك[5] ولا شك أن سماحها لعدة بن تونس بتسيير الجنود على صفة الذاكرين يندرج أيضا في إطار سياسة فرنسا الإسلامية. ولعل ما سجله من نجاح في الثكنة شجع شيخه على إرساله إلى جامع الزيتونة يقال بهدف التحصيل العلمي، لكني أرجح أن ذلك كان لاستمالة طلبته ومدرسيه، ولبث دعوة شيخه بينهم. [6]

محمد بن عبد الباري التونسي (ت 1924)

[1] – محمد بن عبد الباري: المصدر نفسه. ص 109. – عدة بن تونس : الروضة السنية، المصدر السابق. ص 89.

[2]– محمد بن عبد الباري: المصدر نفسه. ص 105.

[*] الحسن بن المشري التبسي: تجول مدة لطلب العلم، ثم لازم الجامع الأعظم بتونس سنوات لذلك الغرض، وهو ممن رافق ابن عليوة في سياحته ببلاد القبائل./ ينظر الشهائد والفتاوى. ص 138-139.

[3]– مالك بن نبي: مذكرات شاهد للقرن، دار الفكر المعاصر بيروت لبنان، دار الفكر المعاصر، دمشق، سوريا: د.ت. ص 283.

[*] دوار رأس الماء يوجد على بعد 90 كلم من مدينة بلعباس، وبه أقام الشيخ أحمد بن يوسف أول زاوية له بعد عودته من بجاية.

[4]– محمد بن عبد الباري: الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 169.

[5]– أبو القاسم سعدالله: الحركة الوطنية في الجزائر، ج2، المرجع السابق. ص 264.

[6] - www. Tasawouf.ws موقع التصوف الاسلامي وطريقة القطب الشامل الشيخ أحمد العلاوي

وهو جامع كتاب الشهائد والفتاوى يصفه قدور المجاجي[1] بأنه <<يعد أشرف عضو عامل في النسبة العلاوية>> وكان مع الطاهر بن الحاج العربي مقدم الطريقة العلاوية بتونس سبب إتباع عبد الكريم جوصو، وجعفر الطيار، ومريم سرينو للشيخ ابن عليوة. بعد وفاة مرشدهم (محمد خير الدين)[**] وقد جاء بهم ضمن وفد تونس خلال الاحتفال السنوي لعام (1924).[2]

محمد بن البشير الجريدي(العلقمي):

جاء بالطريقة إلى منطقة تبسة فكان أحمد بن محمد الرايسي التبسي من الذين انتموا للطريقة على يده وأخذ عنه جماعة أخرى منها.[3]

محمد بن الشيخ القائم الخياطي الشريف البوعبدلي (ت: 1923)

المعروف بمحمد بن القائم، وهو من أصدقاء الأستاذ، وممن فتح الله عليهم في طريقه، ولما أذن له في الإرشاد، توجه إلى مدينة مليانة، فدعا فيها الناس إلى الله فأقبلوا عليه ولما تعذر عليه إقامة زاوية فيها خرج منها إلى بلاد القبائل وأقام بزاوية الشيخ (محمد الرزقي بن عبد المؤمن) العلاوية ببني أجماتي عمل بجاية حيث اشتغل بتدريس بعض الطلبة بها نحو عشرة أيام[4]

بوعمامة :

أحد الداعين إلى الله من قبيلة بني يعلى، كان يبحث عمن يأخذ بيده إلى الله، ولما بلغه خبر الأستاذ جاءه ماشيا على رجليه احتراما لجنابه، لما أذن له الشيخ بالإرشاد خرج سائحا، وكان له بالغ الأثر في بلدة مندوفي بعنابة، التي كان قاضيها (صالح بن الموفق) ممن تأثر به وعمل بإشارته وانتمى للطريقة على يده، ثم استقر في قبيلته بني يعلى مذكرا.[5]

محمد ارزقي بن لعلا:

---

[1] - المصدر نفسه. ص 234.

[**] محمد خير الدين الكتاني: عالم بالفلسفة الدينية وأسرار السلوك والطريقة وأنواع التصوف والأدوار الحرفية، وأطوار النفوس البشرية، متمكنا في اللغة الفرنسية وقد لازم الخلوة سنين بفاس ومراكش في الطريقة الكتانية في حياة شيخها [محمد بن عبد الكبير الكتاني الفاسي المقتول في عهد مولاي عبد الحفيظ بن الحسن]وفي تونس أصبح مرشد جعفر الطيار ومريم سرينو، اللذان تلقيا منه مبادئ علوم التوحيد وفن السلوك على، ووعدهما بعرضهما على شيخه (شرف الدين الأفغاني) المقيم ببورصة من أحواز الأستانة لكن تحمد خير الدين توفى والشيخ شرف الدين ترك بورصة عند استيلاء اليونان عليها و لم يعد إليها بعد إجلائهم عنها و لم يهتدوا لمقر الشيخ المذكور. جعفر الطيار: الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 235. ومثل ما كان هذا الثلاثي الأوربي بحاجة إلى شيخ مرشد، كان الشيخ المرشد بأمس الحاجة إليهم ليبلغوا عنه رسالة الإسلام إلى أوربا خاصة بعد أن فقد صديقه شارل طبيي.

[2]– النجاح، ع:179 / 24 أكتوبر 1924.وأيضا :

- Abdel Karim jossot :op-cit .p 56.

[3]– الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 178.

[4]– المصدر نفسه. ص 222.

[5]– المصدر نفسه. ص 246.

عندما بلغه خبر الأستاذ، توجه لزيارته حافيا وقد كبر ذلك في نفس الأستاذ، وبعد إجازة الشيخ له في التذكير ظل سائحا بأرض القبائل عاملا على ذلك.[1]

أحمد بن محمد المسلاتي الطرابلسي:

لازم الجامع الأعظم بتونس، ثم انتقل إلى مستغانم بعدما انتمى للطريقة على يد الشيخ مفتاح البنغازي، مكث مدة بمستغانم، ثم خرج سائحا ونزل بنواحي بجاية وقد ترك هناك آثارا. ثم استقر بقرية سمنجة عمل زغوان. [2]

محمد المدني بن خليفة القصيبي المديوني: (1888 – 1959)

كان والده من أتباع الصادق الصحراوي، حفظ القرآن في سن الثانية عشر من عمره، ثم تابع دروسه مدة عامين في المدرسة القرآنية بالمنستير، وفي مدة انتسابه لجامع الزيتونة التقى بالشيخ ابن عليوة عند مروره بتونس[3]وقد أذن له بالإرشاد في ديسمبر1911.[4]فهل يعني ذلك أنه قدم معه من تونس ليكون أول كتابه بعد العودة؟ لقد تجرد محمد المدني بزاوية مستغانم كاتبا للشيخ مدة ثلاث سنوات ثم أجازه ابن عليوة في تلقين الورد العام والاسم الخاص المفرد، وتلقين أسرار التوحيد، كما أذن له في نشر الطريقة بالقطر التونسي.[5]وكان حينها حديث السن فكبر عليه أن يقوم بدعوة النسبة، فقال لأستاذه مازلت صغيرا على هذا الشأن. فرد عليه الأستاذ: (إني أراك كبيرا...) ولما وصل إلى بلده وجد نفسه من بين قومه كبيرا، وأصبحت له عدة زوايا انتسبت له فيما بعد.[6]

في المغرب الأقصى برز كل من: (بلقاسم بن أحمد الكركري) من الداعين إلى الله بقبيلة بني بو يحي من أرض المغرب صحب الأستاذ الذي أذن له في الإرشاد وبعثه لوطنه[7] و(العربي بن عمر) ببني زناسن بوجده[8].ومحمد بن الحاج الطاهر القلعي بمليليا، الذي كان متجردا بزاوية مستغانم لعدة سنوات، إلى أن سرحه الشيخ إلى بلاده، وأمره بإرشاد الخلق، لكن الأمر تعذر عليه في المرة الأولى والثانية، فوجهه الشيخ للمرة الثالثة عندها أقبل الناس عليه، وقد شهد له قاضي قضاة منطقة مليليا (الحاج حمو بن أحمد القادري)[9] بأنه قد بذل وسعه في نصح العباد، وأن الفقراء يجتمعون ليلة كل

---

[1] – المصدر نفسه. ص- ص 246-248.

[2]– المصدر نفسه. ص 247.

[3] – Salah khelifa: op-cit.pp 308 – 313.

[4] – ibid. P 315.

[5] – تليلي العجيلي: المرجع السابق. ص 144.

[6]– عبد الله التباع البيضاوي: مطالع اليقين في مدح الإمام المبين، ط2، المطبعة العلاوية بمستغانم: 1992. ص 9.

[7] – المصدر نفسه. ص 247.

[8] – المصدر نفسه. ص 244.

[9]– المصدر نفسه . ص 191.

جمعة ويعمرون وقتهم بذكر الله وأصبح أتباعه وأهل قبيلته يفدون على الزاوية رغم تضييق الأسبان عليهم[1].

5- المتجردون

يأخذ التصوف عند القوم معنى التجريد، ومعناه إخلاص المحبة لله، وطرح الدنيا والتحقق بأوصاف العبودية حتى لا تبقى مع التصوف بقية.[2]

والمتجردون فقراء اختاروا طواعية أن يكونوا في خدمة الطريق ماديا ومعنويا، فهم (خدام الشيخ وزاويته)وقد وصف قدور بن أحمد المجاجي[3] المتجردين في رسالة وجهها إلى الشيخ ابن عليوة بأنهم : : << المجردين من نواصب(كذا) الحظوظ النفسانية وجوازم الأغراض الدنيوية لخدمة جنابكم الشريف خدمة الزاوية العلوية >> وهم بمخالطتهم المستمرة للشيخ وكبار المقاديم ينالون معرفة ويتحققون و<< من خدم الصالحين انتفع بخدمته...في الغالب تعود عليه بركتهم، وسر الله منوط بخدمة الرجال لما قيل: والله ما أفلح من أفلح إلا بصحبة من أفلح، ومن لم يقدم الصالحين لم ينتفع بشيء من أسرارهم وكيف ينتفع وهو لم يسخ بخدمته لهم، وبالتذلل على أعتابهم ومن أين يحصل على النفع الذي هو موقوف على صحبتهم. قال وهو أصدق القائلين: (وأتوا البيوت من أبوابها)[4] وقال أيضا: (وابتغوا إليه الوسيلة)[5]...ثم إن العارف بالله إذا رضي على من يخدمه أغناه.>>[6]

وعلى رأس المتجردين المنقطعين لخدمة الشيخ الكتاب الذين يكون تجردهم لمدة محدودة ومكانتهم مرموقة. ومنهم الساهرين على السير الحسن للزاوية ومرافقها وممتلكاتها، دون أُجرة، وإنما تؤمن لهم الزاوية الغذاء والكساء والمأوى، ومنهم الشواش الذين كان منهم الحرس الخاص للشيخ، والساهرين على خدمة فقراء الزاوية وزوارها كتقديم واجب الضيافة لهم من الشاي، ووجبات الطعام، ومنهم أيضا القائمون بأعمال النظافة في الزاوية والمسجد والمائضة،[7]ومنهم من يستعمل في رعى البقر أو سقي الشجر أو حصاد الزرع أو بناء الدور. وإذا كانت جمعية العلماء المسلمين الجزائريين ورأت فيه استعبادا للناس،[8]فإن الطرقيين رأوه أداة للفتح القريب، فهذا محمد الشريف الزواوي، الذي كان

---

[1] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص- ص 239-240./ في عام 1924 كان قد مضى على سجن الاسبان له سـنتان ، صاحب الشهائد والفتاوى لا يعزوا ذلك لكونه من مجاهدي عبد الكريم الخطابي وإنما يقول بسبب نشاطه التذكيري لخدمة الطريق !! / ينظر: المصدر نفسه ص 191.(الهامش)

[2] – حميدي خميسي: الشيخ العلاوي عارفا متصوفا، المرجع السابق. ص 108.

[3] – أضاميم المد الساري،ج2، المصدر السابق. ص- ص 470 -471.

[4] – سورة البقرة، الآية: 189.

[5] – سورة المائدة، الآية: 35.

[6] – أحمد بن مصطفى العلاوي: المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، ج1، المصدر السابق. ص 149- 150 .

[7] - Salah khelifa, op-cit. p 434.

[8] – سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين (المؤتمر الخامس 1356هـ)، دار الكتب الجزائر: د.ت. ص 31.

كان أميا، تجرد في الزاوية بمستغانم فكان يسقي الماء للفقراء نهارا ويذكر الاسم الأعظم ليلا حتى فتح الله عليه فكلفه الشيخ ابن عليوة بالإرشاد فكان السبب الوحيد لانتشار النسبة في بلاد القبائل.[1]

ومحمد بن الحاج* من بلاد الريف، اعتبر نفسه مملوكا للشيخ، أقام بالزاوية سنوات يرعى بعض الدواب، ثم اشتغل بإقامة الأذان، ثم سرحه الشيخ وأمره بالإرشاد في قبيلته.[2] فعاد إلى بلده مذكرا وقد شهد له قاضي قضاة منطقة مليليا (الحاج حمو بن أحمد القادري)[3] بأنه قد بذل وسعه في نصح العباد، وأن الفقراء يجتمعون ليلة كل جمعة ويعمرون وقتهم بذكر الله.وقد سجنه الاسبان أثناء ثورة عبد الكريم الخطابي واشترطوا عليه الكف عن التذكير لتسريحه.[4]

ومنهم أيضا العاملون في المطبعة وورشة النجارة والفرن، وفي مطاعمها، كما نجد القائمين بالأعمال الفلاحية لذا لا يقتصر وجودهم على الزاوية الأم، و إنما يتواجدون أيضا في كل الزوايا التي تمتلك أراض فلاحية ومحلات تجارية، مثل: زاويا الدبدابة وزغير وبني خطاب وبوزريعة وكذلك بزاويتي غليزان وعنابه والمحلات الملحقة بهما.[5]

وكان الشيخ يشرك بعضهم في سياحات الدعوة والتذكير مثل: السياحة التي شارك فيها المتجرد محمد بن موسى إلى الصحراء.[6]

ثالثا: أحباب الطريقة

هم من أتباع الطريقة وإن لم يأخذوا العهد عن الشيخ و لم يطلبوا السلوك على يديه، فالمحب ليس بمنتسب إلى الطريقة وقد لا يكون مسلما أصلا، لكنّه يتعاطف سواء مع شيخها أو مريديها أو تعاليمها. فيحضر بعض اجتماعاتها ويساهم ماديا معنويا في مشاريعها، مثل بناء الزوايا. ويدعو فقراءها لحضور أفراحه كما يشاركونه أحزانه، وقد يرافقهم في بعض سياحتهم، وعادة ما ينتهي المحب بالدخول في الطريقة إن كان مسلما. وإن كان غير مسلم، فيحضر مع الشيخ أو بعض الفقراء

---

1 – المصدر نفسه. ص 123.

* كان متجردا في الزاوية يرعى بعض دواب الشيخ ومن بينها فرس ويروي أنه رأى رؤيا قال عنها: <<نمت ذات ليلة فرأيت نفسي منقسما على نصفين فاخذت نبحث [كذا] عن السبب الذي يجمعني في ذاتي فقيل لي اذا اردت أن تحصل على اجتماع شقيك والتآم ذاتك فتمسح على فرس الشيخ ففعلت كما قيل لي فكان الامر كذلك ولما فقت صرت احب تلك الفرس على خلاف ما كنت نعامله[كذا] به من قبل>>. ينظر عدة بن تونس: الروضة السنية، المصدر السابق. ص 145.

2 – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص- ص 239-240.

3 – المصدر نفسه. ص 191

4 – المكان نفسه.

5 – معلومات استقيتها هاتفيا من الحاج مراد بتاريخ: جويلية 2006.

6 – محمد بن عبد الباري: المصدر السابق. ص 158.

في مجالس تناقش مواضيع ذات الاهتمام المشترك وقد يحضر اجتماعات الذكر دون أن يشارك فيه.[1]

وقد ذكر الشيخ ابن عليوة[2] في بعض قصائده محبيه وحباهم بالسرور ولطف الله في قوله:

محبنا في سرور ***محفوفا بلطف الله

وفي قصيدة أخرى يقول أن شيخه حمو البوزيدي بشره بأن محبه في أمان وأنه لا يبور ويقابله بمريده وكأنه مرادفا له وليس أقل مكانة منه بقوله:

محبكم في أمان *** مريدكم في ضمان

طريقكم لا تغور *** محبكـــم لا يبـــور[3]

ومن عثرت على أسمائهم من أحباب الطريقة يعتبرون من أعيان المجتمع الجزائري فمنهم التجار الكبار والموظفون خاصة في القضاء الإسلامي، وأتباع طرق أخرى وخاصة من الطريقتين الهبرية والتيجانية. ومنهم:

مصطفى العشعاشي:

كان صهر كل من محمد بن يلس، وأحمد بن إسماعيل[4] وكلاهما من أتباع الشيخ حمو البوزيدي، تعرف إلى الشيخ ابن عليوة في تلمسان في عهد شيخه ورافقه في بعض سياحاته إلى الجزائر العاصمة، وإلى فاس بالمغرب الأقصى، >> وكانت بينهما محبة قوية، وقد سأله بعض الفقراء بحضرة الشيخ ابن عليوة: هل هو من تلاميذ الشيخ؟ فأجابه: هو من المحبين وتابع للطريقة الهبرية. فتكلم الشيخ ابن عليوة في المحبة وأفاض في الحديث عن ذلك.[5]

ابن قدور أحمد بن الحاج العربي[6]

كان مفتي البليدة، ومن أحباب الطريقة العلاوية، وعندما وفد إلى البليدة كل من عدة بن تونس ومحمد العيد التونسي، ومحمد الشريف الزواوي أواخر ربيع الثاني 1340 استضافهم في منزله للاجتماع بالمقبلين عليهم من البليدة والجزائر وتذكيرهم.

عبد الرحمن بن محمد الموسوم [7]

وهو رئيس زاوية قصر البخاري الشاذلية. راسل ابن عليوة واصفا إياه بـــ>> تاج العارفين وقدوة السالكين حبنا في الله الشيخ سيدي أحمد بن مصطفى... <<

---

[1] – من رسالة مقدم زاوية البرج موهوب نصر الدين، المؤرخة بتاريخ: 20 ماي 2005. ينظر الملحق رقم اثنان.

[2] – الديوان، المصدر السابق. ص 24.

[3] – المصدر نفسه. ص 23.

[4] – كان مصطفى العشعاشي زوج آمنة ابنة محمد بن يلس، أما التاجر الكبير أحمد بن إسماعيل فكان زوج أخت العشعاشي، وابن يلس، وابن إسماعيل كانا من تلاميذ الشيخ حمو البوزيدي/. مصطفى العشعاشي، المصدر السابق، ص – ص 47 و 107.

[5] - المصدر نفسه. ص 107.

[6] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 183.

[7] - المصدر نفسه. ص 192.

مولود الحافظي (1880-1948)

رئيس جمعية علماء السنة، يتفق الجميع على أنه من أحباب الطريق لكن بعض أتباع الطريق يملك شهادات تثبت أنه فقير علاوي.*

مارسيل كاري:

طبيب فرنسي فتح عيادته بحي تيجديت لمعالجة المسلمين، وكان له القبول الحسن فيه حتى استدعاه الشيخ للتعرف إليه، ولعلاجه، وكان ذلك بداية صداقة امتدت حتى وفاة الشيخ، حيث أصبح وزوجته من المقربين له ولأهله فضلا عن كونه طبيبه الخاص، ومن أحباب الطريق حين أيقن أنه ليس دجالا ولا مخادعا، واستمر في صحبته حتى توفي الشيخ عام 1934.[1] لكن الشيخ عدة بن تونس يذكر بأنه كان يزور الشيخ ابن عليوة ويجاذبه المذاكرة في الأمور الدينية، وأن الأستاذ كان يلاطفه ويذكره حتى تمكنت محبة الإسلام من قلبه فنطق بالشهادتين هو وزوجته[2]. لكن الطبيب ينفي إسلامه، بعد وفاة الشيخ انتقل إلى المغرب الأقصى وأصبح الرئيس الشرفي لجمعية أحباب الإسلام التي أنشأها الشيخ عدة بن تونس بعد الحرب العالمية الثانية. وقد ذكر بارك[3] أن ابن عليوة كان عند بداية دعوته مشبوها لدى الإدارة الاستعمارية، ففرضت عليه رقابة مخبريها. ولعل الدكتور مارسيل كان أحد المدسوسين عليه من قبل إدارة الشؤون الأهلية والمخابرات الفرنسية إلى أن أصبح محل ثقته ومن خواصه[4]. و وما دام الشيخ معتل الصحة ومرضه مزمنا فمن عساه يكون أقرب للمريض من طبيبه؟.

المبحث الثالث: أهم زوايا وممتلكات الطريقة في الجزائر

ليست الزاوية مسجدا عاما إذ لا تقام فيها صلاة الجمعة، وإنما هي مأوى للذاكرين،[5] ويرى الذابون عنها أنها أماكن على صفة المساجد متخذة لاجتماع المؤمنين فيها للصلاة وتعليم العلوم

---

* طرحت على د. موهوب نصر الدين سؤال: هل كان مولود الحافظي من أحباب الطريقة العلاوية؟ فأجابني:>> لا كان من مريدي الشيخ ولذا وضعه على رأس جمعية علماء السنة >> ولما سألت عما إذا كان يوجد دليل على ذلك، قال:>> توجد شهادات والفقراء الكبار يعلمون ذلك، اسألي علاوة أرتباس>> مكالمة هاتفية يوم 15- 6 – 2006. فوجهت السؤال إلى السيد مراد بن تونس، فأجاب بأنه كان صديقا لابن عليوة. رسالة قصيرة بتاريخ: 16-5-2005. أما السيد علاوة أرتباس: فيقول أن فقيرا علاويا من منطقة القبائل- لا يزال على قيد الحياة -أخبره بأنه أخذ العهد عن ابن عليوة. لكني لا أعتقد. فطلبت منه شهادة خطية بذلك فوعدني بها أن شاء الله ، وقد أكد لي من قبل أنه لم يكن مجرد متعاطف مع الشيخ بدليل سماحه لعدة بن تونس بأن يكون عضوا في المجلس الإداري لجمعية علماء السنة.

[1] -Marcel Carret : op-cit. pp 17-18.

[2]– عدة بن تونس: المرشد، ع: 15تنبيه القراء إلى كفاح مجلة المرشد الغراء، ج1، جمعه وطبعه: رشيد محمد المهدي، حققه، يحي برقة، المطبعة العلاوية مستغانم: 1983. ص 164.

[3] – augustin Berque : op-cit. p 764.

[4]– أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق. ص 139.

[5] – عمر بن قدور: المصدر السابق. ص- ص 174-175.

الدينية، وقراءة القرآن، ومنها ما أطلق عليه اسم معهد ديني بأتم معنى الكلمة. ومادامت الزوايا لم تكن مأوى لا للفجار ولا للفساق ولا للسكيرين والقمارين، فإننا لا نستطيع أن نلحقها بغير مساجد الله[1].

أما مصطلح الزاوية فقد ظهر في بلاد المغرب حوالي القرن الثالث عشر مرادفا لكلمة الرباط، والرباط للجهاد. ثم تطورت الزاوية إلى مركز للتعليم والعبادة كما صارت مقاما لضريح ولي أو مزارا لمرابط. تتوفر الزاوية عادة على مصلى به محراب، وضريح تعلوه قبة، وغرفة خاصة بالذكر، وكتاب لتحفيظ القرآن، وغرف لضيوف الزاوية ولعابري السبيل وللطلبة. فالزاوية مدرسة دينية، ودار ضيافة مجانية. ولها تأثير سياسي على سكان المناطق البعيدة عن نفوذ الحكومة.[2]

أما هندسة الزوايا فكانت تجمع بين هندسة المسجد والمترل، والزوايا عموما قصيرة الحيطان منخفضة القباب والعرصات قليلة النوافذ تفتقر لجمال الهندسة كثيرة الرطوبة والعتمة يوحي شكلها بالعزلة والتقشف.[3] فهل كانت زاوية مستغانم كذلك؟

أولا: الزاوية الأم بتيجديت ومرافقها

تم شراء القطعة الأولى من الأرض التي بنيت عليها الزاوية الأم بتيجديت في (24 جانفي 1912)[4] ولكن لم يوضع أساس الزاوية إلا عام 1914، وحالت ظروف الحرب العالمية الأولى دون إتمام البناء.[5] وفي(7 جانفي 1920)، تم شراء القطعة الثانية من الأرض التي بنيت عليها الزاوية، في نفس السنة استأنفت أشغال البناء فيها.[6]

وكان جميع العمال في أشغال البناء من المتطوعين، فكان منهم البناء والنجار وقاطع الحجارة والحمال...وقد وفدوا بأعداد كبيرة من بلاد القبائل، ومن الريف المغربي، وعدد محدود منهم جاء من تونس، جاءوا جميعا يحملون معهم زادهم القليل بمجرد سماعهم ببدء أشغال بناء الزاوية فكانوا يتجردون في أعمال البناء لمدة شهرين أو ثلاثة أشهر، ثم يغادرون ليخلفهم أتباع آخرون. وبذلك لم تشكو أعمال البناء أبدا من نقص في اليد العاملة، و لم يكن هؤلاء العمال يتلقون أجورا وإنما كانت الزاوية تؤمن لهم الإطعام والإيواء فحسب، ولهذا الغرض نصبت لهم خيام، وكل مساء ساعة قبل الصلاة يستمعون لمذاكرات الشيخ وكانت تلك مكافأتهم الكبرى.[7]

1– لسان الدين الثانية، ع: 78.

2– دائرة المعارف الإسلامية، ت: محمد ثابت الفندي وآخرون، مج10، د.م.د.ت. ص– ص 231– 233. وأيضا أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء 6، المصدر السابق. ص 421

3 – تاريخ الجزائر الثقافي، الجزء1، المصدر السابق. ص– ص 268–269.

4 – Salah Khelifa: op-cit. p 531.

5 - Marcel Carret : op-cit. pp 18-19.

6 - Salah Khelifa: op-cit. p 531.

7 –Marcel Carret : op- cit. pp 18-19.

امتازت زاوية تيجديت بجمال هندستها، وبطابعها المعماري العثماني الأندلسي، مع تعدد المرافق فيها، وهي حسنة البناء، وفيها مسجد للصلوات الخمس وقاعات للتدريس، وبيوت للفقراء والمتجردين، وبيوت لخدام الزاوية، وأخرى للضيوف[1]، وقد قدرت قيمتها بمائتي ألف فرنك، وقيمة ما حبسه عليها الشيخ ابن عليوة من دور وعقار تسعمائة وخمسين ألف فرنك من أصل الحبس الذي قدرت قيمته المحكمة الشرعية بنحو مليون وأربعمائة ألف فرنك[2].

وكان يقيم بزاوية تيجديت نحو المائة وخمسين شخصا، الأمر الذي تطلب حيزا هاما منها للسكنات الخاصة. منها السكن الخاص بالشيخ وأسرته وآخر لوكيل الزاوية مع أسرته أيضا وثالث لمقدمها ورابع لإمامها، فضلا عن غرف المتجردين الذين بلغ عددهم حوالي ثلاثين متجردا. وجناح



[3]

مخصص لاستقبال الضيوف، أما النساء فيتم استقبالهن غالبا في جناح الحريم بالزاوية مع عائلة الشيخ. وكان الفصل تاما بين الفقراء والفقيرات في الزاوية حتى أنه خصص الباب الشرقي للفقيرات فقط.

ومن مرافق الزاوية أيضا المكتبان: فقد كان للشيخ ابن عليوة مكتبان أحدهما داخلي خاص به (يعرف حاليا بقاعة مخطوطات الشيخ وهي محاذية لضريحه) وقد كان الشيخ ابن عليوة يأوي إليه يوميا بعد صلاة العشاء ولا يستعمل فيه الكتاب، فكان يكتب فيه كل ما يلقى إليه وما يفتح عليه به، وقد يمكث به مطالعا وكاتبا حتى مطلع الفجر، ولا يدخله في الصباح إلا وكيل الزاوية عدة بن تونس، وبأمر منه لقراءة ما كتبه فيحتفظ بما تتقبله العقول ويتخلص من الباقي.[4]

1 – مصطفى العشعاشي: المصدر السابق. ص 101.

2 – عدة بن تونس: الروضة السنية، المصدر السابق. ص 90.

3 – من أرشيف الزاوية العلاوية بمستغانم، زودني بها الحاج مراد بن تونس.

4– أنظر أوقات الشيخ وأعماله اليومية.

أما المكتب الخارجي فيوجد في حديقة الزاوية قرب الشرفة التي ذكر مارسيل كاري أن الشيخ كان يحب الجلوس فيها للمطالعة واستقبال بعض زواره، وكان الشيخ يجتمع فيه كل صباح بكتابه، ليعطي أجوبة الرسائل، ويوجه أخرى أو يُحِضّر ويملي عليهم بعض المقالات، وقد يعود إليه بعد صلاة الظهر.[1]هذا إلى جانب المكتبة التي كان يرتادها المثقفون من أتباع الشيخ.وحجرات الخلوة للسالكين المتقدمين في الطريق.

ومن مرفق الزاوية الهامة نجد المدرسة القرآنية: لتعليم القرآن الكريم، وقد كانت زاوية حمو الشيخ البوزيدي مدرسة داخلية لتعليم القرآن الكريم. وفي عام 1924 نشر المقدم عدة بن تونس دعوة في صحيفة النجاح لطالبي تحصيل القرآن الكريم أن يقصدوا الزاوية التي تتكفل بحاجاتهم المادية، ولا تطلب منهم إلا الاجتهاد في تحصيله.[2]

كما تتوفر الزاوية على عدة مرافق لخدمة المقيمين والضيوف من أهمها: المطبخ الذي تشرف على المتجردات العاملات فيه نساء أسرة الشيخ دوريا. وكانت الزاوية تقدم ثلاث وجبات غذائية يوميا، في الصباح يقدم الشاي المعطر بالنعناع، مع قليل من الخبز للزوار المسنين أو الأوربيين؛ إلى جانب الوجبتين الرئيسيتين خلال اليوم، الأولى ظهرا، والثانية مساء، تحتوي كل وجبة عادة على الخبز والخضراوات، الكسكسى، وشيئا من السمك، وقلما كان يقدم لحم الضأن فيها.[3] هذا إلى جانب القيام بواجب الضيافة الضيوف الذين قد يترلون عليها في أي وقت، وقد ذكر الدكتور مارسيل كاري[4]أنه عند زيارته الزاوية الأم أول مرة قدم له شابا مهذبا على طبق نحاسي كأسا من الشاي المعطر مع الكعك.

ومن المرافق الأخرى والملحقة بالزاوية نجد المطبعة والفرن، وإسطبل للحيوانات، محل نجارة.

ثانيا: الزوايا الكبرى للطريقة العلاوية

تأتي المدارس الإرشادية الثلاث وهي زاويا تلمسان والجعافرة وعنابه، بعد الزاوية الأم بتيجديت ولا يقتصر دور مقدميها على أخذ العهد وتلقين الورد، وإنما أذن لهم الشيخ ابن عليوة في تسليك المريدين وإدخالهم الخلوة وتلقين الحقائق، ويشمل نفوذهم مقاطعات واسعة.

أما الزوايا الأخرى فيطغى عليها الطابع المحلي، وهي دون الزوايا الإرشادية من حيث قيمتها المادية وإشعاعها الروحي. وأهم زواياها في الجزائر هي:

---

[1] – معلومات مستقاة من الحاج مراد ،خلال مكالمة هاتفية يوم 7 جوان 2006.

[2] – النجاح، ع: 168، 8 أوت 1924.

[3] –Johan Cartigny: op- cit, p 82.

[4] – Marcel Carret : op- cit .P 15.

زاوية تلمسان الإرشادية:

كان لأتباع الطريقة العلاوية بتلمسان زاوية في حومة درب حلاوة بباب الجياد أقيمت على أنقاض منزل العلامة سيدي الحرشاوي، ثم انتقلوا إلى زاوية بنوها قرب مسجد الكرمة[1]وهي للوعظ والتذكير وبث العلوم وملجأ للغريب والمسكين وحبس على فقرائها.[2]وهي زاوية جميلة البناء واسعة المساكن والفناء يقدر ثمنها بما يناهز مائة ألف فرنك،[3]ذات أربعة بيوت ومسجد تقام فيه الفريضة وتقرأ فيه مبادئ العلوم من فقه ونحو وغير ذلك، وبجنبه مدرسة قرآنية يلقن فيها كتاب الله للصبيان وبيت أخرى من الأربعة مدرسة ابتدائية لتعليم الولدان الحروف الهجائية ما يتبعها من تربية وتهذيب، وممن اشتغل بالتعليم فيها البشير بن محمد،[4]وعبد الرحمن بو جنان الوزيداني التلمساني.[5]

زاوية الجعافرة الإرشادية:

كانت أول زاوية علاوية أسست ببلاد القبائل تبرع بأرضها محمد الشريف بن الحسن، وتولى بناءها وعمارتها (عبد الرحمن بوعزيز القبائلي)وجعلها مدرسة تذكيرية تدعو الناس لسلوك الطريق ومعرفة الله الخاصة.[6]ولا يذكر الشيخ عدة أي شيء عن مرافقها ولا عن قيمتها المادية.

زاوية عنابة الإرشادية:

وهي ثاني أكبر زاوية علاوية في الجزائر، تم تشييدها بين عامي 1922-1925[7] ولم يتم تدشينها تدشينها رسميا إلا عام 1927، وقد حضر ابن عليوة حفل افتتاحها الرسمي. تقع هذه الزاوية وسط المدينة، ولها بناء ضخم وقد ألحق بها الطرابلسي مسجدا تقام فيه الفريضة ويقدم به خمسة دروس يومية، كما كان يدخل الخلوة ويسلك المريدين. كما ألحقت بها محلات ذات طابع تجاري منها مخبزة وتجاوزت قيمة زاوية عنابة المائة ألف فرنك[8]. وقد رفض الحاج حسن الطرابلسي إلحاقها بأحباس الزاوية وجعلها حبسا على ذريته.

زوايا الجزائر العاصمة:

---

[1] – مصطفى العشعاشي: المصدر السابق. ص- ص 103-106.

[2] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 101.

[3] – عدة بن تونس: الروضة السنية،ط1، المصدر السابق. ص 80.

[4] – لسان الدين، ع: 32، السنة الأولى، الجزائر: 30 ربيع الثاني 1356هـ

[5] – المصدر نفسه. ص 91.

[6] – عدة بن تونس: الروضة السنية، المصدر السابق. ص 84.

[7] – دلت على ذلك لوحة من الرخام عند مدخل الزاوية ، وهي حاليا تعرف بزاوية الحاج حسن الطرابلسي.

[8] – عدة بن تونس: الروضة السنية، المصدر السابق. ص 88

أذنت الحكومة الفرنسية في عام 1923 للطائفة العلاوية بافتتاح زاوية لها بالجزائر العاصمة >>للذكر والتذكير وتعليم الأمور الواجبة من مسائل الدين حسب عاداتهم<<[1] وزاوية ثانية بمدينة برج بو عريريج وثالثة بسكيكدة. فتم افتتاح أول زاوية في مدينة الجزائر العاصمة وقد كانت محلا صغيرا اكتراه الشيخ ابن عليوة بحي القصبة. فكانت مقرا لممثل الطريقة التي أصدرت صحيفة لسان الدين الأولى وأعلنت الدعوة لتأسيس حزب ديني.

ثم اشترى الشيخ ابن عليوة دارا فخمة بسانت أوجين[*] وأصبحت مقر الشيخ خاصة خلال الجمع السنوي ثم انتقل إلى زاوية بوزريعة عام 1933 وجعلها ضمن حبس الزاوية، وتقدر قيمتها بما يزيد عن المائة وعشرين ألف فرنك [2]. وكان للطريقة زاوية أخرى داخل البلد بناها أو اكتراها عباس الجزيري[3].

زاوية برج بوعريريج:

كانت مركز أتباع الشيخ بمنطقة البرج وضواحيها[4] التي سببت فيها دعوة الشيخ غليانا نتيجة الصراع بين مؤيدي زيارته للمنطقة ومعارضيها عام (1921).[5] وقد بنيت هذه الزاوية على مساحة ربع هكتار من الأراضي، كانت ملكا للحسن بوعزيز الجعفري مع الشياع مع آخرين وقد حبسها في ماي 1930 على الطائفة العلاوية،[6] وهي ذات بناء واسع، وتزيد قيمتها على المائة ألف فرنك.[7]

زاوية وهران:

كان مقرها بالمدينة الجديدة، أما قيمتها فتزيد عن ستين ألف فرنك، وهي حبس على فقرائها. حيث ذكر في عقد شرائها ثمانين فقيرا من نواحي شتى لم يكتمل تجهيزها في عهد الشيخ ابن عليوة فجعلها

---

[1]– (بلاغ وتهنئة)، لسان الدين، ع: 12، 20 مارس 1923.

[*] ينظر صورتها في الصفحة 124 من البحث.

[2] – تواريخ العقود حصلت عليها من عند الحاج مراد بن تونس في مكالمة هاتفية بتاريخ 11جويلية 2006.

[3] – عدة بن تونس: الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 83.

[4]– المصدر نفسه. ص ـ ص 83-84.

[5] – Augustin Berque : op-cit. pp 760 -761.

[6] –بوعزيز الجعفري: رسم الحبس عدد 63 مؤرخ في 28 ماي 1930.

[7]– عدة بن تونس: الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص 83.

وقد وصف علي أرتباس هذا العقار بأن مساحته >>ربع هكتار كائنا في حي لقراف ببرج بوعريريج بني جزء منه قاعة كبيرة للصلاة مع فناء ووراءها فناء ثان مع خمس غرف للسكنى يشغلها الإمام<<. ولا شك أن باقي زوايا الطريقة الكبرى كانت على هذا النسق خاصة وأن ثمنها كما قدره الشيخ عدة قريبا من قيمة زوايا عنابة، تلمسان والجزائر.

–أرتباس علي: وثيقة طعن بالبطلان في قرار من السيد والي ولاية سطيف رقم: 70969 مؤرخ في 30 جويلية 1987.

تحت إشراف عدد من أعيان الطريقة[1] لينفرد بها أحدهم بعد وفاة الشيخ وهو صالح بن عبد العزيز القادري البغدادي.

زاوية بني يعلى: (بدشرة المقارب)

كانت هذه الزاوية تحت إشراف الحاج الهاشمي بوعمامة[2] الخلوتي، وقد كانت لآبائه، ثم انتسبت إلى الطريقة العلاوية بانتساب شيخها إلى ابن عليوة[3]

زاوية قبيلة عياض:

جنوب برج بوعريريج بنحو السبعة والعشرين ميل لم يبنها السعيد بن الشيخ البشير بن المكي كما يذكر الشيخ عدة بن تونس[4]؛ وإنما أحيا زاوية آبائه التي كاد أمرها أن يندرس فازدهرت واشتهرت وأصبحت علاوية المشرب. [5]

ونسجل هنا غياب زوايا الطريقة خاصة في القسم الجنوبي من الوطن رغم رسوخ عقيدة الولي بين الكثير من أبنائه.

ومن أجل السير الحسن لزواياها وجهازها الدعوي، وبناء المزيد منها أنشأت الطريقة (جمعية التنوير) وهي جمعية طائفية لا ينخرط فيها إلا من كان علاوي الطريقة، وتمتد فروعها في كل زوايا الطريق عبر الوطن.[6]

---

[1] – عدة بن تونس: الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص– ص 81-82.

[2] – المصدر نفسه. ص 87.

[3] - المصدر نفسه. ص 76. و لم يبق حاليا لزاوية بني يعلى هذه أي أثر، حيث أقيم مكانها محطة للتزود بالوقود / أرتباس علي: 12 ديسمبر 2006.

[4] – عدة بن تونس: الروضة السنية: المصدر السابق. ص 86.

[5] – محمد بن عبد الباري: الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 156.

[6] - عدة بن تونس: تنبيه القراء إلى كفاح مجلة المرشد الغراء، ج1، المصدر السابق. ص- ص 153- 154.

ثالثا: الممتلكات والعقارات الفلاحية للزاوية العلاوية

لم يكن للشيخ ابن عليوة قبل عام 1920 ما يكفيه من المال لإعالة المقبلين فضلا عن أن يجد ما يقتني به عقارات، وقد بلغت الضائقة المالية به حد رهن مسكنه الكائن بحي المطمر عام 1912. ولكنه في نفس السنة ولتجاوز الأزمة قام باكتراء أراض فلاحية بغليزان[1] ويكون الشيخ ابن عليوة– دون شك– قد استخدم أتباعه للعمل بها وفق نظام التويزة، مادام لا يملك مالا يدفعه للعاملين، ولا متجردين متفرغين للعمل بها.

لكن ومنذ عام 1920 – وهي سنة الإعلان عن مجدد الأمة وتزايد الإقبال على الشيخ– كادت عمليات الشراء أن تكون سنوية، باستثناء أعوام 1922 و1924 و1932 وعلل صالح خليفة[2] عدم اقتناء الشيخ ابن عليوة لعقارات خلال هذه السنوات بكون عام 1922 وافق تاريخ إنهاء أشغال بناء الزاوية الأم بمستغانم والذي تطلب مبالغ معتبرة، أما عام 1924 فيوافق سنة شراء المطبعة، و لم يجد ما يعلل به توقف عملية الشراء خلال عام 1932. غير أني اعتقد أن هذه المحطات التاريخية الثلاث تمثل فترات اشتدت فيها الأزمات الاقتصادية، ففي أزمة العشرينات، تقاطرت الأعراش على الزوايا من جميع الجهات، مما أرهقها حتى أن بعضها خرج مثقلا بالديون ولا شك أن الزاوية العلاوية لن تشذ عن هذه القاعدة، فيقال أن الشيخ ابن عليوة <<باع دارا كانت لسكناه بمدينة مستغانم بثمانية عشر ألفا وصرفها على الوافدين والمعوزين واتخذ بعد ذلك محلا بالكراء>>[3] وذلك قبل إتمام بناء زاوية تيجديت، أما في عام 1932 فقد استفحلت الأزمة الاقتصادية العالمية وانعكاساتها في الجزائر تجلت في تلك السنة، حتى أن جريدة (البلاغ الجزائري) توقفت عن الصدور بعض الوقت ولجأت خلال عامي (1932 و1933)[*] لجمع التبرعات لتتجاوز الضائقة المالية التي مرت بها الصحيفة واضطرتها للتوقف عن الصدور لبضعة أسابيع خلال عام 1932.

---

[1] – Salah khelifa, op-cit. p 647.
[2] – Ibid. p 653.
[3] – منصف: (إليك بيان الدين الصحيح – يا حضرة العقبي–)، البلاغ الجزائري، ع 26- 1 محرم 1345 /1 جويلية 1927 / أضاميم المد الساري، ج3، المصدر السابق. ص– ص 105 -106.

[*] تبرع لنائب جريدة البلاغ الجزائر أحمد الرايسي من مدينة غليزان بمبلغ ألف وثمانمائة فرنك، منها ألف فرنك من صالح بندي مراد وحده، هذا الأخير قدم ألف فرنك أخرى في السنة الموالية كما تبرع الفقراء العلاويون بزاوية باريس بمبلغ قيمته ألف وسبعمائة وخمسين فرنك؛ و سكان بلدة مندوفي بمبلغ أربعمائة وخمسة فرنكات. أما دوار الجعافرة فقدم مبلغ مائتان وسبعون فرنك حسب ما سمحت به الظروف الاقتصادية الصعبة. وتبرع بعض عمال منجم لكويف بتبسة بما قيمته مائة وثمانون فرنك، أما المحسنون من مدينة الجزائر فقدموا مبلغ بتسعمائة وخمس وثلاثين فرنك؛ ومن وهران تلقت تبرعات قيمتها تسعمائة وخمسين فرنك. مع ملاحظة أن قيمة الاشتراك السنوي كانت أربعون فرنك. أنظر البلاغ الجزائري: –ع: 244، الجزائر: 22 جانفي 1932. - ع: 294، 23 ماي 1933. - ع:291، 5 ماي 1933. - ع: 294 ،23 ماي 1933. - ع: 294 ،23 مـاي 1933. - ع: 297، 16 جوان 1933. - ع: 306، 18 أوت 1933.- ع: 316، 10 نوفمبر 1933.

وتمثلت أهم عقارات الطريقة في:

1- الدور والمحلات التجارية:

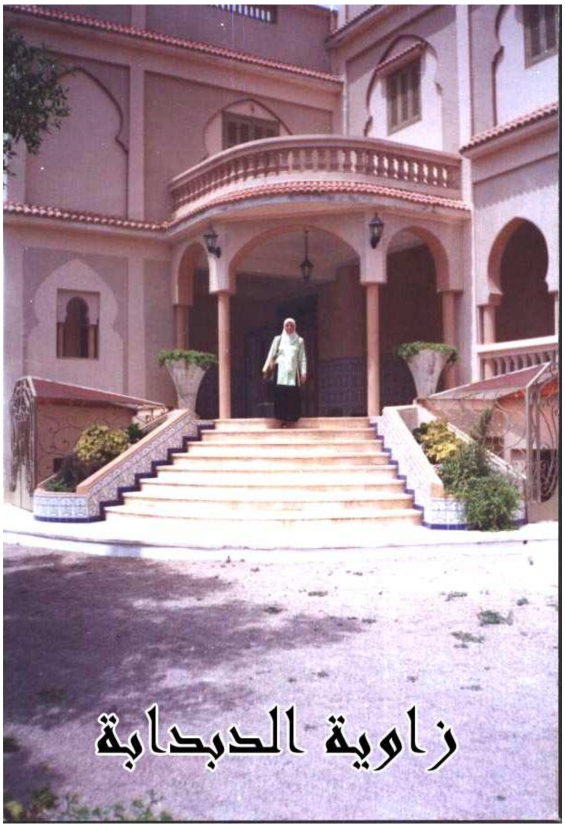
لاحظت من خلال هذه الدراسة أن كل ممتلكات الشيخ أصبحت تطلق عليها تسمية زاوية وإن انعدمت فيها مرافق الزاوية و لم تؤد وظائفها، ولذلك ارتأيت عدم إطلاق اسم الزاوية على الدور والعقارات الفلاحية والتجارية، التي كانت ضمن ممتلكات الشيخ ابن عليوة ومنها:

الدار الكائنة بشاطئ البحر بمستغانم :

حضر عبد الكريم جوصو[1]عام 1924 جانبا من أعمال بناء هذه الدار أو زاوية البحر كما يسميها الأتباع، في حين سماها جوصو (الإقامة الصيفية) للشيخ ابن عليوة. وقد اشترى الشيخ ابن عليوة أول قطعة أرض منها في (20 أوت 1923)[2]

دار مزرعة الدبداية:

سماها صالح خليفة[3]بدوره الإقامة الربيعية للشيخ ابن عليوة، وهي مع مزرعتها تعرف أيضـــا بزاويـــة الدبداية وتم بناء هذه الدار مع تحويل مخزنها إلى مسجد، فكان يقيم بها عشرات المتجردين بعضهم مع أسرهم، وكان هؤلاء المتجردون يهتمون بالأعمال الفلاحية في المزرعة.

4


[1] –Abdel Karim jossot: op-cit, p 56

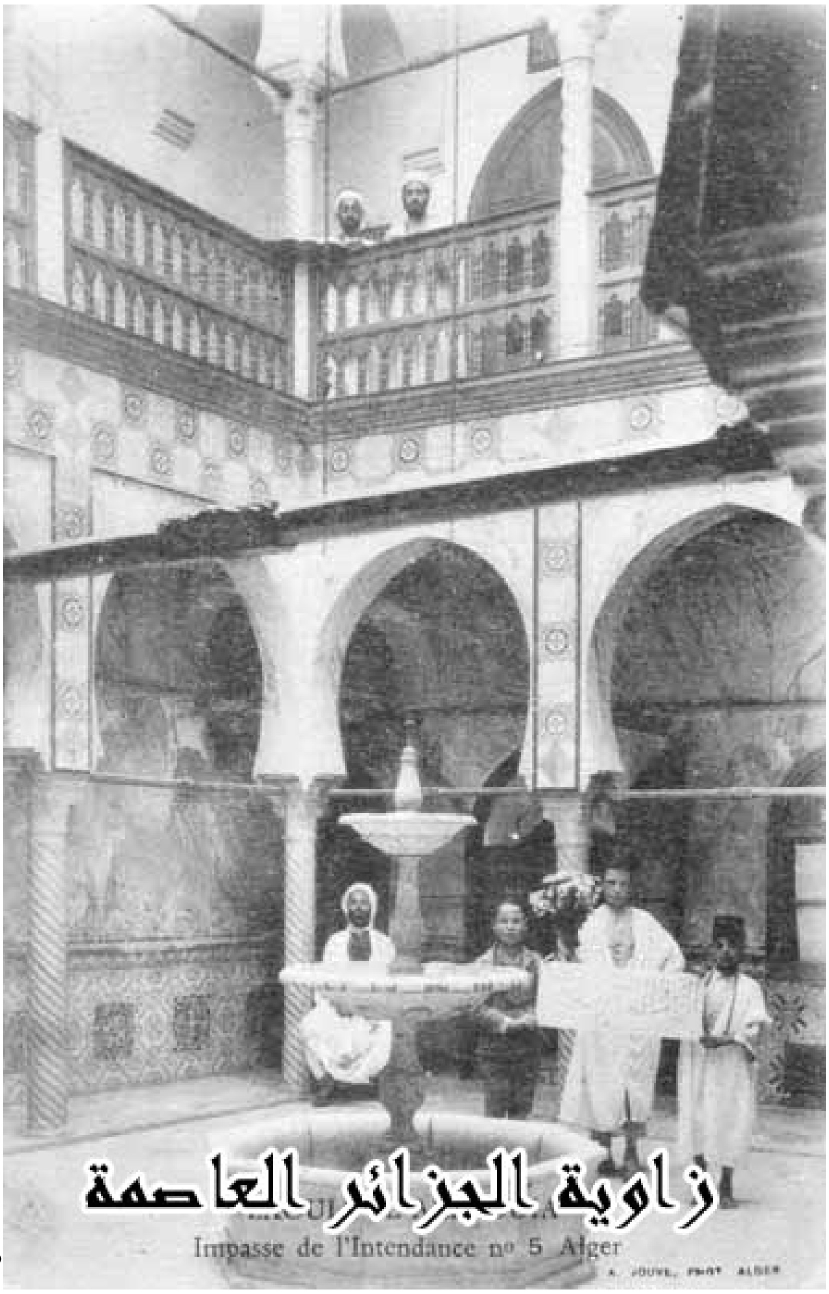
[2] – Salah khelifa: op-cit, p: 555.

[3] -Ibid. p 561

[4] – صورة خاصة التقطتها للزاوية عند زيارتها في جويلية 2001.

دار سانت أوجين بالجزائر العاصمة:

اشترها الشيخ ابن عليوة بتاريخ (14 أكتوبر1927)، وقد صفها حسن الوارزقي[1]بأنها <<قصر عظيم...[فيه] بئرين[كذا] وعينان تجريان، وبه حمام أوربي وتيلفون وبستان او حديقة!>> وهي دار تطل على البحر، لكن الشيخ ابن عليوة باعها في(3 ماي 1932) واشترى بدلا عنها زاوية بوزريعة وأراض محيطة بها.[2]



[3]

---

[1] – الشهاب، ع: 128، السنة الثالثة، قسنطينة: 5 رجب 1346 / 29 ديسمبر 1927. ص 9.

[2] - تواريخ العقود حصلت عليها من الحاج مراد في مكالمة هاتفية بتاريخ 11جويلية 2006.

[3] – صورة من أرشيف الزاوية العلاوية بمستغانم، قدمها لي الحاج مراد بن تونس.

المطاعم:

أنشأ الشيخ ابن عليوة عدة مطاعم في غليزان، كان يشرف عليها المقدم الحاج صالح بن ديمراد[1]ودون شك لم يكن ليعدم المتجردين للعمل بها.

أفران الخبز:

ذكر مصطفى العشعاشي[2] أن الشيخ ابن عليوة قد بنى<<فرنا كبيرا لصناعة الخبز بمستغانم، كان يبيع يوميا عشرة قناطير من الخبز>>وقد كان يعمل به المتجردون، وقد ألحقت بالزوايا الكبرى للطريقة الأخرى وخاصة زاوية عنابة أفرانا مماثلة.

ورشات النجارة:

كانت تستعمل لإنجاز ما تحتاجه زوايا الطريقة من تجهيزات وخاصة الأبواب والنوافذ وما شابه ذلك. من هذه الورشات ورشة النجارة الملحقة بزاوية تيجديت والتي كان يعمل بها المتجردون هي الأخرى.[3]

المطبعة:

كان الشيخ ابن عليوة يسعى لاقتناء مطبعة منذ إصداره صحيفة لسان الدين، وتمكن عام 1924 بمساعدة قريبه عبد القادر بن عليوة، ومريده التاجر الكبير صالح بن ديمراد من شراء مطبعة تواتي موسى بمبلغ اثنين وعشرين ألف فرنك. واستعملها لطبع نشرات دينية وكتب وجرائد تدافع عن الطرق الصوفية وعن مشايخها وعن المنتسبين إليها[4]وهي خامس مطبعة عربية بالجزائر في ذلك الوقت.[*]

2- العقارات الفلاحية:

اشترى الشيخ ابن عليوة 126.2 هكتارا من الأراضي قليلة الخصوبةـ باستثناء مزرعة الدبدابة ـ ثم تولى الفقراء وخاصة المتجردون منهم عملية استصلاحها؛[5]وتتمثل أهم عقارات الشيخ الفلاحية في:أراضي عرش زغير، وقطاره ومينا وتاحمدة، إلى جانب مزرعة الدبدابة.

أراضي عرش زغير، وقطاره ومينا وتاحمدة:

---

[1] – مصطفى العشعاشي: المصدر السابق. ص 101.

[2] – المكان نفسه.

[3] – Salah khelifa: op-cit. P 567.

[4]- Ibid. p 270

[*] لم يكن في الجزائر قبل الحرب العالمية الأولى إلا مطبعة دار مراد رودسي، وبعدها ظهرت مطبعة النجاح، والمطبعة الإسلامية بقسنطينة، ومطبعة البلاغ الجزائري، والمطبعة العربية الحديثة بالجزائر العاصمة.

ينظر – أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المصدر السابق. ص 371.

[5] -Salah khelifa: op-cit, pp 646 - 648 .

اشترى الشيخ ابن عليوة في (ديسمبر 1920) أكثر من 14 هكتار من الأراضي الفلاحية بعرش زغير ببلدية مينا، وبنى بها زاوية من مواد بسيطة، من الطين و القش والتبن والخشب، كان معدا لإقامة المتجردين القائمين بالأعمال الفلاحية فيها والمتمثلة خاصة في زراعة الحبوب والبقول الجافة،[1] إلى جانب رعاية نحو خمسة عشر إلى عشرين رأسا من الإبل كانت تستعمل في نقل المحاصيل إلى الزاوية الأم بمستغانم[2].

مزرعة الدبداية:

تعد مزرعة الدبداية هذه أفضل عقارات الزاوية وأكثرها ازدهارا، تقدر مساحتها بحوالي بسبعة هكتارات، كانت مزرعة كولونيالية، اشترى الشيخ ابن عليوة عبر ثلاث مراحل، حيث اشترى القطعة الأولى منها في: (5 سبتمبر 1930)، والقطعة الثانية في: (3 جوان 1933). وتم شراء آخر قطعة منها عام (1934) بمبلغ 107 آلاف فرنك.[3] وتمارس بها تربية المواشي حيث كان بها قطيع من الأبقار المنتجة للحليب، إلى جانب تربية الخيول والدواجن أيضا، كما كان بها بستان للأشجار المثمرة بمختلف أنواعها (رمان، تين، مشمش، وتفاح)، إلى جانب زراعة الخضر بمختلف أنواعها، كان إنتاج هذه المزرعة يوجه لتغطية حاجات الزاوية الكبرى والفائض عن حاجاتها يتم بيعه.[4]

بحاير دار البحر:

اشترى الشيخ ابن عليوة خلال شهري مارس وماي عام (1925) ثلاث قطع من الأراضي المجاورة للدار، وزاد في توسيع مساحتها عام 1929 حتى تجاوزت مساحتها ثمانية هكتارات، لكن مياه البحر غمرتها.[5]

الأراضي المحاذية لزاوية بوزريعة:

كانت مساحة بوزريعة عند شرائها من قبل الشيخ ابن عليوة في (16 أوت 1932) تقدر بثمانية هكتارات[6] لتصبح مساحتها في عام 1936 أربعة عشر هكتارا.[7]

---

[1] - Salah khelifa: op-cit, Ibid. p 565.

[2] – معلومة مصدرها الحاج مراد بن تونس، في مكالمة هاتفية بتاريخ: 15-3-2005.

[3] - Salah khelifa: op-cit p 656.

[4] –Ibid. p 561

[5] – Ibid. p 555.

[6] – تواريخ العقود حصلت عليها من الحاج مراد في مكالمة هاتفية بتاريخ: 11جويلية 2006.

[7] – عدة بن تونس: الروضة السنية في المآثر العلوية، المصدر السابق. ص 83.

3- مصادر الدخل في الطريقة

كان الشيخ ابن عليوة عندما تصدر للإرشاد ينفق على من يقصده من الفقراء مما كان بين يديه من الأموال حتى اضطر لبيع أثاث مترله، واستمرت الضائقة المالية حتى وقت زيارة أحمد الرايسي له بعد الحرب العالمية الأولى. ويذكر الشيخ أن نفسه لم تكن تسمح له بالأخذ من الفقراء. وحتى بعد أن اشتهر أمره وكثر المتجردون للخدمة في الزاوية ومرافقها وكثر أتباعه، كان مما يوصي به الشيخ ابن عليوة المذكرين الذين يوجه وفودهم السياحية لمختلف المناطق لتذكير الناس، وتعريفهم بوجود المرشد الحي، وظهور مجدد دين الأمة ونجاحات طريقته لم يأذن للسواح بقبول الزيارة، ونهاهم عن النظر لما بأيدي الناس، وأمرهم بأن لا يسألوا الناس شيئا إلا الماء للوضوء. ولا شك أن لمثل هذا السلوك تأثيرا بالغا في كسب ابن عليوة وطريقته سمعة حسنة، فالناس تميل لمن لا يطمع فيما بين أيديها، وقد ظل هذا الانطباع سائدا، حيث يقول بروباست بيرابان[1] بأنه : لم يفرض على أتباعه أي اشتراك سنوي بل ورفض عطاياهم، وأنه لم يستغل أبدا فقراءه و لم يغتن على حسابهم، وهو ما أكده عبد الكريم جوصو أيضا. ولعل كلا الرجلين يتكلم من منطلق تجربته الخاصة، ولا شك أن تلك معاملة خص بها الشيخ ابن عليوة المؤلفة قلوبهم، وللنخبة التي يعد انخراطها في الطريقة أعظم مكسب وربح، وتلك النخبة جديرة بأن يدفع لها لا أن يؤخذ منها، كما أنها ستقدم للطريقة خدمات أخرى. وإلا فإن الأسباب التي جعلت الشيخ ابن عليوة عام 1909 ينفق من ماله الخاص على الوافدين عليه -حين كان يبحث عن شرعية خلافته لحمو الشيخ- اختلفت جذريا عن ظروفه وواقعه بعد عقد من الزمان حيث أصبح صاحب مشروع إصلاحي نهضوي بحاجة إلى المال والرجال بل لدعم الجيوش والدول فهو أمام تحدي مواجهة الإرساليات التبشيرية فحسب يتساءل: <<هل تجد من المال ما تسد به ضرورياتك...القدر الذي تستطيع به ترويج دعوتك بما تحتاج إليه من مطبوعات ونشريات وبعوث وأبنية ديور(كذا) ومعاقل ومستشفيات وغير ذلك مما تتوفر معه كفاءة الخصم؟>>[2] فمن أين سيؤمن المال الكافي لتحمل مثل تلك الأعباء؟ رأينا جانبا من مقتنيات الشيخ ذات الطابع التجاري والفلاحي، لكن ما هو مصدر الأموال التي اقتنيت بها تلك العقارات أصلا وفيم تتمثل مداخيل الزاوية الأخرى. من مصادر الدخل المتعارف عليها في كل الزوايا — وحتى على مستوى العلاقات الفردية- الزيارة. فما هي الزيارة وفيما تتمثل؟

---

[1] – (La Tariqa Alawiyya), op-cit. pp 47 - 48 et 81.

[2] – (ماذا عسى يعمل العامل)، البلاغ الجزائري، ع: 65، 22 شوال 1346هـ - 13 أفريل 1928./ من تراث الطريقة العلوية الصوفية: أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري، ج1، قدم له وحققه: عبد السلام بن أحمد الكنوني، راجعه وأشرف عليه: عدلان خالد بن تونس، ط1، طنجة، 1406هـ - 1986. ص 246.

الزيارة:

تقدم الزيارة عند زيارة المريد للشيخ أو أحد مقدميه، تعبيرا عن الولاء والطاعة وهي عادة عبارة عن عطاءات عينية ونقدية، وهي واجبة ومحددة، وعادة يرسل المقدم الشاوش إلى من تخلف من الأتباع في دفعها لتحصيلها، ولكن غالبا ما كانت عملية الدفع تتم عن طيب خاطر،[1] وهي بذلك كمن يدفع الاشتراك للتنظيم الحزبي أو النقابي الذي ينتمي إليه.

وقد رفض ابن عليوة تسلمها من عبد الكريم جوصو ومن معه عام (1924) ، واعتبر ما كابدوه من مصاريف ومشقة السفر أكبر زيارة قائلا: (**ما دفعتموه في ثمن الركوب أبلغ زيارة وأعظم قربة تؤجرون عليها**)[2] ويذكر محمد بن موسى أنه أثناء سياحتهم بالصحراء أوصاهم بعدم قبول الزيارة، ورفع الهمة و لم يرخص لهم إلا بطلب الماء للوضوء[3].

ويذكر الدكتور أبو القاسم سعدالله أن هذه الزيارات أصبحت المفتاح الذي تتحكم به السلطات الفرنسية في الطرق الصوفية، فمن شاءت وفرتها له وسمحت له بها فاستغنى وتنفذ وسكت، ومن شاءت منعتها عنه فغلب على أمره ولجأ إلى حيل أخرى أو افتقر.[4]

عمل المتجردين وصدقات المحسنين:

كان المتجردون بخدمتهم في ممتلكات الشيخ دون أجرة مقابل عملهم يوفرون إنتاجا دون مصاريف تقريبا، حيث تقتصر مصاريفهم على تأمين المأوى لهم وكذا الأكل والشرب، فكانت عائدات الأراضي الفلاحية وإيرادات المحلات التجارية التي يعمل بها المتجردون، تستعمل للإنفاق على الزاوية الكبرى بمستغانم ومرافقها المختلفة.

وقد تكفل بعض أتباع الشيخ الميسورون بنفقات طبع بعض كتبه ورسائله منذ عام 1913 حين تولى المقدم الشيخ علي بن الصادق الصحراوي، والطاهر بن الحاج العربي من تونس، نفقات طبع رسالة (الأنموذج الفريد)* أما في عام 1920 فقد جاءت الطبعة الأولى (لديوان) ابن عليوة على نفقة الفقراء العلاويين،[5] وفي عام 1925 طبع كتاب (الشهائد والفتاوى) على حساب صالح بن ديمراد، وحتى بعد وفاة الشيخ ابن عليوة تكفل كل من محي الدين محمد بن الهلالي القسنطيني المقيم بالأزهر الشريف، والمحب محمد صلاح عبد اللطيف الفالوجي الفلسطيني بإعادة طبع كتاب (المنح القدوسية).[6]

---

1 – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق. ص 20.

2- النجاح، ع : 180، قسنطينة: 31 أكتوبر 1924.

3 – محمد بن عبد الباري: الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 158 (الهامش).

4 – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المصدر السابق. ص 20.

* ينظر الملحق رقم ثمانية.

5 – البلاغ الجزائري، ع: 294، الجزائر: 23 ماي 1933.

6 –المنح القدوسية، ط2، القاهرة: 1355. ص: ب (المقدمة)

كما كان الشيخ ابن عليوة يتلقى صدقات الأتباع حتى من الخارج، مما أثار ضده ضجة وأنه يأكل أموال الزكاة وهو ليس من مستحقيها، فطلب من مرسلي الصدقات إليه توضيح طبيعتها لينفق ما كان منها زكاة في وجوهها الشرعية. [1]

الهدية:

يقدمها الأتباع لخزينة الطريقة، وهي نوع من الغرامة أو العقوبة تفرض على الإخوان الذين أخلوا بواجبهم الذي ينص عليه النظام الداخلي، ويندرج في هذا الإطار ما جاء في كتاب (الشهائد والفتاوى) عن ظروف شراء زاوية تلمسان،[*] أو لم يحافظوا على آداب الجمع المطلوبة منهم، مثل عقوبة (النصاف) التي تفرض على الفقير الذي ترك في كأسه شيئا من الشاي الذي هو تعبير عن كأس المحبة، وتتمثل مثلا في دفع مبلغ رمزي لخزينة الزاوية، أو استضافة الجمع في بيته، أو الخروج في سياحة إلى زاوية أخرى.[2]

جمع الإعانات والتبرعات:

كانت الزاوية ترسل لجمع التبرعات والإعانات كلما همت بإنجاز مشروع، وتخصص وفودا تقوم بالسياحة لهذا الغرض، أعلنت عنها لسان الدين الثانية، ولم أجد في البلاغ- فيما بين يدي من أعداده- مثل ذلك لكن جريدة البلاغ الجزائري نظمت حملة لجمع التبرعات لتأمين صدورها المنتظم. بعد أن مرت بأزمة مالية اضطرتها للتوقف عن الصدور بعض الوقت، وقد نشرت الصحيفة قوائم المتبرعين لها والمبالغ المتبرع بها.

كما كانت عائدات الصحيفة من العمليات الاشهارية في تلك الفترة معتبرة، حيث أصبحت الإعلانات تشغل صفحتين وأحيانا تحتل أعمدة في صفحة ثالثة وهو ما يمثل ثلث صفحاتها أو أزيد. وهو أمر يعكس حجم الدعم المادي الذي كانت تلقاه الصحيفة من أطراف متعددة منهم أتباع الشيخ من مريدين وأحباب، ومنهم من فئة الشبان الجزائريين، واليهود وحتى المستوطنين، وما يدل على ذلك هو كثافة وتنوع المواد الاشهارية.[**]

---

[1] – أحمد بن مصطفى العلاوي : أعذب المناهل، المصدر السابق. ص – ص 180- 181.

[*] عن ظروف شرائها يقول.... >> كنا أتينا به[الشيخ ابن عليوة] لتلمسان مكرها...فقال أنكم ملزمون ..بدفع خمسة عشرة ألف فرنك تأديبا لكم، فأديناها في ذلك الحين، فتعجب من قوتنا وزاد على ذلك ...ألف فرنك من عنده، ثم تبرع بالجميع علينا، قائلا: خذوها لتشتروا به زاوية فازدادت عناية الفقراء وصار الكل يزيد على العدد الأول حتى بلغ أحد وعشرين ألف فرنك، ففي صباح تلك الليلة كانت الزاوية على ذمتنا مكتوبة عند النوتير.<< الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص: 101/

[2] – الدكتور موهوب نصر الدين، مقدم زاوية البرج، لقاء بسطيف بمنزل السيد علاوة أرتباس عام 2002.

[**] من بين المواد الاشهارية للصحيفة: الصيدليات والأدوية: منها صيدلية البحرية(la marine)، وصيدلية الاستيطان (colonial) للآنسة (e.garçon). والصيدلي شمول، وصيدلية فرنسي. وطبيب الأسنان شارل زيرافا. وأدوية عديدة منها (valda) و(sirop Gébéy) (wybert)، (baccelline)، ودواء لتقوية النفس، وعشبة المبروكة للصيدلي عبد الرحمن بوكردانا الجزائر، دواء الزرقة، دواء لانطاكي.

زكاة الأتباع:

شكلت أموال الزكاة مصدرا هاما لمداخيل الزاوية، لذا شن المصلحون حملة على مشايخ الزوايا الذين يتمعشون من أخذ الزكاة، وهي محرمة عليهم، لكون أصحاب الزوايا إما من أهل البيت، أو ليسوا من الأصناف الثمانية الذين شرعت لأجلهم الزكاة وقصدوا بحملتهم هذه بوجه خاص الشيخ ابن عليوة. وقد نشرت جريدة النجاح مقالا يتساءل فيه صاحبه عما يدفع من الأموال لأرباب الزوايا أو يستجلبونه بواسطة المقدمين بقصد الزكاة هل هو مجزي أم لا؟
فكتب ابن عليوة لجريدة النجاح يقول: أن صرف الزكاة لغير الأصناف الثمانية لا يحتمل الجواز لأنها فريضة من الله، ولكن لا يمتنع أن يكون في أرباب الزوايا من يصدق عليه الوصف بعينه، كأن يكون مسكينا أو مدينا، هذا من جهة، ومن جهة أخرى، يحتمل أيضا أن يوجد من أرباب الزوايا من يأخذها ليصرفها في أبوابها. لذا أقر بأن دفعها له غير سديد، ولكنه لم يمنع إرسالها إليه، الشيخ ألح فقط على من أراد بإحسانه دفع زكاة أمواله– وأراد أن يتم صرف تلك الأموال بواسطته– أن يبين للشيخ أنها زكاة ليصرف ذلك المال في وجوهه الشرعية.[1]

الإعلانات عن النزل والحمامات: منها النظافة والأمان لعمار بلعيد بن الحاج ومحمد بن السعيد بتيارت، حمام الرحمة: لأحمد بن إسماعيل بتلمسان، حمام السلامة ابن جبار حمود بن الحاج رابح بالبليدة، ونزل الالزاس بسطيف (hotel d‘ alsace) لصاحبه h. (pin gault) و ونزل القصر الشتوي بالجزائر (hotel du‘palais d hiver) لخفاف محمد وحمرون عبد القادر.

المطاعم المشروبات والزيوت وتوابل: مطبخة الترحيب، والمطبخة المصرية (صاحبها)، مطبخة كوكب الصباح، مطبخة الأحباب للاديب محمد بن سيدي عمر الشريف بالجزائر، ومطبخة إسلامية لساحي مسعود بن محمد بسطيف، مطبخة إسلامية جديدة، لقيطون لخضر بن سليمان الشريف البوزيدي الجزائر، مطبخة دار الباي. مطبخة بن جلول محمود (ع:233) وفي باريس: مؤسسة الأطلس لبيع الكسكي وزيت الزيتون ، وجزار يذبح للمسلمين، ومطبختان إسلاميتان. أما المشروبات فتتمثل خاصة في الشاي، أتاي هلال الخير(لمن؟)، نجمة السرور وأتاي مفتاح الخير، أتاي مكركب لمولاي الطاهر بن مولاي العربي السوسي (البليدة)، وأتاي مخزن (gaston seban fils) وقهوة نيزيار، مقهى قادري، وبوعبيدة وشركاؤه محل لبيع القهوة بأنواعها.و قازوز لاروايال لحمودة بوعلام وشركاؤه، و(limonadrie hippone)

الخياطة والملابس: منها المخزن الصغير(petit dug) بالجزائر لملابس الرجال والأطفال، المخزن الكبير (augrand marché) معمل الأحذية لابن المشري سليمان واخوته بعين البيضاء ، ومعمل الشاشية لمجادي محمد بتلمسان، خياط عصري بولبترة الحسين. وكذلك خياط عصري ساسي رابح الجزائر. ومكينة الخياطة فونيكس.

عطور والمبيدات ووقود: معمل العطور الشرقية لزواي الحاج بالجزائر، وروائح لورانزي بلانكا، العطور الجيدة من باريس، ومبيد (ratopax) وغاز أوريول، وستندار والغزال.

المكتبات والاسطوانات: مكتبة عربية لمحمد بن يلس بتلمسان، مكتبة الإسعاف بمعسكر، المقدم بالبليـــدة، واســـطوانات african (radio) وصحون الكلب الذي يسمع صوت سيدة، أبو الهول.

وسلع أخرى متنوعة وإن لم تكن قارة في أغلب أعدادها منها: تنابر لانيش أسسها التاجر الوطني السيد علي قلاتي الجزائـــر. حنـــة السفانكس، وسيارات الترام الجزائرية، ومعامل النجارة منها: معمل النجارة العصري لحسن خوجة بالجزائر، عربات حمل الاثقال من ألف كيلومتر(citroen) وساعات (i.schmil) وكل من قصد المحل ومعه إعلان الصحيفة يخفض له خمسة بالمائة مـــن ثمنـــها ، وزواق عمومي picot– (m. mulcot). أنظر مختلف أعداد سنتي: 1932- 1933.

[1]– أحمد بن مصطفى العلاوي : أعذب المناهل في الأجوبة والرسائل، المصدر السابق . ص – ص 180- 181.

خاتمة الفصل:

كان العقد الثاني من القرن العشرين عشرية صعبة جدا على الشيخ ابن عليوة ولا غرابة في ذلك ما دام أصعب الأمور بدايتها، وقد زادت ظروف الحرب العالمية الأولى من صعوبتها، لكن الشيخ ابن عليوة أحسن اهتبال الفرصة واستغلها لتقوية قواعده داخليا وخارجيا، حيث واصل طبع رسائله التي ظل تداولها وترويجها محدودا وبالأساليب الخاصة بالطرق الصوفية.كما كون الجماعة التي ستحتوي دعوته، وما إن وضعت الحرب أوزارها حتى ظهر الشيخ ابن عليوة بمظهر جديد، فالطريقة العلاوية لم تعد مجرد تعاليم، وأوراد وأذكار تنحصر مقاصدها في المكابدة والمجاهدة والمشاهدة، قصد السلوك. وإنما أصبحت إلى جانب دورها في تسليك المريدين تتطلع لأداء أدوار أعظم شأنا وأوسع مجالا لتتجاوز نطاق أتباعها إلى الساحة الوطنية، بل والدولية أيضا. فبعد أن اشتهر شيخها بالمرشد المجدد، لم تعد مقاصد الطريقة من سند وبيعة وأوراد تفي بالغرض.

وكما أن زهد ابن عليوة فيما بين أيدي الناس –حسب شهادات أتباعه– أكسبه سمعة حسنة، وزاد من عدد أتباعه. فإن ما حققه من ثراء وما اقتناه من عقارات وممتلكات بعدما كان عليه من ضائقة مالية جعله هدفا لحملة المصلحين الذين اتهموه بأكل أموال الزكاة وهي محرمة عليه مادام ليس من الأصناف الثمانية التي شرعت الزكاة لأجلهم، كما هاجموا استغلاله للمتجردين ورأوا فيها أعمال سخرة واستعباد للبسطاء السذج.

لكن كتاب (الشهائد والفتاوى) قدم نماذج لمتجردين أميين رعاة، بفضل تجردهم لخدمة الصالحين والنسبة انقلبوا إلى عارفين دعاة!!!

الفصل الرابع: ابن عليوة شيخ التربية
(1934-1911)

المبحث الأول: بعض آراء ابن عليوة في التصوف والفلسفة

المبحث الثاني: وسائل وأساليب تربية الأتباع

المبحث الثالث: الوسائل المسخرة لتربية الأتباع

المبحث الرابع: تطور الطريقة العلاوية وتأثيرها على أتباعها

الفصل الرابع: ابن عليوة شيخ التربية (المرشد الحي):

إن الجماعة الصوفية بناء اجتماعي إيديولوجي له قواعده وأساليبه في جذب الأعضاء إليه. كما أن لهذه الطرق تأثيرا كبيرا للغاية على بناء شخصية الفرد وتشكيلها بما يتفق والبناء الأيديولوجي والاجتماعي للطريقة التي ينتمي لها.[3]

فما هو حجم الظاهرة وانتشارها وأساليب الانتماء لها ودوافعها ثم ما تأثير هذا الانتماء على أعضاء الجماعة؟

إن لشيخ التربية ابن عليوة آراء في الفلسفة والتصوف تحكم خياراته وأساليب عمله ووسائل دعوته، فما مكانة التصوف عنده من الدين؟ وما مفهوم الاجتهاد عنده؟ وكيف كانت نظرته للعلم؟ وما موقفه من القائلين بوحدة الوجود؟ وكيف أول أشعاره التي ألصقت به تهمة القول بالحلول؟

لقد كانت لأتباع الشيخ محبة عظيمة للتصوف وأهله، وشوق للتعلق بأذيالهم، والتذلل عند أعتابهم، وغاية أمانيهم أن يجدوا شيخا توفرت فيه شروط التربية، وهو ما توفر عليه الشيخ ابن عليوة، والألقاب التي عرف بها بين أتباعه ومحبيه تدل على ذلك.

---

[3] – محمد الغندور: (علم النفس والصوفية)، بحوث المؤتمر الرابع لعلم النفس في مصر، والجمعية المصرية للدراسات النفسية: يناير 1988. ص 695

المبحث الأول : آراء الشيخ ابن عليوة في التصوف والفلسفة

مما يلفت الانتباه هو كثرة ألقاب الشيخ ابن عليوة، فهل كان ذلك للتعويض عن قلة الشهادات؟ أم دليلا على تنوع الخبرات وتعدد المهارات؟

فقد تعددت ألقاب الشيخ ابن عليوة، فهو العارف بالله والدال عليه والمرشد والأستاذ والإمام وهو رئيس الطائفة أيضا. ولكل لقب من هذه الألقاب يحمل دلالات عند القوم.

فهو العارف والعارف هو من وصل إلى شهود الحق ورسخ فيه وقد شغله الله بمحبته.[1] وهو اللقب الذي عرف به الشيخ منذ نشر كتابه المنح القدوسية عام 1911.

والمرشد، وهو المتصدر للإرشاد وعلى الأمة أن تنقاد له وتعمل بإشارته مع الثقة التامة فيه، وهو الذي يجدد النشاط الإيماني في عصره ويعيد النور المحمدي إلى ضيائه وبريقه، وهو معنى قوله عليه الصلاة والسلام: <<العلماء ورثة الأنبياء>>المرشد هو طبيب القلوب ومن ورثة الرسول الأعظم صلى الله عليه وسلم في الدعوة والتوجيه والتربية.[2]ولا يطلق اسم المرشد إلا على من كان علمه لدنيا.[3]

كما عرف كثيرا بلقب الأستاذ، والأستاذ عند القوم أرقى مرتبة من العارف، فكما جاء في شرح رائية الشريشي أنه<< لابد أن يكون عند الشيخ دين الأنبياء وتدبير الأطباء وسياسة الملوك، وحينئذ يقال له أستاذ>>[4]ولقب المرشد والأستاذ يدل على اتساع مجال نشاطه، وقد بدأ أتباع الشيخ في استعمال هذا اللقب بداية من نشر رسالة القول المقبول عام 1921 وأصبح يجمع بين لقب العارف بالله والدال عليه ولقب الأستاذ في باقي رسائله، ولم يلقب إلا به في كتاب الشهائد والفتاوى.

ومن ألقابه كذلك الإمام، والسهروردي يقول بأن الإمام: <<أو الخليفة هو القطب أو الإنسان الكامل والأقطاب والأئمة هم الدعائم التي يقوم عليها صرح الوجود، وهم الواسطة بين عالم الأمر وعالم الخلق...لا يكون في الزمان إلا واحدا يتولى القطبانية>>[5]

فالإمام هو المجدد المحيي لما اندثر من معالم الدين. وبالإمام لقبه محمد المدني القصيبي، ونعته الشيخ عدة بن تونس بإمام السنة، بالإمام الأكبر والغوث الأشهر ووصفه عبد الله التباع البيضاوي قصائد

---

[1] – حسن الشرقاوي: المصدر السابق. ص 48.

[2] – عيسى عبد القادر: المرجع السابق. ص81.

[3] – محمد العوادي: (من هو أحق الناس بالإرشاد حتى يكون له الأثر البليغ في العباد)، لسان الدين، ع: 28، الجزائر: 30 محرم 1356.

[4] – أحمد بن يوسف الفاسي: المصدر السابق. ص 28.

[5] – حسن الشرقاوي: المصدر السابق. ص 235./ أنظر الفرد الوقتي (فريد عصره وصاحب وقته) أحمد بن مصطفى العلاوي: المنح القدوسية، المصدر السابق. ص – ص 172-173.

بالإمام المبين وبذلك يكون الشيخ ابن عليوة قد احتل مرتبة صاحب الوقت عند أتباعه الذين اعتبروه قطبا.

ومن ألقابه الزمنية رئيس الطائفة العلوية، وبهذه الصفة قدمته الصحيفة الفرنسية الصحافة الحرة، (لا بريس ليبر) في مقابلة أجراها مراسلها عام 1929 مع الشيخ ابن عليوة.[1] وبتلك الصفة أيضا تعامل مع الإدارة الفرنسية كما حدث عندما راسل وزير الحربية الفرنسي يهنئه بإصداره أمرا يمنع المسكرات وبيعها للجنود الأهالي. والذي أمضاه بصيغة (ابن عليوة رئيس الطائفة العلوية بمستغانم)[2]

وقد حرص الشيخ ابن عليوة على إضفاء الشرعية على مشربه الصوفي، حين انطلق مما سماه القوم وعلماء الكلام أركان الدين الثلاثة، فما هي أركان الدين هذه؟ ومن أين استمدها القوم وعلماء الكلام؟

أولا: أركان الدين ثلاثة

لقد عرف الشيخ ابن عليوة الدين بأنه عبارة عن شرائع إلهية، اختارها عز وجل لعبادته، وللمعاملة بين عباده، وأركانه ثلاثة وهي الإسلام والإيمان والإحسان،[3] وعبر عنه نظما بقوله في فصل في معنى الدين:

ثم الدين وسمي بالحنيف *** قد جاء بسهولة وتخفيف
وبأركان ثلاثة تصان *** وهي الإسلام وإيمان وإحسان[4]

لقد استدل القوم بالحديث النبوي الشريف الذي رواه سيدنا عمر[*] والذي اعتبره علماء الكلام أصل من أصول الإسلام[1] مستشهدين بقول رسول الله صلى الله عليه وسلم:(هذا جبريل أتاكم يعلمكم

[1] – (مقابلة)، البلاغ الجزائري، ع: 127، 11 صفر 1348 - 19 جويلية 1929.

[2] -(تلغراف من الأستاذ العلوي إلى وزير حربية فرنسا)، البلاغ الجزائري، ع: 233، السنة الخامسة، الجزائر: 24 جمادى الثانية 1354- 6 نوفمبر 1931.

[3] – أحمد بن مصطفى العلوي: مبادئ التأييد في بعض ما يحتاج إليه لمريد، ج1، المصدر السابق. ص 9.

[4] –أحمد بن مصطفى العلاوي: الرسالة العلاوية في بعض المسائل الشرعية، المصدر السابق. ص 12.

[*] الحديث الذي رواه عمر بن الخطاب نصه: (بينما نحن جلوس عند رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات يوم إذ طلع علينا رجل شديد بياض الثياب شديد سواد الشعر لا يرى عليه أثر السفر ولا يعرفه منا أحد، حتَّى جلس إلى النَّبِيِّ صلى الله عليه وسلم فاسند ركبتيه إلى ركبتيه ووضع كفَّيه على فخذيه وقال: يا محمد أخبرني عن الإسلام؟! فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: الإسلام أن تشهد أن لا إله إلا الله وأن محمدا رسول الله، وتقيم الصلاة، وتوتي الزكاة، وتصوم رمضان، وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلا، قال: صدقت، فعجبنا له يسأله ويصدقه، قال: فأخبرني عن الإيمان؟ قال: أن تؤمن بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر، وتؤمن بالقدر خيره وشره، قال: صدقت، قال: فأخبرني عن الإحسان؟! قال: أن تعبد الله كأنك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك، قال: فأخبرني عن الساعة؟ قال: ما المسؤول عنها بأعلم من السائل، قال: فاخبرني عن أماراتها؟ قال: أن تلد الأَمَةُ رَبَّتَها، وأن ترى الحُفاة العُراة العالة رِعَاءَ الشَّاءِ، يتطاولون في البنيان، ثم انطلق، فلبث مليا، ثم قال يا عمر أتدري من السائل؟ قلت: الله ورسوله أعلم، قال: فإنه جبريل أتاكم يعلِّمُكُم أمر دينَكُم.) رواه مسلم.

يحي بن شرف الدين النووي: شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت: 1402-1982. ص- ص 19-20.

دينكم) مستدلين به على أن الإيمان والإسلام والإحسان كلها تسمى دينا.[2]واعتبروها أركان الدين الثلاثة التي يقوم عليها بنيانه، بتسمية النبي صلى الله عليه وسلم.[3]

وأصبح جل هم القوم تحقيق مرتبة الإحسان وهي غاية المتصوف >> إن الإحسان الذي هو الركن الثالث من أركان الدين سمي في اصطلاح القوم بالتصوف، أي وبعلم القوم ... المسمى بعلم الباطن<<[4] هو عندهم حال من الأحوال يسميها بعض القوم حالة المشاهدة، وبعضهم يسميها بالمراقبة[5] والمراد به استحضار المكلف معبوده في حال عبادته استحضارا من شأنه حضور القلب، مع مولاه في عموم الأوقات، وباعتبار غايته أن يذهله عن وجوده ويغيبه عن شهوده، وإلى تلك الغاية ترمي تعاليم خاصة المتصوفة من رجال الأمة الإسلامية، وهي لا تتم على وجهها الأكمل أعني ذوقا وحالا إلا لمن جاوز المقامين الأولين أعني مقامي الإسلام والإيمان عملا وحالا.[6]

ثانيا: نظرة ابن عليوة للعلم وفضل الأمية عنده

ميز الشيخ ابن عليوة بين العلم الكسبي والعلم اللدني* واعتبر العلم اللدني الذي غايته المعرفة الكاملة بالله، لا يتأتى إلا للعارفين الذين اختصهم الله بفضله. ويرى أن العلماء بالله >>عرفوا الأشياء من أصلها، ودخلوا البيوت من أبوابها، فكشف لهم عن حقائق الذات الجامعة لسائر الأسماء والصفات... وهؤلاء يحق اتصافهم بالعلم<<[7]فالعلم عنده هو إدراك المعلوم على ما هو عليه إدراكا كشفيا.[8]

أما العلم الكسبي الذي كان نصيب الشيخ منه محدود، فهو دون العلم اللدني مكانة ولا يرى في عدم تحصيل العلوم التي اشتهر العلماء بتحصيلها ما يخل بصحة ولاية الولي منهم، ما دام المولى عز وجل يقول: >> إن أكرمكم عند الله أتقاكم<<[9] لا أعلمكم ولا أقراكم. وما دام لله قد عهد الولي وتولاه فما >> اتخذ الله وليا جاهلا إلا وعلمه، وابتداء تعليمه به ثم بأحكامه، وأما بقية العلوم فليست هي

---

[1]- المصدر نفسه. ص 20.

[2]- المصدر نفسه. ص 24.

[3]- محمد بن خليفة المداني: كتاب منهل التوحيد على كفاية المريد، د. م: د.ت. ص- ص 39-40

[4]- المصدر نفسه. ص 46.

[5] - المصدر نفسه. ص 43.

[6] -إبراهيم بن أبي بكر السينغالي: (التعاليم العلوية)، البلاغ الجزائري، ع: 120، 21 ذي الحجة 1347، 31 ماي 1929./ أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص .111

* العلم اللدني هو الحاصل عن الإلهام، ولا واسطة في حصوله بين النفس وبين الباري، والخطورة تكمن في الاستغناء بها عن العلوم الشرعية، التي قد يصبح تحصيلها مذموما.

ينظر- أحمد فريد: التزكية بين أهل السنة والصوفية، دار ابن تيميه، البليدة: د.ت، ص- ص 46- 47.

[7] – أحمد بن مصطفى العلاوي: منهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن. المصدر السابق. ص –ص 74- 75.

[8] – المصدر نفسه، ص 75.

[9] - سورة الحجرات، الآية: 13.

شرطا[كذا] في صحة الولاية، وإنما هي شرط كمال<<[1] ولا يرى في جهل علوم النحو والصـــرف والمعاني والبيان واللغة نقصا لا في حقه ولا في حق الصوفية مادام أكثرهم لا خبرة لهم بها والغريـــب أنه لم يعتذر عن عدم تحصيلها بالظروف القاهرة التي جهلته بلغته وآدابها وإنما يقـــول إن القـــوم لم يهتموا بها >> لعلو همتهم وشرف رتبتهم عند الله وغنائهم بمعرفته... وليس ذلك نقص في حقهـــم حيث غفلوا عن العلوم الكفائية عدا أحكام العبادة، وإنما ذلك كمال دون كمال <<[2] ويستدل بما قاله أحمد بن عجيبة المغربي من أن >> إصلاح اللسان دون إصلاح القلب فسق وضلال، وإصـــلاح القلب دون إصلاح اللسان كمال دون كمال، وإصلاح القلب واللسان كمال الكمال.<<[3]
وقد كان شيخه حمو الشيخ يردد>> ليس لي من العلم شيء إلا ذكر الله، ومعرفة الله عزَّ وجلّ<<[4].
وجلّ<<[4]. وبالعلم اللدني فاخر الشيخ ابن عليوة كل فقيه بقوله:

فكل فقيه عليم بالفرض والسنة *** وأنا علمي عظيم ما له نهاية[5]

كما أجاب – دون شعور بالنقص– رجل الدين المسيحي حين سأله: من أي الجامعات تخرجـــت؟ بأنه تخرج من الجامعة التي تخرّج منها المسيح عليه السلام. واعتبر ما هو عليه من معرفة مـــع عـــدم ملازمته للدروس، حجة ودليلا على خصوصيته، حين أجاب أحد المشايخ والذي استغرب حـــين سمع كلامه فقال: يا سبحان الله قد بلغنا عنك عدم اشتهارك بملازمة الدروس حالة التعليم فرد عليه متمثلا بالآية الكريمة (تلك حجتنا آتيناها إبراهيم على قومه)[6]

ويذهب ابن عليوة إلى أبعد من ذلك حين يرى أن الأمية قد تكون فضلا من الله، فالحكمة لا تكون غالبا إلا بين الأميين بل إن الإسلام ذاته عنده دين الأميين يتضح ذلك من جوابه حين سئل>>عمن يطلقون ألسنتهم في المنتسبين على أنهم مقصرون في عدة أمور وأغلبهم أميون لا يحسنون القراءة ولا الكتابة، وما هو من ذلك القبيل أجاب قائلا: ...إن الإسلام والله لهو دين الأميين، ولقد بعث الله منهم رسولا من أنفسهم، يعلمهم الكتاب والحكمة ويزكيهم، فالحكمة أمية ولا تكون غالبا إلا بين الأميين، وإني قد رأيت الأميين والله في شغب من أهل الكتاب قديما وحديثا<<[8]

إن الأمية التي تحدث عنها السائل والشيخ ابن عليوة تتعلق بمن لا يحسن القراءة والكتابة، وتتعـــداها حتما إلى الجهل بعلوم النحو والصرف والمعاني والبيان واللغة. وقد كان الشـــيخ الخـــواص (1532)

---

[1] – أحمد بن مصطفى العلاوي: المنح القدوسية، المصدر السابق. ص– ص 26 – 27 .
[2] – المكان نفسه.
[3] – المصدر نفسه . ص 263 .
[4] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: برهان الخصوصية، المصدر السابق. ص 3.
[5] – أحمد بن مصطفى العلاوي: دواوين آيات المحبين في مقامات العارفين، المصدر السابق. ص 124.
[6] – سورة الأنعام، الآية: 83.
[7] – عدة بن تونس: تنبيه القراء إلى كفاح مجلة المرشد الغراء، ج 2، ط1، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1990. ص 183.
[8] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: أعذب المناهل، مصدر سابق. ص 88.

شيخ الإمام الشعراني كذلك.كما كان الشيخ (العربي الدرقاوي) و(أحمد بن موسى) دفين كــرزاز ينفيان أن يكونا قد حصلا من علم النحو شيئا إلا ما كان على طريق أهل الإشارة [1] بل إن الأمية عند المتأخرين قد تتعدى جهل القراءة والكتابة واللغة وبيانها إلى الجهل بالأحكام الكفائية وقد قال أبو زيد البسطامي من قبلهم: << صحبت أبا علي السندي، فكنت ألقنه ما يقيم به فرضه، وكــان يعلمني التوحيد والحقائق صرفا >>[2]. كما كان أبو يعزى أميا لا يكاد يتحدث العربية، ومع ذلــك ينفي عنه العزفي[3] الجهل بقوله: << لعلك تسمع ...أن الشيخ الصالح أبا يعزى كان من الجــاهلين، وقد حدث من رآه وسمع منه أنه كان لا يحفظ من كتاب الله ولا سنة رسوله صلى الله عليه وســلم إلا ما يصلي به مثل: المعوذتين وسورة الإخلاص وحسبك هذا ممن هذا حظه من علــوم الشــريعة نقصا>>

فهم يعتزون بالأمية وينفون عنهم الجهل وإن جهلوا أحكام الدين مما هو فرض كفاية ويحذر العزفي[4] على أن من أصر على رمي أبي يعزى بالجهل- والتحذير يتعداه لمن رمى الأولياء عموما به- بأنه قد أعظم على الله الفرية وآذن بحرب من الله بلا مرية، ويسوق حججه، بأن عدم حفظ القرآن وســنة الرسول لا يقدح في الإمامة فضلا عن الولاية، فعلماء الأصول قالوا أن الإمام لا يحتاج إلى أكثر من آيات الأحكام من القرآن والأحاديث من السنة ومسائل الاتفاق، بل قال بعضهم يقف عليها ذاكرا لها كلما احتاج إلى الاجتهاد من غير حفظ. كما يقول إن فقهاء وعلماء الشرق أغلبــهم لا يحفــظ القرآن! بينما العامة عندنا يحفظه، فما نقص فقههم ذلك ولا زاد فينا.

وابن عربي هو الآخر يشهد بفضل الأمية ويؤكد أن الرحمة <<التي يعطيها الله عبده أن يحول بينه وبين العلم النظري والحكم الاجتهادي من جهة نفسه حتى يكون الله يحابيه بذلك الفتح الإلهي والعلم الذي يعطيه من لدنه.>>[5] لكن ما مفهوم الأمية عند ابن عربي؟ الأمية <<لا تنافي حفظ القرآن، ولا حفظ الأخبار النبوية، ولكن الأمية عندنا من لم يتصرف بنظره الفكري، وبحكمه العقلي، في استخراج ما تحوي عليه من المعاني والأسرار وما تعطيه من الأدلة العقلية في العلم بالإلهيات وما تعطيه للمجتهدين من الأدلة الفقهية والقياسات والتعليلات في الأحكام الشرعية، فإذا سلم ..من علم النظر الفكري شرعا وعقلا كان أميا وكان قابلا للفتح الإلهي على أكمل ما يكون بسرعة دون بطء، ويرزق من العلم اللدني في كل شيء>>[6] وقد أقر أبو حامد الغزالي أن ما كان

---

[1] – أحمد بن مصطفى العلاوي: المنح القدوسية، المصدر السابق. ص – ص 26 – 27 .

[2] – السهروردي، المصدر السابق. ص 206.

[3] – أبو العباس العزفي: دعامة اليقين في زعامة المتقين(مناقب الشيخ أبي يعزى)، تحقيق: أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتــاب، د.م: د.ت. ص 77.

[4] – المصدر نفسه. ص – ص 77- 79.

[5] – ابن عربي: الفتوحات المكية، المصدر السابق. ص 644.

[6] – المكان نفسه.

عليه من تحصيل علمي واجتهاد حال دون لحاقه بدرجة القوم في العلم اللدني، رغم اقتدائه بهم فكان ما حصله كمن يكتب على المحو، كدر لا يصفو يقول فعلمت >>أن الكتابة على المحو ليست كالكتابة على غير محو<<[1].

وهكذا نجد أن ابن عليوة يتفق مع ابن عربي و الغزالي في فضل الأمية، لكن شتان بين المفهومين. وهذا يقودنا أيضا إلى التميز في مفهوم الاجتهاد عند الشيخ وبعض معاصريه من المتصوفة .

ثالثا: مفهوم الاجتهاد عند الشيخ

كان الشيخ ابن عليوة من الرافضين للرأي القائل بغلق باب الاجتهاد، لكن كيف كانت نظرة بعض القوم له. وما معنى تنزل المعاني عند الشيخ؟ وهل تعني إسقاط النصوص على الواقع وتطويعها لتوافق العصر والعصرنة؟

يرى الشيخ سليمان بن قدور المستغانمي الذي عاصر الشيخ ابن عليوة وشيخه حمو البوزيدي أن >>مرتبة الاجتهاد مقام سمي بهذا الاسم ... لخروج صاحبه عن دائرة التقليد وأخذه الأحكام من أصلها لا لوجود تعب وجهد بل ذالك فضل الله يؤتيه من يشاء.<<[2] أما الاجتهاد بمعنى بذل الوسع فيكون لمن لم يصل إلى مقام العرفان، فإذا وصل وقف على عين الشريعة وأخذ الأحكام من أصلها فيضا لا كسبا حيث يقول: >> وأما قولك الاجتهاد يكون من الجهد وهو بذل الوسع...نعم ولكن قبل وصول العين المذكورة فيكون اجتهادهم في الرياضات المعلومة عند أربابها بصحبة العارف الكامل حتى يقف على عين الشريعة المطهرة، وحينئذ تكون للمجتهد حال مواجهته بالأحكام فذلك غلط لأن الفيض يأبى الكسب ... وعلوم الوهب عن كسب من لدن حكيم عليم بواسطة وارد يأتي من حضرة قهار ...ولو كانت نورانية فينشأ عن لمعانه كشف واطلاع على معاني الكتاب والسنة فتقابله الأحكام<<[3]

ويستدل بما سمعه من شيخه الموسوم من أن >> كل إمام من الايمة [كذا] الأربعة كان يجتمع بالنبي صلى الله عليه وسلم يقظة ويقرر عليه ما قرره من اجتهاده فيقول للنبي صلى الله عليه وسلم إني فهمت من كلامك كذا وكذا، وفهمت كلامك هذا مأخوذ من قوله عزّ وجلّ كذا فيقره المصطفى صلى الله عليه وسلم<<[4] ويؤكد على أن هذا هو العلم اللدني أو ما يسميه >>علم الولاية الذي

---

[1] – المصدر نفسه. ص 645.

[2] – قدور بن سليمان: لوامع أنوار اليقين في قطع ألسنة من نقص الأئمة المجتهدين، مخطوطة نسخها عبد القادر أبو عبد الله بن الحاج عابد بإذن من الشيخ أبو عبد الله غلام الله البوعبدلي: بتاريخ 20 ذي الحجة 1414ه الموافق ل30 ماي 1994. ص 35.

[3] – المصدر نفسه. ص 34.

[4] –المصدر نفسه. ص 10.

يطلع صاحبه على منازع أقوال الأئمة من الكتاب والسنة كشفا عن بصيرته وتحقيق عن الشرع وإلا فلا ولاية لمن لم يحصل له هذا المشهد العظيم>>[1]

وإذا كان النصيون (السلفيون) يرون ضرورة العودة للأخذ من الكتاب والسنة الصحيحة مباشـــرة وفهم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم دون التقيد بأحد من الأئمة الأربعـــة فـــإن العـــارف حسب الشيخ يأخذ عن الله مباشرة يقول ابن عليوة[2]: << قلب العارف لا يـــزول اضـــطراره ولا يكون مع غير الله قراره، فلا يستأنس إلا بالله، فهو مع الله حيث كان فيسمع منه ويبلغ عنه ويتكلم به. كان يقول بعض العارفين... قال لي قلبي عن ربي وذلك لصفائه، لأن القلب إذا كـــان منـــورا فارغا من وجود الغير، لا تبقى له واسطة بينه وبين ربه، فيحدثه في سره حديثا تعجز عن إدراكـــه العقول ... وإذا كان القلب من هذا القبيل، فلا جرم والمرشد *والمجدد يجدد النشاط الإيماني ويـــربط قلوب الناس به حتى يوصلها بنور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. والشيخ ابن عليوة يرى << أن المجدد غير مقلد يأخذ من كتاب الله وسنة رسوله [كذا] الله، بحذف الوسائط، ولا يأخذ إلا ما يجدد الايمان.. >>[3]

فإذا كان القرآن قد نزل منجما على سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم، فإن تنزل المعـــاني يكـــون منجما وبالقدر المحتاج إليه ... يكون ينبوع الحكمة >>[4] وهو يعتقد بأنه ممن حباه الله بنعمة تـــنزل المعاني عليه فهو يقول: كنت << مهما يطرق سمعي كلام الله ترتعد بوادري عن الفحص، حتى كأني أسمع حسيسا من بقية صلصلة الجرس.>> ويرى عمار طالبي أن للشيخ << فهم ذوقي لطيـــف في تنزل الكتاب، وتنزل الكون، قال: <<كما أن الكتاب تنزل من حضرة العلم إلى حضـــرة القـــول، كذلك الكون تنزل من حضرة العلم إلى حضرة الفعل...>> فأما موسى عليه الســـلام، لمـــا سمـــع خطابا من جانب الطور الأيمن، لم يستدل على أنه كلام الله بكلام آخر، بل من أجل ما أعطي مـــن سلامة الذوق، وصحة الوجدان، وهكذا الواصل الواحد منا، مهما تأمل بقلبه، وانشرح باطنه فيمـــا يسمعه من ألفاظ القرآن، فلا يراه إلا كلاما يكلمه الله به في ذلك الحال... ولا يستدل عليه إلا به، لما يجد في قلبه من تأثير التزول ورعدة الزواجر، وهكذا لما نزل به على قلب محمد صـــلى الله عليـــه وسلم، حصل له من تأثير التزول ما ترتعد به مفاصله، ولن يزال هكذا إلى ما لا نهاية،إلى آخر الخلق، وأشير هنا فقط إلى أنه يقول عن نفسه: كأن صلصلة الجرس كانت في وحي رسول الله صـــلى الله عليه وسلم ، مستمرة في الوجود، ووصله صداه، صدى هذه الصلصلة، (فشتان بين ما يستدل بـــه، ومن يستدل عليه). فنحن هنا أمام لطائف ذوقية، ومعاني ربانية، وإشارات روحانية، تـــدل علـــى

[1] – المكان نفسه.

[2] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: المواد الغيثية في الحكم الغوثية، الجزء 2، المصدر السابق. ص 112.

[3] – أحمد بن مصطفى العلاوي: البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور، ج1، المصدر السابق. ص- ص 14- 15.

[4]– المصدر نفسه. ص 25.

أصالة صاحبها في هذا المجال، وتحققه بهذه المعاني التي جدد بها الروحانية الصوفية العالية، لأن الصوفية في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر في البلاد الإسلامية خمدت وأصبحت أشكالا وأحيا بها الطريق الحقيقي إلى الله. فهذا ما جعله مؤثرا في الناس شرقا وغربا، الناس العاديين، وأهل الفكر والفلسفة، أمثال كثير من الغربيين الذين كتبوا عنه وتأثروا به... <<[1]

رابعا: هل قال بوحدة الوجود*؟

إن أخطر تهمة وجهت للشيخ من قبل مناوئيه تمثلت في اتهامه بعقيدة الحلول وأنه من القائلين بالحلول ووحدة الوجود. مستدلين بما جاء في بعض قصائد ديوانه خاصة وهو القائل:

يــا مريد فــزت به	بادر واقصد من تهواه
إن أردت تــفنى فيـــه	لا تــصغ لما عـــداه
حضر قلبـــك في اسمه	شخصه وافهم معنــــاه
وجه وجهـــك لوجهه	واهتز اشتياقـا لـــــه
اخفض الطرف لـــديه	وانظر في ذاتك تـــراه
أين أنت من حسنــــــه	تـــالله لست ســـواه
إن قـــيل من تعني بـــه	صرح وقـــل هو اللـــه[2]

لكن الشيخ ينفي أن يكون قد عنى بها ذلك بقوله>> لا يقعن في وهمك أن هذا القـــول بـــالحلول. فالحلول إنما يكون بين وجودين أحدهما حال في الآخر، ونحن نقول : لا وجود إلا وجوده <<[3] وهو ما جعله يتراجع عن استعمال مصطلح وحدة الوجود صريحا الذي كان الشيخ قد استعمله في بداية وعوضه بمصطلح وحدة الشهود لما اشتدت عليه الحملة. ففي عام 1913 كان قد نشـــر في تـــونس رسالة مما ورد فيها قوله: >> إنما هو ذات في ذات وهاتـــه الـــذات هـــي المعـــبر عنـــها بوحـــدة

[1] - عمار طالبي: المرجع السابق. ص- ص 96-79

* وحدة الوجود (Panthéisme): تعليم فلسفية تذهب إلى أن الله مبدأ لا شخصي ليس خارج الطبيعة ولكنه متوحد معها. ومذهب وحدة الوجود يبث الله في الطبيعة ويرفض العنصر الخارق للطبيعة.

روزنتال بودين وآخرون: الموسوعة الفلسفية، ت: سمير كرم، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت: 1974. ص 580.

ولمذهب وحدة الوجود عدة صور جديدة كوحدة الوجود السبينوزية التي تقرر أن الله وحده هو الموجود الحق. ووحدة الوجود المثالية (هيجل) التي تقرر أن الله هو الروح الكلي الكامن في الأرواح الجزئية.ووحدة الوجد الطبيعية التي تمجد الله والطبيعة. ولكن هذه الصور المختلفة يمكن أن ترد إلى صورتين أساسيتين: الأولى هي القول أن الله وحده هو الوجود الحق، وأن العالم مجموع ظواهر وأحوال ليس لها وجود حقيقي دائم، ولا جوهر متميز. والمثال من هذه الصورة مذهب وحدة الوجود السبينوزية. والثانية هي القول أن العالم وحده هو الموجود الحق، وليس الله سوى مجموع الأشياء الموجودة في العالم. والمثال من هذه الصورة مذهب وحدة الوجود عند (دولباخ) و(ديدرو)، وعند بعض الهيجليين، وتسمى هذه الصورة بمذهب وحدة الوجود الطبيعية أو المادية.

جميل صليبا: المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، دار الكتاب المصري، بيروت، القاهرة: 1979. ص- ص 569-570.

[2] - أحمد بن مصطفى العلاوي: دواوين آيات المحبين، المصدر السابق. ص 53.

[3] -أحمد بن مصطفى العلوي: الناصر معروف، المصدر السابق. ص 123.

الوجود...النقطة نعني بها عين الذات المقدسة المسماة بوحدة الوجود.<<[1] ولكنه حين أعاد طبعها بمستغانم خلال العشرينات غير من عنوان الرسالة ومتنها أيضا ما قد يوحي بالقول بوحدة الوجود وعوضه بمصطلح (وحدة الشهود).[2]

إن بعض ما صرح به الشيخ رأى فيه حتى أتباعه نقصا وتفريطا منه فقد >> روى الصادق الكشباطي، أن إنسانا من الشرفاء القاطنين بتونس قال: رأيت في المنام رسول الله صلى الله عليه وسلم وبجانبه السيد علي بن أبي طالب رضي الله عنه فتقدمت إليهما وقلت: أخبرني يا رسول الله عن السيد أحمد بن عليوة، وعن طريقته، فقال لي هو على الحق، وإنه من العارفين بالله، إلا أنه يقع منه تفريط في بعض الأوقات ويريد بذلك أنه يتكلم ببعض الأسرار عند من لا يستوفي حقها<<[3] إن الحلول الذي يعني أن الله سبحانه وتعالى قد حل في جميع أجزاء الكون؛ أو أن المخلوق عين الخالق، وأن كل الموجودات المحسوسة والمشاهدة في هذا الكون هي ذات الله تعالى وعينه كفر وزندقة وأشد ضلالة من أباطيل اليهود والنصارى وعبدة الأوثان[4]. لذلك شدد الصوفية النكير على قائله، وأفتوا بكفره، وحذروا الناس من مجالسته. وأن قصده كان إسقاط الشرائع فيتكلم بما ظاهره أن الشريعة يختص بها أهل الغفلة، والحقيقة يختص بها أهل العرفان زورا وبهتانا.[5]

لكن الشيخ ابن عليوة الذي لم يقل بإسقاط التكاليف والتزم بأحكام الشريعة كان يرى أن كل ما يؤخذ على القوم من شطحات هم معذورون فيها. لأن العقل الذي يميز حال الفناء قد غاب وعند فقدانه وفياض السر القدسي على العارف، يتكلم بلسان الحق لا بلسانه ومعربا عن ذات الحق لا عن ذاته ولا سبيل لإدراك ذلك عقلا، فهو متعلق بالذوق وصفاء الأحوال ويستعيذ بالله أن ينكر ذلك على أوليائه، كما يستعيذ من سوء الظن بالله وعباده الصالحين.

ويحذر من الإنكار عليهم بقوله >>وإياك يا أخي أن تبادر بالإنكار على أولياء الله العارفين لأنهم هم أعلم منك بحقيقة الله وأنبيائه أعوذ بالله من سوء الظن بالله وعباد الله الصالحين<<[6].

ويتره جميع المتصوفة بمن فيهم الحلاج والبسطامي عن القول بالحلول ووحدة الوجود ويرى أن ما نقل عنهم من أقوال هو مما يقتضيه الفناء في ذات الله وفي ذات النبي.* وأن الحلاج لم يجد من يأخذ

---

[1]– أحمد بن مصطفى بن عليوة: الأنموذج الفريد الموصل لعين التوحيد في شرح النقطة المشيرة إلى الوحدة، المصدر السابق. ص 5.

– ينظر الملحق رقم تسعة./ إن لفظ الاتحاد حيث وقع من محققي الصوفية، يريدون به معنى الفناء الذي هو محو النفس، وإثبات الأمر كله لله سبحانه، وتسليم الأمر كله لله، وترك نسبة شيء ما إلى غيره– ينظر: عيس عبد القادر، المصدر السابق. ص 440./ نقلا عن :كتاب الحاوي للفتاوى في الفقه وعلوم التفسير والحديث والأصول، لجلال الدين السيوطي،ج2. ص 134.

[2]– أحمد بن مصطفى العلاوي: منهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن، ط5، المطبعة العلاوية بمستغانم:1997. ص 21.

[3]– أحمد بن مصطفى بن عليوة: برهان الخصوصية، المصدر السابق. ص 61.

[4]– عبد القادر عيسى: المصدر السابق. ص 434.

[5]– المصدر نفسه. ص– ص 445-447.

[6]– المصدر نفسه. ص 25.

بيده للخروج من تلك الحال وإلا فإن>>الفناء للعارف في ذات الله ، وفي ذات النبي صلى الله عليه وسلم، ليس هذا لكل ولي، ولا في كل الأوقات، بل هو لبعض العارفين الراسخين في العلم.<<[1] ولما يؤمن بأن هذا المقام ليس لكل ولي وإنما للعارفين الراسخين في العلم والتلفظ به برهان الخصوصية والرسوخ في العلم.غامر بالجهر بها ليعرف بها عند القوم وتعرف مكانته ويحفظ مقامه. ويرى الأستاذ حميدي الخميسي بأن الشيخ>>على الرغم من أنه يتعاطف مع القائلين بوحدة الوجود...إلا أنه يمنح مفهوما للفناء يختلف عن كثير من المتصوفة، ويرى في الفناء ليس فناء وجود ما سوى الله في الخارج بل فناؤه عن شهودهم وحسهم... بل غيبته أيضا عن شهوده ونفسه، لأنه يغيب بمعبوده عن عباده، وبمذكوره عن ذاكره وبموجده عن وجوده.<<[2]

وما دمنا سنتطرق لوسائل وأساليب تربية الشيخ لأتباعه ارتأينا التطرق لنظرته لـــ:

خامسا: نظرة ابن عليوة لعلاقة الفرد بالمجتمع

ينطلق الشيخ في تحديد مكانة وعلاقة الفرد بالمجتمع من الحديث النبوي الشـــريف، الـــذي يصف المؤمنين بأنهم (كالجسد الواحد) جاعلا المجتمع بمثابة الجسد وأفراده أعضاء ذاك الجسد، ومـــا تختلف أعضاء الجسد فيما بينها من حيث طبيعتها وقيمتها ووظيفتها، ومع ذلك لا يستغنى عن عضو بعدمه أو بوجود ما هو أشرف منه فكل ما يحتاج إليه شريفا مادام محققا لحاجات الجسد، كـــذلك أفراد المجتمع مختلفون وكل ميسر لما خلق له >> فليكتف من الأعمال بما يراه مرتكـــزا في فطرتـــه، وليتوسع فيه بقدر استطاعته فإنه أوفق له وأنفع لأبناء نوعه، لأن الحقائق لا تنعكس وإن مع المحاولة، فالسمع في البدن لا يتأتى منه [كذا] يكون بصرا، واليد لا يمكن لها أن تكون لسانا وقـــس علـــى ذلك، وليس على جارحة في البدن أن تقوم بأكثر مما خلقت لأجله.<<[3] وقيمة الفرد بما يحسنه وإن تفاوت الأفراد في المكانة والشرف، فمرتبة العين في البدن ليست كمرتبة الجفن مثلا، لكن كمـــا أن لكل عضو فائدة تتحقق بأدائه لوظيفته فإنه إن لم يفعل يكون بمثابة العضو الأشل مهما كانت طبيعته

---

* الفناء في ذات النبي صلى الله عليه وسلم. فيغيب عن ذاته في ذات النبي صلى الله عليه وسلم، فيتدلى له صلى الله عليه وسلم، ببعض أسراره، فإذا كسبت ذاته ذلك الشرف، لا تشهد ذاته إلا ذات النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا هو حقيقة الاجتماع بالمصطفى صلى الله عليه وسلم. وما سوى هذا الاجتماع عند العارفين فما هو إلا أضغاث أحلام، فإذا حصل للعارف هذا الاجتماع ، فيعلمـــه الله ببعض ما خص به نبيه صلى الله عليه وسلم، من الخصوصية التي لا مطمع فيها لغيره صلى الله عليه وسلم، فيتكلم بلسان النبي صـــلى الله عليه وسلم.

عبد القادر عيسى، المصدر السابق. ص 440.

[1]– أحمد بن مصطفى العلاوي: معراج السالكين ونهاية الواصلين، ط2، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1992. ص 25.

[2] – حميدي الخميسي: الشيخ العلاوي عارفا متصوفا، المرجع السابق. ص 118.

[3] – أحمد بن مصطفى العلاوي: الأبحاث العلاوية في الفلسفة الإسلامية ، أحباب الإسلام، باريس، 1984. ص 10.

وأهميته. وعليه لا يوجد دور هين فيحتقر وآخر شريف يؤدي إلى التعالي والتكبر وإنما على كل أن يمارس صلاحياته في نطاق وظيفته وطبقته.[1]

فالفرد يكون نافعا بقدر ما يعمل للصالح العام ألا ترى أنه ما من عضو في البدن إلا وعمله لغيره أكثر من عمله لنفسه وكما أن جميع الأعضاء تتعاون على نفع الجسد. لكن دون إهمال حق نفسه لأن المجتمع يسعد بسعادته ويشقى بشقائه، وبتعاون أفراد المجتمع وأدائهم لواجباتهم تزدهر مكانته ويسمو بين الأمم.[2]

هذا الخطاب من شأنه أن يورث أتباع الشيخ وخاصة المتجردين منهم الرضا بما يؤدونه من مهام مادامت قيمة كل واحد بأدائه لما يحسنه من الأعمال.

ويكرس الطبقية الاجتماعية ويفرض احترامها على أساس أنها فطرية وضرورية لانتظام الحياة، وفي التسليم والرضا بذلك سعادة الفرد والمجتمع.

فهو يرى أن الناس ثلاث طبقات بحسب حركاتهم الفكرية والبدنية، فأعلى طبقة على مستوى الحركة الفكرية هم العلماء من رجال الدين، أما أعلى مستوى الحركة البدنية فيمثلها ذوي النفوذ السياسي والمالي والجاه.[3]

ولقد اعتمد الشيخ في مشروعه الإصلاحي وعول كثيرا على أصحاب السلطة الدينية من علماء ومرشدين وخطباء مساجد. ورجال السياسة من رجال الحكومة الفرنسية إلى نواب الأمة.

كما عزم على احتواء الباحثين عن السلوك بتقديم عروض مغرية من شأنه إثارة فضول الفضوليين ولفت انتباه الباحثين عن مرشد بما أدخله من تجديدات في الطريق.

وللشيخ ابن عليوة آراء في الفلسفة والتصوف، وقد أظهرت المقارنة بين ما جاء في رسالة (المنقذ من الضلال) للغزالي وما جاء في رسالة (الأبحاث العلاوية في الفلسفة الإسلامية) التشابه بين المؤلفين، مرده أن كليهما أشعري العقيدة، وسطي المواقف، يجمع بين الاستدلالين النقلي والعقلي.

ويكمن التشابه بينهما خاصة في الهدف من الرسالتين فكلاهما أراد برسالته إنقاذ العقول من ضلالاتها وتبيان إمكانية بلوغ اليقين وتحقيق السعادة، لكن مع خصوصية كل واحد بما ينسجم وظروفه الزمانية والمكانية. ففي الوقت الذي طرح فيه الغزالي الكشف والتصوف كبديل للفلسفة اليونانية والفلاسفة المتأثرين بها. طرح ابن عليوة الفلسفة الإسلامية كبديل مع عدم إقصاء فلسفة الغرب التي تأخذ بها لكن مع أسلمتها.[4]

---

[1] – المكان نفسه.

[2] – المصدر نفسه. ص – ص 8-9.

[3] – ساعد خميسي: ابن عليوة والفلسفة، المرجع السابق. ص 221.

[4] – المصدر نفسه. ص– ص 234- 235.

المبحث الثاني: الوسائل المسخرة لتربية الأتباع

إن غاية أي منتسب للطريق هو طلب الوصول وبلوغ درجة العرفان والإحسان. وهو ما لا يتحقق إلا بصحبة مرشد مذكر حي واصل موصل داع لله بالله)[1] وقد أجمع أتباع الشيخ على أن <<الأستاذ الفتح على يده قريب ومريده منيب>>[2] والسر يكمن في خصوصيته ولاية فضلا من الله يؤتيه من يشاء من عباده.

لكن لطريقة الشيخ منها أن الخلوة والسياحة والتجرد لخدمة الإخوان كانت كل واحدة منها تمثل طريقا يسلكه السائرون إلى الله، لكنها في الطريقة العلاوية تتحول إلى أدوات مؤقتة في التصفية والسلوك وليست الطريق في حد ذاته. كما أنه يؤكد على المغناطيس الذي لديه فيجذب المريد إليه دون تكلف أو عناء كما كانت أخلاق الرسول صلى الله عليه وسلم فهل كان ذلك ما يسميه القوم التربية بالهمة أما من آثار كون المرشد مقتد بالسنة؟

إن << وصول الهمة إلى فعل الخلق والتصرف في الأشياء ليس فعلا دائم الحضور. فلو كان دائم الحضور لفعل أصحاب الهمم كل ما يُسهل عليهم ولغيرهم تحقيق الكمال دون عناء. >>[3]

ولكن القوم يؤكدون على أن مفهوم السنة، لا يقتصر على متابعة الرسول صلى الله عليه وسلم في أقواله وأفعاله، وإنما في أحواله أيضا، لأن أقواله وأفعاله قد يتأتى التظاهر بها ولكن أحواله لا تكتسب إلا بصحبة أهل الحال المشار إليهم بقوله عليه الصلاة والسلام: جالسوا من تذكركم بالله رؤيته، ويزيدكم في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله. فالسنة عبارة عن أخلاق سنية، وأحوال نبوية، تجذب إليها مثل المغناطيس لمن وجدت فيه، كما كانت أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم تجذب من حاذاه، فيتخلق ببعض أخلاقه فالشيخ ابن عليوة يقول: << إن السنة هي عبارة عما كان عليه الصلاة والسلام من جهة أقواله وأفعاله وأحواله، ومن جملتها أنه كان نطقه حكمة، ونظره عبرة، وفعله طاعة، وأما حاله فهو مع الله في كل حال يبيت عند ربه يطعمه ويسقيه؛...هي عبارة عن متابعته عليه السلام في أقواله وأفعاله وأحواله، أما الأقوال والأفعال فقد يتسنى التلبس ببعضها والتظاهر بشكلها، وأما الأحوال فلا تكتسب إلا بصحبة أهل الحال المشار إليهم بقوله عليه الصلاة والسلام: جالسوا من تذكركم بالله رؤيته، ويزيدكم في علمكم منطقه، ويرغبكم في الآخرة عمله. وبالجملة إن السنة عبارة عن أخلاق سنية، وأحوال نبوية، فهي مثل المغناطيس لمن وجدت فيه، تجذب إليها بالخاصية، كما كانت أخلاق النبي صلى الله عليه وسلم تجذب من حاذاه، فيتخلق ببعض أخلاقه كل من صحبة بلا شعور... >>[4].

---

[1]- الحسن بن عبد العزيز: إرشاد الراغبين، المصدر السابق. ص 19.

[2] - محمد وعلي بن الطيب اليديري: الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 119.

[3] - عبد القادر عيسى: المصدر السابق. ص 277.

[4] - أحمد بن مصطفى العلاوي: المصدر السابق. ص 117.

أولا: الذكر والمذاكرة

إن من الأمور التي تساعد السالك على السير وتنشطه، وتزيد من إقباله على الله تعـالى، أو تجدد همته، الاجتماع على علم أو قراءة القرآن أو على الذكر والمذاكرة والسماع[1]

وذهب عبد الرحمن بوجنان الوزيداني[2] التلمساني إلى أن أوقات الشيخ ابن عليوة كانت كلها عامرة بالذكر والمذاكرة، ومواعظه تكاد تتفتت منها الأكباد وتنشق منها القلوب، بما فيه مـن المعـارف الربانية والحكمة. وكانت مذاكراته كما يقول بوشناق التلمساني[3] دائرة على ما يزيـدهم في علـم الشريعة سعة وفي الطريق رغبة وفي بحر التحقيق زجاة، فمجالسه خلية خلوة وجلوه من الأغـراض الدنيوية.

إن الذكر والمذاكرة ومجاهدة النفس والعلم والمحبة هي أركان الطريق الخمسة، والذكر أداة لتجديـد الإيمان فقد روى أبو هريرة ـ رضي الله عنه ـ عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قولـه: (جـددوا إيمانكم قيل: يا رسول الله وكيف نجدد إيماننا؟ قال: أكثروا من قول لا إله إلا الله) .وهو طريق عامة الطائفة ومنشور الولاية، فمن فتح له فيه فقد فتح له باب الدخول على الله عزَّ وجل ويثمر المعارف والأحوال التي شمر لها السالكون.[4]

فذكر الله بجميع صيغه دواء لأمراض القلوب وعلل النفوس، ولكل صيغة تأثير قلبي خاص ومفعـول نفسي معين، والمرشد يأذن لمريده بأذكار معينة تتناسب مع أحواله وحاجاته وترقيـه في السـير إلى رضوان الله تعالى.[5]حيث يأمر مريده بالذكر بصفة مخصوصة، وأذكار معلومة أولها (لا إلـه إلا الله) بادئ أمره، فإذا تمكن النفي والإثبات من قلبه نقله إلى ذكر الاسم المفرد، وأوصاه بملازمته ومجاهدة النفس على تحمل مرارته فإذا لم يصبر عليه وأهمل ذكر الاسم المفرد وقف في سـيره وحـرم خـيرا عظيما بسبب فساد العزيمة وضعف الإرادة.[6]وعادة يلتزم الفقراء بأورادهم الخاصة ويحرصون عليها، سواء كانت تلاوة للقرآن، أو أذكار يحصوها مستعملين سبحة قد تختلف عن سبحة باقي الطوائـف حجما ولونا ولكنها تتحد في عدد حباتها المائة.

وكثيرا ما يربط المشايخ بين الذكر والمذاكرة، يقول الشيخ الهبري لأتباعه<< الطريق التي لم تكـن فيها مذاكرة فهي خاوية؛ ولو كان أهلها مجتهدين في الذكر، فإن الذكر شبح والمـذاكرة روح، ولا

---

1 – سعيد حوى: تربيتنا الروحية، ط7، دار السلام، مصر: 1425هـ- 2004. ص 140.

2– الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 95.

3– المصدر نفسه. ص 90.

4– عبد القادر عيسى: المصدر السابق. ص 180.

5– المصدر نفسه. ص 150.

6– مصطفى العشعاشي: المصدر السابق. ص 154.

يقوم الشبح إلا بالروح ، فمن أراد معرفة الله فعليه بمذاكرة كل أحد مسلما [كذا] كان أو يهوديا [كذا] أو نصرانيا [كذا] وغيرهم فكل واحد يأخذ منه بقدر علمه<<[1]

فما هي المذاكرة هذه التي تعتبر ركنا في الطريق ومن سار معها وصل إلى ربه في أقرب مدة؟ عبر عنه الشيخ ابن عليوة[2] بكلام التشهد الدال على مقام الذاكر بعد ما يحصل له من الشهود >>المراد به أن يتكلم الذاكر بعد ذكره لما حصل له من الشهود، ليتحققوا بمقامه ويكونوا منه على بصيرة كما قالوا في القوم : تكلموا تعرفوا ...لأن عالم التشهد ينبني على ما حصل من الشهود، وربما يحصل في التكلم من الزيادة ما لا يحصل في العبادة، وقال شيخ شيوخنا مولاي العربي الدرقاوي –رضي الله عنه– (الناس خمرتهم في الحضرة ونحن خمرتنا في الهدرة) أي في **المذاكرة**، وقد قيل: (إن الفقير بلا مذاكرة ولا فكرة كالخياط بلا إبرة)، وقد قيل أيضا (إن المذاكرة بين اثنين أفضل من حمل وقرين)<<

وهو ما دعا له الشيخ الهبري متمثلا بقول العرب: >>(من انطفات نارو[كذ] يوقدها من عند جاره).والخير والسر في المذاكرة، فإنها تحي القلوب الميتة كما يحي الماء العشوب[كذا]<<[3]

فالمذاكرة هي استفادة المريد من خبرة مرشده بسؤاله عن أحكام شرعية، أو بأن يعرض له ما يحدث معه من أحوال قلبية وخواطر نفسية وشيطانية، أو بأن يكشف له عن أمراضه القلبية بغية معرفة طريق الخلاص منها. ويرجع المريد لمرشده في جميع أحوال سيره لاجتياز العقبات التي تعترض طريقه. ويذاكره في أحواله الطيبة ومقامات سيره، وما يرد على قلبه من واردات رحمانية أو ملكية ومفاهيم قرآنية وعلوم وهبية ليتأكد من صحتها ليكون على بصيرة من مراحل سيره.[4]

والمذاكرة منها ما هو بين المريد وشيخه للاستفادة من خبرته في كشف أمراضه القلبية بغية معرفة الخلاص منها، ومنها مذاكرات الشيخ للأتباع خلال الجموع وتكون في مواضيع من وحي الساعة.

وقد وصف مصطفى حافظ[5] حال الشيخ عند مذاكرته أتباعه فقال: >>لما يكون بصدد المحادثة يظهر يظهر عليه حال ثان يدل على صدق اللهجة وقوة الايمان، وهو يتمهل حين ذلك كأنه يستمد من مدد خارجي مع السيطرة على القلوب وجمعها نحو نقطة المذاكرة بكيفية عجيبة وإن من البيان لسحرا.<< أما حال أتباعه فإنك تجدهم في مجلسه مطرقين رؤوسهم كأنما الطير تحوم عليها صامتون

---

[1]– المصدر نفسه. ص 138.

[2]– أحمد بن مصطفى بن عليوة : المنح القدوسية، المصدر السابق. ص ـ ص 170-171.

[3] – مصطفى العشعاشي: المصدر السابق، ص143.

[4] – عبد القادر عيس: المصدر السابق. ص 193.

[5] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص137.

يعون ما يسمعون منه، قلوبهم خاشعة وعيونهم دامعة وقد يحصل لبعضهم الجذب الروحي من شـــدة التأثر فيتكلم الحقيقة من غير دخول الخلوة[1]

وتكون مذاكرته في نهاية الجموع والعمارة والاجتماعات العامة علـــى شـــكل دروس ومـــواعظ وإرشادات من وحي الساعة، وحسب الحال.

ومنها ما يكون في جلسات خاصة وتكون من قبيل ضرب الأمثال وأقرب إلى الحكم، من ذلك ما روى عن أحد فقراء الشيخ أنه كان يوما جالسا أمام شجرة أكاسيا مزهرة يرقب النحل وهي تروح وتجيء، فقال لمريده: أنظر يا أخي؛ أترى هذه الأزهار العطرة الكل يرغب فيها، النحـــل ليمـــتص رحيقها، والحمير لأكلها عشبا، النحلة تذهب إلى عمق الروح، والحمار يذهب صوب المادة، الزهر به دوما الرحيق، لكنه بالنسبة للحمار هو مجرد كلأ، فأحذر يا أخي أن تكون حمارا، كن نحلة تمتص الرحيق لتعطي العَالَمين عسلا.[2]

ومن مذاكرات الشيخ لأتباعه ما نقله عنه تلميذه وخليفته الشيخ عدة بن تونس، في إحدى مذاكراته حين سأل أتباعه إذا أردنا عصر زيت الزيتون، ماذا نستعمل من الثمرة اللحاء أم النواة؟ ثم يعلق قائلا: إننا إن عصرنا النواة وحدها لن نحصل على زيت وكذلك إن عصرنا اللب وحـــده لـــن نحصل أبدا على زيت مكتمل العناصر، وللحصول على زيت جيد ينبغي استعمال الثمرة كلها بعـــد هرسها. فهل يمكنكم أن تنبئوني بما توحي لكم به هذه الصورة؟

فأجابه أحد الفقراء بقوله: أعتقد يا سيدي أنه للحصول على زيت الزيتون ينبغي أخذ الحبة كاملـــة، الظاهر كما الباطن، وكذلك الدين يؤخذ ظاهرا وباطنا.

فأجابه الشيخ: هذا صحيح ولكن تفكروا يوجد أمر آخر. ولما ساد الصمت قال الشيخ: في أحـــد الأيام كان الشيخ العلاوي في مذاكرة وإذا بصخب غريب قاطعه مصدره فقير يعُد كؤوس الشـــاي فأمر بالهدوء سائلا عن سبب الصخب، فأجابه الفقير: << سيدي إني أعد الكـــؤوس، ولكنـــها لم تسمح لي بعدها >> فقال الشيخ: << وكيف تأبى الكؤوس أن تعد؟ >> فقال: << أبدأ بواحد كل شيء على ما يرام، ثم أقول اثنان وعندها يبدأ الصخب لأن الكأس يقول لي: أنـــا واحـــد... فـــلا أتوقف عنده، وأقول للآخر ثلاث فيحتج قائلا أنا واحد، فأتجاوزه للرابع الذي يبـــدي ردة الفعـــل نفسها يا شيخ، فلم أستطع العد، فالكل يصرخ أنا واحد. وهذا هو سبب الصخب فأنا لا أعـــرف كم عدد الكؤوس لدي >> عندها قال الشيخ: << يا أخي لو قلت لي لحضرت لسماع مذاكرتك، إنها أعمق من مذاكرتي. >>[3]

[1] – حسونة بن المشري التبسي: المصدر نفسه. ص ـ ص 140-141.

[2] –EL MORCHID, N° : 36- 3e Année, Mostaganem : 1 er Redjem 1369- 19 Avril 1950. p 9

[3] – EL MORCHID, N° : 31. 3e Année, Mostaganem :1 er safar 1369- 23 Novembre 1949. p-p 10-12.

ومن المذاكرات ما يكون بين الإخوان، وغالبا ما تكون انطلاقا من مذاكرات الشيخ وماذا فهم منها كل واحد منهم، أو يتدارسون حكمة من حكم القوم، والخير والسر فيما تجتمع عليه قلوبهم في المذاكرة. فضلا على شحذ همة من تخلف منهم لقولهم (من انطفأت ناره يوقدها من عند جاره).
كما تكون المذاكرة أيضا مع العلماء من أهل الظاهر، فالعلم لا يزيد إلا معهم، لكن على الفقير أن يأخذ منهم الثمرة ويرمي العود للجمرة وأن يحصن نفسه معهم بالسنة المحمدية، واجتناب حيالهم الشيطانية؟![1]كما قد تكون المذاكرة مع اليهودي والنصراني فيأخذ من كل منهم بقدر علمه. ويأمر الفقير بترك مذاكرة العموم لأنها تجلب الجهل والهموم.[2]

ثانيا: تنظيم الجموع

كان الشيخ ينظم الجموع الكبرى خلال المواسم الدينية منها منتصف شعبان، استعداد لدخول شهر رمضان، وخلال العيدين في أول شوال والحادي عشر من شهر ذي الحجة، وتكون عامرة بالأذكار والسماع والمذاكرات وتنظيم العمارة.[3]
ويقال أن الشيخ كان ينظم جمعا كل يوم، ثم أصبح الجمع أسبوعيا عادة يوم الاثنين أو الجمعة ثم أصبح يوم الأحد. يشتمل كل جمع على سماع وذكر وعمارة ومذاكرة حسب الاستعداد، وكان وقتها بين العصر والمغرب ويختم بذواق عادة يكون الشاي[4]كما تنظم الجموع أيضا في المناسبات الاجتماعية كالختان والعقيقة وخاصة عند أعيان الطريقة، وتشتمل على سماع وعمارة وأذكار وقراءة للقرآن وإلقاء لخطب.[5] نجد وصفا لبعضها في صحيفة لسان الدين الثانية التي اتسعت لتغطية مثل هذه المناسبات، منها حفلة ختان بدار القنادسة بتلمسان وهي قاعة للحفلات، حيث وجه الأستاذ الحسين القندوسي بطاقات الدعوة إلى أصدقائه ومحبيه وأقاربه << وافتتحت الحفلة بتلاوة سورة يس، وأنشد المسمعون بعض المدائح من كلام الصوفية، بعد تناول مختلف الأطعمة نصبت منصة الخطابة التي تصدرها علي المسيلي بدرس في شرح حديث الإسراء والمعراج،لأن الختان وافق هذه الذكرى، ثم رفعت الأصوات بذكر سبحان الله وبحمده، سبحان الله العظيم مائة مرة، ثم أنشد التلاميذ قصيدة روح وريحان للشيخ العلوي. تلاهم الأستاذ محمد الجريدي (العلقمي) مدافعا عن المسائل الدينية التي أنكرها دعاة الدين الجديد، تلاه عبد الله البيضاوي بخطبة في فضل التعارف

---

[1] – مصطفى العشعاشي: المصدر السابق. ص 133.
[2] – المصدر نفسه. ص 138.
[3] – علاوة أرتباس يوم 16-9-2006
[4] – الدكتور موهوب نصر الدين مقدم زاوية البرج ، لقاء بمدينة سطيف بمنزل الأستاذ علاوة أرتباس، يوم 11 ماي 2004
[5] – محمد وعلي بن الطيب: (احتفال باهر بمولد زاهر بقرية تانساوت)، لسان الدين، ع: 77، السنة الثالثة، مستغانم:2 جمادى الثانية 1358- 20 جوليت 1939. ص – ص 7-8.

والتآلف، ثم البشير المعلم بالزاوية، ثم محاورات نشطها تلاميذ الشيخ البوديلمي بين مصلح وطرقـــي، وبين مصلي وتارك للصلاة، ثم ختم الحفل بتلاوة سورة الفتح والدعاء.<<[1]

أما الجمع السنوي فكانت أول مرة أقامه فيها بمناسبة تدشين الزاوية الكبرى بمســتغانم، وأصـــبح مناسبة يجتمع فيها الأتباع من داخل الجزائر وخارجها، ليعرفوا أنهم ليسوا قلة ويتدارســـون شـــؤون طريقتهم، وأصبح يلقى تغطية إعلامية لأنشطته فالنجاح مثلا غطت بعض أنشطة الجمع السنوي لعام 1924، وأصبحت الإدارة ترخص للأتباع بحضوره وأسقطت عنهم نصف سعر تذكرة القطار ذهابا وإيابا، ولكنه ومنذ عام 1927 توسعت مهامه، وانتقل مقر تنظيمه إلى مدينة الجزائر ليعود ثانية إلى مستغانم عام 1933. فكانت نشاطاته تتم بين ضريح سيدي محمد البوزيدي والزاوية العلاويـــة، وتم تنبيه الخطباء إلى عدم التطرق للمسائل السياسية، والاقتصار على الوعظ والإرشاد وأن يكون الدرس إما في أحاديث نبوية أو آيات قرآنية.[2]

ولرعاية هذا الجمع الدولي كون الشيخ ابن عليوة جماعة مؤلفة من عشرة فقراء وكلفهم بتحضير مـــا يلزم من أكل وشرب ومأوى لجميع الضيوف[3] الذين تتكفل الزاوية العلاوية بهم، ومؤونتهم علـــى المنتسبين والمحبين من أهل مستغانم.[4]

يجتمع في هذا الجمع العلماء والطلبة والفقراء وعامة الناس من أنحاء شـــتى وتقـــام خلالـــه الدروس العلمية والمواعظ والخطب القيمة، ويتلى القرآن الكريم، وتقام العمارة، وينشد المنشـــدون المدائح الدينية والصوفية ويدوم الموسم ثلاثة أيام وفي اليوم الثالث يودعون بعضهم ويفترقون.[5]

---

[1] - النجاح، ع: 2193، قسنطينة: 3 شعبان 1357هـ - 28 سبتمبر 1938.

[2] - (من الزاوية العلوية، تنبيهات يحتاج إليها)، البلاغ الجزائري، ع: 312، الجزائر: 6 أكتوبر 1933.

[3] - مصطفى العشعاشي: المصدر السابق. ص 102 .

[4] - النجاح، ع: 173، قسنطينة: الجمعة 5 سبتمبر 1924.

[5] - مصطفى العشعاشي: المصدر السابق. ص 102 .

ثالثا: إدخال الخلوة

الخلوة هي أن يخلو المريد عن غيره، بل وعن نفسه بربه، وهي السبيل العملي لتقوية الإيمان وصفاء النفوس وسمو الأرواح وتطهير القلوب لتتأهل لتجليات الله تعالى فيخرج إثرها المريد عـــامر القلب بالإيمان واليقين.[1]

ومعروف عن التصوف الدرقاوي أنه لا يطلب العزلة إلا من أجل التجريد والتطهير، والرجـــوع إلى المجتمع من جديد مطهرا سالما قابلا لتطبيق الشريعة، وقادرا على تحمل تبعات ذلك التطبيق.[2] لذلك كانت الخلوة محدودة بمدة أقصاها أربعين يوما.

كان الشيخ ابن عليوة يدخل الخلوة كل من طلب دخولها، ويرى أنها نوعان خلوة بقصد التصفية، وخلوة بقصد السلوك إلى الله عزَّ وجلَّ، وأنه لا يأخذ بكلتيهما إلا من سبقت له العناية من الله،[3] أما خلوة التصفية فهي أشبه باعتكاف الفقهاء، وخلوات الصوفية العامة التي تتكرر قصد التفرغ للعبادة والذكر وتلاوة القرآن ومحاسبة النفس والتفكر.

أما الخلوة بقصد السلوك فلا يدخلها المريد إلا مرة واحدة في حياته بإذن من شيخه الذي يرشـــده، ويعلمه، ويذكره، وينشطه، ويساعده على دفع هواجس النفس[4] ولا يدخل المريـــد الخلـــوة حـــتى يدخلها شيخه قبله ويصلي فيها ركعتين بحضور وهمة وجمعية قلب مع الله تعالى ثم يفيض ذلـــك في قلب المريد ليقرب عليه طريق الفتح[5]، ويكون داخلها صائما؛ مع دوام الطهارة وعدم الغفلـــة عـــن الذكر، مع عدم الإتيان فيها بالنوافل.[6]

أما وصفها فهو اعتزال المريد في غرفة صغيرة شبه مظلمة وهادئة[7]بعد أن يكـــون قـــد ردد سبعين ألف مرة (لا إله إلا الله) وبعد أن يقسم لشيخه أن لا يخرج منها إذا لزم الأمر قبل أربعـــين يوما[*] يلتزم خلالها بذكر الاسم الأعظم (الله) فقط شفويا وذهنيا ليلا ونهارا وبكيفية مخصوصة[**] مـــع

---

[1]– عبد القادر عيسى: المرجع السابق. ص- ص 214-217.

[2] – عبد المجيد الصغير: المرجع السابق. ص 154.

[3] – أحمد بن مصطفى العلاوي: أعذب المناهل، المصدر السابق. ص 217./ ويرى الإمام الشعراني أنه: <<لا ينبغي للشيخ أن يدخل المريد الخلوة إلا إن علم عن طريق كشفه حصولها له...وإن لم تحصل له فاشتغاله بالعلم والكسب والصنائع والحرف أفضل له من دخول الخلوة >>

-عبد الوهاب الشعراني: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج2، المصدر السابق. ص 105.

[4] – عبد القادر عيسى: المصدر السابق، ص- ص 197-198.

[5] – عبد الوهاب الشعراني: الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، ج2، المصدر السابق. ص 102.

[6] – أحمد بن مصطفى العلاوي: المنح القدوسية، المصدر السابق. ص – ص 174 – 175.

[7] _ Probest –Biraben, op-cit. pp: 86-87.

[*] يذهب الشيخ أحمد زروق في قواعده إلى أن الخلوة نوع من الاعتكاف، أكثرها عند القوم لا حد له، ولكن السنة أربعون يومـــا، بمواعدة موسى عليه السلام، والقصد والحقيقة ثلاثون، إذ هي أصل المواعدة وأقلها عشرة لاعتكافه عليه الصلاة والسلام للعشر.

عبد القادر عيسى: المرجع السابق. ص 197.

الصوم وقلة النوم، فمن المريدين من فتح عليه فجأة بعد دقائق من دخولها، ومنهم من احتاج لعـــدة أيام، ومنهم من احتاج لعدة أسابيع. لكن أحد مريدي الشيخ ظل فيها ثمانية أشهر كاملـــة ابتغـــاء الفتح.[1]

و لم يكن دخول الخلوة حكرا على الرجال دون النساء فقد دخلتها عدة مريدات (فقـــيرات) مـــن ذوات الكشف، وكان لهن مقدم مسؤول عليهن وهو الطاهر أولحسن بن محوط.[2]

لكن كيف يفتح على داخل الخلوة؟

تخبرنا الروايات أن هناك من يفتح عليه بالبكاء، وهناك من يتكلم بأسرار عجيبة، وعلوم من دقـــائق القوم كلام حديث عهد من الله، فيقال لهم تكلموا تعرفوا ويتحقق القوم من مقامهم، ولكنـــهم لا يلبثون بعد ذلك أن يعودوا لسابق عهدهم من السكون قال الشيخ ابن عليوة[3]: <<كثيرا ما سمعنا من المشائخ يقولون لتلاميذهم: (ايتونا باللحم النيئ لا بالقديد اليابس)...وحاصل الأمر أن المريـــد لمـــا يدخل على الله يخرج من عنده بعلم ... فتجده يتكلم بأسرار عجيبة أمام إخوانه، وفي العـــالم أمـــام شيخه والكل محتاج لكلامه، ولا يتكلم معهم إلا بعلوم من دقائق القوم >>

الرؤى الملونة تكون شائعة عند أصحاب الخلوة وخاصة من الغربيين ، من ذلك فقـــير تونســـي ذو تعليم مزدوج غربي وإسلامي قضى عدة أيام في الخلوة، بعدها رأى نورا ذا لون برتقالي، ومريـــدين أوروبيين دخلوا الخلوة ورأوا كلمات عربية للفظ الجلالة من نور لون بعضها قرمزي وآخـــر أحمـــر أرجواني.[4]

لكن روايات الأتباع وغيرهم تسكت عن تدوين ما رأوه وكأنها من الأسرار لا ينبغي إفشاؤها، و لم أجد منها في كتاب الشهائد والفتاوى إلا بعض الإشارات فهذا حسونة بن المشري[5] ذكر أنه دخـــل الخلوة فمكث فيها أسبوعا فرأى عجائب وغرائب لم يجد بأسا في الرشح بها اعترافا بالنعمة وترغيبا في دخول الخلوة، لكن محمد بن الباري رأى حذفها للاختصار، مكتفيا بأنه ذكر بعض ما رآه مـــن

** يذكر الحسن بن عبد العزيز أن الأستاذ كان يأمر المريد بذكر الاسم الأعظم على الوجه المطلوب في الطريق من خلوة ورياضة وتقليل نوم وأكل وطهارة تامة واستحضار قلب وفراغه من الحظوظ السافلة، والمطامع النفسانية ... فينقطع لله سبحانه وتعالى بعض أيام متوجها إليه ذاكر لذلك الاسم الأعظم جامعا همته و فكرته فيه. بقوة وعزم حتى يمتزج بدمه ولحمه. ويطمئن قلبه لذكره، فإذا تمكن منه الحال، أمره بالانتقال إلى ما هو أعلى لأنه أصبح أهلا لما يلقى إليه فارغ الفؤاد من كل الاغيار، حتى إذا تدفق بحر العظمة بالأمواج المعاني يجده خاليا من صور الأكدار، فتتمكن منه الحقائق و الأسرار، وتضمحل من نظره الأكوان وتنمحي لديه الرسوم ويزول السراب...ويرتفع الحجاب فعند ذلك يحصل على الفتح المبين والمقام العظيم. فتحصل المنة. وتتم النعمة، باستغراقه في بحار مشاهد الوحدة، عندها يطلب منه الرجوع إلى التكاليف الشرعية. بإعطاء العبودية حقها.– إرشاد الراغبين، المصدر نفسه. ص 20.

[1] -Abdou _ L _ Karim Jossot :op – cit. p 76.

[2] –الحسن بن عبد العزيز: إرشاد الراغبين، المصدر نفسه. ص 20.

[3] – المنح القدوسية، المصدر السابق. ص 312.

[4] – Probest –Biraben: op-cit. p p 86-87.

[5] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 140.

الكشوفات العجيبة والفتوحات الغريبة ويورد قوله: << في اليوم الثامن قذف في قلبي سر أدركت به معرفة الدليل والبرهان ذلك السر هو الذي قال فيه رسول الله ـ ص ـ علم الباطن سر من أسرار الله يقذفه الله تبارك وتعالى في قلب من يشاء من عباده >>[1]

ويؤكد الحسن الطرابلسي[2] أن المريد بعد خروجه من الخلوة هو وما يستمده من فيض ربه، فمن الناس من يؤثر فيه ذكر الله حتى يصبح لا يطيق فعل المكروه فضلا عن المحرم، مع ما يرد عليه من المواهب الربانية والأسرار الإلهية التي دونها قيام الليل وصيام النهار، ومنهم من يخرج مجتهدا في العبادة قويا على العمل بما أمرت به الشريعة نابذا الكل مما خالف ذلك من العادات زيادة على ما تقدم ، ومنهم من يخرج مولعا بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

رابعا: العمارة

تعرض لوصف جانب من العمارة كل من مارسيل كاري[3] وعبد الكريم جوصو،[4] وتوقف عندها أطول إميل ديرمنغهام،[5] لكن الوصف شابه الكثير من الغموض، مع إجماع على وصفها بالبدائية حينا وبالوحشية. كما شبهت أصوات العامرين بمن يخاطب بآلة الهاتف حينا، وبهرير الكلب حينا آخر.[6] قرأت كل ذلك قبل أن أحضرها، لكن ليس من رأى وسمع كمن قرأ. فقد كان وقع العمارة علي مرعبا فلم أتصور قط أن يعبد المسلم ربه بتلك الصفة، وقد أثارت من قبل استغراب أحد أحباب الشيخ ابن عليوة وطريقته وهو مارسيل كاري[7] الذي لم يجد علاقة بين رقة الشيخ وخشونة حركات العمارة. فما هي العمارة بدأ من أصل التسمية، وما هو الأصل فيها؟ وكيف ابتدع هذا الشكل من العبادة؟ هل تم اقتباسها من النقشبندية فعلا كما يذكر درقاوة المغرب الأقصى[8] أم من غيرها؟.

إن العِمَارَةُ لغة: ما يعمر به المكان، العُمرة : طاعة الله عزَّ وجلَّ،[9] وعمر الله إذا عبده، وعمر فلان ركعتين إذا صلاهما وهو يعمر ربه أي يصلي ويصوم.[1] كما يقال رجل عمَّار إذا كان كثير الصلاة، كثير الصيام، وهو الرجل قوي الإيمان الثابت في أمره التَّخينُ الوَرَعِ.[2]

---

[1] – المكان نفسه.

[2] – المصدر نفسه. ص 110.

[3]- Marcel Carret: op-cit, pp: 21-22.

[4] -Abdou _ L _ Karim Jossot :op – cit. p p 54-55.

[5]- Emile Derminghem: le culte des saints dans l'islam magrébin ,Gallimard, France: 1954. pp 323-325.

[6] – عدة بن تونس: تنبيه القراء ، ج1، المصدر السابق. ص 49./ (عوامل الاشواق من بين العشاق): المرشد: ع: 32، السنة الثالثة، 3ربيع الأول 1369– ديسمبر 1949.

[7] -Marcel Carret:op-cit, p 22 .

[8]- Emile Derminghem: op-cit. p 324.

[9] – ابن منظور: لسان العرب، مج4، دار بيروت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت: د. ت. ص 604.

فالعمارة إذا عمارة الأوقات بالحضور في الحضرة الإلهية، ولذلك يشترط على داخلها أن يكون على طهارة كاملة. ويكون نظام العمارة >> يتحلق الفقراء حلقة محكمة لا يكون في خلالها فرج ...لئلا يدخل الشيطان بينهم، وليكون المدد جاريا في جدول الحلقة المتصلة بعضها في بعض وليحصل الإيقاظ لبعضهم بعض >>[3] ويتوسط الحلقة قطب يتمثل في الشيخ أو المقدم الذي ينوب عنه، ويتولى رعاية أحوال الإخوان، وحركاتهم و ميزانهم وإنشادهم[4] ويكون المسمعون وسط الحلقة أو في صفها الأول.[5]

يبدأ الجمع بصيغ مختلفة منها: التهليل (ترديد لا إله إلا الله) فيأتي الذاكرون جماعيا بثلاث أو خمس سبحات، أو الذكر بالاسم الأعظم أو بالسماع أي إنشادا يبدأ بإيقاع ثقيل ويخف شيئا فشيئا (بشكل تدرب عليه المسمعون مسبقا) وتبدأ العمارة بالانتقال إلى اسم الصدر[*] حيث يقف الجميع -(وقد يحتفظون بوضعية الجلوس حسب الظروف والأحوال)- مشكلين حلقة ممسكين بأيدي بعضهم بعضا مغمضي العيون يكرون بصدورهم مع إغماض عيونهم، يتوسط الحلقة القطباني (رئيس المسمعين)، أو الشيخ أو من ينوب عنه ويتولى رعاية الداخلين في العمارة ويراقب سيرها، كما قد يدخلها المسمعون الذين يأتون بالسماع المناسب لحال العمارة من خفة وثقل، أو يكونون في الصف الأول وعندما يردد القطباني الذي يسير العمارة (لا إله إلا الله محمد رسول الله محمد رسول الله) بصيغة معينة تتوقف العمارة (يتوقف الذكر باسم الصدر) يجلس الجميع ويصلون على الرسول صلى الله عليه وسلم بالصيغة التالية: >> اللهم صلي على سيدنا محمد عبدك ورسولك النبي الأمي وعلى آله وصحبه بقدر عظمة ذاتك في كل وقت وحين >> ثلاث مرات، ثم يرتل أحسنهم صوتا آيات من الذكر الحكيم.

---

[1] - المصدر نفسه. ص 605 .

[2] - المصدر نفسه. ص 606.

[3]- مصطفى بن إسماعيل حبش المدني: النصرة النبوية لأهل الطريقة الشاذلية الدرقاوية المدنية الفاسية، ط1، المطبعة العامرة الشرقية، مصر: 1898. ص 173.

[4]- المصدر نفسه. ص 175.

[5]- المصدر نفسه. ص 177.

[*] عن الظروف التي ألهم فيها بعض القوم الذكر باسم الصدر >> قال الشيخ الإمام العالم العلامة القطب سيدي محمد المغربي: كنت سائرا في البرية والآفاق فوجدت الشيخ أبا العباس المرسي رضي الله تعالى عنه هو وأصحابه يذكرون الله تعالى بصدورهم دون ألسنتهم يكرون مثل السباع، فقلت لهم ما هذا الذكر؟ فقالوا هذا ذكر أهل الحقيقة، ثم هب علي نسيمهم حتى سكرت منه وأنا في ذلك السكر أتاني النبي صلى الله عليه وسلم والسيد الخضر عليه السلام فقالا لي: يا محمد هذا ذكر ملائكة الرحمن أتاهم إلهاما من ربهم، وهو ذكر أهل الفراسة الصحيحة أذكر به ولا تنكر على أهله فانهم على حد من حدود ربهم، ومن أنكر عليهم فقد أنكر الحق وأهله. ثم أخذت ذلك الذكر منهم وذكرت به وقلت للناس به، وكانوا يجتمعون على هذا الذكر حلقا ووجدنا به خيرا كثيرا وفتحا عظيما أشقى الأشقياء الذين ينكرون على هذا الذكر>> ينظر - المصدر نفسه. ص 174.

ثم ينشدون جماعيا قصيدة <<اللطفية<<ثم يكلف مسير الجمع أحدهم بدعاء الختم وصـــيغته: << سبحان ربك رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين<<

ويُختم الجمع بمذاكرة من الشيخ أو المقدم أو المأذون له في المذاكرة، وإن لم تقدم مـــذاكرة يختـــتم الجمع بالسماع. ويختم بشرب الشاي، وقد تؤخر المذاكرة بعد شرب الشاي.[1]

أما نظامها حسب صاحب النصرة النبوية فكما يلي: تبدأ العمارة بقراءة الشيخ أو المقـــدم لســـورة الفاتحة، ثم لا إله إلا الله (بلا عدد) حتى الاستغراق في التهليل، ثم ينقلهم إلى الاســـم المفـــرد حـــتى يستغرقوا فيه، ثم ينقلهم إلى الاسم الصدر (آه) فيكرون بصدورهم مع إغماض عيونهم لأن ذلـــك أقوى لجمع قلوبهم وهمتهم، وخلالها ينبغي للمسمعين أن يأتوا بالسماع المناسب لحال العمارة مـــن الخفة والثقل، وبعد تمامها يقرأ أحسنهم صوتا وتجويدا عشر آيات من القـــرآن المجيـــد ، ثم يـــأتي المسمعون بسماع يتروحون به وتتوسع به أحوالهم ، وتتقوى به محبتهم ، وتتلون به وارداتهم وتصفوا أوقاتهم. وتختم بمذاكرة بين الإخوان في أسرار الطريقة وآدابها وأسباب الشوق الموصـــل إلى مقـــام الذوق (المذاكرة تكون من قبل الشيخ أو المقدم عند العلاويين.) ثم يذكر بهـــم المقـــدم التـــهليل ، ويقومون للمصافحة.[2]

على أن تنتهي على ذواق ، وأن يتركوا شرب الماء لئلا يطفئ حرارة الذكر ونورانيته وخوفا مـــن ضرره في الجسم.[3]

وفي العمارة فوائد عند القوم منها أنها << دواء لحالهم وسببا [كذا] لنشاطهم واســـترواحا [كـــذا] لقلوبهم وزيادة على السير إلى مقصودهم ولسريان المدد بينهم، وجمع همتهم على محبـــوبهم وطـــردا [كذا] لداء الكسل والفتور والنوم، وسدا [كذا] لباب الغفلة الموجبة للمعاصي<<[4]

وعن فوائدها يقول عبد القادر بن قاري مصطفى[5] مفتي مستغانم: <<وقد جربوا[6] ذلك فوجدوا لـــه خاصية في تنوير القلب وتهييج سلطان الحب، والـــزج بصـــاحبها في حضـــرة القـــدس والأنـــس والقرب<< .

---

[1] – معلومات حصلت عليها بمساعدة السيدين، علاوة أرتباس سطيف، وموهوب نصر الدين البرج يوم الأحد 16 جويلية 2006.

[2] – مصطفى بن إسماعيل حبش المدني: المصدر السابق. ص ـ ص 175-177.

[3] –المصدر نفسه. ص177.

[4] – المصدر نفسه. ص 173.

[5] - الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 17.

[6] - لكن كما يقول محمد بن علي بن محمد الشوكاني إن<< السنة لا تثبت بمجرد التجربة، ولا يخرج بها الفاعل للشيء معتقدا أنه سنة عن كونه مبتدعا<< تحفة الذاكرين، ط1، دار القلم بيروت: 1984. ص 215.

خامسا: السماع

إن إنشاد الشعر مقوي على الاستهتار بذكر الله[1]، لذلك أعطى الشيخ أهمية بالغة للســـماع فكان محاطا بمجموعة من الطلبة لهم أصوات شجية، وقد قال مرة لأوغسطين بـــارك[2]إن الموســـيقى ليست جافة كالكلمات، إنها تنساب كالجدول وتصل بالإنسان إلى الله. ولكن الشيخ لم يكن يسمح باستعمال الآلات الموسيقية بما فيها الدف (البندير) في السماع.[3]

والسماع تحريك للقلب ليعلم ما فيه، ورفق بالبدن بإرجاعه للإحســـاس، واســـتجلاب للنفـــوس بمساعدة طبعها، ولذلك تقع المنفعة بالأزجال في تعريف الطريق والإشارة إلى حقائقها.[4]

والسماع الغاية منه الإرشاد والمواعظ والفوائد، ومن طبيعته إثارة كوامن النفوس، وتهييج مكنونات القلوب، بما فيها من الأنس بالحاضرة القدسية، والشوق إلى الأنوار المحمديـــة، فالســـماع يســـقي أرواحهم، ويسرع في سيرهم إلى الله تعالى.

وقد أفرده بعضهم بالتأليف مثل<< حجة الإسلام الشهاب أحمد وكتابه مطبوع سمـــاه: (الإلمـــاع في تكفير من يحرم السماع) وحافظ الأمة السيوطي، وأبي المواهب التونسي، والشيخ المـــاكودي لـــه كتاب سماه الإرشاد والتبيان في رد ما أنكره الرؤساء من أهل تطوان ... لم ينكروا من الســـماع إلا ما اشتمل على ذكر القدود والنهود والعيون والخدود ... ولا ننكر ما يمر به القـــوم ويزينـــون بـــه قصائدهم وموشحاتهم من التغزلات [كذا]>>[5]

والسماع عادة يتضمن إنشاد قصائد التصوف وأشهرها لابن الفارض إلى جانب قصائد الشيخ ابـــن عليوة التي يطغى عليها الطابع الغنائي، وقصائد شيخه البوزيدي، ثم أضيفت لـــه قصـــائد تلميـــذه وخليفته الشيخ عدة بن تونس وجمعت في ديوان واحد نشر تحت عنوان آيات المحبين، وهو يشـــكل الآن مصدرا للكلمات قصائد دينية شعبية أو أندلسية يؤديها إلى جانب أتباع الطريقة بعض المطربين الشعبيين.

---

[1] - علال بن محمد(مفتي تلمسان): الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 23.

[2] - Augustin Berque: op- cit. p p 48- 49.

[3] – SLNA, op-ci.: p 116.

[4]– أحمد زروق: قواعد التصوف، المصدر السابق. ص 104.

[5]– محمد المدني: جواهر المعاني في بعض رسائل الشيخ المداني، المصدر السابق. ص 61.

سادسا: السياحة

يطلق مصطلح سائح على الصوفي، وجمعها سائحون، لأنهم طلاب علم يطلبونه ولو في الصين كما يسيحون للقاء المشايخ والإخوان من المتصوفة، واستكشاف دقائق نفوسهم فالسفر يسفر عن الأخلاق.[1] لذلك كان بشر يقول: يا معشر القراء سيحوا تطيبوا، فان الماء إذا كثر مكثه في موضع تغير[2]وقد قيل أن عيسى عليه السلام سمي المسيح لكثرة سياحته [3]

كان الشيخ الهبري يرى أن السياحة تكون مع القليل من واحد إلى اثنين ولا زائد[4]، وأن لا يسيح السائح راكبا مثل المخزن، وقد قال الله العظيم لرسوله داوود عليه السلام:(يا داود اجعل نعلين من حديد، وعكاز من حديد، وطف على الفقراء والمساكين حتى تتقطع النعلين وينكسر العكاز) وأن يمشي السائح قدر ثلاثة أميال ويستريح، ويتمعن في سياحته في ملك الله وملكوته، ويأخذ الحكمة من كل واحد من النفس أو من الجنس أو من الكون بأسره[5]

وقد كانت للشيخ سياحات يتفقد فيها مختلف الزوايا التي شيدها في القطر الجزائري، وكلما زار مدينة من المدن ، يستقبله أهلها الفقراء بفرح كبير، ويحتفلون بقدومه ويسهرون معه الليالي بالذكر والمذاكرة، ويعرضون عليه مشاكلهم، وجميع ما أهمهم، ويسألونه عما خفي عليهم من أمور دينهم [6]

[6] يقول الطاهر بن الواضح الزعموشي[7]>> ...وقد كنت سحت معه [أي الشيخ] لعاصمة الجزائر الجزائر والقطر الزواوي وبلدة البرج، وما رأيت تذكيره في جميع ذلك يخرج عن دائرة النصيحة، وهذا من جهة ما يرجع لتعففه عما بأيدي الناس... <<

وقد وضح قدور بن أحمد المجاجي أهداف السياحة في الطريقة العلاوية بقوله: >> السياحة في الأرض لبث العلوم الرافعة النافعة ونشر الفضائل <<[8]

كان السيَّاح يقصدون المواطن المنهمكة حرصا منهم على بث الشرائع الدينية والسنن المحمدية[9]، فكان الشيخ يوصيهم بعدم قبول الزيارة إذا أعطاها الناس لهم، وبرفع الهمة ما استطاعوا حتى عن

---

[1] – ممدو ح الزوبي : معجم الصوفية، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت: 1425-2004. ص 203.

[2] – أبو حامد الغزالي: إحياء علوم الدين ، ج5، المصدر السابق. ص 93.

[3] – عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير: تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، خرج أحاديثه محمد بن الجميل، وليد بن محمد سلامة، ج2، ط1، مكتبة الصفا، مطابع دار البيان الحديثة، القاهرة، 1423هـ - 2002. ص 25.

[4] – مصطفى العشعاشي: المصدر السابق. ص 130.

[5] – المصدر نفسه. ص 144.

[6] – المصدر نفسه. ص 102

[7] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 179.

[8] – البلاغ الجزائري، ع: 80، مستغانم: 15 صفر 1347، 3 أوت 1928.

[9] – قدور المجاجي: الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 5.

الأكل والشرب، وأن لا يطلبوا من الناس إلا الماء للوضوء ويقولون لهم إنما قصدناكم لتأخذوا منـــا الطريق أو على الأقل تعاهدوننا على المواظبة على الصلاة في أوقاهما مع تقوى الله ما أمكن[1]

نماذج من دعاية أتباعه له: نقل لنا أوغسطين بارك[2] نماذج من دعاية أتباعه في المنتـــديات العامـــة، والموجهة لعامة الناس الذين تفشت في أوساطهم الأمية والجهل والخرافة، ففي عـــام 1928 يقـــول أحد تلاميذ الشيخ ابن عليوة بمدينة قسنطينة: >>إن الطـــرق الدينيـــة ســـواقي لا يجـــري المـــاء الصافي(النقي) إلا في ساقية ابن عليوة <<.

وفي مدينة الجزائر العاصمة بمقهى الباب الجديد يقول آخر: >>لم أكن أقرأ ولا أكتـــب، أمـــا الآن وبفضل الشيخ وحده صرت أقرأ وأكتب.<<

وفي تبسه شاب تونسي يدعى محمد العيد بن عبد البحري* أحد دعاة الطريقة المخلصين نظم جمعـــا بالمدينة مما قاله فيه >> سيبلغ الشيخ إلى مرامه يوم يبلغ عدد أتباعه ثلاثمائة وعشرين ألفا عدد الأولياء لسابقين.<<[3]

لكن دعوة محمد العيد بن عبد الباري جامع كتاب الشهائد والفتاوى اختلف أسلوبه في الكتاب عن دعايته في تبسة، فأصبح مستوى الخطاب في كتابه أرقى. مراعيا دون شك الفئة المثقفة التي يخاطبـــها محترما عقلها ومكانتها، حيث ركز في هذا الكتاب على دحض الشبهات عـــن شـــيخه، مســـتغلا شهادات جمعها من قضاة ومفتين وعدول جمع بينهم التبعية للشيخ، تبعية انتساب أو تبعيـــة محبـــة. وركز أيضا على دور الشيخ ابن عليوة في هداية الخلق إلى طريق الحق وإخماد الفتن وبث الأمن.

كما نجد نموذجا لدعاية أتباع الشيخ ابن عليوة في كتاب إرشاد الراغبين للحسن بن عبد العزيـــز،[4] الذي أكد أن غاية أي منتسب للطريق هو طلب الوصول وبلوغ درجة العرفان والإحسان. وهو ما لا يتحقق إلا بصحبة مرشد مذكر حي واصل موصل داع لله بالله. ولو بلغ ما بلغ في العلم والعبادة والكشوفات (لان شيخ التربية واجب وجوبا متأكدا...لأن المريد إذا لم ينتســـب إلى شـــيخ قـــالوا كالشجرة النابتة بنفسها لا يتم نتاجها)[5] والوصول لا يتحقق لأتباع المشايخ المتقدمين الـــذين مـــا رأوهم ولا اجتمعوا بهم ولا أخذوا عنهم بينهما ما شاء الله من السنين والأسانيد بل وربمـــا ســـنده مقطوع غير محقق بمن ينتسب إليه ويكتفون بذلك، فالميت لا تظهر فائدته للمنتسب ولهـــذا قـــال الشيخ الأكبر محي الدين بن عربي رضي الله عنه: (ان الميت لا ينتفع به) من حيـــث تربيـــة المريـــد

---

[1] محمد بن عبد الباري: المصدر نفسه. ص ـ ص 157و185.

[2] –Augustin Berque, op-cit. pp 762 – 763.

* – الاسم الصحيح هو محمد بن عبد الباري، جمع كتاب الشهائد والفتاوى وقد توفي قبل نشره عام 1925.

[3] -Loc-cit.

[4]– المصدر نفسه. ص 19.

[5]– المكان نفسه.

والأخذ بيده في حالة سيره إلى الله ولا يتيسر هذا إلا بصحبة المرشـد الحـي، فالحيـاة شـرط في الصحبة.[1] ولو اقتصر الأمر في الطريق على مجرد الانتساب لكفته النسبة النبوية[2] أما من يدعي حصوله على حظ وافر من الطريق بانتسابه لشيخ شهير له من الفضل الكثير، فيسأله لما لم يقتصر على الجنيد مؤسس طريقة التصوف أو الإمام علي الذي شرب من عين الحياة وتلقى الأسرار مشافهة، أو النبي صلى عليه وسلم؟ فالسلف حثوا على صحبة المرشد الحي إذ هو نائب عن الجميع و لم يقيدوا النـاس بهم بل إن كثيرا من المشايخ الذين اشتهرت بهم الطريق اخذوا عن عدة مشائخ لما لم يبلغوا مقصدهم بصحبة الأول لمانع من الموانع.[3]

وانتقد بشدة كل من يكتفون بالانتساب للمشايخ المتقدمين بحجة أنهم من الكمل الذين تسـتغيث الناس بهم، أو لأن لهم كرامات ويسردون حكايات واهية تدل على غباوتهم وقلة عقلهم[4] ورمـاهم بالتحريف وبالغباء والسذاجة وبالتقليد الذي حرمهم الانتفاع بأهل زمانهم.[5] كما انتقد اتهامهم مـن أراد إخراجهم من التقليد ودلهم على من ينتفعون به وبصحبته، بمحاربة المشائخ المتقدمين فيعرضون عنه. كما انتقد القادريين الذين كان واحدا منهم وقد حافظ في اسمه على تلك النسبة مبينـا أن لا تعارض بين كونه من أسرة قادرية وانتسابه لمرشد حي هو الشيخ ابن عليوة. فكان يقدم نفسه على أنه ينتقد جمود القادريين على نسبتهم للشيخ عبد القادر الجيلاني لكونه غوث وسلطان الصالحين وله التصريف الكلي في الوجود حيا وميتا ومن وقع في الشدائد ويستغيث به يغيثه، وان أتباعه مضمونون في الحياة الدنيا وفي الآخرة لا يرون أهوالها ولا يقاسون شدائدها[6] في حين عبد القادر الجيلاني يقول يقول في عينيته:

وان ساعد المقدور أو ساقك القضا***إلى شيخ حق في الحقيقة بارع

فقـم فـي رضاه واتبـع لمـراده***ودع كلما من قبل كنت تصانع [7]

فمن كان قادريا فليبحث لنفسه عن مرشد حي فإن وجده فليتذلل على عتابه طلبا لرضاه.

لكن الشيخ ابن عليوة لا يسمح بالأخذ عن شيخين فهو يرى أن من أخذ عن شيخين >>يحصل على النتيجة التي حصل عليها فرعون من موسى وهارون<<[8] كما يرى أن المرشد الميت لا يصلح إلا إلا للتبرك به، أما التربية والسلوك فلا تكون إلا بصحبة مرشد حي.[1]

---

[1]- الحسن بن عبد العزيز: إرشاد الراغبين، المصدر السابق. ص 20.

[2]- المصدر نفسه. ص 17.

[3]- المصدر نفسه. ص 20.

[4]-المصدر نفسه. ص 17.

[5] - المصدر نفسه. ص 18.

[6] - المصدر نفسه . ص 17.

[7] - المصدر نفسه. ص 20.

[8] - احمد بن مصطفى العلاوي: أعذب المناهل، المصدر السابق. ص 89.

وانتقد أيضا التيجانيين الذين اعتذروا بكونهم لا يقدرون على تبديل شيخهم الذي ينتسبون إليه، ويرونه أمرا مشينا ولا يجوز. ويتوهم عدم انتفاعه بالأول، وقد يرى تبديله ذنبا لا يغفر وكأنه ارتد عن دينه. وينسبون ذلك إلى شيخهم وهو بريء منهم وإنما جاء التحريف بعد أن لعبت بالطريق أيدي ذوي الرياسة الذين نسبوا له ما لم يقل، فإمامهم أحمد التيجاني<< قال ناصحا لمن يأتي من بعده من المتعلقين به عندما أطلعه الله على ما هم عليه محرضا ودالا على من فيه أهلية بدون حصر ولا تقييد: ان المدد الواصل إلى خلقه من فيض رحمته. يجري في كل عصر مع الخاصة العليا من خلقه من النبيين والصديقين فمن فزع إلى أهل عصره الأحياء من ذوي الخاصة العليا وصاحبهم واقتدى بهم واستمد منهم فاز بنيل المدد الفائض من الله تعالى، ومن اعرض عن أهل عصره مستغنيا بكلام من تقدمهم من الأموات طبع عليه بطابع الحرمان وكان مثله كمن أعرض عن نبي زمانه وتشريعه مستغنيا بشرائع النبيين الذين خلوا قبله فيسجل عليه بطابع الكفر والسلام >>[2].

وينفي ذلك عمر بن قدور[3] وهو التيجاني الطريقة ويقول أن المقصود بذلك هم المقدمون للتلقين النائبون عنه في التوصيل والمراقبة والإرشاد والإفادة شرط أن لا يحيدوا عن أثره وهديه.

سابعا: تعليم أحكام الشريعة

كان لغالبية الزوايا العلاوية دروس ليلية لتعليم الأتباع ما يحتاجون إليه من أحكام دينهم، فضلا عن عمارتها بالأذكار والمذاكرات[4]فكان عامة المريدين يلازمون دروسا في العقيدة، لفهمها فهما إجماليا، ومن ذلك ما جمعه الأستاذ في كتابه القول المقبول، أما الأكابر من رجال الطائفة فعلمهم بالله على الوجه الأخص يستفاد من الانقطاع إلى ذكر الاسم الأعظم.[5]

لم يغمط الشيخ أحكام الشريعة حقها، بل عمد إلى استمداد الشرعية منها من خلال ارتكازه على أن أركان الدين الثلاث مع تأكيده على ركن الإحسان الذي لن يتجدد الإيمان إلا ببلوغ درجتـــه. ولا يتأتى ذلك إلا بصحبة شيخ، فالفتح موقوف على صحبة ذي الفتح، وحكم من فتح عليه بدون شيخ كمن ولد من غير أب شرعي فالإقتداء به مكروه[6]لأن المريدين مقتدون بأستاذهم في أقـــوالهم وأفعالهم وأحوالهم وقد قيل اختر لصحبتك من أطاع فإن الطباع تسرق الطباع.[7]

---

[1] - أحمد بن مصطفى العلاوي: القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف، المصدر السابق. ص 103

[2] – الحسن بن عبد العزيز: إرشاد الراغبين، المصدر السابق. ص 21.

[3]– الإبداء والإعادة في سائق السعادة، المصدر السابق. ص 184.

[4] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 57.

[5] – المصدر نفسه. ص 93.

[6] – أحمد بن مصطفى العلاوي: المنح القدوسية، المصدر السابق. ص 272.

[7] – المصدر نفسه ص 274 .

ودفعا لتهمة إهمال الشريعة عن نفسه، عمل الشيخ ابن عليوة لا على تعميق معارفه فيها فحسب، بل عمل على إخراجها للمبتدئين بأسلوب سهل بسيط لا تعقيد فيه، يسهل على المبتدئ والعامي فهمه واستيعاب الأحكام الشرعية لدينه وعن ذلك يقول: >>جعلت أتخيل في تلخيص مقدمة من دواوين الأقدمين، أذكر فيها نبذة من مهمات الدين على مذهب الإمام مالك من جهة الأحكام، وشيئا من عقائد الأشعريين، بكيفية يسهل تناولها للمبتدئين، وبالأخص من صحبنا من المريدين، شفقة مما أصابنا وإياهم من التقصير<<[1]وذلك لإزالة التقصير والجهالة وحتى يحق للمسلم أن يفتخر بكونه مسلما، دون أن يكدر صفوه وافتخاره جهله بمبادئ الإسلام، وقصوره عن معرفة ضروريات الأحكام. وألزم أهل نسبته إلزاما بالأخذ من تلك الرسائل تعلما وتعليما كل حسب قدرته.

وأخرج عمله هذا في أربعة رسائل في المسائل الفقهية وبمنهجية تختلف من رسالة إلى أخرى فالرسالة العلاوية في بعض المسائل الشرعية، جاءت في شكل منظومة شعرية يسهل على الأتباع تداولها وحفظها. وأمر أتباعه بتعلمها والعمل بها.

أما رسالة المنهج المفيد في أحكام الفقه والتوحيد، فاتبع فيها طريقة السؤال والجواب باقتراح من أحدهم ليكون أسهل في التناول، وأنشط في الخطاب، فأجاب على قدر فهمه وأذن لمن وجد خللا أن يسدده وله الثواب.[2] فجاءت المقدمات تحمل بصمات الشيخ في التعبير، أما المتن فجاء بأسلوب كتابه الذين لا أشك أنهم قاموا بتنقيح وتصحيح الأجوبة، كما في رسالة مبادئ التأييد في بعض ما يحتاج إليه المريد الذي يقول بأنه سلك فيها مسلك الأميين لضعف البضاعة والوضع الراهن.[3]ورسالته الأخيرة هي نور الأثمد في سنة وضع اليد على اليد، التي عالج فيها قضية القبض والسدل في الصلاة ورد على الذين ينكرون مشروعية القبض.[4] وفي وقت كان السائد فيه بين المصلين في الجزائر ظاهرة السدل في الصلاة، تميز أتباع الشيخ ابن عليوة بالقبض عند الصلاة حتى بدا ذلك وكأنه من تجديدات الطريقة.

أثارت قدرته على التلخيص وتبسيط المعلومة إعجاب بعض المطلعين على أعماله و لم يجد تفسيرا لذلك إلا أن يكون علم الشيخ علما وهبيا بالنظر إلى ضعف تحصيله العلمي و قصر مدة ملازمته للدروس وشيوخ العلم الكسبي.[5]

---

[1] – أحمد بن مصطفى العلاوي: المنهاج المفيد في أحكام الفقه والتوحيد، المصدر السابق. ص 7.

[2] – أحمد بن مصطفى العلاوي: المنهاج المفيد في أحكام الفقه والتوحيد، المصدر السابق. ص 7– 8.

[3] – المكان نفسه.

[4] –عبد السلام بن أحمد الكنوني: أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 11.

[5] – محمد الشريف قاهر: الشيخ المربي أحمد بن مصطفى العلاوي فقيها عالما، التربية والمعرفة في مآثر الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي محاضرات وشهادات، مستغانم: 28–29–30 رجب 1422 هـ الموافق لـ16–17–18 أكتوبر 2001 ط1، دون دار النشر، 2002. ص 75.

المبحث الثالث: تطور الطريقة العلاوية وتأثيرها على أتباعها

يعد هذا المبحث محاولة لتحليل عوامل الانتشار الواسع والملفت للانتباه الذي عرفته الطريقة العلاوية في الجزائر، رغم قصر مدة نشاط مؤسسها والتي لم تتجاوز خمس عشرة سنة. ومحاولة لرصد أهم المراحل التي مرت بها الطريقة في تطورها، وكيف كان تأثيرها على أتباعها؟

أولا: عوامل انتشار الطريقة العلاوية

لما سئل الشيخ ابن عليوة عن سبب إقبال الناس عليه على اختلاف نحلهم ومشاربهم؟ أجاب قائلا: <<مثل المرشد في القيام بدعوته، كمثل الإمام، إذا أحرم في صلاته فإن الناس من خلفه كلهم يركعون بركوعه ويسجدون بسجوده، ولا ينفض عن متابعته أحد، ولكن مادام متوجها إلى الله، فإذا أطلق السلام وتوجه إلى الخلق مدبرا عن الحق، انتشر كل منهم لمصالحه الدنيوية. ثم قال لسائله: فأقبل أنت على الله، ولا تطلب إقبال الناس عليك والله يتولاك.>>[1] فجعل إقبال الناس عليه دليلا على صدق توجهه لله عز وجل، وبرهانا على ولايته.

تجديدات ابن عليوة في الطريق:

قبوله مجرد الانتساب ولو بطريق التجربة حيث يقول:

نصحت كل العباد *** خصوصا أهل البلاد
فمن كان في اجتهاد *** طالبا يريد الله
يأت ولو بالتجريب *** فله منا نصيب

يرى قدور بن أحمد المجاجي[2] أن الأستاذ قد تنازل في هذه الأبيات عن عدة شروط حيث علَّق الانتفاع للمريد على مجرد الانتساب ولو بطريق التجربة وما ذلك إلا لعظيم ثقته بنفسه فالتجربة ترد ما لا حقيقة له ولكن الطريقة لم تزد بذلك إلا انتشارا. بل إن الكثير من أعيان الطريق كان انتسابهم للشيخ بهذا الأسلوب، فحين شاع ذكره ساقهم الفضول إلى تجربته بمجالسته ومراقبة ما تجده إشارته من تأثير عليهم، وانتهى بهم الأمر إلى الانتماء إليه والتفاني في خدمته، ومن هؤلاء كاتبه المجاجي[3] والحسن الطرابلسي[4]،الذي أصبح كبير مقدمي الطريقة في مقاطعة قسنطينة، وصاحب مدرستها الإرشادية بعنابة، وكذلك محمد بن سالم الطرابلسي المسراتي.[5] وكذلك اكتفاؤه من المريد أن لا يراه

---

[1] – أحمد بن مصطفى العلاوي: أعذب المناهل، المصدر السابق. ص 67.
[2] – محمد بن عبد الباري: الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 143.
[3] – المصدر نفسه. ص 113.
[4] – المصدر نفسه. ص 109.
[5] – المصدر نفسه. ص 129.

إلا أعلم منه في كيفية السير إلى الله ، لا أن يراه أولى الناس بذلك، بينما<<ما اشترطه القوم في حــق المريد أن لا يقدم على مرشد إلاَّ بعد أن يعتقد فيه الكمال التام << [1]

إلى جانب أيضا<<ما تقتضيه المبادئ العلاوية من عدم التحجير على المريدين والتبرء مــن اســتعباد الناس لغير طائل جريا على مقال الإمام الشاذلي رضي الله عنه حيث قال: (من وجد منهلا أعــذب من الذي لدينا فله أن يأتيه) ولهذا تجد أفراد هاته الطائفة أبعد من أن تعمل فيهم الأوهام مثلما تعمله في غيرهم... <<[2]

وهناك من جعل السر كامنا في قوة شخصية وسمعة الشيخ ابن عليوة وتراها عاملا أساسيا في شــهرة الطريقة، وجذبها للكثير من الأتباع وهي ظاهرة سائدة في بلاد المغرب حيث << شخصية المــرابط أقوى من العقيدة أو الفكرة الصوفية نفسها عند الناس، فالناس لا يهمهم الجديد الذي يأتي به الشيخ أو يتميز به عن غيره من أفكار، ولكن همهم شخصيته، سلطته الروحية، كراماته، فصاحته، وهكذا كانت شخصية ابن تكوك (السنوسية) أقوى من طريقته الصوفية، في نظر بيرك. وكــذلك كانــت سمعة ابن عليوة وشخصيته أقوى من تصوراته الصوفية التي لا يدركها النــاس. وفي بــلاد المغــرب عموما، حسب رأيه لا يهتم الناس بفكر الرجل ولكن بالرجل نفسه، وفي الطريقة الكبيرة الواحــدة المعروفة بتعاليمها وقواعدها يأتي شخص قوي فيتبعه الناس ويخرج بهم عنها فيتبعونه وينفصل عــن الأصل، دون اهتمام بالفكرة الأولى والتعاليم، فالاهتمام هنا بالشخص بقطع النظر عــن العقيــدة، وهذا الرأي صحيح قياسا على التاريخ والواقع. <<[3]

ومما زاد من نجاحها في الجزائر فضلا عن قوة شخصية شيخها تدهور الطرق الصوفية القديمــة الــتي أفقرت روحيا وأثرت ماديا، وقد أدى اصطدامها بالسلطات العمومية إلى فقدانها لدورها السياسي، وانقسامها إلى زوايا محلية صغيرة تعيش على بركة المقاديم الموتى.[4]

ويتجلى نجاح الشيخ ابن عليوة الباهر في المغرب الأقصى وخاصة في منطقة الريف الشرقية، ونواحي مليلية، حيث تزايد عدد الريفيين القاصدين مستغانم من سنة إلى أخرى كما يبنه الجدول التالي، وقد كان هؤلاء كانوا مأخوذين بالعمارة والخلوة والفتح السريع والانبهار بالشيخ ابن عليوة[5]

السنوات	1931	1932	1933
عدد الحجاج من الريف المغربي	1700	2200	3100

[1]- المصدر نفسه، ص: 144.

[2]-المصدر نفسه. ص 126.

[3] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج4، المرجع السابق. ص- ص 324- 325.

[4] – Augustin Berque :op-cit. pp 763-764.

[5] – Ibid. pp 764-765.

ولا شك أن رضا الإدارة الاستعمارية عنه وثقتها في الشيخ وأتباعه لعـــب دورا هامـــا في انتشـــار الطريقة وتزايد أتباعها وكثرة أتباعها بعد أن تأكدت من صدق نوايا الشيخ تجاههـــا، فقـــد ذكـــر أوغسطين بارك[1] أن الشيخ ابن عليوة عند بداية دعوته كان يبدو مشبوها لدى السلطات الفرنسية، ففرضت عليه رقابة مخبريها الذين لما احتكوا به عادوا مبهورين، مأخوذين بإشعاعه الروحي، والسر الذي يحمله. لاشك أن الرضا ناجم عن مداهنته للاستعمار، وعدم الخروج عن النطاق الذي حـــدده للأهالي، ولدعوته للتعايش مع الآخر، ولا يطالب بأي شيء غير أن يدعوه يعيش مسلما قلبا وقالبـــا ويموت على ذلك.

ويعتقد زهير احدادن [2]أن الإدارة الاستعمارية قد استخدمته مع من تبقى من عائلات المرابطية الـــتي نجت من قمع عام 1871، لمواجهة تأثير الأمير خالد واعتمادا على الثقـــة الـــتي وضـــعتها الإدارة الاستعمارية فيها قامت بحملة واسعة ضد رجال السياسة من الأهالي المعترضين باسم الإسلام، وضد الإصلاحيين الذين يبحثون عن نفخ روح جديدة في التعاليم الإسلامية.

وبالفعل فقد رفضت مطالب الأمير خالد الإصلاحية السياسية بل رفضتها وقاومتها على أساس أنهـــا ستزيد من ريبة الفرنسيين من الأهالي، ونزعته الوطنية ستبعده عن كسب ثقة فرنسا التي دون أن تثق في العنصر الأهلي لن تصلح من حاله شيئا، فالجدير بأن يكون الوريث الشرعي للأمير وأمجاده هـــو الذي ينتهج سياسة التقارب الفرنسي الإسلامي، وهي سياسة تخدم المصـــالح الفرنســـية في العـــالم الإسلامي خاصة بعد أن فرضت انتدابها على سوريا ولبنان عام 1920 والتي روجت لها دعاية فرنسا الإسلامية خلال الحرب العالمية الأولى. وهي السياسة الكفيلة بتحقيق التهدئة التي هي حلم المستعمر، ولا محالة انه سيشجع أصحابها بكل الوسائل ويبارك أعمالهم ويثمنها.

لكن تحقيق التهدئة لفرنسا لم يكن هو طموح ابن عليوة، وإنما كان هدفه الأسمى حفظ الدين وفرنسا العلمانية تقر حرية الأديان، ويطمح في أن تتحول دعاية فرنسا الإسلامية إلى واقع بأن تتبنى فرنســـا الإسلام، وتعمل على نشره تبليغه للعالمين[3]

كما أن الشيخ ابن عليوة كان كلما كسب أتباعا في منطقة وأصبح عددهم معتبرا، طالبهم باقتنـــاء زاوية حسب إمكاناتهم سواء بالكراء، أو شراء مقر يجتمعون فيه، أو بناء زاوية جديدة لمـــا يكـــون الأتباع كثر ولهم اقتدار مادي فيشترون أرضا أو يتبرع بها أحدهم ويتكفل الأتباع بعمليـــات بنـــاء الزاوية وملاحقها وتعميرها. وببنائها يتم تثبيت الطريقة بالمنطقة، فضلا عن تمكينها من تربية أتباعها وتجنيدهم واستقطاب المزيد منهم بواسطة السياحات التي تنظمها لبث دعوتها وتوسيع نطاق نفوذها.

---

[1] – Ibid. p 764.

[2] - Ihddaden Zahir :op-cit. p 381.

[3]– أحمد بن مصطفى ابن عليوة: أعذب المناهل، المصدر السابق.ص- ص 166-167

هذا إلى جانب دعوته للإصلاح الديني والحوار بين المذاهب الإسلامية والتعـــاون بـــين المصـــلحين للنهوض بالدين وتوحيد التربية والتعليم ونشر الإسلام ومقاومة إرساليات التنصير، أدى إلى التفاف شخصيات بارزة – من غير الطرقيين- حوله حملها أبو بكر السلاوي مسؤولية تزايد شهرة الشـــيخ وأتباع وثقة العامة به.[1] وهي مسألة أولاها الشيخ ابن عليوة عناية خاصة فقد كان ومنـــذ تصـــدره للإرشاد يرى ضرورة استمالة ذوي الفضل من العلماء ليعزز بهم جانب التصوف فينشره في قالـــب الشريعة دون أن يشترط عليهم[2] ولم يكن في ذلك بدعا، وإنما هذا النهج مَثَّل الطمـــوح الـــدرقاوي القديم الساعي لكسب علماء الظاهر في صفوفهم فالشيخ العربي الدرقاوي يقول: << جزى الله عنا خيرا علماء الظاهر، كلما أخذتنا الحقيقة إلا وأيقظونا، فهم رافعون أعلام الشريعة على رؤوســـهم، ولولا وجودهم ما استقام وجودنا.>>[3]

وقد شاع بين الناس أن عبد العزيز الثعالبي- الذي ساهم بمقالاته في صحيفة البلاغ الجزائري حسب أوغسطين بارك[4]-كان علاويا وقد أخذ الطريق في عنابة إثر نفيه من تونس ويعتقد المفكر مالك بن نبي[5] أنه لم يكن أحد الأتباع فحسب بل من شيوخها حيث يقول: <<...استضاف عمي إسماعيـــل مدير صحيفة (النجاح) (توفيق المدني) المبعد من تونس. بعدما منع نشاط الحزب الدستوري ونفـــي رئيسه الشيخ (الثعالبي) ... وهكذا اتجه الثعالبي نحو (عنابة) حيث كانت طريقة (بن [كذا] عليـــوة) مزدهرة فيها، فسلك الطريق وأضحى على ما أعتقد أحد شيوخها.>>

هذا فضلا عن كسبها لأتباع علماء من خريجي الأزهر الشريف وجامع الزيتونة ممن رسخت لديهم عقيدة الولي فكانوا يبحثون عن مرشد حي ووجدوا ضالتهم في الشيخ ابن عليوة ومن هؤلاء: الحسن الطرابلسي كبير مقدمي منطقة الشرق الجزائري وأبرز كتابه الحسن بن عبد العزيز وأخاه صالح بـــن عبد العزيز والمربي مصطفى حافظ، والمولود الحافظي، وتعاطف عمر راسم وعمر بن قدور، ودعـــم الكثير من علماء جامع القرويين الذين حفوا مجالسه واستضافوه عند سياحته في مدينة فـــاس عـــام 1928. وانظم له أيضا علي البوديلمي*

---

[1]– أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة، ج2، المصدر السابق. ص 48.

[2]– أحمد بن مصطفى العلاوي: المنح القدوسية، المصدر السابق. ص 309.

[3]– أحمد بن مصطفى العلاوي: المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، ج2، المصدر السابق. ص 130.

[4] – Augustin Berque, op- cit. p 767

[5] – مذكرات شاهد للقرن، ط2، بإشراف: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق: 1404- 1984. ص 134.

* علي البوديلمي: ولد بالمسيلة عام 1909، وتلقى مبادئ العلوم عن والده وعن شيوخ زاوية الهامل، ثم التحق بالمعهـــد القـــاسمي، وارتحل إلى قسنطينة ودرس على الشيخ ابن باديس، والشيخ الحبيباتي والعلامة الفقون والفقيه الطاهر بن زقوطة والشيخ يحي الدراجي، وانتقل إلى الزيتونة، ثم عاد إلى المسيلة ودرس بزاوية أبيه، وانتقل إلى الجعافرة أحد معاقل العلاويين ودرس بها مدة عامين، ثم انتقل إلى غليزان ومنها إلى مستغانم وأخذ الاسم الأعظم عن الشيخ ابن عليوة، بعد أن كان **خلوتي الطريقة**، وانتدبه شيخه للتدريس بتلمسان ولمواجهة نفوذ الشيخ محمد البشير الإبراهيمي، ثم استقل بنفسه وأسس زاوية كبرى بتلمسان وعدة زوايا في القرى والبوادي، وتولى

ولعبت الدعاية المنظمة لمذكري الطريقة دورا هاما في بث الطريقة سواء بواسطة الدعاة والمــذكرين وعلى رأسهم كتاب الشيخ وكبار المقدمين وبعض المتجردين وأعيان الطريقة من علمائهــا وكبــار التجار وذوي المكانة. أو بواسطة صحافتها، أو الكتب وترويجها. وحتى بعد أن اشتهر أمــره كــان يتولى بنفسه دعوة الشخصيات البارزة، كما فعل مع أحمد توفيق المدني.[1] ونجح في جذبــه، فحضــر بعض جموعها وكان متعاطفا مع شيخها يرجو خيره ويلوم العلماء على شدهم معه.

ودعا الحسن بن عبد العزيز أتباع مختلف الطرق المفتقرين للمرشد الحي المكتفين ببركة الولي الميت أن يغتنموا الفرصة ويطلبوا السلوك على يديه ليبلغوا درجة العرفان والإحسان،[2] لكن هذه الدعاية كانت سيفا ذا حدين ولعل أول المتضررين منها كانت الطريقة العلاوية نفسها، فبموت مؤسســها الــذي سلب له علماؤها ودعاها الكبار الإرادة انفضوا لسبب أو لآخر عن خليفتهم، ولعلهم يبحثون عــن مرشد حي آخر. إن لم يكونوا يرون أنهم وارثو سر الشيخ ابن عليوة، وقد بلــغ بعضــهم مرتبــة الإرشاد.

الغريب في الأمر هو اقتصار نفوذ الطريقة على المنطقة التلية الشمالية ذات الكثافة السكانية الأهــم وطنيا، ولم أعثر لها على زاوية في الصحراء حيث عقيدة الولي متأصلة؟ وقد وجهت بعض السياحات صوبها.[3] فهل استعصى اقتحامها؟ أم أن تعاليمها لم تجد قبولا لدى سكانها؟ أم لأنها منطقــة نفــوذ الطريقة التيجانية ولا تريد خسارة صداقتها؟ وهل كانت فعلا تستهدف مجال نفوذ الطريقة الرحمانية فحسب؟

لكن الطريقة العلاوية حتى وإن كانت قد ركزت جهودها على منطقة القبائل فإنها لم تتمكن إلا من ضم زاويتين فقط وهما زاوية دشرة المقارب ببني يعلى الخلوتية؛ وزاوية قبيلة عياض الشاذلية، وبذلك كما يقول بارك لم تحقق في منطقة القبائل أي نجاح معتبر.[4]

عام 1946 وظيفة إمام راتب بأحد مساجد تلمسان مع إلقاء دروس في التفسير والحديث والفقه بالمسجد الأعظم. مــن مؤلفاتــه: إماطة اللثام، ورفع التلبيس عن وساوس ابليس، وحاجة البشرية إلى الدين، والرسالة الديلمية في صيانة العائلات الإسلامية، وكشف الغيم في قضية عيسى بن مريم، رماح علماء السنة المحمدية، وديوان شعري في المديح والأذكار. ينظر-الجيلاني بن عبد الحكم: المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدنا يحي بن صفية، المرجع السابق. ص 350-355. أما تقارير مصلحة الاتصالات لشــمال إفريقيا فتذكر أنه كان من تلاميذ الشيخ ابن باديس وقد انفصل عن لأسباب مجهولة، ولكنه حافظ على الروح الوطنية الصلبة لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين.

[1]- حياة كفاح، ق2، المصدر السابق. ص- ص 70-71.

[2] - إرشاد الراغبين، المصدر السابق. ص- ص 17-20.

[3] - محمد بن عبد الباري: المصدر السابق. ص 158 (الهامش).

[4] – Augustin Berque: op-cit. p p 760-761.

وهي إن لم تجذب أتباعا كثرا للطريقة الرحمانية في المنطقة؛ فإنها كسبت منها شخصية هامة ترك بصمات واضحة في انتشار الطريقة في الجزائر وفرنسا وهي الحسن بوعزيز الجعفري، مؤسس المدرسة التذكيرية بالجعافرة والتي تولت مهمة التذكير بمنطقة القبائل.

وإذا كان البعض يرى السر كامنا في الوسائل العصرية الملفتة للانتباه المستعملة لنشر الطريق، فالواقع أن الطريقة استعلمت الوسائل التقليدية في كسب الأتباع والدعوة للمرشد الحي مستغلة ظروف الحرب العالمية الأولى، أما ما سماه عمر بن قدور البروباقند فكان للترويج لمشروعه الإصلاحي لا لتلقين الطريقة، فهل كان عمر بن قدوريعني الشيخ ابن عليوة بقوله: <<الذين نراهم اليوم يتظاهرون بالمشيخة باسم شخصيتهم أو نسبتهم ما هم إلا دجاجلة كذابون. وأكبر دليل على تدجيلهم وكذبهم كونهم يستعملون الوسائل الترغيبية لنشر طريقتهم وتشهير أمرهم مع أن الطرق الحقيقية لا تنشر بالتشهير (البروباقند) بل بنورانية الحق وسر الصدق وحتى تكون هي المطلوبة لا الطالبة. لأنها علم ومن شأن العلم صيانته إلا عن أهله. وحتى يكون الراغب فيها متأهل الصدر لعمليات الإيمان والتقوى.>> ويبدي قناعته الخاصة أنه: <<ليس ثمة من وبال قد أجهد الطرق وصرفها عن مقاصدها الأساسية إلى التعطيل من بثها بين العامة على ما فيهم من السذاجة والجهل بأصول الدين وفروعه وسوء اعتقاد وتزلزل يقين، فلما يتمسكون بها بغير يد شرعية ولا آداب قلبية يتلون الماء طبعا بلون إنائه. ويسند الأمر إلى غير أهله. فيسري مع ذلك الاعتقاد الشركي الفاسد والأقاويل الخرافية والمبتدعات التي لا يقبلها الشرع ولا الطبع مما لم يترل الله به من سلطان. ولله عاقبة الأمور>>[2]

ثانيا: مراحل تطور الطريقة العلاوية 1911- 1934

1- مرحلة التأسيس (1911 - 1919):

أعلن الشيخ ابن عليوة العارف المرشد عن تأسيسه للطريقة العلاوية، في ظرف داخلي ميزه طغيان تيار الشبان الجزائريين المتفرنسين الداعين إلى المساواة بالفرنسيين ولو عن طريق الاندماج والتجنس. مع التردي المتزايد لأوضاع الأهالي، الذين فرض عليهم قانون التجنيد الإجباري أعباء جديدة، فعبر بعضهم عن رفضه للممارسات الاستعمارية بالهجرة. وزادهم إحباطا ما ألم بأوطانهم من بلاء، ومنه الاضطرابات التي شهدتها الدولة العثمانية (1908-1909) وضياع طرابلس الغرب عام (1911) ثم المغرب الأقصى عام (1912) وانهزام تركيا في الحرب.

وتطلع البعض الآخر لظهور المهدي المنتظر المنقذ من الجور والفجور خاصة وأن الأوان مناسب لظهوره. أما فرنسا فقد جعلتها ظروف الحرب العالمية الأولى تنتهج (سياسة فرنسا الإسلامية) لكسب ولاء الجزائريين.

---

[1]- الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة، المصدر السابق. ص 185.

[2] - المكان نفسه.

وفي هذه الأجواء عاد الشيخ ابن عليوة للجزائر وموجة الهجرة منها على أشدها واستأنف نشاطه فيها مراهنا على أن البقاء فيها هو الخيار الأمثل. وكانت نواة الطريقة العلاوية قد تشكلت في تونس، وتكفلت بطبع وترويج بعض رسائله. فروج لكتابه (المنح القدوسية...) وطبع بتونس في عام 1913 وعلى نفقة بعض أتباعه فيها رسالة (الأنموذج الفريد ...) وأملى عدة رسائل منها (لباب العلم في تفسير سورة والنجم) و(دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار) و(القول المقبول).

وبدأ بتحسين أوضاعه المادية عام 1912، واستغل ظروف الحرب العالمية الأولى لإعلان استقلاله وتأسيس طريقته الجديدة، كما وضع حجر أساس زاويته الكبرى. ثم عمل على حل مشاكله الداخلية الناجمة عن انشقاق أتباع الشيخ حمو عنه. كما استغل سنوات الحرب في نشر دعايته وتكوين أتباعه في تونس والجزائر والمغرب الأقصى، وطبع بعض رسائله وبدت دلائل انفراج أزمته مع الدرقاوة بانضمام مريدين جدد له ومنهم أحد أحفاد العربي الدرقاوي نفسه. وانتسب لابن عليوة في بداية حركته شخصية بارزة كان حضورها في خيارات الشيخ قوي ألا وهي شخص شارل طابيي (عبد الرحمن طبي) توفي عام 1923 مدير صحيفة الحق الوهراني الأسبوعية والوكيل تجاري بوهران.[1]

أما أتباع الشيخ فيقولون بأنه التقى به قبيل الحرب العالمية الأولى<<فألقى عليه ما أهمه وما كان يختلج في ضميره من وجوب تطبيق الكتب على بعضها مهما كانت من عند الله فحصل له ببركة ذلك الأستاذ ما كان يؤمله [كذا] وتمكن منه [كذا] أن يقول أن القرآن حق، جاء ليعضد باقي الكتب السماوية، وأنه صالح لأن يعمل به العالم أجمع... ثم أوجب على نفسه العمل به بعدما طلب من الأستاذ أن يديم الصحبة معه، فقبل ذلك منه غير أنه اشترط عليه أن لا يتدخل في السياسة... فتقبل منه ذلك بقبول حسن واشتغل بعد ذلك بتصفية باطنه على مصطلح الحكماء، وكل ذلك لم يمنعه من السعي في جلب النفع لأمته أعني الفرنساوية فألقى أسئلة عشرة على الأستاذ المذكور...وطلب منه أن يجيبه كتابة ليترجمها إلى اللسان الفرنساوي[2] وكان عبد الرحمن طبي يشيد بابن عليوة قائلا:<< لو كان في الوجود من مثله جماعة لارتفع الخلاف من جهة المعتقدات الدينية<< ومن جهته اتخذه الشيخ صديقا ودام على صحبته حتى وفاته. وقد سأله مرة صديقا لماذا يلبس جلابة وعمامة ؟ فأجابه: إني بحثت عن الحقيقة ولقد وجدتها ووجدت مع تلك الحقيقة سكينة قلبي، نعم وجدتها، لقد كانت في جلابة وعمامة وإذا عندما اتبعت الحقيقة وجدت نفسي بهذه الجلابة والعمامة.[3]

---

[1] – Gilbert meynier: op-cit, p 181.

[2] – الشهائد والفتاوى ،مصدر سابق. ص 60.

[3] – Al Morchid, n° 15 2e année : Rabi-el-tani 1367 - février 1948. p 5.

فعبد الرحمان طبي- دون شك- ذكى لديه طموح أسلمة فرنسا ونماه كما رعى دعـــوة التقـــارب الإسلامي الكاثوليكي، والتقارب بين الأديان عموما وهما من أهم عناصر مشروعه التجديدي.

2- مرحلة الازدهار والانتشار: (1920-1931) (ابن عليوة المجدد)

ازدهرت طريقة الشيخ ابن عليوة بعد عام 1920 بشكل لا مثيل له، وحققت دعوتـــه في مختلـــف الأوساط نتائج معتبرة في الداخل والخارج، لقد جذبت أتباعا من النخبة المثقفة الفرنسية، وجـــدوا ضالتهم في ابن عليوة وتعاليمه التي رأت في الشيخ تراجيديا الفكر المعاصر وردة فعل الروح ضـــد المدنية المادية التي تجاهلت المشاعر وحولت العالم إلى هندسة باردة.[1] زاد هذا الإقبال -الـــذي لم يكن دوما مخلصا خالصا له- من ثقة الشيخ في إمكانية تحقيق طموح فرنسا الإسلامية وإثر هزيمـــة الأتراك في الحرب أخلص الوجهة لفرنسا، التي عمدت إدارتها الاستعمارية إلى بث الروح في النشاط المرابطي والزوايا لمواجهة تأثير الأمير خالد، فشهدت الزاوية العلاوية نشاطا كبيرا، وقامت بحملـــة واسعة ضد رجال السياسة من الأهالي وضد الإصلاحيين، والإدماجيين[2]. وتحسنت أوضاع الطريقة المادية وتعددت مواردها وتمكنت من بناء زاويتها الكبرى بتيجديت (1920- 1922) واقتنـــت ممتلكات جديدة من دور وأراضي ومحلات ذات طابع تجاري، فضلا عن توسيع دائرة نشاط الدعاة والمذكرين، وكلما زاد أتباعها زاد عدد زواياها عبر مختلف أنحاء الوطن.

ميز المرحلة كثافة منشورات الطريقة المعلنة عن ظهور مجدد دين الأمة على رأس القرن الرابع عشر للهجرة،ونشر ديوانه عام (1920) وأعلن به عن ظهور المرشد المجدد الذي يجدد النشاط الإيمـــاني ويربط قلوب الناس به حتى يوصلها بنور سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم. فأحدث ضـــجة وردة فعل قوية من قبل الشيخ عبد الحميد ابن باديس تمثل في رسالة (جواب سؤال عن ســـوء مقـــال) فنشر رسالة في التوحيد وفق العقيدة الأشعرية تمثلت في رسالة (القول المقبول فيما تتوصـــل إليـــه العقول)عام (1921) مبرأ نفسه من تهم تخل بعقيدة المؤمن.ودافع عن مذهب التصـــوف ورجالـــه عامة في رسالة (الناصر معروف في الرد على من أنكر التصوف) ونشر تلميذه الحسن بن عبد العزيز رسالتين في الدعوة للطريقة العلاوية والإشادة بها وبأنها الوحيدة التي تمللك مرشدا حيا يحيي الإيمان في القلوب وهما رسالة (إرشاد الراغبين إلى ما احتوت عليه الطريقة العلوية من الفتح المبين) هاجم فيها خاصة من كانت لديهم عقيدة الولي ولا يقبلون على الشيخ ويغنمون فرصة وجـــوده بينـــهم للسلوك إلى الله. ورسالة (النجم الثريا في المآثر العلوية)، ولما اشتد الاعتراض عليه ونشرت صحيفة النجاح ما يسيء للشيخ وطريقته، بادرت إلى إصدار صحيفة لسان الدين الأولى (1923) طرحت وجهة نظر شيخها المجدد لكيفية معالجة أوضاع الجزائر الدينية المزرية، مبرأة ساحته من التهم الـــتي

---

[1] – Augustin Berque : op-cit. pp 760-761.

[2] - Ihddaden Zahir: op-cit, p 381.

ألصقت به، في الوقت نفسه كان أتباعه يجمعون شهادات تبطل دعاوى من يطعنـــون في الشـــيخ وأتباعه عقيدة وعملا، ونشرت في كتاب (الشهائد والفتاوى فيما اشتهر من أمر الشيخ العـــلاوي) وأعاد نشر عدة رسائل منها(الأنموذج الفريد..) مع التعديل فيها. وفي عام 1926 نشر رسالة (نور الأثمد في سنة وضع اليد على اليد). وفي عام 1929 أملى سيرته الذاتية وتوقف في سردها عند عام 1911! وبعد اقتنائه مطبعة حاول استمالة بعض الصحفيين وأصدر صحيفة البلاغ الجزائري عام 1926 وبث على صفحاتها تصوراته، وتطلعاته وطرح التجديد البديل، ذابا عن التصوف، داعيـــا للحوار بين مختلف المذاهب الإسلامية، وللتقارب بين الأديان، بل لتصحيح صورة الإســـلام لـــدى الغرب عسى أن تكون أداة للدعوة للإسلام، ولجلب عطف فرنسا على المسلمين بدل خوفها منـــهم لتمنحهم ما هي أهل من الإحسان وما هم أهل له من الحقوق.

كما تعددت سياحات الشيخ بدأها في خريف 1919 بسياحة إلى تونس والقيروان حيـــث التقـــى بأتباعه واستقبل كشخصية مشهود لها بالولاية والصلاح لا كشخصية مغمورة تعـــرف بنفســـها، فتحدثت عن زيارته جريدة القيروان وعن درسه في التفسير وعن زيارته المقام الصـــحبي وجامعهـــا الأعظم والإمام سحنون وبعض أولياء القيروان.[1]وسياحات أخرى مذكري الطريقـــة في الـــداخل والخارج، من ذلك سياحته الكبرى عام 1921 للجزائر العاصمة وإلى بلاد القبائل ثم تـــونس. وفي عام 1926 كانت سياحته إلى باريس بمناسبة تدشين مسجدها، وفي عام 1927 قـــام بســـياحة إلى القبائل الصغرى ومدينة عنابه ودشن زاويتها الإرشادية الكبرى، وفي عـــام 1928 قـــام بســـياحة للمغرب الأقصى وخاصة منطقة الريف ومدينة فاس محاطا بعلماء جامع القرويين، كل ذلك رغـــم ظروفه الصحية الحرجة.

ومنذ عام 1929 زادت حالته الصحية حرجا حتى وأصبح يتعرض لأزمات حادة هـــددت حياتـــه حتى بادر لوضع وصيته الأولى والتي عين بموجبها عدة بن تونس مسيرا لأملاكها تحت الرقابة الثنائية لابن زفيطة عبد القادر، وابن اسماعين أحمد.

ورغم مرضه خرج الشيخ ابن عليوة في ربيع عام (1930) حاجا قاصدا بيت الله الحرام ولعله ضاق ذرعا بالتجاوزات الفرنسية عند الإعداد للاحتفال المئوي لاحتلال مدينة الجزائر وعـــدم اهتمامهـــا بأدنى مطالب الجزائريين حتى المعترفين بوجودها المعلقين آمالهم على كرمهـــا وإحســـانها. وزادت مشاق السفر والحج من المتاعب الصحية للشيخ، لكنها لم تصده عن أداء الرسالة التي آمن بها فلـــم يقصر المسافات عائدا إلى مستغانم وإنما زار بيت المقدس على عادة الحجاج في ذلك الزمان (حـــجَّ وقدَّسَ) وعاد أتباعه للجزائر إلا عدة بن تونس، وأسفرت عن توسيع نطاق نفوذه في بـــلاد الشـــام

---

[1] – محمد لخضر بن الطيب الدراجي: الشهائد والفتاوى، المرجع السابق. ص – ص 176-177.

حيث فتح زوايا جديدة له بالمنطقة بعد انضمام محمد الهاشمي التلمساني ثم الدمشقي له بعد المشاكل التي صادفت الهاشمي بعد وفاة شيخه ابن يلس. وقد عينه الشيخ ابن عليوة نائبا عنه في المنطقة.



الشيخ محمد الهاشمي التلمساني

3- مرحلة الركود (1931- 1934)

كان من نتائج تفاني صهر الشيخ وتلميذه عدة بن تونس في خدمته خلال رحلته للحــج وسياحته في الشام، أن عامله ابن عليوة معاملة الابن لما عاد للجزائر، وصدق مرة أخرى ما يقال من أنه لا >> يحسن بالمشايخ إلا من خدمهم...وكل من خدمهم إلا وأخذ بقلوبهم<<[1] فعين الشيخ عدة بن تونس وكيلا مسيرا لأملاك الزاوية دون رقيب. ومنذ تسجيل الوصية الثانية وتفاقم مرض الشيخ وتدهور حالته الصحية، بدأت حسابات من سيخلفه؟ وظهرت بوادر الشقاق، وتجلــت الخلافــات خاصة بين أعيان الطريقة الفقهاء المثقفين في شرق ووسط الجزائر وخاصة من (الكتــاب ورؤســاء الزوايا التذكيرية – باستثناء زاوية تلمسان – وأصحاب صحيفة البلاغ) من جهة، ووكيل الزاويــة عدة بن تونس والموالين له خاصة في منطقة الغرب من جهة أخرى.

ولما كان الشيخ لم يقدم أي كان لخلافته، والمجازون بإعطاء الأوراد وإدخال الخلوة كانوا عديدين، فإن وصيته الثانية خلقت مشاكل عديدة قبل وبعد وفاة ابن عليوة* كما رجحت كفة الحاج عدة بن تونس نظرا لأهمية التركة ماديا ومعنويا، وكما يقال من ملك المال ملك الحال.

ومن المشاكل التي برزت قبل وفاة الشيخ، رفض الحاج حسن الطرابلسي[2] بتحريض من الحسن بـــن عبد العزيز ضم زاويته بعنابه لأحباس الزاوية العلاوية لاعتقادهما أن الشيخ ابن عليوة المريض واقعــا تحت تأثير الحاج عدة بن تونس[3] الذي أخذ يستعد لوراثته روحيا بعد أن ورثه ماديا قبـــل وفاتـــه. وحبس زاويته وهي أهم الزوايا العلاوية في الجزائر بعد الزاوية الأم بمستغانم يعـــني تجريـــده منـــها، وحرمانه من كل حظوظه في المنافسة على المشيخة مستقبلا.

لكن هل كان الحاج حسن الطرابلسي يسعى لخلافة شيخه ونقل المشيخة إلى عنابة بعد وفاة شيخه خاصة وأن التقارير الاستعمارية أشارت إلى أنه كان المرشح الأول لخلافة ابن عليوة الروحية؟ وهل رفض الحاج حسن الطرابلسي حبس الزاوية باسم فقراء المنطقة –مثل زاويا تلمسان، الجعافرة، وبرج بوعريريج، ووهران– للحفاظ على نفوذه بعد وفاة شيخه الذي سلب له الإرادة وانقاد لـــه لأنـــه المرشد الحي أما إخوانه في الطريق فلا فضل لأحدهم عليه فأبى الانقياد لأي منهم؟ أم كان له تصورا

---

[1] – المواد الغيثية في شرح الحكم الغوثية، ج1، المصدر السابق. ص 126.

* بعد وفاته رفض ورثة ابن عليوة هذه الوصية، وهم بن عليوة الحاج ولد عبد القادر؛ بن عليوة مصطفى ولد عبد القـــادر؛ وابنـــا أخته: بن عليوة البوزيدي ولد محمد، وبن عليوة أحمد ولد محمد؛ حاكموا عدة بن تونس أمام المحاكم لإلغاء الحبس لكـــن الحكـــم الصادر أثبت الوكالة ومنحت عدة بن تونس ثلث الميراث./ أنظر تقارير مصلحة الاتصالات لشمال إفريقيا

- SLNA: p 117.

[2] - Ibid. p 120.

وحسب هذا التقرير فان ابن عليوة كان يعد الطرابلسي ليكون خليفته الروحي، في حين ابن تونس لم يكن جديرا إلا بخلافته الماديـــة على أملاك الزاوية بمستغانم.

[3] – لقاء مع الأستاذ علاوة أرتباس بسطيف بتاريخ: 11 ماي 2004.

ومسارا آخر يريد أن يسلك به العلاويين؟ أم هي المؤامرة الاستعمارية المألوفة في تفكيك الطرق الصوفية لإضعافها والتحكم فيها؟

ألقت هذه الخلافات بظلالها على نشاط الطريقة، التي تشتت اهتماماتها بفعل انضمامها لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين عام 1931 أولا، وبعد خروجهم منها مع الطرقيين أسسوا عام 1932 جمعية خاصة بالطرقيين وهي جمعية علماء السنة، التي إن لم تكن علاوية خالصة فقد استقطبت كوادر الطائفة من المريدين والأحباب، حيث كان الحسن الطرابلسي نائب رئيسها ومحمد المهدي كاتبها، ومصطفى حافظ عضو في لجنتها التنفيذية، وقدور المجاجي من دعاتها، ومحمد الرايسي مندوب جريدتها الرشاد. مما جعل البعض يعتبرها علاوية بحتة.

كما فقدت بوفاة مصطفى حافظ المدرس بمدرسة السلام والعضو باللجنة التنفيذية لجمعية علماء السنة- في تلك السنة- أحد رجالها العظماء وقد كان لوفاته وقع عظيم.[1]

وزاد من حدة حالة الركود، الأزمة الاقتصادية العالمية التي ظهرت انعكاساتها في الجزائر جلية منذ عام 1932 حتى تعطل البلاغ الجزائري عن الصدور لأسابيع.

---

[1] - (نفس طيبة وروح أبية)، البلاغ الجزائري، ع: 275. 20 جمادى الثانية 1351ه – 21 أكتوبر 1932. ينظر أيضا الأعداد: 281 و 282.

ثالثا: تأثير الشيخ ابن عليوة في أتباعه

لقد اعترف الأتباع للشيخ ابن عليوة بفضله عليهم وببالغ تأثيره فيهم، وهو الأمر الذي لمسه الملاحظون أيضا فسجلوا قوة نفوذه عليهم وشدة انقيادهم له. والحماسة التي سببتها دعوته حتى كاد أن لا يتحكم فيها، كما حدث حين حاول أحد الأتباع قتل الشيخ عبد الحميد بن باديس، وخروج آخر من كل ماله وتجرده، وتطليق آخر لنسائه.[1] أما الأتباع فيرون أن ذلك من بركة النسبة وشيخها الذي الفتح على يده قريب ومريده منيب. حتى أنه نجح في قطع القبائح من أفواه أتباعه، وصيرهم من أهل الله الذاكرين.[2]كما استطاع أن يستعطف قلوب أتباعه نحوه ونجح في تربيتهم، وأثر فيهم تأثيرا لا نظير له، إلا تأثير الأنبياء في قلوب أقوامهم، فكان له من قوة النفوذ على أتباعه ما لا يوصف، فصاروا يعملون بأقل إشارة منه ويتلقون أوامره بجميل القبول والارتياح، ولا يقطع أحد أمرا دونه. وبفضل إتباعه عرفوا بالثبات على المبدأ، والعمل على نشر الهداية وبذل كل عزيز في سبيل نشر الفضيلة، وتأييد دين الله بالحال والمقال والأفعال، فكان السيّاح من رجال النسبة يقصدون المواطن التي يشتد فيها الفساد فكانوا كالغيث النافع حيث ما وقعوا نفعوا. تشهد على ذلك زواياهم ومدوا فروع الطريقة في الحواضر والبوادي حتى أصبح الأستاذ ذائع الصيت وأتباعه في مشارق الأرض ومغاربها.[3]

وحرصا منهم على إقامة شعائر الإسلام كانوا يطلبون ممن لم ينتسب للطريقة، معاهدتهم على الأقل على المواظبة على الصلاة في أوقاتها مع تقوى الله ما أمكن.[4]

فاهتم أتباعه بعمارة مساجدهم، بعد خرابها. وحسنت تربية أبنائهم بعد إهمالها، وصلح رؤساءهم بعد السفاهة.[5]

لكن أوغسطين بارك، أكد أنه رغم تأكيد ابن عليوة على أن الكعبة الشريفة هي قبلة المصلين، إلا أنه لما اشتد الصراع بين العلاويين والعلماء الإصلاحيين ثبت أن العديد من أتباع الشيخ بمقاطعة قسنطينة

---

[1] - Augustin Berque: op-cit. p 761

[2] – محمد وعلي اليديري: المصدر السابق. ص 119.

[3] –أحمد المجاجي: المصدر نفسه. ص 5.

[4] – المصدر نفسه. ص 157 (الهامش).

[5] – الحسن الطرابلسي: المصدر نفسه. ص 116.

كانوا يتوجهون في صلاتهم صوب مستغانم،[1] وهي سابقة خطيرة لكن الشيخ خالد عدنان بن تونس[2] أكد لي بأنها كانت حادثة فردية وقام بها أحد مجاديب[*] الطريقة نكاية في الإصلاحيين .

وشهد أعيان البرج وبلاد القبائل[3] له بأنه منذ دخل وطنهم وبث النصيحة في العباد أطفأ الفتن، ووضع حدا لعمليات القتل الثأرية، وللصوصية المتفشية وشرب الخمر ولعب القمار وأكل الحرام، فكان معينا لهم على جلب السلامة والعافية للمنطقة وكل ذلك ببركة هذا الأستاذ.. كما شهد له بذلك زهار محمد الطاهر بن عيسى[4] أحد فضلاء مدينة البرج وابن مؤسس الطريقة التبانية الشاذلية يرى أن الشيخ ابن عليوة رجل أطفأ الله على يده نار الفتنة فبردها بماء التقوى، حيث فتح الله بسببه على بعض اللصوص فصاروا من أهل الانقطاع لله عز وجل.

وشهد أعيان مدينة وهران[5] بأن تلامذته تحسنت أخلاقهم ببركة الشيخ. وشهد له أعيان غليزان[6] بأن بأن أتباعه أبعد الناس عن ارتكاب المنكر والفجور.

وأجمعت الشهادات على أن كل >> شخص تعلق بالطريقة إلا تخلى عن الرذائل كالهوى المتبع والشح المطاع والكبر والحسد وتحلى بالفضائل كالسخا والتواضع والشفقة والحنانة والأمانة.<<[7] فهي بذلك عاملة على إزالة المنكر وبث الأمن والإيمان.

بل إن مامي إسماعيل[8] ـ وهو رجل صحافة وسياسة ـ لمس في مريدي الشيخ بتلمسان >> الوطنية الحادة والغيرة على الدين والوطن<< كما أنهم فضلا عن مواظبتهم على الصلاة في وقتها، فهم وإن كانوا يسهرون للسماع وللقصائد فإنهم أيضا مقبلون بجد على أشغالهم لتأمين معاشهم.

ومما صرح به أتباعه هو انه ببركة النسبة نمت أموالهم واستقام تدينهم، وإن كان >>هناك من أثرت فيه الأذكار حتى أخرجته عن مألوفه غير أنه لا يلبث حتى تعود به العناية إلى الاعتدال<<[9]

فهل كان هذا تأثير للرجل على أتباعه، وقدرته على ردع المجرمين عن إجرامهم والمنحرفين عن انحرافهم مما يصدق فيه أن الرأي القائل بأن الاشتغال بالتصوف من الترف الذي ضرره أكثر من

---

[1]- Augustin Berque , op-cit. p 763 / Rapport Préfet Constantine 13 juillet 1921. Note d'un Notable indigène, 3 juin 1927.

[2] - تصريح أدلى به الشيخ خالد عدنان بن تونس بزاوية الدبداية، مستغانم، يوم : 18 أكتوبر 2001.

[*] – المجدوب في الطريقة العلاوية من خرج من الخلوة غير مميز ، مرفوع عنه القلم، وحسب بعض الروايات سمعتها من أحد أعيان الطريقة يبدو أن أحدهم كان يرى ابن عليوة وهو في هذه الحالة رب الأرباب.

[3] – الشهائد والفتاوى، المصدر نفسه. ص – ص 73-77

[4]– المصدر نفسه. ص 124-126.

[5] – المصدر نفسه. ص – ص 67-68 .

[6] – المصدر نفسه. ص 71.

[7] – الحسن بن المشري التبسي: المصدر نفسه. ص 140.

[8] – المصدر نفسه. ص– ص 56 -57.

[9] – المصدر نفسه. ص– ص 57 -58. ينظر أيضا ص– ص 88-89.

نفعه، وأن علاقته وثيقة بأزمة العقل المسلم، بتحويله الأتباع إلى دراويش بعقول خاوية ومعارف تافهة لا تنفع في الدنيا والآخرة، وتصرفات مسيئة لحقيقة الإسلام، وأن ما يجده الطرقي من طمأنينة معتقدا بأن العناية الإلهية قد اجتبته، إنما هو في الحقيقة بسبب أنه يعبد الله بهواه — ما دامت الطرقية عنده تعني عبادة الله بالبدعة- والهوى محبب إلى النفس ومن شأنه أن يطاع؟.[1]

[1] – أنيسة زغدود: جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مقاومة الانحرافات الطرقية (1931-1956)، رسالة ماجستير في العقيدة، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، السنة الجامعية: 1420-1421هـ-1999-2000. ص- ص 261-262.

الفصل الخامس: المشروع الإصلاحي العلاوي

المبحث الأول: طبيعة التجديد والإصلاح العلاوي

المبحث الثاني: دعائم المشروع الإصلاحي العلاوي

المبحث الثالث: وسائل الإصلاح ومظاهر التجديد فيها

المبحث الرابع: تقييم نتائج المشروع الإصلاحي العلاوي

الفصل الخامس: المشروع الإصلاحي لابن عليوة المرشد(1920-1934)

أضحى ابن عليوة بإعلان نفسه مجدد دين الأمة على رأس القرن الرابع عشر للهجرة أمام تحديات عديدة، ومنها أنه عليه أداء وظيفته لا بين مريديه الملتزمين بآداب المريد مع الشيخ، ولا بين المسلمين -وفيهم المتعاطف معه والحذر منه والمعادي له- فحسب، وإنما تطلع لتبليغ رسالة الحق إلى الخلق، وخاصة لفرنسا الإسلامية عساها تتحول من مجرد دعاية إلى واقع من شأنه تحسين صورة الإسلام في الغرب، ورفع الغبن عن الأمة بكسب عطف الآخر لعله يمن علينا بما نحن أهله من الحقوق. لكن كيف حدث هذا التحول في حياة الشيخ من شخصية محلية مغمورة إلى شخصية تتصدى لتحمل رسالة الأنبياء والرسل؟ هل كان هذا التطور نتيجة طبيعية لنجاحات شيخ التربية العارف بالله والدال عليه؟ هل تلقى ما أفاده بوجوب القيام بذلك؟ وقد تواترت عدة مرائي قد تدل على ذلك، أم كان هجوما لفك الحصار عن شيخ التربية المحاصر؟ وتحسينا لصورته التي شوهت؟ مهما كانت الدوافع فإن المهمة لم تكن سهلة ولا الطريق سالكة آمنة فهل سينجح في كسب ثقة الناس ليسلك بهم كما سلك بمريديه؟ ومن اختار حليفا لتبني مشاريعه ودعمها؟ ولماذا نجده في صحيفتي لسان الدين الأولى والبلاغ الجزائري، لم يستعمل إلا مصطلح الإصلاح فهل وجد أن عقبات التجديد كؤود، فاستعمل ما هو أخف وطأة وأدعى للقبول عند الناس خاصة في وسط استشرى فيه الفساد، ولا شيء يتطلع له الناس أكثر من تطلعهم للإصلاح.

فمن هو المجدد في الإسلام؟ وما مفهوم الإصلاح عند القوم؟

المبحث الأول: طبيعة التجديد والإصلاح العلاوي

إن جميع الدعوات التجديدية، والحركات الإصلاحية دعت إلى العودة إلى الكتاب والسنة، وعملت على محاربة البدع ونبذ الجمود والتقليد وفتح باب الاجتهاد، ولكن مع ميل بعضها لإصلاح العقيدة، ومحاربة جميع مظاهر الشرك مثل الوهابية، وميل البعض الآخر للإصلاح السياسي ومحاربة الاستبداد والدعوة للجامعة الإسلامية، والكواكبي(1849–1902) والأفغاني (1838-1897). وقسم ثالث آمنوا بأن لا إصلاح إلا بتربية الأفراد وإصلاح المجتمع.[1]لكن ما هو التجديد الديني؟ وما طبيعة الدعوة التجديدية العلاوية؟

أولا: ما هو التجديد؟ ومن يجدد؟ ولمن يجدد؟

يعتبر التجديد أوسع مجالا من الاجتهاد الذي يقتصر على الجانبين العلمي والفكري، بينما التجديد يتعداه للجانب العملي، فالتجديد يحيي ما اندرس من العمل بالكتاب والسنة والأمر بمقتضاهما. ويبين السنة من البدعة، ويكثر العلم، وينصر أهله، ويكسر البدعة.[2]

وأما المجدد فهو الذي يجدد ما أندرس من أحكام الشريعة، وما ذهب من معالم السنن، وما خفي من العلوم الظاهرة والباطنة،[3]فهو يجدد في الدين. لكن ما هو الدين؟ وما هي ضوابط التجديد فيه؟

إن الدين هو المنهج الرباني الذي بعث الله به رسوله وانزل به كتابه، منه الثابت الذي لا يقبل التغيير من العقائد والعبادات والأخلاق والشرائع المنظمة لعلاقة الإنسان بربه، وعلاقة الناس بعضهم ببعض. ومنه المرن الذي يتمثل في الحالة التي يكون عليها الإنسان في علاقته بالمعنى الأول فكرا وشعورا، وعملا وخلقا، وفي هذا المعنى يقال: فلان ضعيف الدين أو قويه، حسن الإسلام أو رديه. وهو الذي يقبل التجديد، فالتجديد ينصب على دين الأمة، وليس على دين الله تعالى.[4]

ومن مجالات التجديد التي يعمل علماء المسلمين جاهدين على تحقيقها الآن ومن قبل كان طموحا علاويا أيضا كان تجديد ديني يكون قادرا على تبليغ رسالة الحق للخلق بلغة العصر، يخاطب كل قوم بلسانهم مع الوعي بخصائص العصر، وخصائص الإسلام، وخصائص الأقوام. فيكلم المجدد كلا بلسانه، كما يعرف مداخل عقول وقلوب كل منهم.[5]

لكن من يقوم بالتجديد؟ انطلاقا من الحديث النبوي الشريف: (يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة دينها) هذا الحديث الذي يبعث الأمل في نفوس الأمة على مر الدهور بأن

---

[1]– أنيسة زغدود: المرجع السابق. ص 83.

[2] – يوسف القرضاوي: المصدر السابق. ص 26.

[3] – المكان نفسه

[4] – المرجع نفسه. ص 27.

[5] – المرجع نفسه. ص – ص 30-31.

جذوتها لن تخبو، وأن دينها لن يموت ما دام الله يقيض لها كل قرن من يجدد شبابها ويحيي مواتها.[1]وبقدر عظمة البشارة تطلع المسلمون لمعرفة من يكون له شرف القيام بالتجديد والإحياء؟ فكان الاعتقاد السائد أن المجدد قد يكون فردا واحدا يهيئه الله للقيام بمهمة الإحياء والتجديد، وقد قيل فرد ذو همة يحي أمة[2]وهذا التفسير روج لفكرة المهدي المنتظر التي من سلبياتها جعل الناس ينتظرون المهدي ليصلح ما فسد، بدل أخذ المبادرة لتغيير الفساد بدءً بالنفس. مع غياب الإجماع على مجدد بعينه، فما من مجدد يظهر إلا وقَبِله من كان على مذهبه وأوسعه غيرهم سخرية وتهكما. لذلك ذهب ثلة من العلماء إلى أن لفظة (من) في الحديث للجمع لا للمفرد[3]وأنه لا يمكن حصر التجديد في واحد فقط وفي مختلف القرون.[4]وبالتالي قد يكون من يجدد جماعة يتعاون أفرادها على البر والتقوى، ويتواصون بالحق والصبر. وهو معنى يؤيده القرآن والسنة.[5]

كما أن الشُرَّاح لم يستطيعوا الجزم برأس أي مائة يتعلق أمر ببعثة المجدد فهل يتعلق ببداية المائة من المولد النبوي، أم من البعثة، أو الهجرة، أو الوفاة؟ [6]

---

[1] - المرجع نفسه. ص- ص 10- 11.

[2] - المرجع نفسه. ص – ص 19- 20./ وذكروا عددا من المجددين الأفراد فاعتبر عمر بن عبد العزيز(ت 101هـ) مجدد المائة الأولى، ومحمد بن إدريس الشافعي (ت 204هـ) مجدد المائة الثانية، بينما اختلفوا في مجدد القرن الثالث والرابع أيضا فذكروا للثلث عدة أعلام منهم: أبا الحسن الأشعري (ت 324هـ) وأبا العباس بن سريج (ت 306هـ) والنسائي(ت 303هـ). وللمائة الرابعة ذكروا القاضي أبا بكر البقلاني (403هـ) وأبا حامد الاسفراييني (ت 406هـ)، وفي الخامسة أبا حامد الغزالي(ت 505هـ)، وفي السادسة الفخر الرازي (ت 606 هـ) وقيل الرافعي (ت 623هـ)، وفي السابعة: ابن دقيق العيد(ت 703هـ). وفي الثامنة: الحافظ زين العابدين العراقي(ت808 هـ)، وهي أسماء تضمنها نظم الحافظ جلال الدين السيوطي (ت911هـ) والذي كان يطمح ليكون مجدد القرن العاشر، وقد نقلها المناوي في فيض القدير، المرجع نفسه. ص- ص 16-17

[3] – نقل المناوي قول الحافظ الذهبي ((من)) هنا للجمع لا للمفرد، فنقول مثلا: على رأس الثلاثمائة: ابن سريج في الأصول، والنسائي في الحديث، وعلى الستمائة مثلا: الفخر الرازي في الكلام، والحافظ عبد الغني في الحديث. / المرجع نفسه. ص 17

[4] – المرجع نفسه. ص 18.

[5] - المرجع نفسه. ص ـ ص 19- 20.

ومن الآيات القرآنية الدالة على ذلك قوله تعالى: (وممن خلقنا أمة يهدون بالحق، و به يعدلون) الأعراف، الآية: 181. وقوله تعالى: (ومن قوم موسى أمة يهدون بالحق و به يعدلون). سورة الأعراف، الآية: 159. وقوله أيضا: (ولتكن منكم أمة يدعون إلى الخير ويأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر وأولئك هم المفلحون) سورة آل عمران، الآية: 104. وقوله صلى الله عليه وسلم: (لا تزال طائفة من أمتي قائمين على أمر الله، لا يضرهم من خالفهم، حتى يأتي أمر الله وهم على ذلك) وأيضا:<<يد الله مع الجماعة>> رواه الترمذي، فالتعبير بطائفة والتعبير بأمة، يدل على أن التجديد لا يقوم إلا بالجماعة، وكل فرد مطالب بالمساهمة فيه.

ينظر – المرجع نفسه. ص- ص 21-22.

[6] – احتمل المناوي المولد النبوي، وقيل بأقربية البعثة، ورجح أكثرهم الهجرة، واعتبروه هو الأساس واعتمدوه، و لكنهم جعلوا العبرة بوفاة المجدد على رأس القرن، واستبعدوا ابن تيمية مثلا لأن وفاته كانت عام (728هـ)، وكذلك ابن الجوزي، وابن القيم والشاطبي وابن الوزير وابن حجر، والدهلوي، والشوكاني وغيرهم من الأعلام. لذلك نبه العلامة المناوي إلى أن البعث هو إرسال العالم لنفع الأنام، وانتصابه لنشر الأحكام. وموته على رأس القرن أخذ لا بعث. وأنه قد يكون في أثناء المائة من هو كذلك، بل قد يفضل المبعوث على الرأس./ المرجع نفسه. ص – ص 24- 25 .

ويرى الدكتور القرضاوي[1]أن (البعث) في الحديث ليس إظهار مجدد يأتي بالخوارق، ويغير ما بالناس، وإن لم يغيروا ما بأنفسهم؛ وإنما يعني تهيئة الأسباب المواتية، لظهور حركة التجديد للدين والإحياء للأمة، وفق سنن الله تعالى التي لا تتبدل. وأن التجديد قد يكون جزئيا يمس قطاعا من الحياة، أو قطر ما أو فئة معينة، وقد يتسع لأكثر من قطاع وفئة وبلد، كما قد يكون التجديد مطلقا فيشمل الأمة الإسلامية كلها -وهي المعنية بالتجديد في الحديث النبوي الشريف- ويؤثر فيها.

فهل توصل الشيخ ابن عليوة قبله بمدة تزيد عن نصف قرن إلى القناعة ذاتها وهي أن التجديد لا يتأتى لفرد واحد مهما بلغت درجة إخلاصه ومهما أوتي من القدرات؟ وأنه قد لا يتحقق إلا جماعات متمايزة الوظائف لكنهم يشكلون (حزبا دينيا) هدفه خدمة مصلحة الدين ولا يشركوا معه شيئا آخر لا الوطنية ولا القومية ولا المذهبية وكلها رجس من عمل الشيطان حسب رأي ابن عليوة، ليتمكن من تحسين صورة الإسلام لدى الغرب، فيبدل الجهاد بالسيف بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وعدم موالاة الكافرين، إلى التطلع لهدايتهم، وحتى فرنسا الصليبية الاستعمارية صورها دولة لائكية تحترم مختلف الأديان حتى اتهمها البروتستانت بالإلحاد، وقد تحولت بقوة الأمر الواقع إلى دولة إسلامية ما دام أكثر من نصف رعاياها من المسلمين. وليس من مصلحة المسلمين معاداتها وإنما الإخلاص لها لكن دون الذوبان فيها لكسب ثقتها ولترفع الجور المسلط على المسلمين، هذا الجور يراه ابن عليوة ناجما عن مناصبتهم فرنسا العداء مما أدى إلى توجسها منهم خيفة، فما كان على المجدد الذي يتطلع إلى تبليغ دعوة الحق إلى الغرب فأراد أن يحالفه لكسبه حتى يعز الله به جانب الإسلام. وعندها فما الذي سيحول دون انتشار الإسلام في أوربا فيجدد دماءه بعنصر نشط ذكي يعز الله به الإسلام؟ أو على الأقل تحسن صورة الإسلام في أذهانهم.

وقد ظهرت فكرة المجدد عند الشيخ ابن عليوة وجماعته في مطلع القرن الرابع عشر للهجرة أقرب ما تكون لفكرة المهدي المنتظر. وهو ما أعلنه في تبسه أحد دعاة الطريقة المخلصين من أن الشيخ سيبلغ <<مرامه يوم يبلغ عدد أتباعه ثلاثمائة وعشرين ألفا عدد الأولياء السابقين.>>[2]

وأكده محمد الشنقيطي[3]إمام بيدو(رأس الماء) الذي كتب في شهادته يقول: <<الشيخ عندنا وفي عقيدتنا من المجددين للدين>> واعترف له حتى في دمشق بأنه صاحب الوقت من قبل مشائخ لاقت مؤلفاته عندهم قبولا حسنا.[4]كما دلت على ذلك أيضا بعض مرائي أصحاب الشيخ ابن عليوة.*

---

[1] - المرجع نفسه. ص 20.

[2] –Augustin Berque: op-cit, pp : 762 – 763.

[3] - المصدر نفسه. ص 63.

[4]- عباس الجزيري : الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص – ص 100-101.

* ينظر الملحق رقم واحد.

أما الشيخ ابن عليوة فقد آنس من نفسه القدرة على الإرشاد عبر عن ذلك في مقدمة أول كتبه جمعا وهو كتاب (مفتاح الشهود). وأما قلة فصاحته[1] فقد تذكر أن الحكمة الإلهية تقضي بأن يبعث الله الرسل بألسنة أقوامهم، والعبرة بمن يدل الأمة على المخرج من الأزمات التي تتخبط فيها، والمقصد الأهم هو حفظ الدين فهو يقول: << أن الحق يجري على ألسنة علماء كل زمان بما يليق بأهله لما في التنزيل المعول عليه: (ما أرسلنا من رسول إلا بلسان قومه) [2] ولا يخفى ما في ذلك من حكمة. (يبعث الله على رأس كل مائة سنة من يجدد لهذه الأمة أمر دينها)[3] حسب الامكان [كذا] والدهور تحدث للناس اقضية بحسب ما أحدثوه من الفجور والمقصد الأهم المحافظة على عقائد الدين>>[4].

غير أنه وفي بقية رسائله قدم نفسه شيخ تربية عارفا بالله ودالا عليه نور الله بصيرته بالشهود والعيان حتى شاهد غوامض الجبروت في ظواهر الأكوان، ولما نشر ديوانه عام 1920 أصبح كل ما من شأنه أن يعد نقيصة دليلا على الخصوصية، فهذا الحسن بن عبد العزيز[5] يقول بأن قصائده جاءت غير مضبوطة بقواعد العروض والنحو، تماشيا مع واقع الناس الذين تفشت بينهم الأمية، فوقع نظمه عند أتباعه موقعا حسنا.

---

[1] - مفتاح الشهود في مظاهر الوجود، المصدر السابق. ص 6.

[2] - سورة إبراهيم، الآية: 4.

[3] – نص الحديث الصحيح كالتالي: عن أبي هريرة رضي الله عنه: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: << إن الله يبعث لهذه الأمة على رأس كل مائة سنة من يجدد لها دينها >> ينظر: يوسف القرضاوي: من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، المصدر السابق. ص 9. وقد أورد الحديث بنصه الصحيح في كتاب(البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور) ج1، المصدر السابق. ص 14.

[4]– مفتاح الشهود، المصدر السابق. ص 7.

[5] – أحمد بن مصطفى العلاوي: الديوان، ط1، المصدر السابق. ص 2. المقدمة

ثانيا: مفهوم الإصلاح الديني في الطريقة العلاوية

عرف قدور بن أحمد المجاجي[1] الإصلاح بأنه ضده الفساد، بل هو نفي الفساد عما بنته الحكمة الإلهية وشيدته الأحكام السماوية والنبوية واخترعته الملكات العالية من الأمور التي بها منفعة الحياة البشرية أو الحيوانية. وأن من أنواعه الإصلاح الديني الذي يعني تغيير ما أنكره الكتاب أو السنة أو إجماع الأمة، وإزالة الخرافات والأوهام مما لا مستند له من الشرع عن العقول بكيفية لا تثير نفورا ولا بغضا ولا غضبا من المرتكب له. أما ما اختلف فيه إباحة وتحريم فإنكاره يكون من قبيل تفريق الأمة وبذر العداوة المذهبية بين الناس، خلافا لما يحث عليه الدين من إصلاح لذات البين ونزع لأسباب الشقاق ويرى أن كل من خالف ذلك بدعوى الإصلاح فهو ممن ما جاء فيهم قوله تعالى: (وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض قالوا إنما نحن مصلحون)[2] وبذلك فالإصلاح جلب للمصالح ودرء للمفاسد، ويرى الدكتور محمد سعيد رمضان البوطي[3] أن المصلحة واحدة المصالح وهي كل ما فيه نفع- سواء بالجلب والتحصيل كاستحصال الفوائد واللذائذ، أو بالدفع والاتقاء، كاستبعاد المضار والآلام- فهو جدير بأن يسمى مصلحة.

والمصلحة فيما اصطلح عليه علم الشريعة الإسلامية يمكن أن تعرف بأنها <<المنفعة التي قصدها الشارع الحكيم لعباده، من حفظ دينهم، ونفوسهم، وعقولهم، ونسلهم، وأموالهم، طبق ترتيب معين فيما بينها>>[4]

وغير بعيد عن هذا المنطلق جاء الإصلاح المشروع الإصلاحي للشيخ ابن عليوة والذي دعت له صحيفتا لسان الدين والبلاغ الجزائري، فجاء مرتكزا على القاعدة الأصولية (جلب المصالح ودرء المفاسد) تحقيقا لمقاصد الشريعة الخمسة وهي حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل وحفظ النسل وحفظ المال.مع تقديم مصلحة حفظ الدين على ما سواه، مع الإشارة ومن البداية أن المصلح قد يخطئ في اجتهاده <<نعم قد تخطيء نظريته أحيانا من جهة جلب المصالح لقومه أو درء المفاسد

[1] –(الإصلاح وما الإصلاح)، البلاغ الجزائري ، ع : 297، الجزائر: 22 صفر 1352 - 16 جوان 1933.
وقريب من ذلك ما وصف به من قبل عمر راسم العناصر المتنكرة لأصالتها، بدعوى الإصلاح حين كتب مقالا عام 1912 بجريدة الحق الوهراني بعنوان: نصيحة الأخ، ودعوة الإصلاح جاء فيه: << ما من بلاء نزل من السماء إلا من أولئك الذين شقوا عصى الأمة المحمدية، وما من شقاء طلع من الأرض الرمضاء، إلا من المتبرئين من الشريعة الحنيفة، وما من ألم حل ببلادنا إلا من أولئك الحشرات الذين ملأت بهم الأرض فانسابوا بين أهل الإيمان كأفاعي سجستان، عادوا بلادهم، وخربوا ديارهم، وخانوا ملتهم باسم المدنية والإصلاح، ألا إنهم هم المفسدون ولكن لا يشعرون...>> . محمد ناصر: عمر راسم المصلح الثائر، المرجع السابق. ص 17./ عن الحق الوهراني، ع: 44، (11- 3 –1912).

[2] – سورة البقرة، الآية: 11

[3] – ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، الدار المتحدة، مكتبة رحاب، مؤسسة الرسالة، دمشق، الجزائر، بيروت: د.ت ص 27.

[4] – المكان نفسه.

عنهم فيرى الصالح ما ليس بصالح وهكذا العكس، غير أن الخطأ مغتفر.>>[1] مادام مخلصا في نواياه يحب لإخوانه ما يحب لنفسه، انطلاقا من الأثر الدال على أن المؤمن لا يكون مؤمنا إلا أن يحب لأخيه ما يحب لنفسه، ما دام الإنسان يحب أن لا يظلم ولا يحقر وأن لا يمسه مكروه، والسعادة في الدنيا والفوز بالنجاة في الآخرة. لذا وصف مصطفى حافظ[2] أستاذه ابن عليوة بأنه <<من المرشدين المتوقدين غيرة على هذا الدين[3] الصحيح وأنه يريد الإصلاح ما استطاع>> وأنه يرى ضرورة الاجتهاد. لكن بأي اجتهاد نادى الشيخ ابن عليوة ؟ هل كان اجتهادا لتبرير الواقع وإضفاء الشرعية على الممارسات الاستعمارية مثلا؟ وهل كان اجتهادا نابعا من منطلق الهزيمة النفسية أمام الحضارة الغربية فكان تغريبا ينسف كل قديم وإن كان عَلَمًا على هوية المجتمع ورمزا من رموزه؟ خاصة وأن ابن عليوة قد اشتهر بعدم التعرض للمستعمر بأي شكل من أشكال النقد وكأنه من الثوابت التي لا يجوز لكل من قصد جلب المصالح للأمة ودرء المفاسد عنها المساس بها. وهو موقف جعله في موضع شبهة، فاختلف الناس في شأنه بين مفرط في مدحه ومفرط في ذمه؟ واشتباه أمره على الأمة يعرقل حتما مشاريعه، فالأمة لن تسلم زمام أمرها إلا لمن ثبت لديها صدق نواياه ونبل مقصده. وبهدف دفع التهم عن الشيخ والدفاع عن توجهات الطريقة العلاوية وخياراتها أصدر ابن عليوة صحيفة لسان الدين التي شخصت داء الأمة ووصفت العلاج، وطرحت على الأمة مشروعها الإصلاحي، ونافح عنه الأتباع بجمع كتاب (الشهائد والفتوى)، ثم أصدرت الطريقة صحيفة البلاغ الجزائري، لدعم مشروعها الإصلاحي فما هي الظروف التي ظهر فيها المشروع الإصلاحي العلاوي؟ وما هي الخطوط العريضة لبرنامجها الإصلاحي؟

---

[1] - البلاغ: (واجبات الزعماء)، البلاغ الجزائري، ع:23، مستغانم: 3ذي الحجة 1345 – 3 جوان 1927. / أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 198.

[2] - الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 137.

[3] - يصفه بلقاسم بن كابو المدرس بوهران بأنه : <<من أشد أفراد أهل زمانه غيرة على الدين، وإتباعا لسنة سيد المرسلين>> المصدر نفسه. ص 36.

ثالثا: ظروف بروز المشروع الإصلاحي العلاوي

في عام 1920 نشر ابن عليوة ديوانه وأعلن فيه للملإ عن ظهور المرشد الحي المجدد لـــدين الأمة وإيمانها على رأس القرن بقوله :

فأنا الساقي المجدد *** حامي الحمى والوفود

وبعد أن أعلن أنه مجدد الطريقة الدرقاوية بعد مؤسسها بقوله:

صرح يا راوي باسم العلاوي بعد الدرقاوي خلفه الله

لم يعد يكتف بأن يكون مجددا في الطريقة الدرقاوية وإنما أعلن أن الله أقامه مقام إرشاد الأمة حتى صار الساقي الوحيد في عصره بقوله:

ولمـــا جاد الوهاب عني بنشرها *** أهلني للتجـــــريد من حيث لا أدري
وقلدني سيف العزم والصـــدق *** والتقى ومنحني خمرا فيـــا له من خمـــر
فصرت لها ساق وكنت عاصرها *** وهل لها من ساق سواي في ذا العصر؟[1]

ولما أعلن دعوته تلك هب لنصرته من آمن به، وتصدى له من كذبها، ومن ذلك نشر الشيخ عبد الحميد بن باديس عام 1922 لرسالة (جواب سؤال عن سوء مقال)[2] ينتقد فيها أبياتا في ديوان ابن عليوة. ووجه الرسالة إلى كبار علماء تونس والجزائر والمغرب، فقرضوها وأيدوا ما جاء فيها فجاءت تلك الردود صدمة عنيفة شككت حتى في عقيدة الشيخ. وزاد في حدة أزمة العلاوية ما نشرته صحيفة النجاح من أن أهالي البرج يحذرون أهالي قسنطينة من استقبال الشيخ ابن عليوة حتى لا يحل بأهلها ما حل بهم، مع اتصال بعض المرابطين ببلاد القبائل بالسلطات الاستعمارية طالبين منها عدم الترخيص له بالسياحة في أوطانهم ففعلت،[3] وزادت على ذلك فلم ترخص لأتباع الشيخ ابن عليوة بفتح زاوية بمدينة الجزائر رغم المساعي الحثيثة التي بذلها رجال الطريقة خلال عام 1922.[4]

---

[1] – أحمد بن مصطفى: الديوان، ط5، المصدر السابق. ص 55.

[2] – كان نص السؤال هو: <<ما قول سادتنا العلماء....في رجل يزعم أنه قطب الزمان الفرد، وأن الكل دونه، وأنه العارف المسلك...ثم يقول مخاطبا للنبي – صلى الله عليه وسلم– بما نصه:

ان مت بالشوق منكد	ما عذر ينجيك
ان تبق في هجري زائد	للمولى ندعيك
من هو بالملك موحد	ينظر في أمرك
عبس بالقول تساعد	ما نرجوه فيك

ولما قيل له في هذه الأبيات قال: ألسن المحبين أعجمية. فهل يعد خطابه هذا سوء أدب؟ وهل تجوز مخاطبة النبي– صلى الله عليه وسلم– بمثله؟ وهل صدور مثله من شأن العارفين الكاملين؟ وهل يقبل منه ما اعتذر به من عجمة السن المحبين؟ أفيدونا مأجورين ان شاء الله تعالى رب العالمين والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته>> .

أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة، ج1، المصدر السابق. ص 71.

[3] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 126.

[4] – أحمد بن مصطفى العلاوي: أعذب المناهل، المصدر السابق. ص – ص163- 164.

ومحاولة فك الحصار عن شيخ التربية المحاصر وتحسينا لصورته لدى الحكومة الاستعمارية ولدى الرأي العام أصدرت الطريقة صحيفة لسان الدين دون إعلان أنها لسان حال الطريقة العلاوية فكانت بمثابة بالون اختبار أطلق لجس نبض الشارع ولمعرفة ردود فعله عليه. لكنها كانت معروفة عند الإدارة الاستعمارية، وكافية لتوضيح موقف الطريقة العلاوية من المستعمر الذي نجحت في إسماعه صوتها وفي كسبت ثقة إدارته فسمحت له بعد ثلاثة أشهر من إصدارها بفتح ثلاث زوايا بالجزائر العاصمة وبرج بوعريريج وسكيكدة. ومثلما ظهرت اختفت صحيفة لسان الدين فجأة و لم يصدر منها سوى اثني عشر عددا فقط لكن هذه الأعداد كانت كافية لتقدم الطريقة مشروعها الإصلاحي، ليكون بديلا لمطالب الأمير خالد الإصلاحية، لأن المصلح حقيقة في نظرها هو من <<يتوخى النتيجة وان طال الطريق وبعد المزار. كل صيد لا يقتنص إلا بفخه. فهكذا المسلم لا ينقاد إلا بدينه، ولا يصلح إلا بشرعه.(ولكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)[1] ومن أراد إصلاحه بغير ذلك فقد خان الأمانة و(الله لا يحب الخائنين)[2]>>[3]

وبذلك جازف بطرح مشروعه الإصلاحي على الأمة رغم تجاوبها إيجابا مع المطالب الإصلاحية للأمير خالد، ونتائج الانتخابات البلدية لعام 1920 أكبر دليل على ذلك. لكن تلك المطالب الإصلاحية السياسية والاجتماعية بدت للشيخ بعيدة عن مقاصد الشريعة الإسلامية، فأول مقاصد الشريعة وأولاها بالعناية مقصد حفظ الدين. فما لنا وللمطالب الإصلاحية السياسة التي لن نجني من ورائها إلا إقلاق أمن المستعمر مما يجر على المسلمين المزيد من التضييق والبطش؟ بل وما لنا وللروح الوطنية التي تهدد الوحدة الدينية للأمة الإسلامية؟ وتؤكد لسان الدين قناعتها بأن تلك المطالب مستحيلة التحقيق، وأن أي إصلاح لأوضاع المسلمين لن يتأتى ما دام المستعمر ينظر للمسلم بعين الريبة والشك، ومادام المسلم لا يتقبل الواقع الاستعماري ويتعايش معه.

وتكتمل ملامح المشروع الإصلاحي العلاوي على صفحات جريدة البلاغ الجزائري التي تزامن صدورها في ديسمبر من عام 1926 حسب الشيخ أحمد حماني[4] مع حادثة السطو على الشيخ الإمام عبد الحميد بن باديس.

ويمكننا أيضا ربطها بتأسيس جمعية نجم شمال إفريقيا بفرنسا، وبروز الاتجاه الوطني، لكن وللمرة الثانية تصدر الطريقة العلاوية صحيفة وهي (البلاغ الجزائري) دون إعلان أنها لسان حال الطريقة وإنما منبر لمرشدي الأمة.

---

[1] – سورة المائدة، من الآية: 48.

[2] – سورة الأنفال، من الآية: 58.

[3] – (كيف نتوخى الإصلاح)، لسان الدين، ع:1، الجزائر:1جانفي 1923م.

[4] – صراع بين السنة والبدعة، ج1، المصدر السابق. ص 106.

رابعا: كيف شخص الداء؟ وكيف وصف الدواء؟

إن طبيعة المشروع الإصلاحي العلاوي كان محكوما بتشخيص الشيخ لداء الأمة، وبناء عليه جاء تصوره للعلاج والحلول التي يقترحها لإخراج الأمة من محنتها.

ويمكننا التعرف على المشروع الإصلاحي العلاوي من خلال صحيفتي (لسان الدين) و(البلاغ الجزائري)، كما نجد جانبا من موقف ابن عليوة من المدنية الحديثة وتعاليمها في مخطوطة الأجوبة العشرة. واعتمادا على هذه المصادر سنحاول الإجابة على عدة تساؤلات منها: كيف شخص الشيخ داء الأمة الجزائرية؟ ومن حمل تبعة التردي الذي ميز حياة أبنائها وهم تحت سيادة فرنسا التي اعتبرها الشيخ من أعرق الدول في التقدم والإصلاح؟ ثم كيف تعامل الشيخ مع الواقع الاستعماري وهو الذي قدم نفسه مجددا لدين الأمة منافحا عن الإسلام؟ فكيف سيصلح حال المسلمين دون أن يصطدم بالاستعمار؟

شخصت صحيفة لسان الدين داء الأمة في انحرافها عن دينها، وبسبب ذلك فقـــدت آداب الـــدنيا والآخرة؛ ثم تساءلت عمّن المتسبب في انحرافها عنه؟ أهو عدم اعتناء الأمة بالأحكام الشـــرعية؟ أم عدم اعتنائها بالعلوم العصرية؟ وكل ذلك وارد. وناشدت الصحيفة الكتاب ذوي الفكـــر الـــنير أن يفيدوها بآرائهم السديدة عن من يرونه المسؤول عن انحرافها لتناقشه الأمـــة الحســـاب ويتحمـــل مسؤوليتها ؟ -ولتستعين برأيهم في تأييد هذا المشروع، فالمؤمن ضعيف بنفسه قوي بأخيـــه- أهـــم علماء المدرسون؟ أم المشائخ المرشدون؟ أم الأغنياء المكثرون؟ أم الأمراء المستبدون؟ ولهم أن يحملـــوا المسؤولية لمن يرونه مسؤولا.[1]

وبدا الشيخ في أحدى مقالاته وكأنه يحمل الاستعمار المسؤولية بدليل أن<<حالة مســـلمي الجزائـــر الدينية اليوم ليست هي عين حالتهم بالأمس ... بل لا يوجد فيما بين الحالتين أدنى شبه. إذا قابلنا ما بين مساجدنا الآن، وبين عددهم [كذا] بالأمس<<[2]فعدد مساجد مدينة الجزائر وحدها كان يزيـــد على المائة مسجد ما بين حنفي ومالكي فضلا عن المدارس والزوايا وعدد مساجدها الآن لا يتجاوز عدد الخمسة.[3]بل إن الاستعمار الذي طال مكثه في بلادنا لم يصلح حال أبناء الجزائر، ولم يثمـــر إلا سجونا مملوءة بالسفهاء وطرقات عامرة بالعاطلين من أبنائنا، وضاعت أجيالا من أبنائنـــا، لكـــن لا لتقصير من فرنسا وإنما لأنها جهلت كيف يصلح حال المسلم، حين أتت البيت من غير بابه >> فكم هذا والقطر الجزائري متسربلا بالراية الفرنسوية متجملا برونقها والكل يعترف من أنها دولـــة مـــن أسرع الدول سيرا في سبيل الإصلاح ومع هذا لم نستفد من ذلك الإصلاح إلا ما نراه كاللازم مـــن

[1]– المكان نفسه.

[2]- (مسلمو الجزائر وحالتهم الدينية)، لسان الدين، ع: 8، الجزائر: 20 فيفري 1923.

[3] – المكان نفسه.

عمارة السجون بسفهائنا والطرقات بأبنائنا الفارغين من أعمال الدنيا والآخرة. ومع هـــذا فلســـت بقائل أن الحكومة تعمدت ترك الإصلاح، كلا! إنما أقول جهلت الطريق الموصلة إليه فأتت البيـــت من غير بابه<<[4] فالحكومة ليست المسؤولة عن الانحراف، كما أنه لن يتم أي إصلاح إلا بها، سواء في دعوته لتشكيل حزب ديني، أو جمعية الحسبة.أو نشر الإسلام وتعاليمه في أوربا.

لكنه في مقال آخر نفى عن فرنسا أية مسؤولية تخص المساس بعقيدة المسلم ودينه في الجزائر، ودافع عنها الشيخ بقوة أمام المسلم الذي بصمته وغفلته وتساهله في صد كل ما فيه مساس بدينه وعقيدته يوهم بأن>> أولي الأمر لا يسمحون بإظهار شعائر الإسلام<<[1]ونزه الحكومة عن ذلك مؤكدا بأنها الأعرق في تقرير حرية الأديان على اختلافها[2] وطمأن المسلم بأن له حرية إقامة دينه وتأييده وإظهار شعائره، وكأنه ناطق رسمي باسمها، ولم يستبعد أن تكون أكبر معين للمسلمين ويكفيهم احترامها لدينهم. بل تحداهم إن كانت عارضت إنشاءهم لمدرسة أو جمعية بقوله:>> فمتى اجتمع المسلمون على نحو تأسيس مدرسة علمية، أو جماعة دينية فعارضتهم الحكومة في ذلك فما سمعنا به. ولن نسمع به إن شاء الله هل يريد المسلمون أن تأمرهم بنحو ذلك رسميا. كلا! لأن ذلك ليس هو من وظيفتها، فهي لا تأمر أبناء جنسها بمثله، كما أنها لا تنهاهم أيضا عن تعاطيه. فكيف تريد أنت أيها المسلم أن تجعل لك درسا تأمرك فيه بتأسيس دينك...ألم يكفك أنها حملت على عاتقها احترام دينك وعوائدك؟ <<[3]

لقد أكد الشيخ ابن عليوة في المقال الافتتاحي للعدد الأول من جريدة لسان الدين أن وضع الجزائر مأساوي ولا مثيل له في العالم الإسلامي الذي تعددت نكباته. لكنه غير يائس من إصلاحه لأنه يعتقد بأنه يوجد في الأمة >> بقية صالحة لأن تتعلق بها الحياة، لأن في الإنسانية جزء لا يعمل فيه الفناء يعبرون عنه بعجب [عجز] الذنب (والموتى يبعثهم الله)<<[4]وعليها ينبغي التركيز.

فمن هي هذه البقية الصالحة؟ أهم أتباعه؟ أم الفئات الحية والمتنفذة في المجتمع والتي يأمل تجنيدها أو على الأقل تعاونها معه لتجسيد مشروعه الإصلاحي؟

في العدد الأخير من لسان الدين الأولى ،وبعد تقديم سلسلة مقالات عن الحالة الدينية لأبناء الجزائـــر ومقالين عن الإصلاح وكيف نتوخاه؟ قدم الشيخ ابن عليوة تصوره لكيفية إصلاح أوضاع الأمـــة الجزائرية فكان يرى المخرج فيما يعبر عنه بتجديد الجماعة الذي اقترح له عدة أشكال منها: الدعوة لتأسيس حزب ديني على صفحات جريدة لسان الدين، ثم الدعوة لتكوين جمعية الحسبة الإســـلامية

---

[4] – (كيف نتوخى الإصلاح؟)، لسان الدين، ع: 2، الجزائر: 9 جانفي 1923.

[1]– ح. ع: (مسلمو الجزائر وحالتهم الدينية)، لسان الدين، ع:5، الجزائر: 30 جانفي 1923.

[2]– المكان نفسه.

[3] – المكان نفسه.

[4]–(كيف نتوخى الإصلاح؟)، لسان الدين، ع: 1، الجزائر: 1 جانفي 1923.

للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بواسطة فرنسا وخدمة للأمة وصونا لدينها، وأخيرا مشروع الجمعية العلمية التي وضع قانونها الداخلي دون تجسيدها على أرض الواقع. وسنتعرف على هذه المشاريع لا حقا. ولكنه وفي كل مشاريعه الإصلاحية يعتمد على فرنسا كل الاعتماد.

المبحث الثاني: دعائم المشروع الإصلاحي العلاوي

أولا: مداهنة* الاستعمار والاعتماد على فرنسا

إننا ندرك جميعا كم كان الظرف صعبا ومريرا، وكيف كان الاستعمار وقبضته الحديدية على أهالي الجزائر، وقد بلغ إحساس الشيخ بها حدا جعله لا يتصور تحقيق أي شكل من أشكال الإصلاح لأوضاع المسلمين ولا بثا لدعوة الإسلام في الخارج دون الاعتماد على فرنسا. على أنها لم تكن مجرد أداة لتحقيق مشروعه الإصلاحي التجديدي، بل دعامة أساسية من دعائم مشروعه ومن أسمى أهدافه وغاياته كسب ثقتها ورضاها ليكسب دعمها ويتقي بأسها وينعم بمدنيتها وسلطانها، على أنه يرى بأنها وإن كانت هي الدولة المتغلبة المهيمنة القوية ونحن الضعفاء التابعون لها، فإنه لا غنى لها عن سواعدنا ودمانا وروحانيات الشرق؟.

فما هي الحسابات التي كان عليه أخذها بعين الاعتبار وهو يحدد موقع فرنسا الاستراتيجي من مشروعه الإصلاحي التجديدي؟ لا أريد أن أبرر موقف الشيخ ابن عليوة خشية أن أكون ممن يكون خطابه عزَّ وجلَّ يوم القيامة (ها أنتم هؤلاء جادلتم عنهم في الحياة الدنيا فمن يجادل الله عنهم يوم القيامة، أم من يكون عليهم وكيلا)[1] وإنما أحاول معرفة مبررات موقفه من خلال الوقوف على مبادئه وعقيدته التي يؤمن بها وطبيعة الظرف الذي حكم مواقفه وطبيعة علاقاته.

إن ابن عليوة كان أشعري العقيدة، والعقيدة الأشعرية طالما سمحت للفقهاء تسويغ الخضوع للإمام الجائر، انطلاقا من مبدإ (من اشتدت وطأته وجبت طاعته)، والمستعمر قد اشتدت وطأته وابن عليوة يدرك جيدا أنه لن يخطو أية خطوة دون مباركتها، فلن يفتح زاوية ولا كُتّابا، ولن يقوم بسياحة لبث دعوته، ولن يعقد جمعا لأبناء طائفته، ولن يصدر صحيفة ولن يوزع كتابا من كتبه أو رسالة من رسائله ما لم تأذن له، ولن يأتيه المريدون ولن يتلقى زياراتهم إن لم تأذن لهم، فليس للمسلم في الجزائر الحق في أي حركة إلا بإذن منها، وإنه لن يأمر بمعروف، ولن ينهى عن منكر إلا تحت سيادتها. كما أن ابن عليوة رجل صوفي، والصوفي ابن وقته ووقت الشيخ كان وقت قهر وأدبه

* المداهنة: دفع الباطل وإثبات الحق بالباطل المشبه للحق. والمداراة، دفع الباطل بوجه مباح، وكذا إثبات الحق، وسواء كان لك أو لغيرك. وقد صح أن المداراة صدقة. أحمد زروق، المصدر السابق. ص 135.

[1] - سورة النساء، الآية: 109.

الرضى تحت مجاري الأقدار ومن أحل بأدب وقته مقته.** وهناك حقيقة موضوعية أخرى تمثلت في إيمان الشيخ ابن عليوة بأن مستقبل الإسلام في أوربا، وأن لا إصلاح لأوضاع المسلمين إلا بتبني دولة أوربية للإسلام، تؤمن به وتعمل على نصرته، وتنقذ أبناء الأمة الإسلامية الذين عليهم أن يكونوا لها أعوانا ولمواطنيها إخوانا وأوجب على المسلم ذلك حتى قبل أن تصبح الدولة الأوربية كذلك ففي رسالة وجهها لعبد الكريم جوصو ذكر الشيخ ابن عليوة[1] أنه <<بعدما جالت الفكرة في طريق الإصلاح، فظهر لي أن ذلك كالمتعذر إلا باعتناق إحدى الدول الأوربوية الإسلام فتقلده على بكرها وتعمل على نصرته، فتكون هي برفع الغشاوة عن الأبصار أحرى، وباستنقاذ أبناء الإسلام أدرى، ويجدر بهم أن يكونوا لها أعوانا ومع أفرادها إخوانا>> وهو لا يرى أجدر من فرنسا لتبنى مشروعه الإصلاحي التجديدي فهو علق آماله عليها بما يعرفه من أن الحكومة << الفرنسوية سدد الله رأيها أوسع الدول صدرا فيما يتعلق بالأديان...أما عقيدة الإسلام فهي تجلها بالخصوص فيما يظهر لشمولها السواد الأعظم من رعاياها المخلصين الذين صارت تدعى بسببهم دولة إسلامية بين دول أوربا، وهذا من الوجه السياسي المتحتم مراعاته. أما من جهة الأبحاث العلمية فانا نرى خاصة أفرادها تنجذب بالسجية إلى المقول بالعقائد الإسلامية...ليعلم قراؤنا الكرام أن الإسلام لم يهدأ من سيره الطبيعي بين العقلاء إلى أن يعم البسيطة >>[2] فهو إذا يتعامل مع فرنسا معنية مباشرة بمعرفة تعاليم الإسلام، ففرنسا التي يقدر تعداد سكانها نحو تسعين مليون نسمة ما يزيد على النصف منهم يدين بالإسلام خاضعا لتعاليمه.* وهم جزء لا يتجزأ منها، لا تستطيع الاستغناء عنهم وجدير بها أن تضع ثقتها فيهم كما تثق بغيرهم من أبنائها المخلصين. والضرورة تحتم ذلك وإلا لعاش الجميع على غير اطمئنان فهو يقول: أن <<جمهورية فرانسا يتألف جسمها من عناصر يبلغ مجموع عددهم إلى نحو التسعين مليونا. ومن بين هذا العدد المعول عليه نجد ما يزيد على النصف منه يدين بالإسلام خاضعا لتعاليمه. ومهما اعتبرنا هذا العدد ضروري الوجود فيما تتركب ماهية الجمهورية الافرنسية

** يقول ابن عجيبة <<الصوفي ابن وقته يريدون أنه مشتغل بما هو أولى به في الوقت لا يدبر في المستقبل ولا في الماضي، بل يهمه ما هو فيه، وكل وقت له آداب تطلب فيه، فمن أخل بأدبه مقته ولذلك قيل: (الوقت كالسيف، فمن لاينه سلم ومن خاشنه قصم) وملاينته القيام بأدبه، فوقت القهرية آدابه الرضى والتسليم تحت مجاري الأقدار ووقت النعمة آدابه الشكر، ووقت الطاعة آدابه شهود المنة من الله ووقت المعصية آدابه التوبة والإنابة >> / ابن محمد بن عجيبة الحسني: معراج التشوف إلى حقائق التصوف، صححه و علق عليه: محمد بن أحمد بني الهاشمي بن عبد الرحمان الحسني التلمساني، ط1، مطبعة الاعتدال، دمشق: 1355- 1937ص – ص 21- 22.

[1] – أعذب المناهل، المصدر السابق. ص– ص 166-167.

[2]– (تنبيه يعتبر)، لسان الدين، ع: 1، الجزائر: 2 جانفي 1923.

* – عند انعقاد المؤتمر الثاني لمبشري البروتستانت في العالم في مؤتمر لكنو بالهند في جانفي 1911 قال رئيس المؤتمر القسيس زويمر: أن متوسط عدد المسلمين في العالم 200 مليون نسمة من المسلمين، والذين هم تحت سلطة انكلترا أكثر من الذين تحت سلطة أية دولة غيرها، فمسلمي مستعمراتها يبلغ عددهم 95 مليون أي أكثر بخمسة ملايين من النصارى الذين يحكمهم الانكليز/ أنظر أ.ل. شاتليه: الغارة على العالم الإسلامي، المصدر السابق. ص 54.

واعتبرناه كما تعتبره هي بهاته الصفة من كونه جزءا لا يتجزأ كان حقيقا بأن تضع فيه ثقتها بالقدر الذي تضعه في غيره من بقية أبنائها المخلصين والضرورة تلزمها وإلا لعاش الجميع على غير اطمئنان لأن تبادل الثقة بين المتعاشرين ضروري الوجود فيما بين العنصرين على الوجه الأكمل[1].

ولكسب فرنسا إلى جانب الأمة الإسلامية على الأمة الجزائرية أن تنفي ما ألصق بها من قبل المغرضين مما << يشين ويهين من كونها أمة غدر وأمة الخيانة والمكر وأنه لا يصلح بها إلا القهر، ولا يفيدها إلا الزجر>>[2]فتبرهن لحكومتها العكس عسى أن تتخلى تلك الحكومة عن سياسة التصعيد في الأحكام الزجرية وعن سياسة القمع والإذلال والتجاهل لمصالح رعاياها ولسان حالها يقول (هل من مزيد)[3]وعندما تلمس إخلاصهم لها وتفانيهم في خدمتها تطمئن على مستقبلها بينهم، تعاملهم بالمثل، (فهل جزاء الإحسان إلا الإحسان)؟ أو من قبيل (ادفع بالتي هي أحسن فإذا الذي بينك وبينه عداوة كأنه ولي حميم) عساه يرد بأس الاستعمار عن أمته.لكن الهلال الخصيب الذي سقط بيد الاستعمار الأوربي ومنذ سنوات قليلة هل كان بسبب مناصبة العرب لفرنسا وبريطانيا العداء؟ وهل شفع لهم تحالفهم معهما ضد دولة الخلافة؟ وهل حفظتا العهود وجازتهم بما هو من قبيل جزاء سينمار. إنه طرح يفنده التاريخ وأقل ما يجره على صاحبه خاصة وعلى الطرقيين عامة هو تهمة << اصطياد الجاه وحب الظهور والاختلاط بأهل الجاه وإيثارهم والتزلف إليهم>>[4]وموالاة الكفار، وهي تهمة خطيرة، نفاها بأنه ما فعل ذلك إلا لهدف جوهري يتمثل في حفظ الدين من التلاشي والاضمحلال، في وقت أصبح علماء الدين وقادة المسلمين على اختلاف طبقاتهم لا يهتمون إلا بخدمة مصالحهم الخاصة، ويعملون فرادى لحفظها ولإرضاء <<أرباب الخصوص والمناصب، ولو بسخط الله عزَّ وجلَّ؟>>[5]غير أن الشيخ ابن عليوة لا ينتقد السعي لطلب رضا الإدارة الاستعمارية وإنما ينتقد أسلوبها **فيأبى أن يطلب رضاها بالمداهنة في الدين**، وحتى لو افترض أنها لن تتأتى إلا بالمداهنة فيه<<فهيهات أن تدرك غايتها والتزيل يقول: (ولن ترضى عنك اليهود ولا النصارى حتى تتبع ملتهم)[6]وإذن فلا يسوغ للمتدين بحال أن يسمح بتضحية دينه، وإهانة ناموسه لتلك الغاية الموهومة>>[7]

---

[1] – البلاغ الجزائري، ع: 4 ، مستغانم: 14 جانفي1927.

[2] – محمد العوادي: إرشاد النبيل لمقالات الأستاذ الجليل، المصدر السابق. ص 233.

[3] – المكان نفسه.

[4] – سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام نادي الترقي بالجزائر، دار الكتب الجزائر، (المؤتمر السنوي الخامس) 1354 هـ د.ت، ص:28.

[5] - (مسلمو الجزائر وحالتهم الدينية)، لسان الدين، ع: 8، الجزائر: 20 فيفري 1923.

[6] - سورة البقرة، الآية:120.

[7] - (مسلمو الجزائر وحالتهم الدينية)، المصدر السابق.

فمداهنة الشيخ للاستعمار الفرنسي كانت مداهنة له في السياسة لا في الدين. كما أن الشيخ على ما يبدو لم يكن يخاطب فرنسا الاستعمارية الصليبية، وإنما فرنسا الاستعمارية الإنسانية والإسلامية**!!** ؟؟ وقد بنى الشيخ اجتهاده على دعاية وفرضية فرنسا الإسلامية، التي روج لها خاصة العسكريون الفرنسيين و استند على قاعدة (جلب للمصالح ودرء للمفاسد). فهل كانت تلك مصلحة حقيقية أم مصلحة موهومة؟

وقد كان الشيخ يدرك جيدا أن موقفه هذا سيجعله محل شبهة وأنه سيساء به الظن، بل إن احتمال أنه خيار خاطئ كان واردا، فهو يقول: إن المصلح قد يخطئ في تحديد الصالح ولكنه خطأ يغتفر مادام ليس على حساب الأوامر الدينية والقوانين السماوية.[1]فقد كانت لديه قناعة تامة بأن ذلك هو الأسلوب الوحيد المتاح والكفيل بالحصول على الحقوق لأمته، فهو يقول بأن << كل مصلح صادق في دعوته محب لقومه وبني جلدته إلا وهو يروم النصح لها استطاعته، الأمر الذي يبرأ [كذا] ذمته بين يدي الله عز وجل، ولا عليه أن تساء الظنون به، ولا تتحقق له هاته الصفة الجليلة إلا بانطباق نص الحديث عليه وهو قوله صلى الله عليه وسلم: <<لا يكون المؤمن مؤمنا حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه >>[2]والمؤمن يحب أن لا يظلم ولا يحتقر ولا يمسه أي مكروه كان ويحب لنفسه سعادة الدارين، السلامة في الدنيا والنجاة في الآخرة وهذا ما يسعى لأجله لأخيه قدر الإمكان، وقد تخطئ نظرية المصلح أحيانا من جهة جلب المصالح لقومه أو درء المفاسد عنهم فيرى الصالح ما ليس بصالح وهكذا العكس، غير أن الخطأ مغتفر.[3]

لكن لماذا لا يعتمد على أولي الأمر من المسلمين بدل أن يضع نفسه في موضع الشبهة هذا؟ يبدو أن الشيخ منذ زيارته لدار الخلافة يئس من دعم ملوك وأمرائهم، بل يراهم هم الذين أشبعوا الأمة ضررا وأتبعوها خسارة وأن ببعضهم صار يفعل ما لا يتفق مع المروءة فضلا عن أن يتفق مع الدين.ويتساءل ابن عليوة فممن ترجى الإعانة إذا؟ <<أمن هؤلاء السكارى بنشوة التقدم والمستهترين في دعوة التجديد؟ أم علماء العصر الذين حملت طبقة منهم على عاتقها أن ترقص على كل نغمة أجنبية وتحسنها في نظر العموم؟ أم من دعاة المتصوفة الذين تجد أكثرهم يسير إلى الوراء أكثر من سيره إلى الأمام الذين هم مدبرون كل الإدبار عما تطلبهم به وظيفتهم ويحتمه عليهم المقام؟ أم من الشبيبة المتغذية بلبان الأجانب التي هي تعمل على خراب مجدها أكثر من عملها على حفظه؟...[حتى] كادت تسلب ما بأيدينا من ضئيل الأمل.>>[4]ويذهب ابن عليوة إلى أنه لم يحل

---

[1] – (واجبات الزعماء)، البلاغ الجزائري، ع:23، الجزائر: 3 ذي الحجة 1345،3 جوان1927.

[2] – المكان نفسه .

[3] – المكان نفسه.

[4]– البلاغ: (ماذا عسى يعمل العامل)، البلاغ الجزائري، ع: 65، مستغانم: 1322 شوال 1346، أفريل 1928./ أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص- ص 246-247.

دون يأسه إلا علمه أنه (لا ييأس من روح الله إلا القوم الكافرون)[1] وأن البلاء قد مس من كانوا مع خاتم الأنبياء والمرسلين (حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه متى نصر الله)[2] ويختم مقاله متضرعا لله بقوله: >>اللهم نسألك أن تحفظ علينا ديننا الذي هو عصمة أمرنا، فإذا أجبتنا وأنت بالإجابة جدير، فاشهد علينا أن لا نسألك ما وراء ذلك<<[3] وهو بذلك يعاهد الله القدير على كل شيء، أن يحقق له رجاء واحدا، وهو أن يحفظ دين الأمة وقد تكفل المولى عز وعلا بحفظه بما صح من محكم التنزيل. ومع ذلك نذر أن لا يسأل الله الذي لا تعييه مسائل العباد كلهم ولا تنقص من ملكه شيء ولو أعطى كل سائل مسألته. فبدا بهذا الطرح وكأنه برأ لدينه وبرأ ذمته فلا ملجأ له إلا لفرنسا، فكان كالمستجير بالرمضاء على العطش.

كان ابن عليوة يرى أنه من الخطإ أن نقتدي بالمصريين أو التونسيين فنعطي الأولوية لتشكيل الأحزاب السياسية والمشاريع الخيرية، فهؤلاء إن أعطوا الأولية لهذه الجوانب فلأن لهم من يمثل حياتهم الدينية، كما أن المشاريع الدينية عندهم يد الحكومة تشدها والأحباس تمدها.

والجزائر تفتقر إلى كل ذلك والواجب على ساستها ورؤسائها أن يعطوا الأولوية لرعاية مصالحها الدينية فالدين وحده الكفيل بانعاش الوطن وإيقاظه. ويؤكد على قناعته بأن الجزائريين لو استندوا على حكومتهم البهية، واعتمدوا عليها في مصالحهم الدينية، لكانت لهم أحسن مؤازر وهي المعروفة عنده بأنها من أسمح الدول في تقرير حرية الأديان.[4] وتجسيدا لقناعاته تلك بادر لاقتراح تشكيل حزب ديني للأمة الجزائرية[5] حدد برنامجه في النقاط الآتية:

1- المناضلة عن الدين.

2 - المحافظة على المروءة وأخلاق المسلمين.

3- الاعتماد على الحكومة الفرنسية في تحقيق الإصلاح المنشود[6].

ولعله أراد من الحكومة بالضبط الترخيص له بفتح زوايا حيثما أصبح له أتباعا وتسهيل تحركاتهم، وقد حققت له ذلك حين رخصت لفتح ثلاث زوايا للطريقة دفعة واحدة. لكن يبدو أنه لا الحكومة حبذت المبادرة ولا وجد المشروع استجابة من أبناء الأمة، فلم تزد خلاياه ومناطق نفوذه عن زوايا الطريقة وأتباعها. وظلت قناعة أتباعه الراسخة أن ذلك لن يكون إلا إذا سلمت الأمة

---

[1]- سورة يوسف، من الآية: 87.

[2]- سورة البقرة، من الآية: 213.

[3]- البلاغ: (ماذا عسى يعمل العامل)، البلاغ الجزائري، ع: 65، مستغانم: 1322 شوال 1346، أفريل 1928./ أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص- ص 246-247.

[4]- المصدر نفسه.

[5]-(مسلمو الجزائر وحالتهما الدينية-5-)، لسان الدين، ع: 12، الجزائر: 3 شعبان 1341- 20 مارس 1923.

[6]- المصدر نفسه.

زمامها وفوضت أمرها لمرشد ينهض بحالها، ويعيدها لدينها الذي كاد يضيع من بـــين يـــديها ودون شك فهو الجدير برئاسة الحزب الديني.[1]

ثم تطلع الشيخ ابن عليوة لهيبة فرنسا والعمل تحت مظلتها دعمها للقيام بوظيفة من أخطـــر الوظائف في الدولة وهي وظيفة الحسبة. حيث اقترحت صحيفة البلاغ الجزائـــري خـــلال عـــامي (1928-1929) إنشاء جمعية الحسبة الإسلامية للأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،[2]لصيانة الأخلاق ومحاربة المنكرات، وناشدت نواب الأمة أن يقنعوا الحكومة باعتمادها فلاشيء يحول دون اعتمادهـــا ما دامت الحكومة تعتقد المنكر منكرا وتحرص على حفظ كرامة رعاياها. على أن تمارس وظيفتـــها بالرفق والحسنى مع المنحرفين. ولما كان الأمر والنهي من اختصاصات الحكومة ووظائفهـــا، فـــإن صحيفة البلاغ الجزائري والشيخ ابن عليوة لم يروه إلا عن طريقها وبواسطة جمعية معتمدة من قبلها، فإن نالت تلك الجمعية ثقة الحكومة ودعمها فإنها لا محالة ستكسب من الحكومة مهابتها وســـلطانها وعندها يمكنها أن تنفذ برنامجها لصيانة الأخلاق بواسطة رجال الحكومة ونواب الأمة.[3]مركزا بذلك على الجبهة الداخلية، لكن قبيل وفاته يقول تلميذه عدة بن تونس بأن الشيخ ابـــن عليـــوة وضـــع مشروعا لتأسيس جمعية تسمى (الجمعية العلمية)، أرادها لبث <<العلم والتعلـــيم لأبنـــاء الـــوطن بإخراجهم من سجن الجهالة والاختلاف إلى فضاء العلم وتسعى كل السعي في تحســـين العلائـــق والروابط الودية بالوسائل التهذيبية الموافقة للشريعة الإسلامية مع مراعاة القوانين الدولية>>[4]
وهو مسعى يخرجه من نطاق العمل الإسلامي، إلى نطاق العمل الإنساني، وكان الطرح سيكون رائعا لو حقق أهدافه المحلية والوطنية. لكن (الرقصات في الرأس كثيرة والرجلين ما قدروها) لعل الشيخ ابن عليوة لم ييأس من فرنسا التي لم تتجاوب إيجابيا لا مع فكرة حزبه الديني ولا مع جمعية الحسبة، فظل يبحث عن مفتاح يمكنه من كسب ثقة فرنسا، فاقترح هذه الجمعية ذات الطابع الاجتماعي معتقدا أنها ستبارك هذا المشروع ذا الطابع الإنساني، وهدفها<<بث الراحة في الفكر والشعور مع غاية الجد والاجتهاد فيما يناسب ابناء الوطن من التعليم والتهذيب والترقية في انواع الصناعة حتى يكون في الوطن ما يذكر به من ميزة من مظاهر الحياة الإسلامية>>[5]
والجمعية تقبل في صفوفها كل أبناء الوطن ولا تشترط في المنخرط إلا حسن السيرة ومساعدة الجمعية على مبادئها وتوسيع نطاقها. وبالتالي فهي تقبل من قد يقبل عليها من المتعاطفين الأوربيين، وأول عمل تبتدئ به الجمعية هو تأسيس مجلة شهرية مزدوجة اللغة، تغطي أعمالها وتحرض الناس

---

[1] – رايس محمد: (تذكير لمن اعتبر)، لسان الدين، ع: 10، الجزائر: 06 مارس 1923.
[2] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: إرشاد النبيل إلى مقالات الأستاذ الجليل، المصدر السابق. ص – ص 217-218.
[3] – المصدر نفسه. ص – ص 166- 167.
[4] – عدة بن تونس: الروضة السنية في المآثر العلوية، المصدر السابق. ص 117.
[5] – المصدر نفسه. ص 118.

على دعمها وتحثهم على ما ينتعش به الوطن ويزيد في حياته بالتفنن في أنواع الزراعة والصناعة، وذم الجهل ومدح العلم ومكارم الأخلاق وحسن المعاملة والمعاشرة فيما بين الأفراد والجماعات.[1]

فأين البعد الديني الإسلامي؟ وأين المحافظة على تعاليم الإسلامية والهوية الإسلامية؟ أم أن الشيخ عدة بن تونس أراد أن ينسب إلى شيخه فكرة تأسيس جمعية أحباب الإسلام[*]؟

لا يرى العلاويون أن مقاومة الاستعمار جهادا في سبيل الله، فقد سادت بين أتباع الطريقة الدرقاوية رواية مفادها أن الدرقاوة هم سبب تخلي الأمير عن مقاومته للاستعمار الفرنسي، حيث رفضوا الانضمام له فطاردهم وقتَّل بعضهم، لكن استوقفه ثباتهم على المبدإ، مما جعله يراجع نفسه ويستخير ربه ليعرف أيهما على الحق خاصة وأن كلاهما يدعي بعمله التقرب لله هو بجهاده وهم برفضه. فأُلقي إليه أنهم على حق فتاب وتخلى عن فكرة الجهاد وليكفر عن ذنبه سار على نهج الدرقاوة الذين كان أعمل فيهم السيف فكف عن مقاومة الاستعمار بل وأكثر من ذلك أنقذ الحامية الفرنسية أثناء أحداث دمشق تكفيرا عن ذنب!![2]

وما نشرته إحدى الصحف الفرنسية لا يدع أي مجال للشك، بأن الشيخ كان يرى أن الاستعمار توسيعا للعمران مثلما كانت الفتوحات الإسلامية كذلك، وأن الاستعمار غير وجه الجزائر من أراض جدبه ومستنقعات وخيمة، وأوبئة وأمراض متفشية فيها [3]وحروب أهلية كانت تنشب لأتفه الأسباب مع استحكام الفوضى واستبداد الأقوياء وإرهاق الضعفاء. إلى الجزائر الحالية .بمدنها الفسيحة وسككها الحديدية المنتشرة وطرقها المعبدة وموانيها الكبيرة، وتلغرافاتها الكثيرة، وسياراتها العديدة، وحقولها الواسعة ومزارعها وبساتينها المخضرة، ومكاتبها الوافرة، ومستشفياتها المتعددة. و لم يقترح لتمتين عرى المحبة بين فرنسا والجزائر إقامة هيكل يستدعى الناس لتشييده في ساحة الولاية العامة، يمثل فرنسا مثلا تبتسم في وجه معمر وفلاح أهلي رمزا للإخاء والمساواة

---

[1] – المكان نفسه.

[*] جمعية أحباب الإسلام: أنشأها الشيخ عدة بن تونس ومقاصدها: التبشير بالدين الإسلام وبث تعاليمه بين المسلمين وغيرهم من مختلف الأديان والأجناس، وإعطاء صورة صحيحة عن الإسلام وتاريخه المجيد بعد أن شوهه كتاب مغرضون، و لم شعث الأوربيون الذين اعتنقوا الإسلام على يد الطائفة العلاوية ومدها بأنواع الإرشاد والتوجيه الديني، وتطورت هذه الجمعية وصارت لها هياكلها وندواتها وإصداراتها لتقوم بعملها الدعوي في الخارج وفي الجزائر أيضا. عدة بن تونس: تنبيه القراء إلى كفاح مجلة المرشد الغراء، ج1، المرجع السابق. ص- ص 147-149.

[2] – Léon Langelet. Ainsi m'a parle le vénérable Cheikh sidi hadj Adda Bentounes, cahiers des amis de l'islam, n° 2 p p 86-88

[3] – وصفه للجزائر بهذا الشكل يدل على إطلاعه على كتاب المرآة لحمدان بن عثمان خوجة وهو يخوف الفرنسيين من وخم سهل متيجة ليصرف أنظارهم عنه بقوله أنه: <<رقعة منقعية وغير صحيحة...بالإضافة إلى كونه موطنا لحمى تظهر في أوقات متقطعة، فتصيب السكان وتلازم حتى المتأقلمين...إن هذا السهل يشبه الغدير في الشتاء، وفي الصيف والخريف تستوطنه الحمى باستمرار إلى درجة يصعب جدا اتقاؤها>>

ينظر: حمدان بن عثمان خوجة: المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1982. ص- ص 85 – 88.

والمودة الحاصلة بين الجانبين. ويكتب في أسفل هذا الهيكل - الجزائر اليوم غير الجزائر بالأمس قبل الاحتلال – ويكون ذلك محوا للماضي وإعرابا للأهالي << بأن فرنسا ما جاءت إلى الجزائر إلا لتمدين وإصلاح حال الأهالي إصلاحا حقيقيا، مجردا عن المطامع والاغراض الانتفاعية الشخصية.[1]<<

وهو بذلك كان ممن انخدع بمخططات فرنسا والاستشراق وما روجه الكتاب العسكريون، مثل بعض الجزائريين الذين تتلمذوا على أيديهم وأصبحوا يتحدثون عن الفوضى والخراب الذي كان قبل الفرنسيين، ثم عن الأمن والعمران الذي حصل بعدهم وما درى هؤلاء أنهم كانوا يلعنون أنفسهم وآباءهم وأجدادهم في سكرة من سكرات الإغواء الفرنسي.[5]

ويكون الاستعمار قد استغل فينا ما عبر عنه مالك بن نبي[2] بما في أنفسنا من استعداد لخدمته من حيث نشعر أو لا نشعر، فيتصرف في طاقتنا الاجتماعية معتمدا على دراسته لأوضاعنا النفسية ووقوفه على مواطن الضعف فينا، فيسخرنا بعلمه وجهلنا لما يريد جاعلا منا أبواقا يتحدث فيها وأقلاما يكتب بها خدمة لأغراضه، متصرفا في بعض مواقفنا الوطنية وحتى الدينية من حيث نشعر أو لا نشعر.

وتجاهل المستعمر كل مطالبه حتى الرمزية منها، وإمعانا في إذلال الجزائريين والحط من قدرهم أعاد ذكرى جنود الاحتلال بلباسهم وموسيقاهم فكانت الخيبة في كل الأوساط الأهلية عظيمة[3] وخاصة لدى أنصار التفاهم والوفاق الفرنسي الإسلامي الذين علقوا آمالهم على إحياء فرنسا للذكرى المئوية معتقدين أن فرنسا ستمد للأهالي يدها المخلصة بهذه المناسبة << فإذا بالحفلات تمر ومئات الملايين تنفق، ولم يتحصل الأهالي من كل ذلك إلا على الضرائب الفادحة وعلى خيبة الأمل، بل وعلى اليأس من كل إصلاح مطلوب.[4]<<

وامتنع الشيخ عن حضور الاحتفال المئوي بغيابه عن الوطن طيلة مدة الاحتفالات وقام بسياحة طويلة المدى والمدة قادته للبقاع المقدسة لأداء فريضة الحج، وزيارة المسجد النبوي الشريف، ثم بيت المقدس، ومنها إلى دمشق. كما كان ذلك من أهم أسباب تشكيل جمعية العلماء المسلمين الجزائريين، وكان الشيخ ابن عليوة أحد أعضائها المؤسسين، وتحقق ولو مؤقتا ما كان يبدو إلى وقت قريب مستحيلا.

[1] - (مقابلة)، البلاغ الجزائري، ع: 127، مستغانم: 11 صفر 1348، 19 جويلية 1929.

[5]– تاريخ الجزائر الثقافي، ج6، المصدر السابق. ص 320.

[2]– شروط النهضة، المصدر نفسه. ص- ص 158- 159.

[3]– أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المصدر السابق. ص- ص 70-71.

[4]– المصدر نفسه. ص 73

ثانيا: الدعوة للتسامح والتعاون بين المذاهب الإسلامية

يقول مالك بن نبي[1]إن المجتمع الجزائري >>مجتمع لم يتمكن بعد من تكـوين عقيـدة لـه خاصة<< نعم مجتمعنا كان كذلك ولا يزال وهو الأمر الذي حال دون انسجام عناصره، وأدى إلى صراعات مذهبية زاد من خطورتها السياسة الاستعمارية التي أمنت بقاءها بانتهاج سياسة فرق تسد، لذا كان الميل للمصالحة والتسامح من الأمور التي من شأنها تفويت الفرصة على الاستعمار. والشيخ ابن عليوة كما وصفه أوغسطين بارك[2] بأنه كان نموذجا للمرابط العصري المساير للتطـور ميـالا للمصالحة. بل إن سعيه للمصالحة شكل أحد ركائز مشروعه الإصلاحي الرامي إلى حفظ دين الأمة. وفي سبيل تحقيق ذلك. وهو كما يقول أبو يعلى الزواوي : >> صاحبي ابن عليوة ...أشهد الآن بين يديكم أني ما عرضت وما أمرت ولا نهيت الشيخ العليوي إلا استحسن وسلم حتى قال: إن حملاتك إن كانت علينا مقبولة وإن كانت لنا فهي أحسن لنا، ويخاطبني قائلا: إنـك بنظريتـك السياسـية والاجتماعية ننقاد إليك ونعمل بإشارتك، وما زال ومازلت طامعا في، وطامعا فيه، أي بأن نتفـق على كتاب الله وسنة رسوله، وصرح لي أمام جمع أنه إذا ظهر لكم – معشر الإخـوان- في الـدين والوطن والجنس – أن نتفق على جميع ما يخص المسلمين والوطنيين ... ولم أر ولم اسمع من غـيره من الشيوخ الذين عرفتهم إلا الصدود وتعير الخدود ومقتي بأني كافر بهم وببدعهم، وقلـت لكـم ومازلت أقول أنه – أن الشيخ ابن عليوة يقول لكم: (مروا جميع رؤساء الطرق لنجتمع ونتفق على الموافق للكتاب والسنة وللأمة. [3]<<

ولتجسيد هذا التقارب قدمت صحيفة البلاغ الجزائري نفسها وسطية ترفض الطعن في أي طبقة من طبقات الأمة وفي أي مذهب من مذاهبها، ما دام لا أحد يمكنه نيل إجماع الأمة، فيكـون محل ثقتها ومرجعيتها الوحيدة، والكل في دعواه ومذهبه يدعي الاستناد إلى القرآن والسنة وإجمـاع الأمة، وعليه فلم يبق إلا أن نحسن الظن ببعضنا بعضا مراعاة لمصالح الأمة[4]فمن>> صـلاح الأمـة وإصلاحها أن لا يتساهل في تنقيص سلفها ولا يمس بسؤ [كذا] أي مذهب من مذاهبـها مـا دام الجميع متحدا على كلمة الإخلاص وإيقام [كذا] الصلاة وإيتاء الزكاة وصوم رمضان وحج البيـت وإن اختلفوا فيما عدا ذلك من الفروع... [5]<<

---

[1] – مالك بن نبي: مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق. ص 108.

[2] –(un mystique moderniste), op-cit. pp 692-693.

[3]– أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة، ج2، المصدر نفسه. ص 71.

[4]– الإدارة: (البلاغ)، البلاغ الجزائري، ع: 19، مستغانم: 4 ذي القعدة 1345، 6 ماي 1927. أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 60

[5]– المكان نفسه.

ولتجسيد هذا التقارب وجهت دعوتها لمختلف فعاليات الأمة لمحاربة ما يجمعون على أنــه منكر، وأن يستغلوا ما يوحدهم لرص صفوفهم، ويدعوا الخوض في ما اختلفوا فيه فلعله يكون ممـــا سكت عنه الشارع رحمة بالعباد وعليه << الواجب على الأمة أن تجتهد في تقويم[كـــذا] المعــروف الذي ثبتت معروفيته باجماع الأمة كما تجتهد في حطم ما ثبتت منكريته باجماع الأمة ثم تتساهل فيما عدا ذلك إلى أن ترتبط الأمة ببعضها وتعتنق الفروع بأصولها.<<[1] فتسعى الأمة برؤســائها لــدى حكومتها لتضييق الخناق على إباحة الزنا مثلا. فالشيخ ابن عليوة يؤكد قناعته بأن <<دائرة الإسلام أوسع من أن تضيق بمذاهبه إنما تضيق بارتكاب الرذائل والموبقات التي أراها الآن علــى تم[كـــذا] انتشار...الأمر الذي يقضي على الدين، والمروءة والأخلاق... وإذا فلم لا نتضامن على حطم مـــا يرى عند الجميع منكرا<<[2]

كما وجهت الزاوية العلاوية دعوة خاصة إلى العلماء المصلحين لحضور جمعها السنوي، بلهجة ملؤها الود مما جاء فيها أن هلم <<لتنظروا أحوال إخوانكم العلاويين، وما هم عليه في اجتماعاتهم وتذكيراتهم، فإن كانوا على الجادة والصراط المستقيم تشكروهم، وتؤازروهم وتتخذوهم عضدا، وإن كانوا على غير ذلك فذكروهم بألطف عبارة، وأرق أسلوب (فإن الذكرى تنفع المؤمنين)<<[3]ولقد ذهب الشيخ ابن عليوة إلى أبعد من ذلك حين أعلنها صريحة في الجمع السنوي المنعقد بجامع سيدي رمضان عام 1927 بقوله:<< أيها الحاضرون، ليبلغ شاهدكم غائبكم، أن من رأى منا أو سمع عنا، أو أمرناه بشيء مما يخالف الشرع الشريف، فالله حاسبه، إن وافقنا على ذلك، إذ (لا طاعة لمخلوق في معصية الخالق)، **وما أنا إلا معلم الخير فيما اعتقده**، فمن رأى مني خيرا فليعني عليه، ومن رأى مني شرا فلينبهني إليه، فإن انتهيت فذلك وإلا فعليه بخويصة نفسه<<[4]

وبارك العلاويون تأسيس جمعية العلماء المسلمين وانخرطوا فيها ودعت صحيفة البلاغ لجزائري الجمعية للنظر في أحوال الاحتفالات في الأضرحة وما يحصل بها من اختلاط النساء بالرجال وغير ذلك مما من شأنه أن يفتك بالأخلاق ويحط بالسمعة القومية والدين معا.[5]

و لم يكفر الشيخ أحدا من المسلمين، فهو يرى أن الأمة الإسلامية أمة الإجابة التي لم تعدم حظها من توحيد الله والإقرار برسالة محمد صلى الله عليه وسلم، وشفاعته محيطة بمن انتسب إليه كيفما كان.[1]

كان.[1]

---

[1]- المكان نفسه.

[2]- البلاغ: (إلى كتاب أمتنا ومفكريها)، البلاغ الجزائري، ع:34، مستغانم: 27 صفر 1346- 26 أوت 1927. المصدر نفسه. ص 210.

[3]- عدة بن تونس: الروضة السنية، ط2، المصدر السابق. ص 83.

[4] – محي الدين: (درس الشيخ العلوي<<يوم الاحتفال بعاصمة الجزائر<<)، البلاغ الجزائري، ع:46، مستغانم: 30 جمادى الأولى 1346- 25 نوفمبر 1927. / أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 259.

[5]- أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المصدر السابق. ص – ص 377-378.

فحين سئل عن قول رسول الله صلى الله عليه وسلم<< افترقت اليهود على إحدى وسبعين فرقة، وتفرقت النصارى على اثنين وسبعين فرقة، وتفرقت أمتي على ثلاث وسبعين فرقة، كلها في النار إلا واحدة، وهي ما أنا عليه وأصحابي>>فسر ذلك بأن المراد بالفرقة الناجية كل أمة الإجابة، فإنه يحتمل أن الملل كانت قبل بعثة موسى عليه السلام سبعون فرقة وملة موسى كانت تمام الإحدى والسبعين فرقة، ولما بعث عيسى عليه السلام كانت ملته تمام الاثني والسبعين فرقة، ولما بعث الله سبحانه وتعالى سيدنا محمد صلى الله عليه وسلم وأتباعه، والجميع أمته من جهة الدعوة كانت تمام الفرقة الثالثة والسبعين، وهي الفرقة الناجية[2]. ولقوله صلى الله عليه وسلم: <<من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة.>> وقوله صلى الله عليه وسلم: <<من كان آخر كلامه من الدنيا لا إله إلا الله دخل الجنة >> وقوله تعالى: <<إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء>>[3]

والشيخ بدفعه تهمة الشرك عن الأمة الإسلامية وعدم إخراجه من دائرة الإسلام أي أحد، كان يدفع ما اتهم به الإصلاحيون الطرقيين في كتاب(الشرك ومظاهره).

ولكن هذا الموقف زاد من حذر الحركة الإصلاحية خوفا من استمالة العوام ذوي النوايا الحسنة فتكون مصيدة توقعهم في حبائل الطرقية، فواصل رجال الإصلاح حملتهم على الطريقة ولكن ليس بتسفيه آرائها في الإصلاح وسبله وإنما بتبديعها. وأنّا للمبتدع أن يجدد دين الأمة وأن يقوم بالإصلاح الديني؟ وقد صَدَّرت إدارة الشهاب مقال الشيخ العربي التبسي (الخلوة العليوية هل هي من الإسلام)؟ بقولها: << لكل رجل تولى شأنا من شؤون العامة وجهتان:

1- جهته الشخصية التي لا يتعدى منها شيء لغيره.

2- جهته العمومية التي يتعدى نفعها أو ضررها لسواه. فجهته الأولى يجب أن تكون صحيفة مطوية بينه وبين ربه، وجهته الثانية يجب أن تكون مباحة للنقد والتمحيص، إذ من الحق على من عرض على الناس سلعة- إذا كان ناصحا- أن يبيحها لهم، ويمكنهم من تقليبها، ومن الحق عليهم -إذا كانوا رشداء- ألا يقبلوها إلا بعد التقليب>>[4].

وقد عبر عن ذلك صراحة أيضا الشيخ البشير الإبراهيمي[5] بقوله:<< يا أيها الناس إن نقطة الخلاف بيننا وبين هؤلاء هو ما علمتم هو هذه العامة التي أضلوها، وأذلوها وغاية الشيطان أن يضل، وأرادوا أن تعبدهم من دون الله وهو ما يئس منه الشيطان...فإن كان بعد ذلك بيننا وبينهم

---

1 – أحمد بن مصطفى العلاوي: أعذب المناهل، المصدر السابق. ص 58.

2– المصدر نفسه. ص 58 – 59 .

3– سورة النساء، الآية: 47.

4 - الإمام الشيخ العربي التبسي مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جمع وتعليق: شرفي أحمد الرفاعي، ق1، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1402ه1981. ص 75.

5 – آثار محمد البشير الإبراهيمي، ج1، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر: 1398ه- 1978. ص- ص 49-50 .

نزاع في شيء فهو في وسائلهم التي يمهدون بها لهذا القصد.>> ويقول أيضا: <<دعوا هذا العامي على فطرته ليتلقى الهداية الدينية على يد أهلها سليمة كفطرته، بيضاء كقلبه، نقية كصدره، ونحاكمكم في هذا إلى كتاب الله وسنة نبيه وهدي السلف الصالح من أمته.>>[1]

لكن هل ظلت الطريقة العلاوية وفية لهذا المنهج رغم حملات الإصلاحيين؟ يبدو أن الشيخ هو من كان يكبح جماح أتباعه، فلما غاب عن الجزائر لأداء فريضة الحج نشرت البلاغ الجزائري مقالا حاد اللهجة، تهاجم فيه المجددين المصلحين والناهضين المتنورين الذين غاية مسعاهم المسخ القلبي والقالبي لأمتهم، وختمت المقال بالدعاء عليهم بأن: <<لا أصلح الله غرسهم ولا سدد فعلهم فقد شغلوا الأمة عن واجبها العيني ملأ الله بيوتهم نارا وأثوابهم عارا واستجاب للأمة فيهم بما استجاب به دعوة نوح في قومه...>>[2]. وعبرت البلاغ الجزائري عن نفس مخاوف صحف الإصلاحيين حين كتبت في رسالة مفتوحة للشيخ ابن باديس تقول: <<نحن لا يسوءنا أيها الأخ أن تختار ذلك لنفسك لعلمنا بان الإنسان أحرص على نجاة نفسه من حرص غيره عليه، **إنما يسوءنا أن تحمل الناس عليه**، في حال أنه لم يتضح دليله للسابقين الأولين، فهو بالأحرى يخفى على الآخرين؟...وها هي ...كتب الأئمة الأربعة [فهل رأيت فيها] من ذكر في باب الردة أن من زار قبرا على قصد التبرك أو التوسل بصاحبه إلى الله في قضاء حاجته فقد أشرك بالله أو ارتد عن دينه والعياذ بالله ...>>[3].

وظلت علاقات العلاوية وطيدة بصفة خاصة مع التيجانية، فالسياسة مثلما تفرق تجمع، فحين سئل الشيخ ابن عليوة عن رأيه في قول الشيخ التيجاني: <<لا شيخ بعدي>> لم يجزم بصدوره عنـــه، وإن قاله فيحتمل أن يكون خاصا بالمشيخة في طريقته حيث أدرك بما أطلعه الله عليـــه أن أتباعـــه غـــير مستعدين لتحمل أعبائها، وقد صدقت الأيام قوله حيث لم تتفرع عنها طرقا جديدة. ويتزهه عـــن القول بأنه خاتم الأولياء، وأن لا ولي بعده بقوله: <<ولا نسمح أنه أراد بذلك نفي الخصوصـــية في الأمة المحمدية، والحالة أن نبيها يقول:(الخير في وفي أمتي إلى يوم الدين) وقوله أيضا صلى الله عليـــه وسلم: (أمتي مثل الغيث لا يدري أيه أنفع أوله أم آخره) وقوله صلى الله عليه وســـلم: (يبعـــث الله على رأس كل مائة عام من يجدد لهذه الأمة أمر دينها) وغير هذا مما لا يحصى.>>[4]

---

[1] – المصدر نفسه ص 43.

[2] – البلاغ: (شعور الأمة بواجبها نحو دينها وقوميتها)، البلاغ الجزائري، ع: 156، الجزائر: 13 شوال 1348، 14 مارس 1930./ أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 175.

[3] – (نصيحة ثمينة وموعظة عظيمة إليكم يا حضرة ابن باديس)، البلاغ الجزائري، ع: 301، السنة الثامنة، الجزائر: 28 ربيع الأول 1352هـ ، 21 جويلية 1933.

[4] –أحمد بن مصطفى العلاوي: أعذب المناهل، المرجع السابق. ص- ص 105-106.

ثالثا: الدعوة للتمسك بتعاليم الإسلام وإظهار شعائره

كان عمر راسم قد تساءل قبل العلاويين: >>كيف يكون المسلم مسلما في بلـــد خلـــت مساجده من الراكعين الساجدين وامتلأت شوارعه من اللصوص والفجار والسكيرين ؟<<[1] وفي ظل هذا الوضع كان هم الشيخ ابن عليوة الأكبر كيفية تحقيق المحافظة على الدين وتطبيق تعاليمه وإظهار شعائره. ومن شعائر الإسلام التي اهتم بإظهارها شعيرة الآذان التي تدل على أننا في بلد المســـلمين، والتي كاد المسلم في الجزائر أن لا يسمعها فالمؤذن>> في بعض المساجد بين الأساطين تحت الســـقف يسرد جمل الآذان شبه الإقامة تبركا. وكأني بحال الإمام من خلفه يقول له: اذكر ربك في نفســـك فانك لا تدعو غائبا ولا أصم!!!...فيا للفضيحة! أيبلغ بنا معشر الجزائريين التهاون إلى أن نصير لا نستطيع إظهار شعائر ديننا مع أننا مسلمون في بلاد إسلامية وفي حال أن حكومة البلد نفسها تسعى بجهدها في تأسيس مسجد من أعظم المساجد في...(باريس) كل ذلك ركونـــا منـــها إلى الـــدين الإسلامي واستجلابا لعواطف المسلمين<<[2]

ولهذا السبب اهتمت صحيفة لسان الدين بظاهرة عزوف المسلمين عن عمارة المساجد وإقامة الصلاة بإتقان، مع عمارة الأوقات فيها بقراءة القرآن.[3]

كما اهتم مذكري الطريقة العلاوية في سياحاتهم بحث الناس على أداء المفروضة في وقتها، وإن لم ينتسبوا لطريقتهم و لم يأخذوا عنهم العهد.

ومن شدة اهتمام الشيخ ابن عليوة بإصلاح دين الأمة وحث الناس على أداء الصلاة المفروضة أن اهتم بشراء القردة لتعليمها هيئة الصلاة ويخرج بها أتباعه إلى الأسواق والأماكن العامة وتأمر بأداء هيئة الصلاة أمام أعين الناس موعظة وذكرى لعلهم يهتدون إلى إقامة الصلاة المفروضة. ويـــرى أن العامة محتاجة إلى من يذكرها بمثل ذلك، غير أن أسبابه لم تتيسر.[4]وهو إن لم يشكل هذه الجمعية في حياته فقد أخذ البيعة من أتباعه على تكوينها وتخصيص دعاة من أبنائها الأكفاء للقيـــام بواجـــب التذكير والنصيحة في المجتمعات العامة، وأماكن الغفلة، على أن لا يخرجوا في تذكيرهم عن موضوع الصلاة وقواعد الإسلام.[5]

وليعطي الشيخ ابن عليوة القدوة الحسنة في نفسه كان شديد الحرص على أداء صلاته حـــتى في دار الحاكم العام للجزائر، مثلما حدث لما كان مع عباس الجزيري فيها وحضر وقت صلاة العصـــر،

[1]– محمد ناصر: المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها (1903- 1931)، مج1، المرجع السابق. ص 79.

[2]– (مسلمو الجزائر وحالتهم الدينية)، لسان الدين، ع: 8، الجزائر: 20 فيفري 1923.

[3] – غيور: (نظرة تقتضي الأسف) (2)، لسان الدين، ع: 9 ، الجزائر: 27 فيفري 1923.

[4]– محمد العوادي: جمعية التذكير، لسان الدين(2)، ع: 35، الجزائر: 30 جمادى الأولى 1356هـ..

[5] – المكان نفسه.

فقال لرفيقه: قم نصلي قال الجزيري:[1]<< ففرشت برنوسي وأدينا الوقت على اتقانه والناس يعجبون من ذلك خصوصا المسلمين أهل المناصب، ولما فرغ من الصلاة صار يتأسف ويقول كيف لا تجعل الحكومة لنا بيتا مخصوصا للصلاة مع أنها من اسمح الدول من جهة مراعاة ما يتعلق بالدين>>

كما أن الشيخ ابن عليوة بعدما دعا على صفحات جريدة لسان الدين إلى تشكيل حزب ديني لحفظ دين الأمة وهويتها، اقترح في صحيفة البلاغ الجزائري إحياء العمل بنظام الحسبة في الإسلام بإنشاء جمعية الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر،[2]لصيانة الأخلاق ومحاربة المنكرات، بواسطة رجال الحكومة ونواب الأمة.[3]

وأولت الطريقة لظاهرة البغاء عناية خاصا، لم توله لغيرها من الانحرافات على كثرة المنكرات والموبقات المتفشية في المجتمع، كتعاطي الخمر، والتعامل بالربا. ولعل ذلك لخطورة ظاهرة البغا وخستها والتي تفشت في المدن الكبرى حتى ذكرت لسان الدين أنه يقل أن تجد دارا لم تلتصق بها أختها، بل إن دور البغايا أصبحت ملاصقة لبيوت الله.

وقد تطرق لهذه الظاهرة الخطيرة محمد الرايسي التبسي[4]الذي حاول الوقوف على أسبابها بقوله: <<الفساد أحاط برجالنا ونسائنا، فهلا تيقظنا معاشر المؤمنين، لما نزل بنا وتبصرنا من انقاد من بناتنا إلى المواضع النجسة يعبث بهن كل خبيث، بعد أن كن لا يرضين منه بأدنى نظرة تقع عليهن منه، ولو وجد من يقوم بهن أو بأمورهن ما وقع منهن ذلك ولعلهن ما انقدن إلى تلك البقعة الفاسدة إلا من الفاقة العظمى من اليتم أو شيء آخر. والحال أن فيهن من بنات الأفاضل ومن يرثى لحال أهلها لما حلت بذلك المحل...صارت البنات منا والبنون منا يتجاهرون بالمعاصي في كل مكان ويرون ذلك من حسن الصنائع لديهم>> ولفتت صحيفة لسان الدين انتباه نواب الأمة لمراقبة الظاهرة ومقاومتها أو على الأقل إبعادها عن المساجد وتساءلت: <<وهل لا يهمنا معاشر المسلمين أن نتفكر في نحو هذا الداء العضال، عسى أن نستخلص منه بناتنا مع البنين، وعلى الأقل منازل المتعففين، وعلى أقل القليل أن نحجزه من أن يلتصق ببيوت أذن الله أن ترفع ويذكر فيها اسمه>>[5]

فكان من نتائج حملة لسان الدين إبعاد مساكن البغاء المتصلة بالمسجد الكبير بمستغانم. أما صحيفة البلاغ الجزائري فأعادت نشر المقال تحت عنوان: (فشو البغاء وضروب المخازي) بعد أن أشارت إلى تفاقم أنواع المخازي والفساد في المجتمع مستغربة تقاعس كتاب الأمة عن الخوض في أسباب

---

[1] – الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص ـ ص 101-102.

[2] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: إرشاد النبيل، المصدر السابق. ص ـ ص 217 -218.

[3] – المصدر نفسه. ص – ص 166- 167.

[4]– (تذكرة لمن اعتبر)، لسان الدين، ع: 11، الجزائر: 13 مارس 1923.

[5]– البلاغ: (فشو البغاء وضروب المخازي)، البلاغ الجزائري، ع: 58، مستغانم: 25 شعبان 1346- 17 فيفري 1928. أضاميم المد الساري، ج1، المرجع السابق، ص 172.

الظاهرة، ولفت أنظار أصحاب القرار والقادرين على القضاء عليها.[1] دون أن تحاول بدورها دراسة الظاهرة ولا تحليل أسبابها وأبعادها والنتائج المترتبة عنها. وإنما تساءلت ما يمنع الناس من المطالبة بإلحاح أن تتخذ إجراءات لإبعاد دور المومسات عن دور الأهالي وبالأخص عن المساجد؟ كما تساءلت عن ما يمنع الناس من منعهن من أن يختلطن في الحمامات بالمخدرات، و لم لا يخصصن بحمامات إلى غير ذلك مما يلزم الحجز بينهن شرعا وطبعا؟[2]

كما حمل الشيخ ابن عليوة بشدة في مخطوطة الأجوبة العشرة على ظاهرة تعاطي الخمور مستندا على شرعيات متعددة دينية وعقلية ودولية. فالذي حرمها هو الله عز وجل خالق البشر وبارئهم بقوله تعالى: (يا أيها الذين ءامنوا إنما الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون. إنما يريد الشيطان أن يوقع بينكم العداوة والبغضاء في الخمر والميسر ويصدكم عن ذكر الله وعن الصلاة فهل أنتم منتهون)[3] ورفض القائلين بأنه يمنع تعاطيها على المفرطين المسرفين، أما العقلاء فهم لا يشربون منه إلا القدر الذي لا يذهب بالعقل فكل جرعة تدعو ما بعدها وكل فضيحة تطلب ما فوقها. فيشيد بالإسلام الذي قطع كل الذرائع التي تؤدي إلى تعاطيها حين أصدر حكمه بأن (لعن الله الخمر وشاربه وغارسه وعاصره وحامله)،[4] و بكل جرأة ينتقد ظاهرة معاقرة رجال الدين المسيحيين للخمر ويصورهم حال تعاطيها بمنظر تشمئز منه النفوس بقوله: << لا دين مع الاسكار وأي دين يكون للمتدين ولو بلغ من الرهبانية اقصاها ومن الكهانة مستقصاها مهما انحلت حبوته وسال لعابه وامتلأت البقعة من حوله بين قي،[كذا] وبول وعليه فهل يستبعد العقل أن يصدر من ذلك الراهب ما يربطه بسلسلة الاراذل والحالة أنه هو رذيلة كلا انما الراهب نفسه لا يستبعد ذلك حيث أنه يقرأ في صلواته ما وقع لنبي الله لوطا مع بنتيه[*]...بواسطة الاسكار فلزمهم ان لا يمنعون [كذا] صدور نظيرها من رؤساء الكنائس مع من حولهم من القديسات المنقطعات والزائرات المتشفعات>>[5] وعندها أي فضل لدور العبادة وأي تميز لها إن كان كان سيحدث بها بفعل تعاطي الخمور ما يحدث في الخمارات ودور المومسات؟

---

[1]– المصدر نفسه، ص 171.

[2] – (الإصلاح الإصلاح)، البلاغ الجزائري، ع: 68، 41 ذي القعدة 1346- 4 ماي 1928.

[3] – سورة المائدة، الآية: 90 - 91.

[4] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: الأجوبة العشرة، المصدر السابق، الفصل الثامن من الجواب الرابع.

[*] – يعلق في الهامش بأن عقيدة المسيحيين <<تجيز وقوع المخالفة من انبياء الله، أما الإسلام فإنه يتبرأ ممن يعتقد مثل ذلك في رسل الله عليهم السلام حرصا من أن تضيع الأمانة وتنحل عقدة الشرائع... >> المصدر نفسه، الفصل التاسع من الجواب الرابع.

[5]– المصدر نفسه. الفصل الثامن من الجواب الرابع.

كما حارب مظاهر التفرنج وخاصة في الزي، على اعتبار أن التوازن الأخلاقي في المجتمع منوط بمجموعة من العوامل الأدبية والمادية؛ والملبس أحدها.[1] بل إن اللباس ليس >> من العوامل المادية التي تقر التوازن الأخلاقي في المجتمع فحسب، بل إن له روحه الخاصة به، وإذا كانوا يقولون: (القميص لا يصنع القسيس) فإني أرى على العكس من ذلك، فإن القميص يسهم في تكوين القسيس إلى حد ما، لأن اللباس يضفي على صاحبه من روحه... <<[2]

واهتم الشيخ اهتماما بالغا بمشكلة الاختلاط الذي تعتبره المدنية الحديثة من مفاخرها، و ما يراه هو إلا فترة حيوانية، وبقية همجية، طالما عكفت عليه الأمم الغابرة. وحق الإنسانية أن لا تفتخر إلا بشيء يفصلها عن الجنس العام، أما القدر المشترك بين عموم الحيوان فلا وجه للافتخار به[3] وقد شن حملة على دعاة السفور من العصريين الذين يقولون إن الإسلام خفض من شان المرأة ومنعها حقوقها بما فرضه عليها من الحجاب، فيرى أنه >> ما كان قولهم هذا إلا سعيا وراء حظهم المغتصب من النساء...المرأة لم يضع شيء من حقها ولا وضع الحجاب من شأنها، وكان الحق أن يعتبر مما زاد في رفعتها ومكانتها<<[4].

ويميز بين عورة المرأة المسلمة وبين حجابها فيرى أن وجه المرأة وكفيها ليسا بعورة حتى تلزم بسترهما ويحرم النظر لهما وقد قيل بأنهما المرادان بالاستثناء في قوله تعالى (ولا يبدين زينتهن إلا ما ظهر منها)[5] وعليه يكون الاستتار فيهما من قبيل المروءة والتعفف. ولو أن الشارع حدد للوجه حدا مخصوصا من جهة الستر لما أمر الرجل بغض الطرف في قوله تعالى:(قل للمؤمنين يغضوا من أبصارهم.)[6]فدل هذا على أن النساء كن يخرجن باديات الوجوه، وإلا فما فائدة غض البصر مع اتخاذ النقاب وشبهه.[4]

أما ستر وجه المرأة بالبرقع والنقاب ونحوهما فهو مما عرفته الأمم السابقة وليس خاصا بالأمة الإسلامية حتى توصف بالغلو، فقد كان سائدا على عهد إبراهيم وإسحاق ويعقوب وأشعيا وسليمان، حسبما جاء في سفر التكوين والإصحاح السادس.[7]

واستفاد الشيخ ابن عليوة[1]من قوله تعالى: (وقل للمؤمنات يغضضن من أبصارهن)[2]بأن نظرة المرأة للرجل قد تجلب لها فسادا أكثر مما تجلبه نظرة الرجل لها ولولا ذلك لما أمرت المرأة بلزوم بيتها في

---

[1]– مالك بن نبي: شروط النهضة، المصدر السابق. ص 122.

[2]– المصدر نفسه. ص 123.

[3] – أحمد بن مصطفى بن عليوة: الأجوبة العشرة، المصدر السابق. الفصل العاشر من الجواب الرابع.

[4] – المصدر نفسه. الفصل الحادي عشر من الجواب الرابع.

[5]– سورة النور، من الآية: 31.

[6]– أحمد بن مصطفى بن عليوة: الأجوبة العشرة، المصدر السابق. الفصل الحادي عشر من الجواب الرابع.

[4]– المصدر نفسه. الفصل الثالث عشر من الجواب الرابع.

[7] – المصدر نفسه. الفصل الثاني عشر من الجواب الرابع.

قوله تعالى (وقرن في بيوتكن ولا تبرجن تبرج الجاهلية الأولى)[3] فلم يعد حجاب المرأة مجرد ستر عورها ولا التمسك بفضيلة النقاب وما شبهه وإنما يؤكد بأن حجاب المرأة هو قرارها في بيتها إن << الحجاب ليس هو عبارة عن ثوب تتخذه النساء ليتلففن [كذا] فيه، ثم يسترسلن في نحو الطرقات والمحافل...إنما الحجاب هو عبارة عما يلزمهن بالمكث في بيوهن، بحيث لا يخرجن إلا لما هو من قبيل الضروريات وإذا خرجن فليدنين من جلابيبهن ...وبذلك يتأتى للمرأة أن تشتغل بملزوماها [كذا] وأن تقوم بضروريات بيتها... >>[4]

رابعا: مقاومة التعاليم الغربية العصرية وتأثيراها

لا ينكر الشيخ ابن عليوة محاسن المدنية الحديثة، وإنما ينكر حظ المسلمين التعيس منه والذي يكاد ينحصر في تعاطي الخمر وارتكاب الفواحش.[5] فما هي إذا التعاليم الغربية التي ناصبها الشيخ ابن عليوة العداء واعتبرها رجسا ومن عمل الشيطان؟ وما هي التعاليم الغربية التي استحسنها؟

رفض ابن عليوة أن يكون موقفه من الإسلام كموقف الأوربيين من الأديان وهو أن الدين أفيون الشعوب، وأنه رجعية وخرافة وجمود وعائق في سبيل التقدم. ويرى أن كل تلك التهم لا تثن عزم المسلمين على المحافظة على دينهم، والتمسك به فما << توحي به التعاليم الأوربية للمسلمين من كون الدين حجر عثرة في سبيل التقدم وأنه غل مثقل في رقبة من يريد الوثوب وأن تعاليمه لا توافق روح العصر وأن وأن... أما نيتنا فهي المحافظة على صيغة المسلم أن يبقى مسلما سواء عبروا عنها بالارتجاعيين(كذا) أو بالجامدين، أو بالخرافيين، أو بالمهوسيين، أو بغير ذلك من الألقاب الازدرائية... >>[6]

كما رفض ابن عليوة من خلال صحيفة البلاغ الجزائري التعاليم الغربية التي أثرت في أبناء الأمة المتنورين وزعمائها، وأدت إلى ما شهدته تركيا من انقلاب، وما شهده المشرق العربي من أحداث؟ وما تشهده الجزائر من دعاوي التجنيس والإدماج، وكل مظاهر الانحلال الأخلاقي، التي يراها ابن عليوة ناجمة عن التعليم الغربي البَحْت الذي جعل المتشبع به- كما يرى ابن عليوة- << وبالا على أمته وقوميته فأدخل على أبناء جنسه من الوساوس والشكوك بقدر ما أدخله عليه الغربيون. ولهذا نراه يتكلم بلسان الغير لا بلسانه، ويعبر عن شعور الغير لا عن شعوره وكأنه غيره...لا يستحسن

---

[1] – المصدر نفسه. الفصل الثالث عشر من الجواب الرابع.

[2]- سورة النور، من الآية: 31.

[3]– سورة الأحزاب، الآية: 33.

[4]– الفصل الرابع عشر من الجواب الرابع.

[5] –أحمد بن مصطفى بن عليوة: إرشاد النبيل إلى مقالات الأستاذ الجليل، المصدر السابق. ص 10

[6]–أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 88 ./ البلاغ الجزائري، ع: 139، 14 جمادى الأولى 1348ه – 18 أكتوبر 1929.

شيئا من معتقدات قومه، وعوائد أبناء جنسه...في جميع أطوارهم المادية والأدبية إلا ما استحسنه قانون العصر الذي لا يبقي ولا يذر من الصبغة الدينية إلا ما عسر زواله عليه، ولا شيء عليه بعسير!؟ >>[1]

ويضرب الشيخ مثلا لذلك ما فعلته تلك التعاليم في تركيا من إزالة لخلافتها الإسلامية وإقامة نظام علماني، والقضاء على مختلف ملامح المجتمع الإسلامي فيها، ولا يرى أن المسؤول عن ذلك كمال أتاتورك وإنما التعاليم الغربية التي عملت عملها فيه وإلا فمن كان يتصور أن يحدث ما حدث في هذا السياق كتب ابن عليوة في البلاغ مستفسرا: << لو أن إحدى دول القياصرة أو الكياسرة [كذا] استولت على حكومة الأتراك...بعد أن تمكنت من ناصية ملكهم وقبضت على الكثير من جندهم اتفق لها أن تقدم لهم شروطا تستفسرهم في قبولها إن أرادوا تحرير أوطانهم...فكان من جملة تلك الشروط: أن يطردوا خليفتهم، ويتركوا شريعتهم، ويخرجوا المخدرات من نسائهم وأن يسمحوا للأجانب التزويج ببناتهم، وأن يترعوا كلمة الإخلاص من راية ملكهم ويجعلوا القبعة على رؤوسهم ورؤوس أبنائهم وألا يلبسوا إلا السواد!...وأن يحلقوا لحاهم وشواربهم...فقل لي بربك...أكان يجد...من يمضي معه عليها من أبناء الأتراك...؟! >>[2] ويضيف...ومع ذلك رأى هناك ما هو أعجب منه؟!...اطمئنان الكثير من أبناء العالم الإسلامي لتلك الجراءات [كذا] ولربما كانت ترى عند بعضهم من غايات الإصلاح المنتهى إليها!!...اليد العاملة في إدخال ذلك الذي كان يرى مستحيلا إلى حيز الإمكان...حسب المتبادر...هو جناب مصطفى كمال...أما أنا فأقول...إنما فعلت ذلك التعاليم الغربية ولازالت تعمل عملها في غير تركيا من أبناء الأمة المحمدية... >>[3]

وهو بذلك يختلف جذريا مع الموقف المعروف عن جمعية العلماء من كمال أتاتورك، وسقوط الخلافة العثمانية فابن باديس لم ير في قصر (يلدز) إلا وكرا من أوكار (الطرقية)، بل زاد فبرأ مصطفى كمال من أي تطرف، وهو في رأيه لم يثر على الإسلام، وإنما ثار على هؤلاء الذين يسمون بالمسلمين، فألغى الخلافة الزائفة، واقتطع شجرة زقوم الطرقية من جذورها، وقال للأمم الإسلامية عليكم أنفسكم وعلي نفسي.[4]

---

[1] – (إلى زعماء الأمة ومفكريها)، البلاغ الجزائري، ع: 53، مستغانم: 13 رجب 1346، 20 جانفي 1928. أضاميم المدد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 194/. نفس المعاني نجدها في: المصدر نفسه. ص- ص 161- 162.

[2] – (إلى زعماء الأمة ومفكريها)، البلاغ الجزائري، ع: 53، مستغانم: 13 رجب 1346، 20 جانفي 1928. أضاميم المدد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 195.

[3] – المكان نفسه.

[4] – صالح خرفي: الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر: 1984. ص - ص 64 - 65 .

بل إن الحركة الإصلاحية جعلت الطرقية أصل الداء فيما لحق الخلافة الإسلامية في الأستانة واعتبرت أتاتورك قائدا حازما وضع حدا للانحراف الديني، وقطع دابر الطرقية، فلم تر فيه هادما للخلافة بل منقذا. ولقد استصغر العابد الجيلالي كل تجاوزاته وانحرافاته عن الشرع وجرائمه مقابل تحرير وطنه قائلا: <<إن مثل كلمة: لبس القبعة، أو بدل الحروف، أو وجدته يشرب البيرة، لا يساوي مثل كلمة: أبعد الأجل، ورد الأمل، وحطم الأغلال، ورفع راية الاستقلال، إلا في حساب المفاليس الذين تضاءل الشعور بالعظمة الإسلامية التاريخية في قلوبهم >>[1] ولهذا السبب اتهم العلاويون الإصلاحيين بتهمة اللائكية ووصفوهم بدعاة الضلال والاضمحلال مثلهم مثل دعاة التجنيس والإدماج.

1- موقفه من الوطنية

كانت الوطنية أولى التعاليم الغربية التي قاومتها الطريقة من خلال (لسان الدين) واعتبرتها <<نافعة من جهة ومضرة من أخرى>>[2] فعممت وما خصصت أسباب رفض الاعتماد على عقيدة الوطنية في الجزائر لأنها دون شك لن تجد ما تبرر به محاربتها لها، فهي ليست خطرا على وحدة (الأمة الجزائرية) المسلمة لكنها فقط ستزعج الأمن الفرنسي. ولذلك اعتبرت (لسان الدين) أن الأمة الإسلامية التي تتكون من شعوب متباينة الأجناس، لا يوحدها إلا الدين، وتعويضه بعنصر وحدة آخر تشتت فلا دين أبقت ولا وطنية أقامت. ولا يمكن للمسلمين أن يقلدوا الأوربيين في ذلك، لأن شعوب أوربا لم تجد في الديانة المسيحية ما يحقق وحدتها فلجأت للوطنية فجرت عليهم ويلات الحروب التي أزهقت أرواحهم وهم أحرص الناس على حياة وما ذلك إلا بفعل الغلو في الروح الوطنية، وعدم الالتفات إلى الروابط الدينية. ودعت المسلمين للاعتبار[3]. فما الذي كانت تخشاه من تفشي الروح الوطنية بين الجزائريين؟ هل كانت تخشى أن يحارب الجزائريون إخوانهم في فرنسا الإسلامية مثلا !؟

أما صحيفة (البلاغ الجزائري) فوضحت أنها لم تكن ترفض الوطنية بمعنى حب المرء لوطنه وتعلقه به، لأن محبة الأوطان عاطفة إنسانية شريفة، لا يفقد نزعتها إلا غليظ الطبع جافي الخلق، ولكن ترفض ما آلت إليه، حيث أصبحت عقيدة في قلوب العصريين، وأدت إلى أن يرى المسلم أخاه المسلم بالعين التي يرى بها الأجنبي عن الدين لأنه ابن وطن غير وطنه[4]، فحلت قدسية الوطن محل قدسية الدين، وتؤكد البلاغ على أن هذه العقيدة كثيرا ما تحكمت بأقوام فأنستهم حظهم من الله ومن

---

[1]- المصدر نفسه. ص 64.

[2] - (الإصلاح وكيف نسير)، لسان الدين، ع: 1، الجزائر: 2جانفي 1923.

[3] - المكان نفسه.

[4]- البلاغ: (هل يجمل بأبناء المسلمين ما نراهم الآن فاعلين...!)، البلاغ الجزائري، ع: 27، مستغانم: 8 محرم 1346- 8 جويلية 1927. أضاميم المد الساري، ج:1، المصدر السابق. ص 103

الدار الآخرة فقدسوها وبذلوا في سبيلها كل غال ورخيص. والحال أن الرسول صلى الله عليه وسلم كما تقول: >>هاجر من وطنه مهبط الوحي حفاظا على عقيدته وهربا بدينه، ذلك الدين الذي يحي الوطن، والوطن لا يحييه والتاريخ أعدل شاهد<<[1]وحفظ الدين مقدم شرعا على حفظ الوطن.

لذا لا ينبغي للمسلم أن يعتمد الوطنية في تكوين وحدته >>كما اعتمدها غيره مـــن أهـــل أوربا لأنهم ما تشبثوا بذلك إلا بعد عجزهم عن تكوين وحدتهم من الدين لعدم وجود أصـــول في الديانة المسيحية تربطهم ببعضهم ولو صح لهم ذلك لما رأيتهم في شقاق بعيد ولا سبب في ذلك إلا الغلو في حب الوطنية، وقطع النظر عن رابطة الدين.<<[2]

فدعوة الطريقة لمحاربة الوطنية إنما جاءت حسب رأي ابن عليوة حفاظا على مكانة الـــدين في الأمة، ولأن الوطن والوطنية خطر على الوحدة الدينية ومن مكر الشيطان، لتحويل الوجهة عن الرابطة الدينية إلى الرابطة المذهبية وهي الخطوة الأولى في انقسام الأمة الإسلامية[3]

إن طرح هذه القضية كان يزعج الشيخ كثيرا حد الغضب الذي من شدته وشدة إحباطه وانفعالــه كان إذا أراد الكتابة فيه، ينعقد لسانه وتتشوش أفكاره ويضطرب قلمه حتى أنه هو نفسه لا يفقــه أحيانا شيئا مما يكتب فهو يقول: >>نعم نجد [كذا] من نفسي ذلك التجاوز الذي يحملني عليه تأثير العوامل المتنوعة المسترسلة على شيء واحد الذي نرى بين جوانحي ما أرق [كذا] منه فننفعل [كذا] من ذلك بالضرورة فيضطرب القلم مني في الكتابة واللسان في العبارة حتى لا نفهم [كذا] أحيانا ما نكتبه [كذا] ولا نفقه ما نشرحه بما ينسد في وجهي من متسع الآمال لولا أني أستغفر الله وأحمـــده على كل حال<<[4]

لكن الغريب في الأمر هو أن ما ميز مشروع ابن عليوة المجدد المصلح هو طابعه الوطني، فالشيخ الذي كان ضد الروح الوطنية، التي تتحول إلى عقيدة تنافس العقيدة الدينية. ركز جهده الإصلاحي علـــى معالجة أوضاع الأمة الجزائرية نظرا لخصوصية أوضاعها.

---

[1] -البلاغ: (إلى الوطنيين من أبناء ملتنا)، البلاغ الجزائري، ع: 57، مستغانم: 18 شعبان 1346 / 10 فيفري 1928. أضاميم المد الساري، ج:1، المصدر السابق. ص 212 .

[2]- لسان الدين، ع: 2، الجزائر، 9 جانفي 1923.

[3] –البلاغ: (هل يجمل بأبناء المسلمين ما نراهم الآن فاعلين...!)، المصدر السابق. وهو مقال غلبت عليه الدارجة بشكل جعل مـــن الصعب تتبع أفكاره. ينظر الملحقان رقم: أربعة. وأربعة مكرر. وقد أعيدت صياغته بشكل أفضل في مقال آخر تحت عنـــوان:>>إلى الوطنيين من أبناء ملتنا<< البلاغ الجزائري، ع: 57، مستغانم: 10- فيفري 1928.

[4] -(هل تسمح لنا التعاليم العصرية بالبقاء على الإسلام؟؟!)، البلاغ الجزائري، ع: 28، مستغانم: 15 محرم 1346- 15 جويلية 1927./ أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص- ص 261-262.

وبعد ما تحمل أتباع الطريقة التونسيين خاصة عبء نشرها في مرحلتها الأولى منذ عـــام 1911* إلى غاية 1920 ورغم أن ابن عبد الباري التونسي كان أول من بث دعاية أن الشيخ ابن عليـــوة هـــو المهدي المنتظر، فإن مشروع المجدد الإصـــلاحي أدى إلى جـــزأرة الطريقـــة** مشـــروعا وأهـــدافا وإطارات.مع استمرار إسهامات الأتباع والمتعاطفين من خارج الجزائر لدعم مشروعه الإصلاحي.

2- معاداته للأفكار القومية

ومن التعاليم الغربية التي عاداها مذهب القومية الذي اقتبسه العرب والترك من الغرب وقد رفضها لما جرته القومية العربية على المشرق العربي لكنه لا يفصل وإنما يلمح ولا يصرح أنها أسهمت بفعالية في هزيمة الدولة العثمانية وجرت ويلات الاستعمار على المنطقة، فيحذر المسلمين مـــن ذلـــك الـــداء المستورد أن يتمكن منهم قائلا: <<وما قلت هذا إلا لما تفرسته من إخواننا المشارقة من جهة شغفهم بالمدنية الغربية فخشينا أن يأخذوها بأجمعها على ما هي عليه فتضرهم بقدر ما تنفعهم...ليس كـــل جديد يؤخذ ولا كل قديم يرد.>> [1]

إن إصلاح الأمة المحمدية في إصلاح دينها، ومتى انحلت رابطة الـــدين فـــلا إســـلام ولا مسلمين، فالإسلام ملة شعوب وأجناس مختلفة لا وحدة لها إلا وحدة الدين، بل قناعتها أن كل الناس يعتبرون بأجناسهم إلا المسلمين فإنهم يعتبرون بدينهم وقوتهم بالأمس كانت بالدين، << فتبا لهم إن عادوا بعد إسلامهم هنودا أو مصريين، أو مغاربة، وشرقيين >>[2]

* كان من أتباع الشيخ ابن عليوة التونسيين جماعة الصادق الصحراوي المدني، التي انتسبت له عام 1910، وبعض الطلبة المنتسبين لجامع الزيتونة. فكان منهم كتاب الشيخ والمشرفين على تصحيح رسائله والمتكفلين بنفقات طبعها ومذكري الطريقة، ومن هؤلاء محمد خليفة المدني ومحمد بن عبد الباري، والصادق الكشباطي والطاهر بن العربي الغرابلي.

** احتوى المشروع الإصلاحي والتجديدي لمرشد الأمة من كتابه ومقدميه كل من الحسن بن عبد العزيز، وأخيه صالح بن عبد العزيز، والحسن الطرابلسي، ومصطفى حافظ وعباس الجزيري كما تولوا تصحيح رسائله. وتكفل صالح بن ديمراد التلمساني بطبع كتاب الشهائد والفتاوى، وتكفل أتباعه بنفقات طبع الديوان والقول المقبول والقول المعروف. وتولى مصطفى حافظ وابن عبد العزيز إدارة صحيفة لسان الدين الأولى.

1- لسان الدين، ع: 2، الجزائر: 9 جانفي 1923.

2- المصدر نفسه.

لذا وصفه محمد السعيد الزاهري بأنه من دعاة الإصلاح الديني الإسلامي، في حين الزاهري يصنف نفسه ضمن تيار الإصلاح الوطني السياسي[1]، ويؤيده أيضا قول محمد العوادي[2]>> كان الأستاذ العلوي رجلا دينيا محضا، لا يحب من الأحزاب السياسية إلا ما يقرر ترجيح الديانة على السياسة، ولا تربطه به أية رابطة سواها.<<

خامسا: مقاومة نشاط إرساليات الميتوديست[3]وعلاقته بالنفوذ الدولي في الجزائر

ذهب مارتن لينغز[4]إلى أن >> البلاغ تدافع عن الإرساليات المسيحية... [وأن الشيخ] كان يدافع عنها ضد كثير من الحملات المعتادة عليها، مبينا أن تلك الإرساليات في معظم الأحوال أبعد من أن تكون أدوات سياسية...<<حتى أن صاحب صحيفة المرصاد نعته بـ>>الكاردينال المتروي<<[5]واتهم سعيد الزاهري الشيخ وطائفته بالدعوة المسيحية الإسلامية وأنه بين المسلمين مبشرا من المبشرين بالمسيح.[6]كما ذكر أوغسطين بارك[7] أن الشيخ كان ينوي ترجمة الإنجيل إلى العربية الدارجة لترويجه خاصة في منطقة القبائل. وترى مصلحة الاتصالات لشمال إفريقيا أن الشيخ>>ابن عليوة الذي يحترمه أتباع الإنجيل هو الرجل المناسب للتقريب بين الموحدين من المسلمين والمسيحيين<<[8]ولكنها تؤكد على أنه رغم تسامحه مع باقي الديانات وخاصة المسيحية، إلا أنه يمارس يمارس نشاطا تبشيريا حثيثا امتد إلى بعض الدول الأوروبية، وحتى أمريكا أين أسس عدة مؤسسات للدعوة.[9] فما حقيقة موقف الشيخ من الحركة التنصيرية؟ وما مدى مصداقية التهم الموجهة له؟

إن المقال الذي استشهد به المستشرق الإنجليزي مارتن لينغز (أبو بكر سراج الدين) عن موقف الشيخ العلاوي من الإرساليات التنصيرية نشرته صحيفة البلاغ الجزائري في عددها رقم (195)[10]

---

[1] – أضاميم المد الساري، ج2، المصدر السابق. ص 469.

[2]– محمد العوادي: (جمعية التذكير)، لسان الدين، ع: 35، الجزائر: 30 جمادى الأولى 1356هـ.

[3] – جماعة الميتوديست الأمريكية: جماعة تنصيرية بروتستانتية تنشط في بلاد القبائل، مركز قيادتها بالجزائر العاصمة، تتهاطل عليها الأموال من أمريكا، أمريكية، وأغلب العاملين فيها من الأمريكيين والانكليز والسويسريين، لها بمدينة الجزائر مدرسة للبنات ، ومعهد للأطفال كما تمتلك عمارة بها داخلية للأطفال الذين تؤمن لهم ومجانا المأوى والمأكل والمشرب والملبس وتتكفل بمصاريف سفرهم عند عودتهم لأهلهم أوقات العطل. وتدفع لعائلاتهم منحة. ينظر- الشهاب، س1، 1344هـ / 1925-1926. مج1، ط1، دار الغرب الإسلامي: 1421-2001. ص 163

[4] – Martin Llings, op-cit . p: 128.

[5]– أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ق2، المصدر السابق. ص 224.

[6] – أحمد حماني: صراع بين السنة والبدعة، ج1، المرجع السابق. ص –ص 297 – 298 .

[7] –Augustin Berque, op-cit. P735./ Rapport Préfet Constantine, 13 Juillet 1921.

[8] – P. J. André: op-cit .p: 259.

[9] – SLNA، op-cit .P116.

[10] – شكيب أرسلان: (ليس التبشير دعاية دنيوية استعمارية >> كما يظن بعضنا<<)، البلاغ الجزائري، ع: 195، الجزائر: 19 شعبان 1349، 9 جانفي 1931. / أضاميم المد الساري، ج2، المصدر السابق. ص 406.

ولم يكن للشيخ ابن عليوة ولا بإمضاء البلاغ، ولا معبرا عن موقفها من هذه الإرسـاليات، وإنما كان للأمير شكيب أرسلان وقد نشرته مجلة الشهاب أيضا ينبه فيه ويحذر المسلمين الذين كلما ظهر دعاة الإنجيل في ناحية من بلاد الإسلام قالوا هذه كلها دسائس اسـتعمارية، فينبـه إلى أن هـؤلاء المبشرين لا يخاطرون بحياتهم من أجل مآرب دنيوية، بل لأجل نشر دينـهم وثقافتـهم، والـدول الأوروبية تستثمر عملهم لاستتباب حكمها وأمنها << لكن المبشرين لا يهمهم توطيـد الحكـم الأوربي إلا إذا كان مساعدا على نشر المسيحية، وبمجرد ما يرون الحكم الأوربي سببا للتـنفير مـن المسيحية يكرهونه ويتمنون زواله.>>[1] واستدل على مصداقية كلامه بموقف الفاتيكان والمبشرين من من المطالب الوطنية بالصين والهند في ذلك الوقت، ونبه إلى أن الاستعمار قد يـزول لكـن دون أن يأخذ معه المبشرين وغراسهم، فيغادر المستعمر ويظل المبشر وهنا تكمن المشكلة.[2]

وقد جاء في تقرير سكرتير مؤتمر القاهرة الأول للإرساليات التنصيرية البروتستانتية الخاص بالإسلام والمنعقد في أفريل عام 1906 << أن المبشرين تحققوا أنهم بتظاهرهم في وداد المسلمين، وميلهم إلى ما تطمح إليه نفوسهم من الاستقلال السياسي والاجتماعي والنشأة القومية يمكنهم أن يدخلوا إلى قلوبهم.>>[3]

أما البلاغ فقد علق على المقال بقوله إن ما يريبنا << من أعمالهم...هو توجيـه عنايتـهم للعـالم الإسلامي بصفة تجعل الإنسان يتساءل عن أسباب الرحمة التي دفعتهم إلى بذل تلك الجهود في سبيل هداية المسلمين بدون ما يكون لهم أدنى اهتمام بالملحدين من أبناء جلدتهم الذين غصت بهم أوربـا والذين هم أحق بالشفقة عليهم من المسلمين لأن هؤلاء المسلمين عرفوا من الإله ومن نبي الله عيسى ما لم يعرفه الملحدون والمشركون بل وحتى المبشرون أيضا؟>>[4]

إن رفض البلاغ الجزائري لنشاط تلك الإرساليات كان واضحا وفاضحا لنواياه، فهي لا تخفى عليه، وبكل صراحة توجهها إن كانت تهتم بالجوانب الروحية ودافعها أخروي فعـلا أن تهـتم بأبنائهـا الملحدين في الغرب، بدل العمل على إبعاد المسلم عن دينه وعقيدته بكل ما في وسعها من ضـروب الإحسان والإساءة.

أما سعيد الزاهري فأصدر حكمه ذاك عندما صدرت طبعة جديدة من تفسير سورة والنجم متزامنة مع ما نشرته إحدى الصحف عن وجود اتصالات بين الشيخ ابن عليوة والأب جياكوبيتي[5] فوجـه

---

[1] –المصدر نفسه. ص- ص 406-407.

[2] – المصدر نفسه. ص 407.

[3] – أ.ل. شاتليه: المصدر السابق .ص 21

[4]– البلاغ الجزائري، ع: 195، الجزائر: 19 شعبان 1349، 9 جانفي 1931. أضاميم المد الساري، ج2، المصدر السابق. ص 408.

[5] – محمد سعيد الزاهري: الإسلام بحاجة إلى دعاية وتبشير، المصدر السابق. ص 111.

سعيد الزاهري سؤلا إلى جريدة البلاغ على صفحات جريدة الشهاب يسألها: >> لماذا فسر شيخها العلوي سورة والنجم بتعاليم يسوع المسيح عليه الصلاة والسلام، وبما جاء في الإنجيل؟<<[1] فلم يتلق جوابا فعلق موضحا هدفه من السؤال بقوله: >>سألتها هذا السؤال لأني أعتقد أن مبشرا مسيحيا...قد كتب هذا التفسير ثم أخرجه للناس باسم الشيخ ابن عليوة...<<[2] موحيا بأن القس الكاثوليكي بالجلفة الأب جياكوبيتي الذي يدير نشريه الاتحاد الكاثوليكي الأهلي هو صاحب التفسير، لكن الرسالة في طبعتها الأولى كانت قد صدرت عام 1916، أي قبل التقائه بالأب جياكوبيتي بعشر سنوات. ولعل ذلك وغيره مما سنراه لاحقا ما جعل ابن باديس ينكر على الزاهري رميه بالتبشير المسيحي لما يعرفه عن جهوده في إنقاذ المسلمين من الوقوع في مصائد وحبائل المبشرين. من ذلك إنقاذه لجماعة من المسلمين من أيدي (جمعية الميتوديست البروتستانتية) وقد غطت صحيفة البلاغ الجزائري الحدث وأشركت معها أهل الأريحية من رجال قسنطينة لمساعدة المجموعة العائدة إلى دائرة الإسلام، بعد أن طردت جمعية الميتوديست من كفالتها مبارك بن سليمان السوفي القماري، مع بعض الفتيات حين كاتب الأستاذ العلوي الشيخ ابن باديس في الموضوع فَسُرَّ بالعمل وأعانهم ماديا.[3]

وقد كان لجماعة الميتوديست مراكز عديدة في بلاد القبائل، تضايق نشاط جماعة الآباء البيض في المنطقة وتعاكس النفوذ الدولي *(الفرنسي) الذي يعمل الآباء البيض على دعمه وتأييده. حيث لا يتورع رجال جمعية الميتوديست عن نقد فرنسا والتشهير بها عند الأهالي، وقد نجحت في كسب ثقة الأهالي وركونهم إليها بفضل معرفتهم الدقيقة للغتهم، وأنسابهم وعائلاتهم وطبائعهم وغرائزهم مع

---

[1] – أحمد حماني: <u>الصراع بين السنة والبدعة</u>، ج 1، المرجع السابق. ص- ص 297 – 298.

[2] – المكان نفسه

[3] –(استلفات لأهل الأريحية من رجال قسنطينة)، <u>البلاغ الجزائري</u>، ع: 128، مستغانم: 26 جويلية 1929. <u>أضاميم المد الساري</u>، ج1، المصدر السابق. ص 144.

ينظر- مبارك سليمان:(بشارة عظيمة ومحاورة جسيمة)، <u>البلاغ الجزائري</u>، ع:124، مستغانم: 20 محرم 1348، 28 جوان 1929. وأيضا ع: 125، 27 محرم 1348- 5جويلية 1929. و أيضا ع: 126، مستغانم: 4صفر 1348- 12جويلية 1929. <u>أضاميم المد الساري</u>، ج1، المصدر السابق ص 135-143.

* ظل الشيخ عدة بن تونس وفيا لدعم النفوذ الدولي لفرنسا بالمنطقة، فمما نقلته تقارير مخابرات مصلحة الاتصالات لشمال إفريقيا بوهران أنه خلال عام 1946 اتصل ثلاثة ضباط انجليز بالشيخ عدة بن تونس ووعدوه بدعم مادي هام إن هو راعى السياسة الانجليزية، لكن الشيخ رفض. ينظر:

Salah Khelifa: op-cit. p 371.

ولعل ذلك كان سبب انشقاق على الحكيمي اليمني والمقيم في بريطانيا بكارديف، والذي كان من أتباع الشيخ ابن عليوة وظل وفيا للشيخ عدة بن تونس في سني الأزمة الحادة التي مر بها.

استمالتهم بالعطايا الفاخرة، ومشاركتهم في ضجرهم من الأسر الفرنسي، وأحيانا تحدث فيهم الضجر والقلق.[1]

وتعلق الشهاب بقولها: إن<< **اشمئزاز الفرنسيين من الوجهة السياسية من حيث أن الغاية من تبشيرهم تنتهي إلى الاستيلاء على عقول الأهالي وتحبيبهم في دولة أجنبية هي أمريكا وتبغيضهم في فرنسا بسبب إمدادهم بالمال والمنافع الجمة.** ونحن -معاشر المسلمين- في غضبه واشمئزازه من هذه الوجهة السياسية، ونزيد عليه بالوجهة الدينية فخشيتنا من تلك الأعمال أرعب وأدهى...فقد توافقت إذا منفعتنا ومنفعة الدولة واتحدتا في محاربة هذا التبشير الأمريكي، فالواجب علينا- معشر المسلمين -...أن...نتحد جميعا أمام هذا الخطر الأجنبي المراد منه محو ما نعده أنفس شيء لدينا ألا وهو ديننا.[2]

لكن موقف الشيخ من رجال الدين البروتستانت غير موقفه من الكاثوليك الذين يجدهم غير مسيئين للمسلمين مثل البروتستانت ففي رسالة وجهها إلى الأب جياكوبيتي وقد وصفه بأنه<< رجل يمثل العطفة المسيحية، بما ينويه من الخير لأبناء البشر>> وأنه على خلاف رجال الدين البروتستانت الذين يصفهم بالمنفرين لا المبشرين بقوله: ما <<بلغنا عن أكثرهم إلا ما يجري على نقيض تعاليم المسيح...البروتستانتيين[كذا] عاملوا الإسلام، وعاملوا بني الإسلام بنقيض الإحسان، وسائر أنواع الشتائم والسباب...ولا أظن أنهم يعتبرونهم مبشرين ...أنا...لا أراهم إلا منفرين لا مبشرين ومسيئين لا محسنين، على الجملة، وهذا بشهادة القرآن والإنجيل معا. على أني لا أقول في الكاثوليكيين انهم ارتكبوا في تبشيرهم ما ارتكبه البروتستانيون>>[3]ويشاركه في موقفه من البروتستانت هذا صاحب المنار، وبعض مقالات الشهاب، فصاحب المنار يرى أن الفضل في دعوتهم الإصلاحية جاءت بما انعكس على أوربا من نور الإسلام ورغم ذلك<< لم يتعفف قسوسهم ودعاتهم(المبشرون) عن افتراء الكذب، ولا تجملوا فيه بشيء من نزاهة الأدب. والذي نراه في هذا العصر من مطاعنهم وافترائهم وسوء أدبهم أشد مما نراه من غيرهم>>[4]ويتهمهم الكاثوليك بأنهم <<تجرؤون على القدح والطعن في الإسلام أمام الأهالي وصدهم عن أداء واجباتهم الدينية من صيام رمضان، وحثهم على تناول الخمر والمحرم من الطعام ، فيفسدون دينهم دون إدخالهم في دينهم

[1] - جماعة الميتوديست في بلاد القبائل)، الشهاب، س2: 1344- 1345 / 1926-1927. مج2، ط1، دار الغرب الإسلامي: 1421-2001. ص - ص 215-217-219 . وينظر أيضا المصدر نفسه. ص - ص 277- 278.

[2] -(جماعة الميتوديست في بلاد القبائل)، الشهاب، س4: 1346-1347/ 1928. ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي: 1421-2001، المصدر السابق . ص ص 335- 336. نقلا عن مجلة نوتريف للفرنسية .

[3]–أحمد بن مصطفى العلاوي: أعذب المناهل، المصدر السابق. ص 146.

[4]– محمد رشيد رضا: الوحي المحمدي، دار الكتب، الجزائر: 1408هـ- 1989. ص 71.

فيتركونهم فريسة للشهوات والمجون دون وازع ديني>>[1] وإذا كان البروتستانت يفسدون العقائد الراسخة دون تعويضها، فإن الآباء البيض لا يستبيحون الطعن في عقائد المسلمين، لاعتبارهم جميع الأديان حسنة لاشتمالها على تلقين الأخلاق الفاضلة.[2]

ولكن ليتم التقارب ويزول الخلاف بين الكاثوليك و المسلمين طلب الشيخ بن عليوة من الكاثوليك التخلي عن عقيدة التثليث والفداء كما أخبر بذلك الأب جياكوبيتي في رسالته إلى أوغسطين بارك.[3]

وهو بذلك أراد احتواء المسيحية لا الذوبان فيها، وأكد مرارا على أنه من أعظم المخاطر التي تتهدد العالم الإسلامي التبشير خاصة في ظل تهاون زعماء الأمة عن التصدي له. في حين رجال السياسة الغربيين اللائكيين أصبحوا يتحدثون عن التبشير وكأنهم رهبان في أديرتهم، وصار الناس عندنا يستأنسون بالكثير من مشاريعه وقد ارتد بعضهم عن دينه بسببها.

كما نقلت البلاغ الجزائري عن صحيفة النجاح قولها: أن الشيخ ابن عليوة أنقذ مئات الآلاف من القبائل الذين استحوذت عليهم جمعية الآباء البيض في زواوة والحمامات وغيرهما.[5] دون أن أجد أثرا لهذا الصنيع فيما بين يدي من الوثائق ولطالما اشتكى الشيخ من صعوبة مقاومة الإرساليات التنصيرية؟ بالنظر إلى كفاءة الخصم، وعزمه الذي لا يكل، وما يحظى به من دعم مالي. ويستعرض أهم المعوقات التي تواجه الداعية المسلم، الذي لو افترضنا أنه كدح وصبر وتجلد ووقف وقفة المستبسل الشجاع في مقاومة دعاة التنصير وعلى فرض أن له من العزم ما لهم فيسهر ليله ويظمأ نهاره ويخترق الفيافي ويشق البحار، فهل يجد المساعد من قومه المعاضد لعمله ومن يحمي ظهره ؟ وهل يجد من المال ما يكفي لإنجاز المطبوعات والنشريات وتموين البعثات وبناء الدور والمعاقل والمستشفيات وغير ذلك مما توفر معه كفاءة الخصم؟ بل وعلى فرض المحال أنه يجد كل ذلك، فهل يجد من يحمي ظهره ويرفع شأنه نظير ما يجد خصمه من جنود ودبابات وقلاع وبواخر ومناطيد ونفوذ زائد من ملوك الإسلام وأمرائه كما يجد لأولئك من أمرائهم وملوكهم؟ويجيب: << كلا فما أظنك أن تسلم من أذية رؤسائك فضلا عن أن يمدوك ولو بتغلفهم [كذا] عما أنت فاعله.>>[4]

---

[1] – (جماعة الميتوديست في بلاد القبائل)، الشهاب، ج2، المصدر السابق. ص 219.

[2] – المكان نفسه.

[3]– Augustin Berque: op-cit. p 738

[5]– البلاغ: (أخطار التبشير على العالم الإسلامي وبإفريقيا الشمالية على الخصوص)، البلاغ الجزائري، ع: 190، الجزائر: 7 رجب 1349، 28 نوفمبر 1930./ أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 372.

[4]–البلاغ: (ماذا عسى يعمل العامل)، البلاغ الجزائري، ع: 65، مستغانم: 22 شوال 1346، 13أفريل 1928. أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص – ص 246-247.

سادسا: الدعوة لتبليغ الإسلام للغرب

جاء نص السؤال الثامن الذي طرحه شارل طابيي على الشيخ ابن عليوة كما يلي: >>مـــا هي فائدة الأمة الفرنسوية لو اعتنقت الدين الإسلامي على التقدير؟ <<[1] مما يدل على أن اعتنـــاق فرنسا للإسلام كان احتمالا واردا ومطروحا بقوة على الأقل في ذهن الشيخ والسائل.

لكن كيف تتحقق هذه الغاية التي كانت ولا زالت من الانشغالات الكبرى للدعاة المسلمين؟ فكيف كان موقف الشيخ من حركة الفتوحات الإسلامية إذا؟ يقول ابن عليوة[2]>>إن مسألة الجهاد الـــتي اعتبرتها اروبا من أهم غوائل الإسلام، وما هي في الحقيقة إلا عبارة عن توسيع نطاق العمران، وكان الإسلام يرى من نفسه أهلية لمثل ذلك كما تعتبره الأمم المتقدمة الآن من نفسها وإلا بـــأي وجهـــة أبيحت الفتوحات إلى اروبا وهي على مدنيتها الحاضرة و لم تبح للإسلام في أول شـــيبوبته [كـــذا] حيث كان للأمم المتوحشة كالغيث النافع والتاريخ شاهد أما الآن فطور آخر>> وتلك الأيام نداولها بين الناس <<[3]

ومع ذلك يرى الشيخ أن دعوة الإسلام لمن سواه من الأمم لاعتناقه كانت بألطف ما يكون، وأنـــه لولا تضييق المشركين عليه لما لجأ لحد السيف البتة عملا بقوله تعـــالى:>> أدع إلى ســـبيل ربـــك بالحكمة والموعظة الحسنة، وجادلهم بالتي هي أحسن << [4] ويرى أنه لو وصل إلى أوربا بالدعوة إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة لظفر بذلك العنصر النبيه، ولانتشر بينهم كما انتشـــر بـــين الفـــرس وغيرهم من العجم من أصحاب المدنيات، ولكن >> ومن سوء الحظ أنه لم يصل إلى حدود اروبـــا إلا بالسيف، فكان ذلك المانع الواحد من تلقي مباديه والنظر في مقاصده بأطيب نفـــس لان أهـــل أوربا ليسوا بأبعد من نحو فارس وغيرهم عن إجابته بل نراهم أسرع انقياد وإلى الآن الظن جميل والله المستعان. <<[5]

لكن ماذا يعني بالقيام بدعاية إسلامية؟ وهل التجديد في أسلوب الدعوة يعني التنـــازل عـــن القـــيم الإسلامية الثابتة لإرضاء الواقع الغربي؟ فيلغي الجهاد مثلا فيقول مع القائلين: بأن الجهاد والفتوحات الإسلامية مرحلة مبررة ولا يمكن أن تتكرر، وأن حجاب المرأة المسلمة فضيلة وليس فريضة ليجـــد القبول في الغرب. أم أنه أبى إخضاع الثوابت والنص وعمل على إزالة التشويه ونفي عن الدين؟ وهنا نقف على موقف الشيخ ابن عليوة من قضية الجهاد في الإسلام، العقيدة الإسلامية، المرأة في الإسلام والأديان السماوية الأخرى والمدنية الحديثة.

---

[1]–الأجوبة العشرة، المصدر السابق. هامش الصفحة الأولى.

[2]–المصدر نفسه. الفصل الثامن من الجواب الأول.

[3]– سورة آل عمران، الآية: 140 .

[4]– سورة النحل، الآية: 125.

[5]–الأجوبة العشرة. المصدر السابق. الفصل الخامس من الجواب الأول.

أما الدعوة للإسلام فيعني << بها توضيح معنى الدين وواجباته وحقائق التوحيد ومقتضـــياته... >>[1] بقوة كامنة في الإسلام الذي لم يفتح العالم بقوة مادية وإنما بقوة معنوية مستمرة فيه ما دام القرآن لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ومهما كانت الدعوة للإسلام خالصة من شوائب السياسة غير ماسة بالعواطف فإنها ستخترق الصفوف وتسير سير الاستعمار الآن. لكن شتان ما بـــين هـــذا وذاك، فهذا استعمار الأرض، والآخر استعمار القلوب.[2]

ويرى أن الظرف موات لتقديم الإسلام بتعاليمه الحقيقية للغرب، مع اعتماد وسائل تلائـــم العصـــر وبشكل منظم وتخطيط جيد ويختص بهذه المهمة دعاة يتم إعدادهم لهذا الغرض وعنـــدها وحتمـــا سيجد الإسلام أنصارا من النخبة الأوربية. والفائدة من تعريف الغرب بالإسلام حاصـــلة لا محالـــة فهم إن لم يعتنقوه دينا فعلى الأقل سيحسنون صورته لديهم بشكل يجعلهم يرونه جديرا بالثقة فيـــه وفي أتباعه بدل التوجس خيفة منه ومنهم << لو أن الإسلام ظهر بتعاليمه الحقيقية على الأســـلوب الملائم للعصر الحاضر، لوجد من الأنصار في أهل أوربا، أكثر مما وجدته المسيحية في إفريقيا الشمالية وغيرها من الأنصار، على أن أنصار التعاليم الإسلامية يعتبرون من الطبقة العالية بين أهـــل العصـــر الحاضر....لو كان في الأمة من يقوم بهاته الدعوة الجليلة القدر بانتظام وحسن دراية، لكان الإسلام يعمل بسهولة في أواخر القوم أكثر مما عمل في أولهم...وعلى الأقل ...لحسن ثقة الأجانب بتعـــاليم دينه، الذين [كذا] هم يتخيلونه الآن أشبه شيء بشبح مبهم... >>[3]

ويصر على أن ما حال دون انتشاره إلا سوء فهمه والأحكام المسبقة الخاطئة المروجة عنـــه فلـــو أن الإسلام << اتضحت مقاصده لأهل العصر الحاضر لسارعت الناس إلى اعتناقـــه أفواجـــا حســـبما سارعت إليه في أول انتشاره...ولا مانع من ذلك إلا سوء التفاهم، ونقل الأخبـــار علـــى خـــلاف الحقيقة... >>[4]

لكن ما الذي جعل الشيخ يجد في نفسه الأهلية للقيام بهذه الرسالة النبيلة على ضعف قدراته عن أداء هذا الدور بين أقوام يجهل حتى لغتهم؟

شجعه على ذلك أفراد تعهدوا بمؤازرته في هذا المشروع، يأتي في مقدمتهم شارل طابيي الذي كـــان سبب شروعه في تحرير كتاب الأجوبة العشرة، وإسلام بعض الأفراد من النخبـــة الأوربيـــة رأت في الإسلام المخرج من حضارة القرن العشرين الباردة الجامدة ومنهم عبد الكريم جوصو، وزاد من ثقته

---

[1]- (إننا لمحتاجون لبث دعاية إسلامية)، البلاغ الجزائري، ع: 148، مستغانم: 18 رجب 1348 – 20 ديسمبر 1929. أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 176.

[2]- المصدر نفسه. أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص – ص 176- 177.

[3]- البلاغ الجزائري، ع: 5. مستغانم: 5 جانفي 1927.

[4]–أحمد بن مصطفى بن عليوة: الأجوبة العشرة، المصدر السابق. تمهيد الجواب الأول.

توجيه روني قينون للعديد من الأوربيين الذين دخلوا الإسلام لسلوك الطريق علـــى يديـــه ومنـــهم فريجوف شيون.

ولعل مما شجعه على ذلك أيضا ما صرحت به بعض الشخصيات الغربية البارزة مـــن تصـــريحات منصفة للإسلام ترجمت له وجعلته يقتنع بأن الغرب لا يحول بينه وبين الإسلام إلا جهله بحقيقتـــه، وأنه لو عرفها لكان له شأن آخر معه. ومن تلك التصريحات كلمة وزيـــر المســـتعمرات الفرنســـية (اندريه لوبون) في مؤتمر المستشرقين المنعقد بباريس سنة 1897 ومما جاء فيهـــا قولـــه: >> أرى أن الدين المحمدي متين، مؤسس على قواعد راسخة، ؟يؤدي لمنفعة الإنسان في الدنيا و الآخرة، وأما ما ينسب إليه من أنه خفض من شأن المرأة وأن أصوله تقضي بالاستسلام للقضاء والقدر، فهو عنـــدي من التحامل والتعصب والجهل للحقائق...<<[1]

هذا إضافة إلى مرائي رآها أتباعه يقول عنها ميشال فالسان: >> هذه المجموعة الخاصة من المرائـــي[*] التي تدل لا على الحالة الروحية فقط للشيخ العلاوي، ولكن أيضا عن مهمته التلقينيـــة إضـــافة إلى الدور العادي الذي كان يقوم به ضمن (الإطار الإسلامي) انفرد بإبراز الحضور الفعلـــي للتصـــوف كطريقة تلقينية في تخوم العالم الغربي، وحتى داخل منطقة النفوذ الأوربي على العالم الإسلامي...كان يعبر من خلال كيفيات مناسبة عن اتصال فعلي ومؤثر على الحساسية الثقافية الغربية<<[2] وبـــذلك فهو مطالب بتمثيل التصوف في وسط محب للمسيح عليه السلام، وطابعه العيسوي يساعده علـــى ذلك.

يرى صاحب كتاب خاتم الأولياء (chodkiewicz)>> ان الجاذبية القوية للشيخ العلاوي والـــتي أثرت في بعض الأوربيين فصاروا من أتباعه، والدور الذي قامت به طريقته في إدخال التصـــوف إلى فرنسا وبلدان غربية أخرى يثبتان التطابق بين الولاية التي يمثلها، وطبيعة الوسط الذي دعي لتمثيـــل التصوف فيه<<[3]

غير أن الشيخ انطلق في دعوته للغرب من أن لا دين أوفق للمدنية وأصلح بالعمران مـــن الشـــرائع الإسلامية، بدليل أن تمدن العرب كان بسبب الإسلام، أمـــا تمـــدن الغـــرب فبتجاهلـــه لتعـــاليم المسيحية.[4] والرقي المادي لا يغني عن الدين شيئا، فلا غنى للغرب إن أراد ملء فراغه الروحـــي عـــن الإسلام.

---

[1]– المصدر نفسه، الفصل الأول من الجواب الأول.

[*] عن محتوى هذه المرائي ينظر الملحق رقم واحد.

[2] – Pascal M. Benouali-Rickenbacher: op-cit, pp 42 - 43.

[3]- Ibid, p: 43.

[4]– أحمد بن مصطفى بن عليوة: الأجوبة العشرة، الفصل الثاني من الجواب الرابع.

المبحث الثالث: وسائل الإصلاح ومظاهر التجديد فيها

آمن ابن عليوة كما آمن أتباعه بأنه المرشد الظاهر بحكم وقته، والمرشد لا يظهر بحكم وقته إلا بما يستعمله من أساليب تبليغ يقود بها الأمة لما هو أنجح لها دينا ودنيا، بأقرب السبل التي يرونهـــا حسب الوقائع والدهور، ولولا ظهور الأستاذ بحكم الوقت لما انقاد لإشارته الناس ولما انتفع الكـــثير من عبارته.[1]

أولا: محاولة تجنيد دعاة الإصلاح من بين زعامات الأمة

استبعد الشيخ ابن عليوة منذ البداية من حزبه دعاة الإدماج والملحدين ومن يقدمون السياسة على الدين من الوطنيين والقوميين. واهتم بفئات اجتماعية أخرى وعرض عليها التعاون وطمح في إشراكها في الدعوة لمشروعه الإصلاحي وتجسيده محليا ودوليا؟

محليا حاول إعادة تفعيل جهود زعماء الأمة وعلى رأسهم: نوابها ومرشـــديها وعلمائهـــا، وأئمـــة مساجدها وخطبائها؛ منبها كل واحد منها للمكانة التي يحتلها، والصلاحيات الممنوحة له والواجب المترتب عنها والدور الذي عليه أداءه أداء لحق الأمة عليه.

لكن مادام الفساد قد تعددت مظاهره ومجالاته، وجب أن تكون سبل الإصـــلاح متعـــددة أيضـــا، ويصبح حينها الإصلاح والقيام به ليس حكرا على فئة دون أخرى فمن قام بواجبه فهـــو المصـــلح، ومن فرط في واجبه فهو المفسد، رئيسا كان أو مرؤوسا عالما أو متعلما << خصوصا من أهـــل الله لتحريك الدواليب بما أقامهم فيه من الخطباء والعلماء والمرشدين، فواجبهم تعهد الجميع بما يرونـــه نافعا في تحريك القرائح لأداء الواجب ...إن الإصلاح لا تجنى ثمرته ...إلا إذا دخلنا عليه من أبواب متفرقة وطرقناه من نقط متعددة >>[2]

ومن الطبيعي أن يكون اعتماده على القوى المحافظة التقليدية ممثلة في: النواب وموظفي المساجد والعلماء ومنهم رجال التعليم والقضاء والإفتاء وشيوخ الزوايا والطرق الصوفية.

1- نواب الأمة ودورهم في المشروع الإصلاحي العلاوي

كيف نظر إلى نواب الأمة؟ وما حظهم من المسؤولية عن الفساد الحاصل؟ وما ذا تنتظر منهم الأمة؟

---

[1] – الشهائد والفتاوى: المصدر السابق. ص 13 (الهامش) .

[2] –البلاغ: (الإصلاح والمصلحون)، البلاغ الجزائري، ع: 42، مستغانم: 28 ربيع الثاني 1346، 28 أكتوبر 1927. أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص – ص 240-241.

خاطب الشيخ النواب الذين يمثلون أمة يربو عددها عن الخمسة ملايين، وبوأتهم تلك المقاعد العامة التي تخولهم البحث في أقرب طرق الإصلاح. ومنحتهم زمام أمرها بعد أن تعهدوا بأن لا يألوا جهدا في خدمة وطنهم، فعلقت الأمة آمالها عليهم.[1]

ورمتهم بالجهل وعدم الكفاءة واستعارة حرفيا ما جاء في صحيفة الإسلام من أن الكثير <<منهم لا يعرف من واجبه إلا أنه نائب بلدي أو عمالي أو مالي وإذا دعي للمجلس لا يزيد على أن يأخذ مقعده ثم يجلس للإنصات كأنه من المتفرجين، وإذا خرج أخذ يحكي ما وقع في المجلس من المحاورة، وهذا إن كان له باللغة إلمام، ثم إنه مهما احتيج إليه لأجل التصويت فحضرة نائبنا مستعد للتصديق على جميع ما يعرفه وما لا يعرفه، فهذه صبغة نوابنا في الغالب، أما النادر فهو مقهور تحت عوامل الأكثرية هكذا تجده إن قال رد قوله وإن سكت غص بريقه.<<[2] وتنتقدهم على تنافسهم على زركشة الصدور وخفض الظهور متبنية بذلك موقف الشبان الجزائريين منهم في إطلاق الألفاظ التهكمية عليهم مثل تسميتهم بـــ<< الحوت الأحمر<< و<<أصحاب الصدور المزركشة<< وأنهم جهلة وغير أكفاء.[3] وحملت البلاغ نواب الأمة المسؤولية عن تفشي الجهل فيها وضياع حقوقها العامة.[4]

لكنها على خلاف الشبان لا تريد استئصالهم وتعويضهم بالنخبة المفرنسة الداعية للإدماج، وإنما تريد إصلاحهم والاستفادة من علاقاتهم وصلاحياتهم و نفوذهم في تحقيق آمال الأمة في حفظ دينها والنهوض بأبنائها ماديا وأدبيا.<< أيها السادة إننا واجهناكم بحديث له من المرارة حظه ومن الصلابة قسطه، لا لأنكم أهون الناس علينا كلا، وإنما لكونكم محط الأمل فخشينا أن يضيع أملنا. بتساهلكم يذهب...شرف الأمة جميعا ضحية سكوتكم المميت ورضوخكم المتواصل <<[5]

وعرفتهم بعظم الدور الذي ينظرونه منها ففي << وسعكم أن تحققوا آمالنا وتبعثوا أمواتنا الذين أماتهم الجهل وأقبرهم الفقر...أيها السادة إن أمل الأمة فيكم عظيم، فإنها تظن فيكم أنكم تحمون ذمارها من ورائها وتركبون به أوج السعادة من أمامها، فتصبح آمنة في سربها واثقة بمستقبلها <<[6]

---

[1]- فتى الجزائر: (رجال المستقبل – عبرات–)، البلاغ الجزائري، مستغانم: ع: 26، 1جويلية 1927.
وأيضا: (نظرة إجمالية في النيابة الأهلية بالقطر الجزائري)، البلاغ الجزائري، ع: 131، مستغانم: 10 ربيع الأول 1348/ 16 أوت 1929. /أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري، ج1، المصدر السابق. ص–ص 218-219.

[2] –البلاغ: (إلى نواب الأمة)، البلاغ الجزائري، ع: 119، مستغانم: ذي الحجة 1347، 17 ماي 1929./ أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 215.

[3]–حمري الجمعي: المرجع السابق. ص 117..

[4]– البلاغ الجزائري، ع: 197، الجزائر: 6 سبتمبر 1930.

[5] – البلاغ: (إلى نواب الأمة)، البلاغ الجزائري، ع: 119،مستغانم: ذي الحجة 1347، 17 ماي 1929./ أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق، ص: 217.

[6]– البلاغ: (إلى نواب الأمة)، البلاغ الجزائري، ع: 119، مستغانم: ذي الحجة 1347، 17 ماي 1929./ أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 216.

كما أن النواب لو شدوا أزر العلماء بأن يجدوهم سندا لهم في الإدارات المحلية والمراجع العليا حتى لا يلحقهم أذى ممن يبغونها عوجا لما قعد العلماء عن الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر[1].

لكن ما المطلوب من النواب؟ هل تطلب منهم تحدي الحكومة ومراجعة قراراتها وفرض إرادة الأمة عليها؟ كلا فهذا محمد بن البشير العلقمي[2] يطمئنهم بقوله << نحن لا نلزمكم أن تشهروا حربا، أو تثيروا طعنا أو ضربا، إنما نحثكم أن تكونوا ساعدا قويا يستعان به في العمل بما يعود على الأمة في حفظ دينها وتوحيد كلمتها.>>

ووضح الشيخ ابن عليوة لهم وللأمة كيفية بسط مطالبهم للحكومة لتتعرف عليها فتستجيب لها. فينصحها بإتباع أدب الدعاء والتضرع إلى الله معها، فتشتكي إلى حكومتها شكوى الضعيف الساعي لكسب عطف القوي عليه، والإلحاح في الطلب عليها لأن الإلحاح شرطا للإجابة إن الله <<شرع لعباده الدعاء والالتجاء إليه في سائر الأمور مع علمه بحاجات عباده. كل هذا تعليما منه سبحانه وتعالى لنا لندرك أن الحق سبحانه وتعالى على سعة علمه ورأفته بخلقه لا يقضي حوائجهم في بعض الوجوه إلا بواسطة دعائهم والحاحهم عليه، أيمكن مع هذا أن نعتقد في غيره ...أن يقضي حوائجنا الخاصة بنا دون الحاح منا في الطلب كلا (قل ما يعبوا بكم ربي لولا دعاؤكم)[3] >>[4]

والرسالة التي على النائب أداءها وضحها الشيخ في كتاب مفتوح وجهه إلى نواب المجلس المالي مما جاء فيه: <<إن الأمة خصصتكم للاهتمام بشؤونها المادية والأدبية، الدينية والمدنية... وأعظم ما تطلبه الأمة منكم الآن هو أن تكونوا قوامين أمناء حريصين على ما يحفظ مجدها ويضمن بقاءها كأمة مسلمة جزائرية متدينة لها ميزتها، تابعة لفرنسا إداريا وسياسيا، بصفة كفيلة باثبات كرامة الأمتين التابعة والمتبوعة >>[5]

فالنواب الذين يحق لهم مناقشة مختلف قضايا الأمة عليهم واجب مقاومة الفساد والدفاع عن مصالح الأمة، وإحياء مواتها برفع قيود الجهل عنها والمطالبة بالتعليم المزدوج لأبنائها، وإنقاذهم من كابوس الفقر. وحماية علمائها عند المراجع الحكومية عند قيامهم بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر فالحكومة لم تخولهم ذلك المنصب إلا لجلب المصالح لأبناء قومهم ودرء المفاسد عنهم.[6]

والنواب المسلمون حقيقة أقلية في المجالس النيابية، لكن الذي حال دون تحقيقهم للإصلاح الحقيقي هو قلة شهامتهم لا قلة عددهم. وإلا فما الذي يحول دون سعيهم لدى الولاة لمساعدتهم على محاربة

---

[1]- البلاغ الجزائري، ع: 197، الجزائر: 6 سبتمبر 1930.

[2]-المكان نفسه.

[3] – سورة الفرقان، الآية:77.

[4] – إرشاد النبيل إلى مقالات الأستاذ الجليل، المصدر السابق. ص 216.

[5] –المصدر نفسه. ص 143.

[6]– (نظرة إجمالية في النيابة الأهلية بالقطر الجزائري)، البلاغ الجزائري، ع:131، مستغانم: 10 ربيع الأول 1348/ 16أوت 1929. أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق، ص 218-219.

ظاهرة تفشي البغاء مثلا؟ وليس في ذلك ما يغضب الحكومة بل لن تعتبرهم إلا مصلحين أزكياء النفس سليمي الفطرة فضلا على كرامتهم عند قومهم.[1]

كل الانحلال الخلقي وتفشي الجهل والأمية بين أبناء المسلمين، مما يجعل الاهتمام بالطرقات والقنوات في مثل هذا الوضع أمرا تافها فلا بد إذا من تحديد الأوليات والتفاني في خدمتها >> فحاجتنا بكم أسمى من ذلك وأرفع فمالنا والطرقات والقنوات ونحن...قوميتنا في اضمحلال وديانتنا على خطر عظيم أما الأخلاق فأنتم على علم بما هي عليه، أبناؤكم بين سجون وحانات ومقاهي وطرقات، لا علم ولا عمل ولا جاه يرتجى ولا مال يعتمد عليه، فقر ومكر، ظلمات بعضها فوق بعض.[2]<<

2- شيوخ الزوايا

وقد خاطبهم الشيخ ابن عليوة معتذرا ومعاتبا بقوله: >> ما كان يجمل بمثلي...أن ينتصب لتذكيركم وأنتم المذكرون، أو ينتدب لوعظكم وأنتم الواعظون...لولا أن في القوم من فشلت عزائمه، وتضعضعت دعائمه، فأصبح يعمل على خلاف ما يطلبه منه المقام الذي لم يكن إلا لمحض التذكير.>> [3] ويذكرهم بشرف مترلتهم وعلو مقامهم وما كساهم الله به من الهيبة والمهابة حتى صاروا الأعلى يأمرون وينهون مسموعي الكلمة عند العامة لانتسابهم لله لا بسبب مواهب خاصة، ودعاهم لتوظيف نفوذهم الذي منحهم الله إياه في تبليغ دعوة الدين لأتباعهم وبث روح جديدة فيهم ويأخذوا عنهم العهود أكيدة للالتزام بالواجبات الدينية >> لتجديد مجد الأمة التي لا مجد للأمة إلا بمجدد دينها، ومن لم يستغل نفوذه لهذه الغاية >> فلا أبقى الله بيده نفوذا [4]<<

وهو يستغرب من تقصيرهم ويتساءل عن من وكلوه للقيام مقامهم في مواجهة التحديات والمخاطر المحدقة بدينهم، في ظرف أصبح الدين غريبا بين أهله مهددا من أعدائه يرتقب نجدة أبنائه لينشروا ما اندرس من تعاليمه ويحيوا ما اندثر من معالمه، وهي من حقوق الوقت التي لا يمكن قضاؤها إن فاتت والتفريط فيها أدى إلى ضعضعة أركان الدين وانحلال أوصاله. حتى طمع في تنصير أبنائه المبشرون، وفي تشكيك أفراده الملحدون. [5]

---

[1] -المكان نفسه.

[2] - البلاغ: (إلى نواب الأمة)، البلاغ الجزائري، ع: 119، مستغانم: ذي الحجة 1347، 17 ماي 1929./ أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 215.

[3] - (إلى مشايخ التصوف>> وأرباب الزوايا >> أعني الخاصة منهم لا المتداخلين)، البلاغ الجزائري، ع: 121، مستغانم: 28 ذي الحجة 1347، 7 جوان 1929./ أضاميم المد الساري في صحيفة البلاغ الجزائري، ج1، ص 182.

[4] - المكان نفسه.

[5] - المصدر نفسه. ص 183- 184.

3- علماء الدين

أشاد الشيخ ابن عليوة بعلماء الدين، فهم <<وحدهم أهل الخشية وأهل الإنابة وأهل المهابة وأهل الشجاعة وأهل الأنفة وأهل العزة والكرامة وأهل كل فضيلة ... كفاهم أنهم كلما خلِق الدين جددوه...أولئك حزب الله.. [و] كتائب الله في أرضه، والدعاة إلى دينه ... ورثة الأنبياء وخلاصة الأتقياء، فكم من كربة نفسوها ... وكم بذلوا النفس والنفيس في مرضاة الله... ما أحسن آثارهم على الناس وأقبح آثار الناس عليهم، يتلقون من الأذى في كل عصر وأوان، ويحتملون من المشاق ما لو وقع على الجبال الرواسي لدكت...أفردوا الوجهة لله لا ليرفع شأنهم بين الخلق...ولكن ليكونوا مستعملين لله فيما يرضيه>>[1] بمثل هذه الإشادة ذكرهم بدورهم فواجبات العلماء أشبه بواجبات الملوك، تحدث بحدوث الأيام، وإذا لم يقوموا بها فلا علم بعد اليوم، ولا إسلام بعد الغداة.[2] وإنهم إن لم يوجدوا الحلول لمعضلة أمتهم في ذا العصر فما الجدوى وجودهم؟ فالعلماء ورثة الأنبياء، وميراثهم العلم والسجايا الحسنة <<ورأس العلم عندهم بعد معرفة الله عز وجل هو معرفة العالِم مركزه في المجتمع، وما يطلبه منه المحيط الذي هو فيه>>[3] الأمة تنتظر منهم ما تنتظره الأمم من أنبيائها.[4] فعمل العلماء لا ينتهي عند تحليل الحلال وتحريم الحرام في أنفسهم كلا وإنما دائرة أعمالهم أوسع لقول رسول الله صلى الله عليه وسلم: (لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، أو ليسلطن الله عليكم أشراركم فيدعو خياركم فلا يستجاب لهم)>>[5] فهم مطالبون بالخروج لتبليغ الناس تعاليم دينهم وللأمر بالمعروف والنهي عن المنكر. ولمواجهة دعاية الملحدين والمبشرين وكتاب الضلال ودعاة الاضمحلال، فمن العار أن تكون عزيمة من لا يرجو بأعماله جنة ولا يتوقى أمضى من عزيمة العالم.

زد على ذلك أن العالِم عند الناس تغير وأصبح ذاك الذي <<يساير الأفلاك في سمائها، والمناطد في جوها، والحيتان في بحرها، وهكذا يجاري كل ما يسير ويطير، وإذا فأقرب شيء إلى السقوط في نظر الأمة هو الْعَالِم الذي تعرفونه أنتم، ولا شك أن بسقوطه يسقط ما بقي بأيديها من تقاليدها الدينية.>>[6]

---

[1]- البلاغ: (هكذا تبدل الأرض غير الأرض والسموات)، البلاغ الجزائري، ع: 147، مستغانم: 11رجب 1348. 13 ديسمبر 1929. أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق، ص 192.

[2]-البلاغ: (إلى علمائنا..؟)، البلاغ الجزائري، ع:51، مستغانم: 20جمادى الثانية 1346، 29 ديسمبر 1927./ أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 185.

[3]- المصدر نفسه. ص 187.

[4]- المصدر نفسه. ص 188.

[5]-البلاغ: (إلى علماء الأمة ورجال الملة)، البلاغ الجزائري، ع:132، مستغانم: 18 ربيع الأول 1348، 23 أوت 1929./ أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 190-191.

[6]- البلاغ: (إلى علمائنا..؟) البلاغ الجزائري، ع:51. مستغانم: 20 جمادى الثانية 1346، 29 ديسمبر 1927. المصدر السابق. ص- ص 186- 187.

إن العلماء بتفريطهم في واجباتهم يجنون على أنفسهم وعلى أمتهم، فمن يصلح العلماء إذا فسدوا وهم المعول عليهم في إصلاح الفساد !؟

أما الشيخ ابن عليوة فقد كان ومنذ تصدره للإرشاد يرى ضرورة استمالة ذوي الفضل من العلماء ليعزز بهم جانب التصوف فينشره في قالب الشريعة دون أن يشترط عليهم وهو ما جلب له دعم العديد منهم خاصة في تونس والمغرب، عن ذلك يقول : >>... ذوي الفضل ... يرتجى نفع الطريق بسبب علمهم، لأن العالم له شأن فلا بد من تأييده بشيء على غيره، فلهذا أرخص الشارع لصاحب هذا الفن، أن يمنح به هؤلاء، دون أن يشترط عليهم شيئا لئلا يصعب عليهم بخلاف غيرهم...ومثل هؤلاء لا يجوز منعهم من هذا السر لما فيهم من نفع البرية <<[1]

4- خطباء المساجد

إن الخطابة في المساجد أعظم وظيفة في الإسلام حتى أن الرسول عليه الصلاة والسلام كان لا يكلها لغيره، لكن هل يشعر أصحاب المنابر الآن بهذه النعمة؟ فهم >> رجال تخضع الرقاب عند وقوفهم وتخشع الأصوات عند حديثهم، يرمقون بعين التبجيل والإعظام، حديثهم مسموع وأمرهم متبوع يبلغون عن الله ما أنزل لعباده وعن النبي صلى الله عليه وسلم ما شرعه لأمته، فسبحان من أوقفهم في بيوته وأجلسنا، وأذن لهم بالكلام وأخرسنا، وقدمهم في المحاريب وأخرنا. فأنتم أيها السادة المبلغون ونحن السامعون<<[2]

وحددت وظيفة الخطيب في تحريك القلوب، وبعث روح النجدة والأنفة والكرم والشجاعة وروح الإسلام الحق في السامعين[3] وتوجيه مشاعرهم وجمعها بما يراه في الوقت نافعا وللقلوب جامعا. بالتطرق لقضايا أمته بحماسة تهز المشاعر. لكنها تنتقد سلبيتهم وخنوعهم سائلة: >>أي شيء يستفزكم إذا لم تستفزكم دواهي القرن الرابع عشر؟ تلك الأخطار المحيطة بأهلكم وعشيرتكم وأبنائكم وبناتكم تروها رأي العين وأنتم سامدون لا تبدون حسيسا ولا تنتقدون، أما يحسن بكم أن تقوموا من بيننا صارخين مذهولين منفعلين وما عليكم أن تتحطم أعواد المنابر من تحت أقدامكم أو تبح من الكثرة الصياح أصواتكم.<<[4]

وقد عرف رجال الإصلاح من جمعية العلماء أهمية منابر الخطابة فاستغلوها أحسن استغلال في بث دعوة جمعية، حتى أوجس المستعمر منها خيفة، فقام بسلبها منهم مع نهاية عام 1932.

1- أحمد بن مصطفى العلاوي: المنح القدوسية ، المصدر السابق. ص 309.

2- البلاغ: (إلى خطباء المساجد)، البلاغ الجزائري، ع:120، مستغانم: 21 ذي الحجة 1347، 31 ماي 1929. أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 204

3- المصدر نفسه. ص 205.

4- المصدر نفسه. ص 206 .

كما عرف مكانتها أتباع الطريقة العلاوية حتى كانت منصات الخطابة تنصب في مختلف جموعهـــا واحتفالاتها، ولكن مواضيعها كانت في تقويم الأخلاق ومحاربة الانحرافات.

5- من الجدير بالزعامة؟

لكن كل هؤلاء بحاجة إلى زعيم رمز يلتفون حوله يرأسهم ويوجه أعمالهم وينسق جهودهم لتحقيق الإصلاح المنشود، فمن يملك مؤهلات الزعامة؟

إن الزعامة غاية لا يصبو لها إلا ذوو الهمم العالية، لكن الزعماء صنفان، صنف يعمل في قومه بالتكلف، وهم في تعب مستمر يرجون راحتهم فيما يستقبل ليتمتعوا بالنتيجة عاجلا وبالثواب عند الله آجلا، غير أن الكثير منهم يرجع على عقبه خاصة إذا خانه الساعد وأعوزه المساعد والأمة تحمي المخلص منهم وتطرح المنتكس وهي قادرة على أن ترفعه أو تضعه. وصنف يعمل بالسجية، مفطورا على الزعامة يعمل لقومه بالطبع لا بالتطبع، وهو الذي يسير الأمة، **بل هو الأمة برمتها**، وهم نوع قليل وما خسرت أمة كان ذلك الفرد نصيبها، لأنه نوع مجبول على حب السعادة لأمته وإن شقي هو والأمل في الإصلاح معلق عليهم فهم >>(رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر وما بدلوا تبديلا)[1]الرجل منهم بدون أمة يدعى أمة، والأمة بدون رجل منهم لا تساوي فتيلا. وعليهم المعول في إصلاح حال الأمة <<[2]

ومن هؤلاء الرجال صاحب لسان الدين وهو حكيم متبصر ماهر، لا يألو جهدا في استجلاب المنافع لأمته ودفع المضار عنها وهو صاحب مشروع إصلاحي يدعو البقية الصالحة من الأمة لتلتف حوله لتحقيق الإصلاح. فلا إصلاح لأحوال المسلمين إلا بالدين فكل صيد لا يقتنص إلا بفخه وكذلك >> المسلم لا ينقاد إلا بدينه، ولا يصلح إلا بشرعه، و(لكل جعلنا منكم شرعة ومنهاجا)[3]ومن أراد إصلاحه بغير ذلك فقد خان الأمانة (والله لا يحب الخائنين)[4]<<.[5]فهل الإصلاح اقتناص**!**؟ وهل غاية الزعيم كسب ثقة الناس واقتناصهم لينقادوا له؟ الفكرة نجدها أوضح عند الشيخ أبي يعلى الزواوي إمام مسجد سيدي رمضان بالقصبة في الجزائر والذي وضح أن سبب دفاعه عن الشيخ ابن عليوة يكمن في أن:>>الأمة العربية...شديدة التمسك والعناية بالخوارق والمعنويات، حتى قال فيهم...ابن خلدون...إن العرب لا يستتب لهم أمر إلا بأمر ديني من نبوة أو ولاية...فعلى ذلك يلزم لنا رجال عظماء صلحاء أولياء محققون مجتهدون لتهذيب الأمة وتطهيرها

---

[1]– سورة الأحزاب، الآية: 33.

[2] –البلاغ: (الزعامة وما أدراك ما الزعامة)، البلاغ الجزائري، ع: 227 ، الجزائـــر: 12 جمـــادى الأولى 1350. 25 ســـبتمبر 1931. أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص – ص 149-150

[3]– سورة المائدة، الآية: 48.

[4]– سورة الأنفال، الآية: 58.

[5] –(كيف نتوخى الإصلاح)، لسان الدين، ع:1، الجزائر: 2 جانفي 1923.

من مذموم الأخلاق، وتقويم المعوج منها...وتصحيح عقائدها والرجوع بها إلى الأصل الديني الأول<<[1] وهي الحجج التي ساقها الشيخ ابن عليوة عندما دعا أحمد توفيق المدني للانضمام له عند وصوله للجزائر حيث رحب بوفادته وتمنى أن يصلح بها حال الأمة التي تردت في مهاوي الضلال والاضمحلال، وشاع بين صفوفها الفساد، وانتشرت المنكرات، واستبيحت المحرمات وانتهكت الحرمات، ولما سأله كيف يستطيع بطريقته الصوفية الجديدة إيقاف هذا التيار الإباحي الجارف، ويعيد الشعب الجزائري إلى رشده؟ وكان حينها قد طرح على الملأ مشروعه الإصلاحي على الملأ فكان جوابه: >> إنه يحاول ذلك، فان هذا الشعب لا ينقاد إلا للدين، ولدعاته، إذا ما هم أخلصوا لله عملهم، وعرفوا كيف يدعون إليه بالحكمة والموعظة الحسنة. وقد شاخت... الطرق الصوفية القديمة ولم يبق لرجالها ومقدميها من تأثير على الشعب، فوجب تكوين طريقة جديدة ، صالحة، تأمر بالخير، وتنهى عن الفحشاء والمنكر والبغي، وهذا ما حاولته فعلا، وكان نجاحي فيه كبير، وسيكون في مستقبل الأيام أعظم.<<[2]

فمبنى الطريقة أنه >> لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها وهي النبوة، أو ما في معناها من الولاية الكبرى، لأن الولي الكامل أقرب إلى النبي من جهة الدعاية إلى الله، ومن كونه مؤيدا بـــالله، ويكفي في تأييده محاربته من عاداه ومن كونه مشاركا له في ترتيب الدعاية حسبما تقتضيه الظروف والأزمنة من قوة وضعف ولا يشتغل إلا بما يجمع القلوب على الله وربط قلوب أتباعه على محبته قبل كل شيء <<[3].

ثانيا: استخدام الصحافة والتأليف والنشر

ما كان لنا أن نعرف الكثير عن مشروع الطريقة الإصلاحي لولا صحافتها والتي وإن لم تعلن أبدا أنها لسان حال الطريقة وشيخها فإنها كانت الأداة التي حاولت بها جمع شتات البقية الصالحة في الأمة لمعالجة أمراضها ومحاربة انحرافات أبنائها من دعاة التجديد والتفرنج والإدماج والتجنيس، واستمالة كل من يمكنه إصلاح حالها من أبنائها، وولاة أمرها من غير المسلمين. >> فالصحيفة هي المرآة المجلوة لتمثيل ذات الأمة بين الأمم وهي الواسطة بينها وبين حكومتها وهي المنبر العام لخطبائها، وهي السائق الوحيد لأفكارها<<[4] فضلا عن الدفاع عن التصوف.... كانت

---

[1] – (رسالة من الأستاذ أبي يعلى الزواوي إلى جناب الأستاذ العلوي، الشيء بالشيء يذكر)، البلاغ الجزائري، ع: 66، مستغانم: 29 شوال 1346، 25 أفريل 1928. أضاميم المد الساري، ج3، ص –ص 72-73.

[2] – أحمد توفيق المدني: حياة كفاح، ق2، المرجع السابق. ص 71.

[3] – محمد العوادي: (لا يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها)، لسان الدين، ع: 48،مستغانم: 15 محرم 1357 / 17 مارس 1938. ص – ص 1- 2 .

[4] – (إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين)، البلاغ الجزائري، ع: 1، مستغانم: 18جمادى الثانية 1345، 24 ديسمبر 1926. أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 56.

أداة الطريقة في توجهها الإصلاحي من محاربة التفرنج وسياسة الإدماج والتجنيس ، فضلا عن الدفاع عن التصوف.... ومظهرا من مظاهر التجديد فيها.

1- صحيفة لسان الدين[1] 1923

جاء في التعريف بها أنها: << جريدة دينية سياسية، إخبارية، أسبوعية، أسست لإعلاء كلمة الدين >> وقد صدرت بمدينة الجزائر في أول جانفي 1923، تحت رعاية جماعة مـــن فضـــلائها. ويؤكد أحمد المجاجي أن أرباب الصحف لم يكونوا يعرفون أنها من آثار العلاويين[2] لكـــن إدارتهـــا العلاوية ودفاعها عن الشيخ ابن عليوة لا شك أنه مؤشر قوي على مشربها العلاوي، أما غايتها كما وضحها مقالها الافتتاحي فهي: << أن تمكن هذا الدين الحنيف بصفته الخالصة من الشوائب فيما بين الأجانب فضلا عن أبناء الملة >>[3]ويعلق محمد العوادي على ذلك قائلا:<< لعل القائل يقول إن هذا أمل متسع فأقول نعم وأوسع منه من يستمد آماله من قوله تعالى (هو الذي أرسل رسوله بالهـــدى ودين الحق ليظهره على الدين كله ولو كره المشركون)[4]

لماذا لم تعلن لسان الدين أنها ناطقة باسم الطريقة العلاوية فهل كان الشيخ ابن عليوة يخشى من تهـــم أخرى يجرها على نفسه وهو في غنى عنها بالنظر إلى حملة الانتقادات التي تتعـــرض لهـــا الطريقـــة وشيخها؟ أم لأن مشروعها أوسع آمالا ومجالا من الطريقة وهي تريد أن تلتف الأمة حولها لتحقيقـــه فتحسن بها صورة الطريقة لدى معارضيها باهتمامها بقضايا الإصلاح الاجتماعي ومقاومة الآفـــات الاجتماعية التي لا يختلف عليها المسلمون مثل: الدعارة و تعاطي الخمور والقمار، وأيضـــا محاربـــة ثالوث الفقر والجهل والمرض، فالخلاف ليس عن ما يجب محاربته ولا على ما ينبغـــي فعلـــه وإنمـــا الخلاف عقائدي وحتى لا تظل الطريقة في حيز ضيق يهتم بالتصوف والمنتمين له بل توسع دائرتهـــا بأن تهتم بكل القضايا التي تهم المجتمع .

لكنها لم تلبث أن توقفت بعد إصدار اثني عشر عددا منها فهل كان ذلك بسبب صـــعوبات الطبع لعدم امتلاكها لمطبعة، حيث كانت في كل أعدادها تنشر إعلانا تبحث فيـــه عـــن مطبعـــة لشرائها؟ أما أنها توقفت بسبب منع الحكومة لصدورها.[5]لكن لماذا تمنع الحكومة صدورها ومقالاتها

---

[1]- يذهب محمد ناصر إلى أن صحيفة لسان الدين كانت تمجد الطريقة العليوية، وتبين مشاريعها الخيرية مؤكدة باتجاهها هذا بأن الذي أنشأها إنما هو أحمد بن عليوة الذي كان يطمح إلى ضم الطرق في الجزائر في طريقة واحدة يتولى هو مشيختها. وأن مديرها الحسن بن عبد العزيز ومحررها مصطفى حافظ. ينظر- الصحف العربية، المرجع السابق. ص 51. وهي معلومات تنقصها الدقة من ذلك أن إدارتها كانت لمصطفى حافظ من ع:1 إلى ع:6 ثم انتقلت للحسن بن عبد العزيز من ع:7 إلى ع: 12. أما صاحب امتيازها حتى العدد الخامس فكان صالح بن ديمراد، ثم أصبح الحسن بن عبد العزيز صاحب امتيازها بعد ذلك.

[2]- الشهائد والفتاوى، المصدر السابق. ص 58.

[3]- لسان الدين، ع: 1، الجزائر: 2 جانفي 1923

[4]- سورة التوبة، الآية: 33.

[5]- محمد العوادي: إرشاد النبيل إلى مقالات الأستاذ الجليل، المصدر السابق. ص 3.

مداهنة لها ولا يوجد فيها ما قد يفضي إلى توقيفها!؟ كما أنه لم يشر لصدور أمر حكومي بتوقيفها أي من المتتبعين.

غير أن ما ورد من تعليق في كتاب (أعذب المناهل في الأجوبة والرسائل) عن رسالة وجهها الشيخ ابن عليوة إلى الوالي العام لولاية الجزائر يشكو فيها عدم الترخيص لأتباعه بفتح زاوية يجتمعون فيها للذكر والذاكرة رغم مساعي الشيخ وأتباعه الحثيثة لدى الجهات المعنية ولمدة تسعة أشهر.[1] حتى اضطر إلى اتخاذ مقر الزاوية غير المرخص لها إدارة لجريدة (لسان الدين)، ويبدو أن ما نشرته الصحيفة من مقالات مكن الطريقة من كسب ثقة الحكومة التي >>سمحت بالاجتماع مع إسقاط الجريدة وحصل الوفاق عن كره وتمت الرواية بحصول المقصود<<[2] من هذه العبارة يتبين لنا بأن الإدارة الاستعمارية وافقت على فتح الطريقة لثلاث زوايا عبر أنحاء الوطن إحداها في عاصمة البلاد، لكن الموافقة هذه كانت مشروطة بالتوقف عن إصدار لسان الدين! فلماذا اشترطت ذلك؟ وما الذي كانت تخشاه من صدورها؟

إن صحيفة لسان الدين رغم مداهنتها للاستعمار من المؤكد أن أهدافها في الإصلاح الديني لم تكن لتتفق مع أهداف السياسة الاستعمارية في بلادنا، والمستعمر لا يثق بالأهالي وإن قدموا له كل فروض الطاعة والولاء، ولكنه يستغل خدماتهم مع الحذر الشديد وتشديد القبضة عليهم.

---

[1] – أحمد بن مصطفى العلاوي: أعذب المناهل، المصدر السابق. ص– ص 163- 164.

[2] – المصدر نفسه. ص 163.

2- صحيفة البلاغ الجزائري[1](1926-1934)

قدمت الصحيفة نفسها في عددها الأول على أنها: <<عاملة في خدمة-الدين والوطن-...غايتها...بذل الجهود في إيضاح المقاصد الدينية، والفوائد الشرعية زيادة على ما ستطرقه من إن شاء الله من الأبحاث الهامة، والنصائح العامة، معتمدة على الله في تحقيق الإنتاج، وتقويم الاعوجاج>>.[2] كما قدمت نفسها صحيفة وسطية ترفض الطعن في أي طبقة من طبقات الأمة وفي أي مذهب من مذاهبها.[3]وترى أنه من صلاح الأمة وإصلاحها في أن لا يتساهل في تنقيص سلفها وأن لا يمس بسوء أي مذهب من مذاهبها ما داموا متفقين على أركان الإسلام. منكرة على معارضيها وصمها << تارة بصحيفة الحلوليين وتارة بصحيفة المبشرين، وتارة بورقة المضلين>>[4] ، وقد أشاد بها الأستاذ أحمد توفيق المدني[5]الذي وصف برنامجها بأنه إسلامي وطني، وأن الصحيفة وإن كانت تدافع عن التصوف والطرقية، لكنها تحمل على البدع والأضاليل التي يرتكبها شيوخ الطرق ومريدوها ويشوهون بها وجه الإسلام الصافي.

هذه الصحيفة التي أصدرتها الزاوية العلاوية في مستغانم في ظروف كما يقول الأستاذ المدني[6]اتسمت باشتعال الحملة الإصلاحية ضد الطرقية. لكن لا يمكن أن نتجاهل صدورها مع تبلور الاتجاه الوطني الاستقلالي في تأسيس جمعية نجم شمال إفريقيا في فرنسا، بعد اجتماعات تمهيدية منذ مارس 1926،

---

[1] – جريدة أسبوعية صدر عددها الأول في 18 جمادى الثانية 1345 الموافق لـ 24 ديسمبر 1926 بمستغانم، وقد تعدد مديروها وأصحاب امتيازها فحتى العدد 61 (مارس 1928) كان حدوني محي الدين هو مديرها وصاحب امتيازها، وفي نفس السنة انتقلت إدارتها لوكيل الزاوية عدة بن تونس، العدد: 92 (نوفمبر 1928). ومنذ عام 1930 خلصت للخضر عمروش وأصبح مقرها بمدينة الجزائر العاصمة فكانت تصدر – مثل جريدة المغرب- عشرة آلاف نسخة شهريا في عام 1930. مقابل اثني عشرة ألف نسخة لجريد ألعقبي الإصلاح حتى وفاة الشيخ ابن عليوة عام 1934 فوق بجريدته في صف حسن الطرابلسي المنشق على الشيخ الجديد. وقد وصفها المدني بأنها << ذات برنامج ديني إسلامي وطني>>.ينظر: أحمد توفيق المدني: كتاب الجزائر، المصدر السابق. ص ـ ص 371- 372. وتقارير مصلحة الاتصالات لشمال إفريقيا:

–SLNA, op-cit, p 117.

لكن إذا كان التوجه الديني الإسلامي للصحيفة واضحا فإن البعد الوطني تمثل خاصة في اهتمامها بخصوصية الوضع والمشكل الجزائري، لذا ركزت جهودها على محاولة معالجته. أما الوطنية كمذهب سياسي فإنها لا تتفق مع مبادئ الطريقة ومشروعها الإصلاحي لذلك هاجمته على صفحاتها.

[2] - (إن في هذا لبلاغا لقوم عابدين)، البلاغ الجزائري، ع:1، مستغانم: 18 جمادى الثانية 1345، 24 ديسمبر 1926./ أضاميم المد اري، ج1، المصدر السابق. ص 56

[3] –الإدارة: (البلاغ الجزائري)، البلاغ الجزائري، ع: 19، مستغانم: 4 ذي القعدة 1345، 6 ماي 1927. / أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 61.

[4] – إرشاد النبيل إلى مقالات الأستاذ الجليل، المصدر السابق. ص 174.

[5] – كتاب الجزائر، المصدر السابق، ص – ص 371- 372.

[6] – المكان نفسه.

لتعقد مؤتمرها التأسيسي في 12 جانفي 1927، لذا كان من الأفكار التي حاربها الشيخ ابن عليوة (الوطنية) واعتبرها مضرة بالدين جالبة لسخط الفرنسيين وموسعة لشقة الخلاف بين المتعاشرين.

3- المؤلفات الدعوية

رسالة إرشاد الراغبين فيما للطريقة العلاوية من الفتح المبين

ألف هذه الرسالة الحسن بن عبد العزيز، فذكر فيها نبذة عن التعريف بالطريقة ومقاصـــدها وسبب تسميتها ونتائجها، ثم الذكر الخاص والذكر العام وتحدث عن علم القوم وسند الطريـــق ثم أدرج ضمنها المناجاة العلوية التي استغرقت إحدى عشرة صفحة وقد نشرت في نسخة واحدة مـــع رسالة القول المقبول التي جاءت في ثماني صفحات، أما إرشاد الراغبين ففي أربع وأربعين صفحة.

رسالة النجم الثريا في المآثر العلاوية:

وقد نشره قبل رسالة إرشاد الراغبين، لم أعثر على الكتاب الذي يقول عنه صاحبه >> ... وقد أطلت الكلام في نسبه الديني والطيني وعلى شمائله من حيث الخلق والخلق وحسن سيرته وذكر كراماته ومن لقيه من الفضلاء واعترف له بالفضل والمزية. وشهدوا له بالخصوصية. ومن هـــداه الله على يده بالدخول في الإسلام وذكر كثير من أجوبته في آيات وأحاديث وحل مشكلات في كتابنا المســــــــمى ب(الـــــــنجم الثريـــــــــا. في المـــــــــآثر العلويـــــــــــة) <<[1]

الشهائد والفتاوى: جاء هذا الكتاب ردا على رسالة الشيخ عبد الحميد بن باديس، (جواب سؤال عن سوء مقال)، وعن جملة صحيفة (النجاح) على شيخ الطريقة العلاوية وكان ذلك قبل أن ينضم مامي إسماعيل إلى صف المتعاطفين مع الطريقة وشيخها. وكان هدفها جمع شهادات من شانها تبييض صورة الشيخ ابن عليوة، فجاءت كلها مشيدة به وبأتباعه الذين قدمهم جامع الكتاب على أنهم من وجهاء المجتمع الجزائري، وقد أبرزت الشهادات مدى قدرة الشيخ ابن عليوة على تربية أتباعه، وعلى حفظ الأمن وصيانة الأخلاق في مناطق نفوذه ببركة النسبة، مع نفي تهمة البدعة عن الشيخ ابن عليوة وطريقته، وكانت تلك الشهادات لأعيان الطريقة الذين أخبر جلهم أنهم كانوا يبحثون عن شيخ تربية فوجدوا ضالتهم في الشيخ ابن عليوة. فهو بذلك لم يبث فيهم عقيدة جديدة وإنما حقق لهم ما كانوا يتطلعون له من سلوك للوصول إلى المعرفة المنشودة. كما أن شهادات نواب المجالس البلدية، وموظفي السلك الديني لصالح الطريقة العلاوية يدل على مدى رضى الإدارة الاستعمارية عنها.

وقد تم جمع الشهائد التي صاغ أسئلتها واختار الشخصيات الموجهة لها الأسئلة محمد بن عبد الباري التونسي،- الذي توفي قبيل إصدار الكتاب- وكان تسليم الأسئلة يتم باليد وبترتيب مقصود، حيث

---

[1] - الحسن بن عبد العزيز: إرشاد الراغبين، المصدر السابق. ص 16 .

يتلقى حامل الأسئلة الشهادة ليطلع غيره ولا يخفى ما في ذلك من تحفيز لهم على المضي في تأييد الشيخ ابن عليوة وطريقته حتى بدا من خلال الكتاب وكأنه نال إجماع الأمة لا في الجزائر فحسب وإنما في تونس والمغرب الأقصى أيضا.

وللذب عن التصوف ونفي البدعة عن الممارسات التعبدية للطريقة العلاوية أصدرت الطريقة عدة رسائل في تونس ودمشق تدافع فيها عن مشروعية الذكر بالاسم المفرد والخلوة، والتوسل بالأولياء، وحمل السبحة للذكر و...... من هذه الرسائل: رسالة (القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف) ورسالة (القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد) ورسالة (الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف) ووزعت في الجزائر فضلا عن ما نشر على صفحات البلاغ الجزائري.

ثالثا: تنظيم الجمع السنوي

كان الجمع خاصا بأبناء الطائفة وحدهم منذ عام 1927 أصبح الشيخ ابن عليوة يدعو له يدعو لحضوره مختلف فئات الأمة فكانت تحضره طوائف من نوازع شتى، والعديد من الأعيان والفضلاء والعلماء، وإن كان يقع باسم الطائفة العلاوية، فقد كان احتفال الأمة، يقام للمصلحة العامة، ولتبادل الأفكار في أساليب خدمة الملة. فدعا له كل من توسم فيه القدرة على خدمة الأمة ومشروعه الإصلاحي التجديدي، فوجه الشيخ ابن عليوة في ذلك العام دعوة خاصة إلى العلماء الإصلاحيين بلهجة ملؤها المحبة والوداد لحضور المؤتمر والتفاهم لإزالة أسباب الاختلاف، والتعاون على خدمة مصالح الأمة ونهي العلاويين عما هو مخالف للشرع ومعاضدتهم إن وجدوهم على الصراط المستقيم بقوله: >> إليكم أيها السادة الكرام، والعلماء الأعلام، نوجه خطابي(كذا) وانهي كلامي، بصفتكم داعين إلى الكتاب وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويا ما أسعدنا وأسعدكم بإقامة هاته الدعوة، والعمل على ما تقتضيه التقوى، وقد (كذا) طالما تكررت على مسامعنا وأسماع غيرنا، وها هو قد هيأ الله لنا أسباب الاجتماع، وطرق الانتفاع، بحلول اجتماع العلويين، المقبل ...فهيا نشد العضد ببعضنا ... للتمييز بين الصحيح والفاسد، فهيا بنا نتحد على ما يوافق صريح النقول، ثم نتفاهم فيما وراء ذلك بما هو معقول، فهيا بنا نمد لبعضنا يد المساعدة، فيما نراه صالحا لنفع الأمة، ومفيدا لتشييد صروح الملة. فهلم لتنظروا أحوال اخوانكم العلويين، وما هم عليه في اجتماعاتهم وتذكيراتهم، فإن كانوا على الجادة والصراط المستقيم، تشكروهم وتوازروهم وتتخذوهم عضدا وان كانوا على غير ذلك فذكروهم بألطف عبارة وارق أسلوب ..فهلم إلينا نتفاوض فيما يزيل من بيننا تلك الفوارق القاضية على جمعنا ومجموعنا ...فهلم إلينا ننهي دور القول، ونشرع في دور العمل... <<[1]

وكان ممن حضر جمع عام 1928 بجامع سيدي رمضان من التيار الإصلاحي كل من أبي يعلى الزواوي وأحمد توفيق المدني، كانت تلقى فيه الدروس من قبل العلماء وبلغات شتى (العربية والفرنسية والشلحية) وتتخل الخطب تلاوة من الذكر الحكيم، وسماع.[2]

كان أول من مهد للخطباء الشيخ مصطفى حافظ ، وتلاه عدة بن تونس، ثم الشيخ السعيد الزواوي، ثم الشيخ الحسن بن عبد العزيز التلمساني ثم الأستاذ الشيخ سعدوني بن المداني المدرس ببلد اورلال ثم عبد المجيد بن إبراهيم رئيس زاوية طولقة، ثم حضرة الخطيب المصقع السيد أحمد توفيق المدني، ثم الشيخ ابن البشير الرابحي المدرس بمدينة البليدة، ثم الأديب عبد الله البريكسي التلمساني، ثم حضرة الحكيم السيد محمد بن العربي (بالفرنسية)، ثم الشيخ الصديق بن يحي المدرس ببلاد

---

[1] – عدة بن تونس : الروضة السنية، ط1، المصدر السابق. ص – ص 66-67.

[2] – البلاغ الجزائري، ع: 92، 26مستغانم: جمادى الأولى 1347 - 9 نوفمبر 1928.

القبائل(بالشلحية) ثم الحاج حسن شيخ الزاوية العلوية بمدينة عنابة والمدرس بها، ثم بلقاسم بن مسعود الدباغ الفاسي مسكنا، ثم السيد حمد شكيكين النائب العمالي والعضو بالمجلس البلدي (بالفرنسية وعند انتهاء الخطب ألقى الأستاذ العلوي درسا عاليا وعقب ذلك قام جناب الأديب المدني ولخص الدرس للحاضرين[1]

وأما في عام 1933 فقد انتظم الجمع بمستغانم[2] ولعل ذلك عائد إلى الظروف الصحية للشيخ ابن عليوة فضلا عن الانحياز الصريح لأبي يعلى الزواوي إمام مسجد سيدي رمضان- حيث كان ينعقد الجمع بالجزائر – لجمعية العلماء المسلمين الجزائريين، إثر الشقاق وتشكيل الطرقيين لجمعية علماء السنة. وفشل كل محاولات التقارب والتفاهم بين الفريقين.

رابعا: الدعوة لتوحيد التعليم وإجباريته

إن الهدف من توحيد التعليم هو خلق مجتمع أصيل ومتجانس عقائديا وفكريا، وقبل ذلك النهوض بأحوال أبناء الجزائر رجال المستقبل الذين أهمل واجب تعليمهم، حفاة عراة، الفقر والجوع يفري أحشاءهم، حتى صاروا هدفا لكل مصيبة وبلاء، أموات غير أحياء. << يقضون بياض نهارهم، وجل ليلهم في مسح الأحذية — ولا يخفى ما في ذلك من المذلة والصغار — وإذا تجمع لديهم من ذلك قليل من الدراهم يبددونه — من جهلهم — في شرب الدخان والمقامرة وشرب الخمر وغير ذلك من الأعمال الممقوتة التي يأباها الشرع ويمجها الطبع، والتي تهوي بصاحبها إلى دركات الأخلاق وتغمسه في حمأة الفساد، فيشبون على ذلك ويشيبون...فيسيء حالهم...ويكونون كالعضو الأشل...كلا على غيرهم أو يفسدون في الأرض ولا يصلحون>>[3]ولا شك أن التعليم ضرورة لحمايتهم من الضياع والهوان الذي هم فيه، ولكن أي نوع من التعليم يصلح حال أبناء الجزائر؟ وهل نهوض الأمة يتأتى بالتعليم الحديث؟ يرى الشيخ ابن عليوة أنه رغم إجماع الكثير من الكتاب والمفكرين على أن الذي ضعضع مجد الأمة، وأدخل الوهن عليها هو تفشي الجهل بين مختلف فئاتها كما يرون أنه لا نهوض للأمة إلا بتعميم التعليم على كافة طبقاتها. إلا أصحاب البلاغ الجزائري فهم يرون أن ذلك يصدق على حال أمم أخرى أوجدها التعليم بعد أن كانت نكرة، أما أمة الإسلام فالإيمان هو قوام وجودها وبعده انتشر التعليم، ولذا عليها أن تهتم بكتاب الله المترل وتعمل على تعليمه وتعميمه عسى أن تكتسب من روحانياته روحا جديدة لأن سبب ما هي فيه الآن من ضلال وضياع هو<< ضعف الإيمان وتسرب الشك إلى عقائدها >>[4]

---

[1] – البلاغ الجزائري، ع : 92، مستغانم: 26 جمادى الأولى،1347، 9 -11- 1928 .

[2] – (من الزاوية العلوية، تنبيهات يحتاج إليها)، البلاغ الجزائري، ع: 312، الجزائر: 6 أكتوبر 1933.

[3]– فتى الجزائر: (رجال المستقبل – عبرات–) البلاغ الجزائري، ع: 26، مستغانم: 1-7- 1927.

[4] – إرشاد النبيل إلى مقالات الأستاذ الجليل، المصدر السابق. ص- ص 185-186.

وتساءلت صحيفة البلاغ الجزائري: ما الذي يمنع الناس من الاتفاق والتعاهد على تأسيس الأندية والتعاضد على تأسيس الأندية للاجتماع والمدارس الخصوصية لتعليم العربية وآدابها الراقية ونشر الفضيلة ومحاربة الرذيلة.

كما تساءلت عن ما يمنع الناس من صرف أموال الولائم والمآتم والموائد والزوائد في تعليم أبنائهم القراءة والكتابة والحساب وفق النظم الحديثة المعمول بها في العالم.[1]

أما التعليم الحديث البعيد عن القيم الدينية فلن يزيد المتعلم إلا انحلالا وضياعا وبقدر ما ينال منه يبتعد عن إسلامه وأمته، حيث يطرح جانبا قيمه ليأخذ من قيم غيره، ثم تذهب به إلى حيث مصدر معلوماته.[2]

ويؤكد أبو يعلى الزواوي أن الشيخ ابن عليوة كان يرى أن >> لا نهوض لأمتنا إلا بتوحيد التربية والتعليم وتعميمهما، فينشأ النشء الجديد على دين واحد، ومذهب متحد في النهضة والإصلاح، لتتقرب المدارك والمقاصد، وتكون التعاليم صحيحة ذات تسامح ديني، وذات اجتماع وحسن العشرة والمعاملة مع الموافق والمخالف في الدين؛ ذلك أن أوروبا وأمريكا مخالفون لنا وغالبون متقدمون علينا، ولا مانع لنا من الدين أن نقسط إليهم ونبرهن لهم بأن ديننا دين مدنية، وعشرة، ومساعدة، ولا إكراه فيه... <<[3]

لكن ليبدأ المتعلم أولا بكتاب الله وما يحصن به شخصيته، ثم يتلقى التعليم الإجباري المزدوج الابتدائي ولم يطالب النواب بأكثر من>> مدارس ابتدائية عربية فرنسية في أنحاء القطر يتعلم فيها الغني والفقير سويا تعليما إجباريا<<[4] مادام التعليم الإجباري من روح الإسلام بل >> هو نفس ما جاء به الإسلام، غير أن أمراءه طبقوه بصفة الترغيب <<[5] وما دام العلم فريضة على المسلم يستغرق في طلبه العمر كله (أطلب العلم من المهد إلى اللحد)، ويأخذه حيث كان(أطلب العلم ولو في الصين)، ومن أي كان، ما دامت (الحكمة ضالة المؤمن يأخذها حيث وجدها) ولو من كافر، مع العمل على الاستفادة من المدنية العفيفة، فالشيخ كان يحث أتباعه على إرسال أبنائهم للمدارس الفرنسية، وعلى تعلم قيادة السيارة، كما دعاهم للتحكم في الأعمال الميكانيكية، وتعلم كل ما فيه نفع الإنسان.[6] وهو ما نقلته عنه أيضا جريدة (الوهراني الصغير) Le petit Oranais الصادرة في السادس جانفي من عام 1924 حين صرح لها قائلا: >> لماذا تريدوننا نحن المعاصرون للحضارة

---

[1] - (الإصلاح الإصلاح)، البلاغ الجزائري، ع: 68، مستغانم: 14 ذي القعدة 1346- 4 ماي 1928.

[2] - إرشاد النبيل إلى مقالات الأستاذ الجليل: المصدر السابق. ص 186.

[3]- أحمد حماني: صراع السنة والبدعة، ج2، المصدر السابق. ص 79.

[4]- فتى الجزائر: (رجال المستقبل - عبرات-)، البلاغ الجزائري، ع: 26، مستغانم: 1 جويلية 1927.

[5]- أحمد بن مصطفى بن عليوة: الأجوبة العشرة، المصدر السابق. الفصل الخامس من الجواب الرابع.

[6] -Augustin .Berque: op-cit. p 771

الأوربية أن لا نهتم بهذه الحضارة المدهشة؟ أما من جهتي أنا فإنه لا يمر علي يوم دون أن أطلب من أتباعي إرسال أبنائهم للمدرسة لتعلم اللغة الفرنسية...وأن يتعلموا قيادة السيارة...وأن يستوعبوا أسرار أعمال الميكانيكا، وذلك لا يتعارض مع الدين...إن الدين لا يمنع الإنسان من بلوغ أعلى درجات العلم... <<[1]وأكد المجاجي[2] على أن الشيخ ابن عليوة كان يدعو الدعاة إلى حث الأبناء على تعلم الحرف والصناعات المهمة حتى لا يكونوا عالة على الأجانب.

ولكن ما آلمه هو أن حظ أبنائنا من المدنية الحديثة كان أسوء ما فيها >>فبدل أن يغتنموا فرصة الاستفادة من الفوائد الرياضية، والصناعية، والعلمية، التي يطلبها التمدن العفيف والتي تحاول فرنسا تعميمها، جنحوا ويا للأسف إلى ما فيه مضرتهم المادية والأدبية بسبب استرسالهم في الملاهي والمفاسد، الأمر الذي لا يستفيدون منه إلا ضعفا في الأبدان والعقول والأموال! ولا يبعد أن تسري عدوة ذلك الداء حتى في أبنائهم فيجيئون على ضعف البنية وفساد الطبع.<<[3]

1- موقف الطريقة من تعليم المرأة

حكمت نظرة الشيخ لحجاب المرأة المسلمة، والذي يراه قرارها في بيتها، في موقفه من تعليم المرأة وهو القائل: إن>> الحجاب ليس هو عبارة عن ثوب تتخذه النساء ليتلففن [كـــذا] فيـــه، ثم يسترسلن في نحو الطرقات والمحافل...إنما الحجاب هو عبارة عما يلزمهن بالمكث في بيوتهن، بحيث لا يخرجن إلا لما هو من قبيل الضروريات وإذا خرجن فليدنين من جلابيبهن... وبذلك يتأتى للمرأة أن تشتغل بملزوماتها [كذا] وأن تقوم بضروريات بيتها<<[4] ولذلك اعتقد أن الإسلام لا يسمح أن تزيد تزيد المرأة في تعلمها على ما يخصها في شؤون منزلها وتربية أبنائها وملاطفة زوجها وما هو من هذا القبيل، خلافا للتعاليم الأوربية التي تريد تعليمها على نفس منهج الذكور.[5] وظل إشكال من يعلـــم المرأة العلم الواجب مطروحا – مادام (طلب العلم فريضة على كل مسلم ومســـلمة)-؟ ثم كيـــف السبيل لتعليمها وتهذيبها، دون التعرض لمضار الاختلاط والسفور؟ فجاء الجواب في مجلـــة المرشـــد صريحا: إن تعليم المرأة واجب ولكن في قعر بيتها وبواسطة زوجها أو ذي محرم من أقاربهـــا، وهـــو الأوفق والأنسب في عصرنا هذا وما سوى ذلك باطل ضرره أكبر من نفعه ومصيبته أكبر المصائب، وخير للمرأة أن لا ترى أجنبيا ولا يراها[6]

---

[1] - Salah Khelifa: op-cit, p: 276.

[2] -(الإصلاح وما الإصلاح)، البلاغ الجزائري، ع :297، الجزائر: 22 صفر 1352، 16 جوان 1933.

[3]- (حديث للأستاذ العلوي مع مكاتب)، البلاغ الجزائري، ع: 34، مستغانم: 27 صفر 1346، 26 أوت 1927 .أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 297.

[4]- أحمد بن مصطفى بن عليوة: الأجوبة العشرة، الفصل الرابع عشر من الجواب الرابع.

[5]- المصدر نفسه، الفصل السادس عشر من الجواب الرابع.

[6]- لسان الدين، ع: 39.

و لم يكن هذا الحكم غريبا في ذلك الوقت، فقد اشتد جدل ونقاش الحركة الإصلاحية أيضا منذ ظهور المدرسة الحرة ومن يعمرها من النشء، قال فريق البنين والبنات، وقال آخر البـــنين دون البنات، لكن في النهاية رجحت كفة تعليم المرأة.[1]

2- التعليم الحر والتجربة الرائدة لمصطفى حافظ

كان التميز في ميدان التعليم تمثل في التعليم الحر[2] والتجربة الرائدة لمصطفى حافظ بن محمد (1894–1932) فالرجل صوفي المشرب، علاوي الطريقة، انتسب للشيخ بعد سياحته للجزائر العاصمة عام (1921).[3] وأصبح من أخلص أتباعه، ينافح عنه وعن البرنامج الإصلاحي لطريقته خاصة عند توليه إدارة الأعداد الأولى من صحيفة لسان الدين، والتي لم يتخل عنها إلا ليتفرغ للتعليم، ولما حدث الشقاق بين الإصلاحيين الطرقيين أصبح عضوا في اللجنة التنفيذية لجمعية علماء السنة[4]. تولى في أوائل العشرينات إدارة أول مدرسة حرة أنشأت في الجزائر وهي مدرسة (الشبيبة الإسلامية) بالعاصمة، التي كونها المحسنون ورضيت عنها الإدارة الفرنسية واعترفت بها، وتولت تعليم اللغة العربية والدين الإسلامي للأطفال الجزائريين.[5] وبعد استقالة مصطفى حافظ انتقلت إدارتها لعمر بن قدور الذي أصبح على رأسها عام (1928)[6]وابن قدور كان تيجاني الطريقة مما يدل على أن التجربة لم تكن علاوية محضة. غير أن مصطفى حافظ يتولى إدارة مدرسة أخرى وهي مدرسة السلام التي تدعمها جمعية السلام، وقد جمعت من أبناء الضعفاء والأيتام فكفلتهم وحملت على عاتقها تربيتهم وتحسين شؤونهم وتلقينهم من المبادئ الدينية والأخلاق الإسلامية ما يضمن لهم

---

[1] – صالح خرفي: المصدر السابق. ص 172.

[2] – عن التعليم الحر يقول أحمد توفيق المدني: << حدثت في الأمة نهضة خيرة، وكانت جهود هذه النهضة كلها متجهة نحو التعليم والتهذيب، فأخذت الأمة تقوم في كل البلاد بتأسيس المدارس القرآنية الحرة إنما على نمط حديث.. فتعلم القراءة والكتابة والقرآن الشريف مع ما يلزمه من أدوات عربية، مما لا غنى عنه بإتقان علوم الدين كالحساب لمعرفة الفرائض وغير ذلك؛ وأظهر الناس رغبة شديدة في إيجاد هذه المدارس التي أنقذت آلاف الأطفال من أخطار الأزقة المادية والأدبية >>يؤكد أن مصطفى حافظ هو أول من فكر في تكوين هذا الضرب من التعليم القرآني المنظم، وما عتمت الأمة أن نسجت على منواله وأقبل الناس على تأييده بالمال الجزيل، لا فرق بين غنيهم وفقيرهم. ينظر: كتاب الجزائر، المصدر السابق. ص 305./ مدرسة نظامية.

[3] – ينظر – مصطفى حافظ: الشهائد والفتاوى، المصدر السابق، ص – ص 133-137. يسمي مدرسته المدرسة القرآنية النظامية. نفسه. ص 138.

[4] – (نفس طيبة وروح أبية)، البلاغ الجزائري، ع: 275، الجزائر: 20 جمادى الثانية 1351هـ – 21 أكتوبر 1932. (وفاة المدرس بمدرسة السلام والعضو في اللجنة التنفيذية لجمعية علماء السنة). أنظر أيضا ع: 281 و 282.

[5] – أبو القاسم سعد الله: تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، المرجع السابق. ص – ص 281 – 282 / الشهاب، ع: 29 نوفمبر 1928 ص 11- 12.

[6] – ينظر غلاف كتاب: الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة، المصدر السابق.

بقاءهم على دين آبائهم.[1] وبذلك أصبح أتباع الطريقتين التيجانية والعلاوية يسيرون مدرستين حرتين رائدتين بالجزائر العاصمة.

فهل استعان الشيخ ابن عليوة بمصطفى حافظ لتنفيذ مشروع تعليمي نهضوي ينقذ أبناء المسلمين من الوقوع في حبائل المبشرين وجعل المدرسة حرة لا علاوية لتلتف الأمة حول المشروع وتموله وتآزره حتى يحقق هدفه خدمة للأمة، لا لخدمة طائفة؟ وهل وجد فيه مصطفى حافظ بدوره الحماية لمشروعه النبيل الرائد هذا ؟

وقد شهد خاصة الطائفة العلاوية للرجل بأنه لم يكن طائفيا وأن همه الأكبر تمثل في نشر الثقافة الإسلامية على النمط الحديث لأنه يراها ضرورية لرقي شعبه وأبناء ملته المحمدية فأفنى عمره في تربية الناشئة الجزائرية بالتثقيف طورا وبالتأليف أخرى.[2] كما وصفه آخر بأنه كان >> مفكرا نصوحا مخلصا في جميع أعماله، لم يسع إلا لعز الإسلام الصحيح الذي هجره أهله وخذله أتباعه. ذا أفكار سديدة وسياسة إسلامية مستقيمة، متمدنا بتمدن آبائه الخالص من شوائب العصر، **قومي صحيح القومية، وطني ثابت الوطنية، جزائري صادق الجزائرية**، ذا سياسة حكيمة وأفكار مصيبة وهمة عالية.<<[3]

ولاشك أن شيخه كان يدعم المشروع ويؤيده، وإلا لما أعطاه الأولوية على إدارة صحيفة لسان الدين. ولكننا لم نرى من أبناء الطائفة من نسج على منواله في باقي الحواضر. ولا شك لندرة أشباه مصطفى حافظ. والمؤكد أيضا لدينا هو أن الشيخ ظل ينظر إلى التعليم على أنه عمل خيري، مكمل ومساعد على الإصلاح وليس دعامة من دعاماته.

[1] – (كتاب معقول إلى فضيلة الشيخ >>........<<)، البلاغ الجزائري، ع: 185، الجزائر: 24جمادى الأولى 17،1349 أكتوبر 1930.

[2] – الحسن بن الطاهر: (طود شامخ)، البلاغ الجزائري، ع: 282، الجزائر: 10 شعبان 1351 – 9 ديسمبر 1932.

[3] – ابن بشير العلقمي: (زفرة بركان)، البلاغ الجزائري، ع: 281، الجزائر: 3 شعبان 1351 ـ 2 ديسمبر 1932 .

خامسا: تكوين جماعة تكون له ترجمان أمام الغرب (التقارب الإسلامي الكاثوليكي الفرنسي)

كان الشيخ ابن عليوة يرى أن الدعوة للإسلام في الغرب تتم بالحكمة والموعظة الحسنة ونشر الكتب والمجلات والمحاضرات والمسامرات[1]، ولذلك شرع في تحرير كتاب الأجوبة العشرة: ولكنه ظل مبتورا، وعزم على إنشاء جريدة إسلامية باللغة الفرنسية لكنها لم تر النور وقد تكرر الإعلان عنها في مختلف أعداد لسان الدين تحت عنوان: أمـــل. ولكنه لم يتحقق.

وقد كان واثقا من دعوته دون عقدة ولا شعورا بالنقص تجاه الغرب. فإذا كان الغرب أستاذ العالم في الماديات فالعالم الإسلامي جدير بأن يكون أستاذا للغرب أخلاقيا وعقائديا، فلو اهتدينا بهدي ديننا وعملنا بتعاليمه وتعاونا على تبليغه << لاستفاد العالم الغربي من أخلاقنا ومعتقداتنا فيصبح العالم الإسلامي أستاذا للعالم الغربي في الأدبيات، كما أضحى هو أستاذ العالم الشرقي في الماديات، ولكن أين العاملون؟..>>[2] وظل ينشد المتمسكين بتعليم الإسلام العاملين على تبليغه قائلا: << سأكون سعيدا، إذا تمكنت في يوم ما أن أُكَوِّنَ جماعة تكون لي ترجمانا بين أوروبا والمسلمين، لأنني متيقن من أنه إلى حد الآن لا تزال أوربا تجهل خصوصيات الإسلام، إذا أمكننا تأسيس هذه النواة القادرة على إيصال مقاصد الإسلام، لا أشك لحظة واحدة في زوال المسائل التي تفرقنا >>[3] ونسبت له مقولة أخرى – لم أجد لها أثرا فيما بين يدي من آثار الشيخ – وهي قوله: << أنا روح مجردة، والروح محتاجة إلى جسد، محتاجة إلى لسان وأذنين وعينين إني أبحث عن جسد، لو أمكن لي أن أجد جماعة تكون لي ترجمانا أمام الأوربيين، سوف يندهشون عندما يلاحظون أن لا شيء يفرق الغرب والإسلام.>>[4] ومن أعضاء هذه الجماعة نجد:

شارل طابيي(عبد الرحمان طبي) ت عام 1923

يعتبر شارل طابيي أهم شخصية أذكت المشروع الإصلاحي للشيخ، ونفخت فيه من روحها، ودعمته. حتى أني أجده نواة المجموعة التي كان الشيخ ابن عليوة ينوي تكوينها لتبليغ الإسلام الصحيح لأوربا، وكتاب الأجوبة العشرة أبلغ دليل على ذلك. فقد جاء ردا عن الأسئلة العشرة التي طرحها عليه طابيي وطالب منه الإجابة عنها وفق منهجية علمية تعتمد على الحجة

[1] – البلاغ: (إننا لمحتاجون لبث دعاية إسلامية)، البلاغ الجزائري، ع: 150، الجزائر: 2 شعبان 1348، 3 جانفي 1930. أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص 178.

[2] – المصدر نفسه. ص 179.

[3] – El morchid, n° 48, 4e Année, Mostaganem :1 er Redjeb 1370- 8 avril 1951.p 6.

[4] –Eric Geoffroy: le rayonnement spirituel du cheikh al Alawi en occident, 1ere édition, Mostaganem : 2002. p 370 je suis une âme nue et une âme a besoin d'un corps. Elle a besoin d'une longue , d'oreilles, d'yeux, de mains, je cherche un corps. si je trouvais un groupe qui soit mon interprète au près du monde de l'Europe, on serait étonné de voir que rien ne divise l'occident de l'Islam .

والإقناع وتعهد بترجمتها إلى اللسان الفرنسي، تمهيدا لنشرها في الغرب لتكون وسيلة لتبليغه تعـــاليم الإسلام الصحيحة. ولتجسيد مشروع دعوة أوربا للإسلام بدأ في تحرير الأجوبة العشرة وهو عمـــل تطلب تضافر جهود كتابه لجمع النصوص وتصنيفها وتحليلها، تجلى ذلك مقالاته التي طغى عليها الطابع العلمـــي ورصانة الأسلوب، وسلامة اللغة. لكنه لم يكد ينهي الجواب الرابع حتى توفي صاحب الأسئلة العشرة.

جوستاف أندري (عبد الكريم) جوصو 1866- 1951

رسام وكاريكاتيري فرنسي، عرف تقلبات عديدة في حياته، ثم دخل الإسلام وقد نشر لـــه عام 1913، ترجمة لكتابه اعتناقي للإسلام . استقدمه الشيخ ابن عليوة من تونس بواســـطة كاتبـــه محمد العيد الشريف ورفيقيه جعفر الطيار ومريم سرينو[1] لحضور الجمع السنوي لعام 1924 ولعلـــه أراد بذلك تعويض شارل طابيي المتوفى، وقرب منه خاصة جوصو الفنان الرسام الشهير وقد ألقى في الجمع كلمة ترجمها جعفر الطيار للحضور، ثم ألقى هو الآخر خطبة باللغة العربية.[2] ومما جـــاء في كلمة عبد الكريم جوصو: >>قدمت عليكم من بلد الشكوك والأوهام، قدمت عليكم مـــن بلـــد الكفر والإلحاد، قدمت من ظلمات بعضها فوق بعض، لنستضيء بنوركم، أعـــني نـــور الإســـلام الساطعة أنواره في أفوق (كذا) القلوب والبصائر.<<[3] ومما جاء فيها وأيضا عزمه العودة إلى مستغانم قصد الإقامة فيها[4]. ولكنه ذهب إلى تونس و لم يعد، ولا نعرف أي شيء عن علاقته بالشـــيخ ابـــن عليوة فيما بعد غير أنه كتب عام 1928 كتيبا عنوانه: Le Sentier d’ALLAH (الطريق إلى الله)، تحدث فيه عن تجربته منذ دخوله بالإسلام إلى أن التقى بالشيخ ابن عليوة. دون الحديث عن نتـــائج اللقاء، غير أنه واصل نشر مقالاته في تونس في جريدة صوت التونسي بإمضاء المرشـــد العلـــوي[5]. لكنه لم يملأ مع مرافقيه الفراغ الذي تركه وفاة الصحفي الشهير شارل طابيي صاحب جريدة الحق الوهراني. فهل كان ذلك لأنه لم تتوفر فيه شروط معينة فلم يجد القبول عند الشيخ؟ ولعل أهمها عدم إلمام جوصو باللغة العربية، في حين الشيخ بحاجة إلى من يجيد اللغتين معا. ولا يوجد لدي أي دليـــل على أنه عاد لزيارة شيخه ثانية وتظل أسباب عدم عودته لمستغانم أيضا غير واضحة.

---

1 –Abdou- L-Karim Jossot : op-cit, p: 50-51-53..

2 – محمد الشريف التونسي: (مستغانم احتفال العلويين)، النجاح، ع: 179، قسنطينة: الجمعة 24 أكتوبر 1924 .

3 - محمد الشريف التونسي: (مستغانم احتفال العلويين)، النجاح، ع: 180، قسنطينة: الجمعة 31 أكتوبر 1924.

4 – Abdou- L-Karim Jossot:: op-cit. p 54.

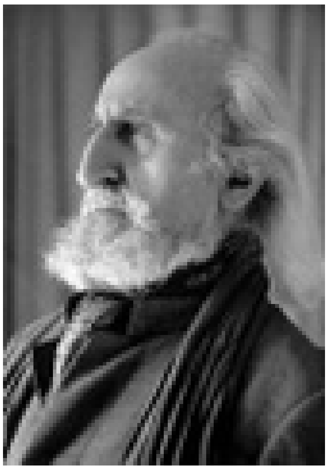
5 - تليلي العجيلي: المرجع السابق. ص 154.

روني ڤينو(عبد الواحد يحي) (1886 - 1952):



لم يكن من أتباع الشيخ ابن عليوة وإنما كان متعاونا معه لتحقيق هدف مشـــترك، وهـــو فرنسي من بلوا، دخل الإسلام في حدود عام 1912، وخلال سنة 1913 كان يعمل مدرسا بثانوية سطيف، انتقل إلى القاهرة وانتسب للطريقة الشاذلية، كان على اتصال مستمر بالمراسلة مع الشـــيخ ابن عليوة فوجه له بعضا ممن دخلوا الإسلام من الأوربيين ليرشدهم، يذكر(اريك جوفري) (يونس) أنه يملك رسالة خطية من ڤينو يأمر فيها صهريه اللذين كانا يريدان إشهار إسلامهما بالتريث، ولعل حركة تجديدية قريبة تحدث في الكنيسة الكاثوليكية ولكنه حينما يئس من إمكانية تحقيق ذلـــك أذن لهما بإعلان إسلامهما ووجههما إلى الشيخ ابن عليوة.[1]

فريجوف شيون: (عيسى نور الدين) (ت: 1974)



فنان سويسري ألماني، أسلم في باريس، وكان من المقـــربين لروني قينون الذي أرسله إلى مستغانم فانتسب إلى ابن عليوة أشهرا قبل وفاة الشيخ، ثم أخذ العهـــد عن الشيخ عدة بن تونس الذي عينه مقدما في أوروبا وأذن له في تلقين الورد، استقر فريجوف شيون بسويسرا عاملا على نشر تعاليم الطريقة العلاوية، وقد التفت حوله جماعة بـــارزة منـــهم تيتـــوس

[1] - Eric Geoffroy: <u>le rayonnement spirituel du cheikh al Alawi en occident</u>, op- cit. p 364.

بيركادت، مارتن لينغز وميشال فالسان(ت 1974) الديبلوماسي الروماني بباريس ، وصاحب مجلة الدراسات الأكبرية ومدير مجلة دراسات تقليدية ، وهو أيضا صاحب مقال عن الطـــابع العيســـوي لابن عليوة. وبالاتفاق التام مع روني قينون، انفصل فريجوف عن الشيخ عدة بن تـــونس وأســـس طريقة جديدة سماها <<المريمية>> مركزها بالأنديانا في الولايات المتحدة الأمريكية. وبعد وفاة شيون خلفه مارتن لينغز الإنجليزي،(1909-1998) ورئيسها الحالي هو حسين نصر الإيراني.[1]

وفي انتظار أن يمن القدر بتلك الجماعة المنشودة، حث الشيخ ابن عليوة المسلمين على دفع ما ألصق بالدين من قمم بواسطة من أهلهم الله من رجال المقدرة العالمين باللغتين القادرين على إظهار الحقائق بصفتها الناصعة حتى إذا اتضح من تعاليم الدين تبين سوء فهمهم له تسنى للمسلمين والفرنسيين أن يضع كل منهما ثقته في الآخر ويطمئن له ولا أحد من الفريقين حاجته لذلك أقل <<مـــن حاجـــة الآخر لان تبادل الثقة بين المتلازمين ضروري لا يستغني عنه رئيس ولا مرؤوس فكلاهما يراه أكـــبر آماله في مقابله>>[2]

[1] - Ibid, pp 363-364

[2]– البلاغ الجزائري، ع: 4 - 14 جانفي1927.

المبحث الرابع: تقييم نتائج المشروع الإصلاحي العلاوي

كانت من نتائج مداهنة الطريقة العلاوية للاستعمار وانتهاج سياسة التقارب الكاثوليكي الفرنسي والاقتصار في محاربة سياسة التنصير على الإرساليات البروتستانتية المعروفة بعدائها لفرنسا، في حين غالبية الجزائريين الذين تنصروا كانوا في منطقة القبائل على يد الآباء البيض، جعل الطريقة العلاوية تصنف ضمن فئة الطرقيين الموالين للاستعمار الذين لا يرون النور خارج الإطار الفرنسي. مما قضى بالفشل على حركته محليا بسبب تذمر حتى الطرقيين أنفسهم من هذا الأسلوب.

كما أنه لم يتمكن من إصدار صحيفة إسلامية باللسان الفرنسي تكون موجهة للغرب لتعريفه بالإسلام ودعوته إليه، وأيضا توقف إنجاز مشروع كتاب الأجوبة العشرة عند الإجابة على السؤال الرابع إثر وفاة شارل طابيي (عبد الرحمن طبي) ، وظل مشروعا طموحا لم يكتب له أن يرى النور، فلم ينشر منه إلا مقدماته ضمن كتاب الروضة السنية وقد تولت ترجمتها باسكال بن والي إلى الفرنسية، أما الأجوبة الأربعة فقد عثرت على مقاطع منها نشرتها جريدة البلاغ الجزائري مقالات في الإصلاح الاجتماعي

أما أمله في تكوين مجموعة تكون له ترجمانا لدى الغرب، فما استطاع تكوينها، فهذا مارسيل كاري الذي يقول عنه الشيخ عدة بن تونس بأن أسلم مع زوجته على يد الشيخ، تبين بعد وفاته أنه لم يعدوا كونه محبا للشيخ وما اعتنق الإسلام، وعبد الرحمن طبيبي توفي عندما عزم على البدء في تجسيد مشروعه هذا، وقد استقدم إثر وفاته عبد الكريم جوصو من تونس، فزار مستغانم مرة واحدة عام 1924، ولم يعد لها ثانية، ولا توجه إلى أوربا مبلغا دعوة شيخه، ولا داعية إسلاميا، رغم احتفاظه بلقب المرشد العلاوي كإمضاء لمقالاته في بعض الصحف الفرنسية بتونس. واقتصر نشاط الطريقة في عهد الشيخ بفرنسا غالبا على الجالية المسلمة العاملة بها وخاصة الوافدة من منطقة القبائل. فأعوزه بذلك الساعد والمساعد، فهو لا يملك من المؤهلات ما يمكنه من الاضطلاع بهذا الدور بنفسه، وكتابه ذوي الثقافة العربية ما بخلوا في مساعدته على تأليف الكتب وتحرير المقالات. لكن وفاة طابيي كان خسارة كبرى لم يستطع تعويضها.

أما فريجوف شيون(عيسى نور الدين) الذي كان النواة الفعلية لهذه الجماعة فيما بعد غير أنها التفت حول شيون، الذي لم يتعرف على الشيخ إلا أشهرا قبيل وفاته، وقد اشتد به المرض، ولم يؤذن له بالإرشاد ولم يعين مقدما على زوايا الطريقة وقائما بدعوتها في أوربا إلا في عهد الشيخ عدة بن تونس وبإذن منه، لكنه لم يلبث أن انشق عنه مؤسسا الطريقة المريمية.

فهل تكفي النوايا الحسنة في مثل هذه الأحوال؟ وهل قاعدة جلب المصالح ودرء المفاسد، تبيح الرضوخ للاستعمار أم أن الأمر من باب الغاية تبرر الوسيلة؟

أما دعوة الشيخ ابن عليوة للحوار بين المذاهب الإسلامية، والتعاون مع العلماء خاصة المصلحين حال دون تحقيقها انعدام الثقة بين الطرفين، فالعلماء رأوا في تلك الدعوة طعمــا يجــرهم للدوران في فلك الاستعمار والموالين له، وأن من شأن هذا التعاون إضفاء طابع الشرعية على الطرقية وممارساتها، فخلافهم مع القوم عقائدي عميق فهم يسفهون عقيدتهم، وكيف لهــؤلاء أن يصــلحوا الفساد ما لم يصححوا عقيدتهم. وزادت الصدامات العنيفة التي تحدث من حين إلى آخر من توســيع الفجوة بين الطرفين، كما عكرت الأجواء كلما لاح تقارب، وخاصة إثر حادثة السطو على الشيخ ابن باديس عام 1926، وحادثة الآذان بغرداية حيث تبنى العلاويون مطالب المالكية ضــد إباضــية المدينة المحسوبين على العلماء.

و لم يوحد الطرفان ولو مؤقتا ولمدة سنة إلا صدمة الاحتفال المئوي، ثم عاد الشقاق على أشده منــذ عام 1932، عندما انفصل الطرقيون مشكلين جمعية علماء السنة وحتى مع هؤلاء لم تنجح المهمــة فهل كانت غيرة باقي الطرق من نجاح الطريقة هي السبب، أم أن ما روج عنها من أنها تريد ابتلاع الطرق الأخرى أدى انعدام الثقة بين مختلف الأطراف ؟.

ومع أن جمعية العلماء المسلمين ظلت مصرة على موقفها من أن الطرقية هي سبب تفرق المســلمين وأنها << علة العلل في الإفساد ومنبع الشرور، وأن كل ما هو متفش في الأمة من ابتداع في الــدين، وظلال في العقيدة، وجهل بكل شيء، وغفلة عن الحياة وإلحاد ناشئة فمنشؤه من الطرقية مرجعــه إليها>>[1] إلا أن مالك بن نبي يرى أنه << إذا أردنا الحقيقة على وجهها الكامل، يجــب أن نقــول إن الإسلام لم يفقد سلطانه الروحي في (عنابة) في تلك الفترة، وإنما نراه كأنــه هــاجر إلى البيــوت المتواضعة التي كانت حياتها الروحية في فلك زاوية (بن عليوة)، وهناك يشار إليه بإصبع الريبة مــن طرف المصلحين، ولا تطمئن إليه السياسة الاستعمارية.>>[2]

[1] - سجل جمعية العلماء، المصدر السابق. ص 61.

[2] – مذكرات شاهد للقرن، المصدر السابق. ص 284.

الخاتمة

الخاتمة

بلغ الضر بالمجتمع الجزائري حدا جعل مطلب الإصلاح قناعة مشتركة بين كل القوى الفاعلة في المجتمع، سواء كانت تلك القوى تقليدية، أو حداثية، وحاول كل اتجاه منها تفريج الكرب وإيجاد المخرج، انطلاقا من مرجعياته الدينية والتاريخية والسياسية. ومن هؤلاء كان الشيخ ابن عليوة مؤسس الطريقة العلاوية التي اشتهرت بشيخها وبمشروعه الإصلاحي أيضا، وقد كان الشيخ ابن عليوة بخياراته وتوجهاته الدينية والسياسية وفيا لبيئته المستغانمية، ولأصوله الكرغلية. لكنه لم يظل حبيس مرجعيته الثقافية التقليدية، والتي طبعته بطابعها حتى عام 1910، فحين ألف كتابه (برهان الخصوصية في الطريقة البوزيدية)، في مناقب شيخه، لم يخرج عن الإشادة بأخلاقه السامية، وكراماته المرتبطة بتسخير الجن الذي كان يتبرك به ويأخذ عنه العهد.

وجاء التحول الجذري الأول في مسار الشيخ ابن عليوة إثر سياحته لدار الخلافة (1910-1911)، فهو فضلا عما لقيه من القبول في كل من تونس وطرابلس، ورغم ما يوحي به للقارئ من أنه لم يجد بغيته بدار الخلافة، التي أحاط فترة تواجده بها بالسرية والغموض، إلا أنه لم يعد منها كما ذهب إليها، فهو خرج من الجزائر ناقما على أوضاعها ليعود إليها حامدا الله على جمود أهلها على عقيدة أجدادهم، كما خرج من الجزائر فارا منها وقد طلق الزوجة التي أحب والأم التي كان بها بارا، وباع متاعه ورهن ما تعذر بيعه، ليعود إليها لائذا بها، غير قانع بأن يكون مجرد خليفة لحمو الشيخ وارثا لسره. كما عاد من سياحته مدعوما بكِتَابه(المنح القدوسية)، وبكُتَّابه أيضا (محمد المدني و الطاهر الزعموشي وغيرهما)، وبأتباع خلفهم بتونس سلبوا له الإرادة. وبطموح اكبر جعله غير قانع بأن يكون مجرد خليفة لشيخه حمو البوزيدي ووارث لبركته.

ورغم المصاعب التي واجهها بفعل استقلاله عن طريقة شيخه وتأسيسه طريقة جديدة عام 1914، فإن فترة الحرب العالمية الأولى كانت غنية بمنجزاتها المادية والأدبية، من ذلك إصدار الشيخ ابن عليوة لأربعة رسائل في الفقه والتصوف والتفسير، وأطلق خلالها العنان لشعره ونثره يعبر بحرية ما دام خطابه موجه لأتباعه، ولمن يفهمون الإشارة، كما وضع حجر أساس زاويته بتيجديت، وتوطدت علاقته بصاحب صحيفة الحق الوهراني شارل طابيي الذي أسلم وأصبح مريدا علاويا، والذي على ما يبدو لم يتخل عن تعاطي السياسة إلا بعدما تبنى الشيخ ابن عليوة مواقفه وخياراته وتطلعاته، فكان من أكثر المتحمسين لدعاية فرنسا الإسلامية.

أما التحول الثاني في مسار الشيخ ابن عليوة فكان مع مطلع العقد الثالث من القرن العشرين حيث عمل على توسيع دائرة نشاطه، باعتباره الفرد المجدد، ودعم مكانته وجلب المزيد من الأتباع كما سعى لكسب رضا الإدارة الاستعمارية عنه، فشهد نشاطه وطريقته حيوية كبرى، حيث تمكن

الشيخ في أيام معدودات من اكتساح (دواوير) بأكملها خاصة في القبائل الكبرى والصغرى، في نفس الوقت الذي أصدر فيه ديوانه بتونس ونشره على نطاق واسع بالجزائر، على خلاف رسائله السابقة، مما لفت الانتباه إليه وأثار المخاوف منه، والاعتراض عليه. فإذا كان عام 1921 بالنسبة للطريقة عام الانتشار فإن عام 1922 كان عام الحصار، فقلت موارد الطريقة وحجر على الشيخ التنقل للمنطقة ثانية وحيل بينه وبين ما يتطلع له من فتح زوايا جديدة عبر الوطن. وأصبح ما يجده من الرفض يساوي ما وجده من القبول، ومنذ ذلك الحين لازمت الشبهات الشيخ ابن عليوة وطريقته. ولدحضها اضطر إلى تغيير لغة الخطاب، ومستواه أيضا تبعا للفئة الموجه لها وتبعا لانتمائها ولمستواها.

ولكسب رضى الإدارة الاستعمارية كان ولاء الشيخ لفرنسا لا حد له، موالاة تستند على قاعدة (جلب المنافع ودرء المفاسد). فجعل مداهنة الاستعمار الاعتماد على فرنسا الإسلامية دعامة أساسية في مشروعه الإصلاحي، ونجح بذلك في فك الحصار عنه وعن طريقته، وتمكن من مزاولة نشاطه بحرية. ومع ذلك لم تحقق الطريقة نجاحا يذكر في منطقة القبائل- التي يقال بأنها ركزت جهودها عليها- فلم تتمكن إلا من ضم زاوية دشرة المقارب ببني يعلى الخلوتية؛ وزاوية بني عياض الشاذلية، كما لم تجذب إليها الكثير من أتباع الطريقة الرحمانية في المنطقة؛ وإن كانت قد كسبت منهم حسن بوعزيز الجعفري، مؤسس مدرسة الجعافرة التذكيرية بالمنطقة، كما كسبت في صفوفها علي البوديلمي الخلوتي الذي تولى التعليم والإرشاد بتلمسان ووقف بها ندا للشيخ البشير الإبراهيمي. فهل كان عدم نجاحها بالمنطقة عائدا لما روج عن نية الشيخ ابن عليوة في ترجمة الإنجيل لترويجه بالمنطقة، وما شاع من أن أتباعه يتخذون من مستغانم قبلة يتوجهون صوبها في صلاتهم؟ أم لأن الزوايا الرحمانية بالمنطقة حمت نفسها بالتحول إلى زوايا إصلاحية؟

كما لم تعرف الطريقة العلاوية انتشارا ولا رواجا في الصحراء حيث عقيدة الولي متأصلة فيها، فلم أعثر للطريقة ولو على زاوية واحدة بها فهل استعصى على العلاويين اقتحامها؟ أم أن تعاليمها لم تجد قبولا لدى سكانها؟ أم أنها تحاشت الاصطدام مع حليفتها الطريقة التيجانية المهيمنة على المنطقة؟

إن المشروع الإصلاحي العلاوي كان تصورات وأفكارا، أكثر منه مؤسسات وتجسيدا عمليا لما كان يتصوره وما كان يطمح إلى تحقيقه من الإصلاح، إذا ما استثنينا إصداره لصحيفتين باللغة العربية هما: (لسان الدين) الأولى و(البلاغ الجزائري)، والجمع السنوي خاصة بين عامي (1927- 1932). فالشيخ ابن عليوة منذ نصب نفسه للإرشاد سخر كل إمكانياته المادية والمعنوية خدمة للطريقة البوزيدية أولا، ثم العلاوية آخرا ببث زواياها، وتنمية عقاراتها وحبسها على خدمة الزاوية العلاوية وفقرائها. وداهن الاستعمار لكسب ثقته والتمكين لطريقته.

وكان من خصائص المشروع الإصلاحي العلاوي استناد الشيخ في حركته الإصلاحية على الكليات الخمس، التي تضبط الاجتهاد وتعرف عند علماء أصول الفقه بمقاصد الشريعة وهي: حفظ الدين وحفظ النفس وحفظ العقل وحفظ النسل وحفظ المال. فلفت إليه أنظار مختلف الفعاليات في المجتمع، حين أعلن صراحة انقياده لتعاليم القرآن والسنة وإجماع علماء الأمة، وأنه يبرأ من كل ما تبرأ منه الله ورسوله.

كما انطلق الشيخ أيضا في مشروعه الإصلاحي متأثرا بالانعكاسات المروعة للحرب العالمية على العالم الإسلامي الذي فقد خلافته الإسلامية وفُرض الانتداب على هلاله الخصيب. ولكن الشيخ لم يحمل مسؤولية ذلك للمؤامرات الاستعمارية، وإنما حملها لتأثير التعاليم الغربية– في أبناء الأمة– وخاصة المبادئ القومية والوطنية فحاربهما بقوة و لم يعترف للمسلم إلا بالقومية الإسلامية، لكن من هي الدولة الإسلامية الرمز التي يمكن للمسلم الانضواء تحت لوائها لتجسيد الانتماء للقومية الإسلامية؟ والشيخ لا يثق بأي من الحكومات الإسلامية بل يراها من أهم أسباب مآسي الأمة، فلم يبق أمامه عندئذ إلا فرنسا الإسلامية، فحارب الوطنية لأجلها، معلنا بأنها أصبحت عقيدة تزاحم الدين وتقضي عليه.

كما عارض المطالب الإصلاحية للأمير خالد، لأنها قفزت على أولوية الإصلاح الديني على السياسي، ولأنها أزعجت الأمن الفرنسي، مما سيؤدي إلى توسيع الهوة بين (المتعاشرين) ويزيد من تخوف الحكومة الاستعمارية من المسلمين وعندئذ فلن تزيدهم إلا تضييقا وبطشا.

لكن تجري الرياح بما لا تشتهي السفن فالشيخ ابن عليوة الذي كان من العاملين على عرقلة ومحاربة عقيدة الوطنية كان من نتائج مشروعه الإصلاحي **جزأرة الطريقة** ومنذ عام 1920 وعلى أكثر من مستوى، حيث جند لمشروعه الإصلاحي أتباعه من المثقفين الجزائريين أصلا أو على الأقل منشأ بعدما كان اعتماده كبيرا على المغاربة والتونسيين.

– كما راعى في مشروعه الإصلاحي خصوصية الواقع الجزائري، فعمل الشيخ ابن عليوة على صرف الجزائريين عن الإقتداء بإخوانهم المصريين والتونسيين في تشكيل الأحزاب السياسية والمشاريع الخيرية. فهو يرى أن الواجب على ساسة الجزائر ورؤسائها أن يعطوا الأولوية لرعاية مصالحها الدينية لا لتشكيل الأحزاب السياسية والمشاريع الخيرية بما فيه التعليم الحر الذي يشجعه ويشد على أيدي القائمين عليه ولكنه لا يرى فيه الحل والمخرج، فوحده الحزب الديني القائم على حفظ الدين والمروءة حسب رأي الشيخ الكفيل بانتعاش الوطن وإيقاظه. ومع ذلك كانت الروح الوطنية متقدة بين أتباعه المقربين فهذا مصطفى حافظ وصف بأنه كان وطنيا صميما، ووجدت تقارير الإدارة الفرنسية بعد الحرب العالمية الثانية أن علي البوديلمي العلاوي أشد وطنية وتعصبا من رجال جمعية العلماء. وخلال الحرب العالمية الثانية اعتقل الشيخ الحسن الطرابلسي وهو أحد أعيان الطريقة العلاوية الكبار ومقدم مدرسة عنابة

الإرشادية بتهمة التآمر على فرنسا مع الألمان، وقد أصبح أبناؤه مناضلين في حزب الشعب الجزائري ذي الاتجاه الوطني الصريح.

كما داهن الشيخ ابن عليوة الاستعمار وجعل فرنسا حجر أساس في كل حركاته وسكناته، فلم يكن يخطو خطوة إلا بإذنها، ولا يعمل إلا تحت مظلة شرعيتها، ولا يقدم على عمل إلا بمباركتها. ومع ذلك ظلت مداهنته للاستعمار مداهنة سياسية لحفظ الدين الإسلامي من التلاشي والاضمحلال لا مداهنة في الدين، فالشيخ يرى أنه من الوهم طلب رضا المستعمر بمداهنته في الدين فلن يرض اليهود والنصارى على المسلمين حتى يتبعوا ملتهم، وذلك هو الخسران المبين الذين لا سلوى للمسلين عنه، والدليل على أن مداهنته لم تكن في الدين هو رفضه الصريح والصارم لأي شكل من أشكال الاندماج والتجنيس ، سواء كان فرديا أو جماعيا، وهو ما يتناقض مع ما يبديه من إيمان وتصديق لدعاية فرنسا الإسلامية.

كما أن الشيخ ابن عليوة وهو يخاطب الغرب، ظل غيورا على تعاليم الإسلام غير مجامل لـه على حسابها، فعند تطرقه لحجاب المرأة المسلمة لم يقل مع القائلين بأنه فضيلة وليس فريضة، ولا أباح أي مظهر من مظاهر التغريب للمجتمع، مما جعل مشروعه الإصلاحي يطبع بالطابع الأخلاقي الاجتماعي.

كما عبر عن قناعته بأنه إذا كان تمدن الغرب بسبب تجاهله لتعاليم المسيحية، فإن تمدن العرب ما كان إلا بفضل الإسلام، وتمسك المسلمين بتعاليمه، ويستدل بذلك على أنه لا دين أوفق للمدينة وأصلح للعمران من الإسلام.

كما آمن بأنه إذا كان الغرب أستاذ الشرق في الماديات، فإن العالم الشرقي أستاذ الغرب في الجانب الروحي.

فهل رضيت الإدارة الاستعمارية عن الشيخ فلبت مطالبه؟ وهل نجح بأسلوبه هذا في كسبها فلم تعرقل نشاط الطريقة؟

- سعى بعض مرابطي القبائل وقرائهم لدى الحكومة لمنع دخوله وطنهم ثانية، بعد زيارة ابن عليوة لبلاد القبائل عام 1919، فصدر أمر من الحكومة بالتحجير عليه أن لا يدخل أرض القبائل، حتى كاتبها بعض أعيان المنطقة، مبينين ما حصل على يده من المنافع في صيانة الأخلاق وحفظ الدين.
- كما رفضت الحكومة الفرنسية الترخيص لتلاميذه بفتح زاوية بالجزائر العاصمة للاجتماع للذكر والتفقه في الدين، رغم مساع دامت تسعة أشهر، حتى اضطر للتحايل عليها بتحويل الزاوية إلى مقر لإدارة جريدة (لسان الدين)، وبواسطة ما بثته فيها من أفكار كسبت ثقة الحكومة، وكللت مساعي الشيخ ابن عليوة بفتح ثلاث زوايا للطريقة دفعة واحدة عام 1923.

- كما سجل عبد الكريم جوصو خلال الجمع السنوي لعام 1924 كيف دخل الشيخ ابن عليوة على ضيوفه الأوربيين غاضبا متوترا، يحمل تلغرافات تتحدث عن منع أتباعه في القبائل ومنطقة الريف المغربي من التنقل إلى مستغانم؛ لكن الحكومة الفرنسية كانت ترخص له في عقد الجموع السنوية، فكان يحضرها الموظفون والنواب الأهالي، وكانت مصلحة النقل للسكك الحديدية تخفض للأتباع الراغبين في الحضور نصف سعر تذكرة الركوب ذهابا وإيابا؛ ولما ذهب الشيخ ابن عليوة محتجا إلى مقر الحاكم العام بمدينة الجزائر العاصمة وكان معه عبد الكريم جوصو وجدا الأبواب مفتحة أمامهما ودون موعد مسبق وبيسر أمكنهما دخول مكتب نائب الحاكم العام، لأن الحاكم كان غائبا وقدم له توضيحات بأن المنع كان محليا ومن قبل قايد المنطقة بحجة أن البلاد تشهد ضائقة اقتصادية وأن تنقلهم مع الزيارة سيزيد في تفاقمها، وأن المنع ليس نتيجة قرار إداري.

-كما كان الشيخ ابن عليوة قد قدم طلبا للسلطات الاستعمارية في الجزائر عام 1928 ليتولى عنها تربية المساجين القصر من أبناء المسلمين، فطلبت منه دفع ضمانة مالية عن كل سجين فقبل ومع ذلك ماطلته وسوفته حتى توفي دون أن تلبي طلبه.

-كما أنه اقترح على فرنسا من خلال مراسل جريدة الصحافة الحرة صيغة معينة رمزية لإحياء احتفال الذكرى المئوية، ففعل المستعمر كل ما حذر منه ضاربا برأي الشيخ عرض الحائط.

ومن خصوصيات المشروع الإصلاحي العلاوي أيضا تأثره برأي الشيخ ابن عليوة في العلم اللدني والعلم الكسبي، فرفع الشيخ من شأن العلم اللدني، وجعله وحده المعول عليه في تجديد الإيمان وحفظ الدين، والتأثير في المدعوين لله. جعله ينظر لمختلف العلوم الكسبية والتعليم عموما بتحفظ، فرفض أن يكون إهمال التعليم سببا في تردي وضياع دينها. كما رفض التعليم الذي يبعد الأبناء عن هويتهم بقدر ما يكسبون من معارفه. وحتى التجربة الرائدة لتلميذه مصطفى حافظ والمتمثلة في التعليم الحر الذي أشرفت عليه جمعية الشبيبة الإسلامية والمتمثل خاصة في تحفيظ القرآن الكريم وتعليم اللغة العربية وآدابها، ومبادئ الحساب. نظر إليه على أنه عمل خيري يستحق التشجيع لما يؤديه من دور في إنقاذ أبناء الفقراء من المسلمين من كيد رجال الدين المسيحيين، إلا أنه يوجد ما هو أولى بالعناية من التعليم. وهو وإن لم ير في التعليم الإجباري ما يتعارض مع تعاليم الإسلام التي تجعل تحصيله فريضة على كل مسلم ومسلمة، ومن المهد إلى اللحد، وأوجبت السعي إلى طلبه ولو في الصين. فإن مطالب البلاغيين لم تزد عن المطالبة به في المرحلة الابتدائية فقط وما زاد فضرره أولى بالدفع.

ومما يميز المشروع الإصلاحي العلاوي هو أن ما اقترحه الشيخ ابن عليوة من مبادرات لا زالت إلى يومنا هذا مطروحة وبقوة كالدعوة للحوار بين المذاهب الإسلامية، والدعوة لتبليغ رسالة الحق

للخلق، مع العمل على تجديد أساليب ووسائل الخطاب الإسلامي الموجه للغرب، ليتمكن من تحسين صورة الإسلام لدى الغرب، و لم تجد طريقها بعد للتجسيد.

إن دعوة الحسن بن عبد العزيز أتباع الطرق الأخرى المفتقرين للمرشد الحي إلى اغتنام الفرصة وطلب السلوك على يد شيخه ليبلغوا درجة العرفان والإحسان. كانت سيفا ذو حدين، ولعل أول المتضررين منها كانت الطريقة العلاوية نفسها، التي بموت مؤسسها فقدت المرشد الحي، فانفض علماؤها ودعاتها الكبار عن خليفته الشيخ عدة بن تونس وانفكت رابطتهم، ومشاريع الشيخ الطموحة التي لا يمكن تجسيدها في ظل الشقاق وأربع عشرة سنة غير كافية للترويج لها فضلا عن تجسيدها ميدانيا.

الملاحق

ملحق رقم واحد

مرائي تشبه ابن عليوة بالمسيح عيسى عليه السلام

رؤيا الشيخ الحسن بن عبد العزيز التلمساني قال:

>> رايت نفسي وسط بطحاء مدينة تلمسان وهي غاصة بجم غفير من الناس وهم ينتظرون نزول عيسى عليه السلام من السماء واذ برجل قد نزل منها فقيل هذا عيسى فلما وقع بصري عليه وجدته هو الشيخ سيدي احمد بن عليوة رضي الله عنه <<[1]

رؤيا محمد بن الطيب بن مولاي العربي الدرقاوي قال:

>> رأيت جماعة من الناس يخبرون بنزول عيسى عليه السلام ويقولون فيما بينهم انه نزل وبيده سيف من خشب يضرب به الحجر فينقلب رجلا ويضرب به البهيمة فتنقلب انسانا واذا بي كان لي معرفة بذلك الرجل النازل، يكاتبني وأكاتبه ثم تهيئت لملاقاته وعندما **اجتمعت به وجدته هو الشيخ سيدي أحمد العلوى** رضي الله عنه على هيئة طبيب يعالج المرضى ومعه من الاعوان ما يزيد على الستين رجلا. <<[2]

رؤيا الشيخ عبد الرحمن بوعزيز صاحب زاوية الجعافرة قال:

>> ذكر لنا بعض الفقراء انه رءا [كذا] القمر منشقا على نصفين ثم نزلت منه لوحة معلقة بالسلاسيل [كذا] ولا زالت تدنو من الأرض حتى لم يبق إلا مقدر[كذا] يسير **واذ بالأستاذ العلوي رضي الله عنه ظهر من اعلاها ومعه سيدنا عيسى عليه السلام** فقام المنادي ينادي ان كل من اراد ان يرى عيسى عليه السلام مع الاستاذ الاعظم فها هما قد نزلا من السماء فليات مسرعا فرجت الارض باهلها رجا واجتمعت الخلائق كلها وطلبوا الركوب مع الاستاذ على تلك اللوحة فقال لهم امكثوا فسنرجع اليكم. <<[3]

رؤيا أحمد بن حاجي التلمساني قال:

>> حينما كنت مشتغلا بذكر الاسم الأعظم رايت حروف الجلالة قد ملات الكون باسره ونشأت منها ذات النبي صلى الله عليه وسلم على شكل نوراني ثم تجلت على هيئة اخرى فرايت فيها وجه الشيخ سيدي أحمد بن عليوه مكتوبا على ذاته >> مصطفى أحمد بن عليوة << ثم سمعت صوتا يقول شهداء رقباء ثم تجلت الحروف مرة ثالثة بسورة الشيخ وعلى رأسه تاج وبينما نحن كذلك إذ بطائر نزل على رأسه يقول لى انظر **هذا مقام عيسى عليه السلام** <<[4]

---

[1]- عدة بن تونس: الروضة السنية في المآثر العلوية، المرجع السابق. ص .135

[2]- المصدر نفسه. ص .137

[3]- المصدر نفسه. ص .138

[4]- المصدر نفسه. ص .145

ملحق رقـــم اثنان

المريد والمحب

<<... الفقير أو المريد أو السالك أو الخوني (جمع إخوان) وبالفارسية والتركية الدرويش : هو المنقطع إلى الله تعالى، وهو الذي يأتي إلى شيخ الطريقة لأجل الصُحبة للوصوإلى المعرفة . ويأخذ العهد أو التقليد أو الميثاق الذي هو بمثابة البيعة التي كانت في زمن الرسول (ص) حيث كان الصحابة يبايعونـــه علـــى السمع والطاعة في العسر واليسر وكل مبايع شيخه إنما يبايع من خلاله رســـول الله (ص) <إن الـــذين يبايعونك إنما يبايعون الله >.

يتلقى المريد البيعة من الشيخ أو المقدم أمام طائفة من الشهود من المريدين، وهو جـــالس مقابـــل لـــه، جلوس الصلاة ويشد الشيخ أو المقدم على يد الفقير حيث يتلو العديد من الآيات القرآنية. بعدها يطلق يد المريد ويدعو له بالبركة. يقبل المريد يد الشيخ أو رأس المقدم وكذا الحاضرين من المريدين.

ثم يقوم الشيخ بإلباس الخرقة للمريد، وهي عبارة عـــن لبـــاس مرقـــع وتســـمى عنـــدنا في المغـــرب العربي<الدّرْبالة> بعدها يصبح المنتسب أو الفقير عضوا من أعضاء الطريقة التي انتمى إليها.

يجب أن تتوفر في المريد جملة من الشروط، وهي أن يكون مسلما، كامل الإيمـــان، ذا رغبـــة وإرادة في السّير في الطريق بصحبة الشيخ. ويجب أن يتحلى بمجموعة من الآداب منها: آداب مع نفسه ومـــع الله ومع شيخه ومع إخوانه من الفقراء ومع الخلق وكذا سائر المخلوقات .وكل واحدة من هذه تحتـــاج إلى تفصيل .

وعلى الفقير الوقوف عند حدود الشريعة، والقيام بالذكر والورد والخلوة والمجاهدة. ولكل مـــن هـــذه الوسائل ضوابط يجب الالتزام بها.

أما المحب فليس بمنتسب إلى الطريق لكنّه متعاطف سواء مع شيخها أو مريديها أو تعاليمهـــا. يحضـــر بعض اجتماعاتهم ويساهم ماديا معنويا في مشاريعهم، خصوصا في بناء الزوايا. كما يدعوهم إلى بيته في أفراحه وأحزانه. وقد يسافر معهم في سياحتهم إلى بعض إخوانهم. وعادة ما ينتهي المحـــب بدخولـــه في الطريقة، إن كان مسلما .

وقد يكون المحب غير مسلم، كأن يكون مسيحيا مثلاً، حيث يلتقي الشيخ أو بعض الفقراء في مجـــالس خاصة تتناول مواضيع ذات الاهتمام المشترك وقد يحضر اجتماعات الذكر دون أن يشـــارك فيـــه >>

برج بوعريريج يوم الجمعة 20 ماي 2005.

ناصر الدين موهوب مقدم الطريقة العلاوية

ملحق رقم ثلاث

رسالة الشيخ محمد السعيد الزاهري إلى الشيخ أحمد بن عليوة

الجزائر 23 أكتوبر1925

فضيلة الأستاذ العلوي سلام الله عليكم ورحمته وبركاته

بعد ما هز الأمة وانتصبنا نحن تفقنا(كذا)

في الغاية فقد اختلفنا في طرق الإصلاح

فأنتم ترون الإصلاح الديني الإسلامي، ونحن نرى الإصلاح الوطني السياسي. فعزمتم على إصدار- البلاغ- لسان يبين ما تريدون ويكون سياسيا أيضا ونحن أصدرنا – الجزائر- نعني بها إلى الناس كافة ما نريد من المطاب(كذا) فهل يمكن لنا أن نتحد ونجمع بين الطريقين السياسة والدين ولا نفصل بينهما، فإن سياستنا يجب أن تكون دينية كما أن ديننا سياسي.

ثم نجعل جريدة واحدة يومية تعبر عن أفكار الجميع وعن آراء كل مصلح، سواء كان دينيا أم كان سياسيا، إذ المقصود هو الإصلاح لا غير، ونكتب على تلك الجريدة الواحدة لفظة –جامعة وحرّة– عوض دينية أو سياسية

وهذه الفكرة توافق جدا فكرة تحبيس المطبعة الذي تفكرون فيه(إن بقيتم على فكرة التحبيس مصممين) إنه لا يمنعنا من الاتحاد إلا الأغراض الخصوصية فيما أرى وفيما أعتقد.

من الزاهري

أضاميم المد الساري، ج2، المصدر السابق. ص 469.

ملحق رقم: أربعة

هل يجمل بأبناء المسلمين ما نراهم الآن فاعلين...!

تظافر الكثير(كذا) وتضامن جم غفير من أبناء الملة الإسلامية على خراب بيوتهم بأيديهم وأيدي غيرهم ...فتراهم الآن ويا للأسف يفعلون في أنفسهم بأنفسهم ما لا يستطيع أن يفعله فهم (كذا)عدوهم ولو حاول دهرا طويلا!.

تحويل الوجهة عن الرابطة الدينية إلى الرابطة المذهبية، وهو العمل الوحيد(كذا) والخطوة الأولى(كـذا) في السعي وراء انقسام جوهر(كذا) الأمة الإسلامية مع أنه شيء لا يوجب الانقسام لأن دائرة الإسـلام أوسع من أن تقضي بتصادم المذهبين(كذا) أو العشرة (كذا) المختلفة فيما لا مساس له بجوهر الـدين، ولكن الشيطان لا يرضيه ذلك وإنما يرضيه أن يظهر في كل مذهب ما يوجب استيلاءه على غيره بكل ما يستحق(كذا) من الوسائل القولية أو الفعلية إن أمكن .

...الشيطان ...فطير (كذا)على جناح مكرِه من التعاليم الغربية ما يراه كافيا في الغاية المنشـودة، وأول شيء ساقه عليها من تلك التعاليم ...هو التفنن في الوطنية، والإغراق في أطرافها(كذا) الأمر الذي قـد تتلاشى معه سائر الروابط العامة الشاملة...

...ولكن وحدة الوطن مهما روعيت أتم مراعاة إلا وكانت قاضية على وحدة الدين...وقد تمكن عقيدة في قلوب العصريين ..فلم يشعر العنصر الإسلامي إلا وهو عناصـر متميـزة(كـذا) عـن بعضـها امتياز(كذا)النوع والجنس بضرورية(كذا) الأقاليم والجهات، وتسنى(كذا)إلا(كذا) ذاك المسلم أن يـرى أخاه المسلم بالعين التي يراه بها الأجنبي عن الدين لأنه ابن وطن غير وطنه.

وصار أفراد العنصر الإسلامي يعمل على حدته(كذا) ساعيا وراء خصوص مصالحه وإن أضر بمصـالح غيره جريا على قاعدة << حب الوطن من الإيمان >>

يقول هذا بدون ما يستحضر(كذا) كون الوطن(كذا) وما يطلبه منه الوطن في مقابلة (كـذا) الإيمـان يعتبر كل شيء!.

وبغير ما يستحضر أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يتحفظ [كذا] على وحدة الدين أكثر منه علـى وحدة الوطن، وبدون ما يستحضر كونه هجر وطنه احتفاظا [كذا] على دينه وبدون ما يعرف [كذا] أن وحدة الدين تحقق للمسلم كل مبدأ جليل لا عكس[كذا]. فيمكن معها أن يكون <<حب الـوطن من الإيمان>> ولا يكون حب الإيمان من الوطن وليعتقد[كذا] المسلمون أن حب الوطن هـو جميـل ولكن الإغراق فيه يقضي على ما هو أجمل منه . وقد قضى بالفعل على العنصر الإسلامي... وإني لأريد

بتلخيص هاته الجمل إلا أن يكون الإيمان وما يطلبه منا الإيمان هو الشيء الذي نتحفظ[كذا]عليه مهما استطعنا إلى ذلك سبيلا والله المستعان . >>[1]

ملحق رقم أربعة مكرر

إلى الوطنيين من أبناء ملتنا

<< محبة الأوطان عطفة (كذا) شريفة، توجد في الإنسان... لا يفقد نزعته إلا غليظ الطبع جافي الخلق، ولكن كثيرا ما طوحت بأقوام فأنستهم حظهم من الله ومن الدار الآخرة التي هي دار القرار فأنزلوها في أنفسهم مترلة المعبود بالحق فجلعوا(كذا)في مرضاها كل مرتخص(كذا) وغال مما كان أو يكون، والجنون فنون؟

فما أشبه هؤلاء بما يحكى عن الذئب في المثل، الذي جاء لأولاده قائلا: أنه باع رأسه بصاع من فول، فقالوا له:قد ألهمت الرشد واقتصدت فيما فعلت إذا وجدت رأسا بعد رأسك هذا تأكل به الفول؟

أيها السادة إنكم تقولون: إن محبة الوطن من الإيمان، وهي كلمة صحيحة المصدر، معقولة المعنى،لكن تأبى الانعكاس فلا نستطيع أن نقول محبة الإيمان من الوطن على التقدير؟.

وبصيغة أفصح وعبارة أوضح إن << نبي الإسلام >>صلى الله عليه وسلم ...قد هاجر(كذا) وطنه مهبط الوحي احتفاظا(كذا) بعقيدته وهربا بدينه، ذلك الدين الذي يحي الوطن، والوطن لا يحييه (؟) والتاريخ أعدل شاهد؟

وفي ظني أنه لا يفوتكم كون سلوك طريق الاندماج في قومية غيرنا شيء لا يفيد المستهلكين(كذا)عزا في دنياهم، أما الآخرة فهي لمن اتقى.[2]

---

[1]– (هل يجمل بأبناء المسلمين ما نراهم الآن فاعلين...!)، البلاغ الجزائري ، ع: 27. في 8 محرم 1346 /8 جويلية 1927. أضاميم المد الساري، ج1، المصدر السابق. ص- ص 102 -103 .

[2] – أضاميم المد الساري، ج:1، المصدر السابق. ص- ص 212-213 / البلاغ الجزائري، ع: 57، مستغانم: 18 شعبان 1346 - 10 فيفري 1928.

ملحق رقم: خمسة

مقابلة

المكاتب: سيدي إن إقامة الاحتفال المئوي لاحتلال الجزائر هل يكون نافعا أم ضارا لفرنسا ؟
الشيخ : << إن المظاهرة التي ستقام هي الكفيلة لنا بكشف وشرح ذلك كله، على أننا لو سعينا في تمثيل ذلك الاحتلال بواسطة السينما، أو على المراسح التمثيلية أو بالخطب، وأحييانا من جديد نزول الجيوش بسيدي فرج لأخذ الجزائر حسبما وقع لآلمنا قلوب الأهالي، وأثرنا حفائظهم بتلك الذكريات الموجعة.لأن الأهالي عندما يعاينون ويرون كيف كان القتل والسلب حسبما تقتضيه الحروب والمعارك وأيضا تذكيرهم كيف أخذت أراضي أجدادهم المغلوبين وكيف أخذوا فلا شك أن مثل هذه المرئيات المحزنة لا تفرح الأهالي بل تؤلم قلوبهم وتجرح عواطفهم طبعا، وربما يكون الضرر كثيرا الشيء الذي ينبغي له على ما أظن قرن آخر وعسى أن تندمل تلك الجروح وتشفى.

هذا وبالعكس يكون الحال لو وضعنا أمام أعين الأهالي وأريناهم الجزائر الحقيقية قبل الاحتلال، مع أراضيها الجدبة ومستنقعاتها الوخيمة ذات الناموس الفتاك التي كانت منبع الوباء والأمراض.مع بيان الحروب الأهلية التي كانت تنشب فيما بينهم لأوهن الأسباب. لا طرق ولا سكك حديدية مع استحكام الفوضى واستبداد الأقوياء وإرهاق الضعفاء؛ ثم شخصنا بازاء هذا أيضا الجزائر الوقتية مع مدنها الفسيحة وسككها الحديدية المنتشرة وطرقها المعبدة وموانيها الكبيرة، وتلغرافاتها الكثيرة، وسياراتها العديدة، وحقولها الواسعة ومزارعها ذات القمح والشعير والكروم وبساتينها المخضرة، ومكاتبها الوافرة، ومستشفياتها المتعددة. فبدون ريب والحالة هذه عندما يرى الأهلي مثل هذه الحقائق ماثلة لعينه، فبدل أن يتنغص و يتنكد خاطره. يفرح وينشرح صدره ويزداد محبة في فرنسا.<<

المكاتب: هل تريدون أن تمدونا بنظركم في شيء يكون سببا في زيادة تمتين عرى المحبة بين فرنسا والجزائر؟ الشيخ : << نعم هناك فكرة في إحداث أمر يظهر في نظري جميلا مفيدا وهو إقامة هيكل في بطحاء الولاية – ابلاص دو كوفرنوما –يستدعى الناس لتشييده، وذلك الهيكل يمثل فرنسا مثلا تبتسم في وجه معمر وفلاح أهلي رمزا للإخاء والمساواة والمودة الحاصلة بين الجانبين. ويكتب في أسفل هذا الهيكل - الجزائر اليوم غير الجزائر بالأمس قبل الاحتلال –وبمثل هذا تكون الفائدة شاملة حسبما نخيله ويكون ذلك محوا للماضي وإعرابا للأهالي والأجانب أيضا بأن فرنسا ما جاءت إلى الجزائر إلا لتمدين وإصلاح حال الأهالي إصلاحا حقيقيا، مجردا عن المطامع والأغراض الإنتفاعية الشخصية .<<[1]

---

[1] – (مقابلة): البلاغ الجزائري، ع : 127، الجزائر: 11 صفر 1348 –19 جويلية 1929.

تعليق البلاغ: ما اقترحه الأستاذ ابن عليوة على هذا المكاتب من أجل التمثال بتلك الصفة ...كان قد اقترح شبه ذلك على بعض رجال الحكومة، ولكنه كان يريد أن يكون بدل التمثال الموجود الآن بعاصمة الجزائر، يعني تشخيص ذلك القائد المنتصب هناك على فرسه المجرد سيفه، ويرى أنه لا معنى الآن لوجود ذلك القائد هناك بتلك الصفة، وحتى إذا كانت له معنى فيما سبق فقد انقضت بانقضاء عهدها. والأولى أن يكون بدله الآن ما يرمز لحسن المودة والإخاء الصادق بين العنصرين ويكون من دواعي استبداله دخول القرن الثاني على عهد الاحتلال. هدا ما كان يراه الأستاذ .

ملحق رقم ستة

Fax reçu de :   Pg: 2
09/0 '02 15:07   ☎ 213 6 21 50 15   ALIF ALGERIE   02

بسم الله الرحمن الرحيم ۞ صلى الله على سيدنا محمد وآله وصحبه

يقول مرتجي عفو الله

احمد بن مصطفى بن اعليوه

الحمد لله فاطر السموات ومنزل الغيث : المؤذن لأوليائه
العارفين بإظهار النعمة ونشر الميت : القائل لنبيهم
وقوله الحق وأما بنعمة ربك فحدث : فقام عليه
الصلاة والسلام بما وجب عليه : حتى قال
لأتباعه وأهل نصرته : إذا أنعم
الله بنعمة على عبد أحب أن ترى عليه : وأي نعمة
أعظم من معرفته : فمن
كتمها ولم يعبأ بها فهو مغرور : وجاحدها
لا محالة هالك مثبور : ولنا منها
والحمد لله حظ وافر : أشكرك اللهم فيما
منحتنا وأسألك التوفيق لما أمرتنا وما توفيقي
إلا بالله ثم أصلي صلاة ذاكر وأسلم سلام شاكر
على الوسيلة العظمى وينبوع الحكمة : القائل
كيف تشقى هذه الأمة : التي نحن من أولها
اللهم أمطر عليها سحائب الرحمة : خصوصا على
نجوم الهدى ومصابيح الاقتداء إنهم الدالون عليك :
وإن كان لا وصول إليك إلا بك فحجبهم احتلال
والسبب به ونعم مظنة الضلال اللهم لا تطردنا
عن بابهم وكما تعلقنا بأسبابهم :

أدامه

مخطوطة برهان الخصوصية في الطريق اليزيدية
الصفحة الأولى

أما بعد فإني جعلت هذا التقييد موافقا لمن طلب مني
حسب ما يحتاج إليه المريد، فأرجو الله أن يكون
للجميع مفيدا، وإني جمعت فيه مطالب خيرية،
وبشائر نبوية، ووصايا شافية، وسميته
برهان الخصوصية في الطريق اليزيدية،
وخلاصة الكلام فيه أنه يعرب عن فضل هاته
الطائفة، وخصوصيتها عن غيرها ونذكر
نبذة من فضائل شيخنا ووسيلتنا إلى ربنا ثم نذكر
ما خصنا به على يديه، نظما ونثرا أفاد الله لجازيه من فضله،
وغير ذلك مما يحتاج إليه المريد فكلما طالعه الإنسان
يستفيد، وعند ما يستفيد فيجب عليه أن يفيد إذ لا يحل
لنا أن نكتم ما أنزل الله من البينات على العبيد والله
يجتبي إليه من يشاء ويهدي إليه من ينيب

الفصل الأول في ذكر بعض من أحوال أستاذنا الكبير ولينا الشهير وفيه من تعريفه وتاريخ وفاته

أقول هو الشيخ الأكبر، والكبريت الأحمر، خاتم الذاكرين
عاظم الفكر فرد وقته الواحد سيدنا وأستاذنا وعمدتنا
مولانا محمد أبو الحبيب اليزيدي الشريف أصلا
الشاذلي طريقة المالكي مذهبا المستغانمي دارا ومنشأ
كان رضي الله عنه طويل القامة عريض الصدر
كبير الذات حلو المقالات هشوشا بشوشا وشرائع
البشر على وجهه قل أن تجد له كاظما حادبا
على نفع المريد كان الاستغراق في فن التوحيد

مخطوطة برهان الخصوصية في الطريق اليزيدية
الصفحة الثانية

ملحق رقم سبعة

شهادة محمد الهاشمي لصالح الشيخ عدة بن تونس موجهة لرئيس جمعية النهضة الصوفية العلوية بمصر

بسم الله الرحمن الرحيم

وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم

حضرة عين اعيان عصره — رئيس جمعية النهضة الصوفية العلوية بمصر الاكرم

بعد جزيل السلام عليكم وجميل الشكر البكر لدي اخذت بيد التكرم لسؤالكم عن الاستاذ الفاضل سيدي عدة [illegible] طلبتم البيان عن

من علومه الظاهرية والباطنية

ومن حب خواص اهل نسبة الزمن في طريقتنا اياه في عهد مولانا الاستاذ المرحوم

ومن المعرفة وحصوله عليها في حياة الاستاذ المرحوم

ومن الاذن له بتلقين الاوراد وانتصابه للطريقة وما اشبه ذلك من وسائل الوصول الى الله وهل رأينا من حصوله قدم على يديه

ومن كون استاذنا المعظم سيدي الشيخ احمد بن مصطفى العلوي اعطى الاستاذ الشيخ عدة كتابة او مشافهة بصدق دعواه الخلافة والاذن له من استاذنا المعظم وهل عندي ما يشهد بذلك من شبه وصية او اشارة من مولانا المعظم بان الخليفة بعده الشيخ عدة الخ.

فاقول ممتثلا امركم الكريم وخادما لاهل طريقتنا العلية واستهل جوابي هذا بالدعاء لجنابكم بقولي جزاكم الله خيرا وارفقه بقولي واشهد الله عليه

اولا — ان الاستاذ سيدي الحاج عدة بن تونس له القدر الكافي من العلوم الظاهرية والباطنية النافعة وله من الاخلاق الفاضلة والآداب المرضية ما يستطيع به على القيام بهذه الوظيفة احسن قيام فقد شاهدناه ايام زيارة الاستاذ المرحوم لنا بدمشق وكان معه وقد انتظره لرفقته الى الشام واوصل بقية المريدين من السويس وتمم ما انتظر. وقد رأينا فيه خلال طلبها في الطريق من آداب مع الاخوان ومع الاستاذ والقيام بخدمته وطاعته ورضاء الاستاذ عنه والثناء عليه وقد تعرف به الحاضرون لما كان جميعهم حضرة الاستاذ في دمشق ولا بكلمة ابدا مع الاستاذ ثم اقتصر الحاضرون فرصة كان فيها الاستاذ المرحوم نائما في محل بعيد عن محل الاجتماع وسألوه فاجابهم عليهم من العلوم الظاهرة والباطنة من المنقول والمعقول والاذواق ما بهر عقول الحاضرين فصار كل منهم يقول باسم الرفيق رفيق الاستاذ العلوي وسموه العدة هذا هو الشيخ ...

شهادة محمد الهاشمي لصالح الشيخ عدة بن تونس
موجهة لرئيس جمعية النهضة الصوفية العلوية بمصر

ثانياً – فالذي اعلمه انه محبوب عند جميع اخواننا شرقاً وغرباً ولا غرابة اذا وجد له بعض اعداء وقد قال الشاعر :

ليس يخلو المرء من ضد ولو　　　حاول العزلة في رأس جبل

ثالثاً – اشهد ان له معرفة وحصل عليها في حياة استاذنا المعظم وقد احاط بذلك علما الشيخ الهلالي عندكم

رابعاً – حصل له الاذن من استاذنا المعظم ومعلومكم ان الاذن ينقسم الى قسمين اذن شفاهي واذن بالانابة والامر بحياة الشيخ بان يقوم مقامه في بعض المهات الدينية وان سيدنا واستاذنا المعظم كان اقام الشيخ عدة مقامه في زاويته واذن له بذلك في حياته وهو انزوى في بيته وعليه يكون هو خليفته بعد مماته كما اذن النبي صلى الله عليه وسلم لسيدنا ابي بكر واقامه اماماً بالناس وعلى تلك الامامة بايعه الصحابة رضوان الله عليهم بالخلافة العامه

خامساً – اشهد بان الفتح حصل على يده لجماعة كثيرين من بلاد المغرب عامة

وفي الختام وهو مسكه ان قولكم ان الاستاذ الهلالي اثبت له الخلافة بلا دليل ولذلك اضطررتم لسؤال ممن عنده علم بالحقيقه فاقول ان الهلالي اسند الخلافة ولم يات بالدليل على اسنادها له لعلمه بشهرة تلك الخلافة بين الناس وبين الاخوان وكانه تمثل بقول الشاعر

وكيف يصح بالاذهان شيء　　　اذا احتاج النهار الى دليل

وختام الختام اني اشكر الجمعية واطلب منها ان تقوم بما وعدتنا به من القيام بالواجب وهو المناصرة للشيخ عدة فانتصارها له هو انتصار للحق واهله وارضاء لله ورسوله وان ما سبق هو نظرى وشهادتي اللتان طلبتموها والسلام عليكم وكان الله لكم عوناً ومعينا .

٢٧ رجب الفرد سنة ١٣٥٥

خادم الطريقة العلوية بالشام
محمد بن الهاشمي التلمساني

الثلاثاء 13 اكتوبر 936

ملحق رقم ثمانية

الأنموذج الفريد الموصل لعين التوحيد في شرح النقطة المشيرة إلى الوحدة

كتاب

الأنموذج الفريد الموصل لعين التوحيد
في شرح النقطه المشيره الى الوحده
للعارف بالله والدال عليه
الشيخ سيدي احمد بن
مصطفى بن عليوه
متعنا الله بطول
حياته آمين

على نفقة الفقيرين الى الله المقدم الشيخ علي بن الصادق
الصحراوي واخيه في الله سيدي الطاهر بن الحاج العربي
من الحاضرة عفى الله عنهما

طبع بالمطبعة التونسية بنهج سوق البلاط عدد ٥٧ تونس
١٣٣١ـ١٩١٣

ملحق رقم تسعة

بطون الكائنات * في غياهب الاسماء والصفات ونعني بالصفات ظهور الحق لنفسه عند تجليه الاول وبالاسماء ظهور الصفات لنفسه عند التجلي الثاني والاول هو عين الثاني وهذان رتبتان هما المعبر عنهما بالاولية والاخرية والظهور والبطون فظهوره في بطونه واوله في آخره ومن هنا يقال لا نفي ولا اثبات انما هو ذات في ذات وهاته الذات هي المعبر عنهما بوحدة الوجود المشار اليها في الحديث الشريف بالنقطة وهي التي تدفقت منها سائر الكائنات * حسبما تقتضيه الاسماء والصفات * وكلما ذكرت النقطة فنعني بها غيب الذات المقدسة المسماة بوحدة الوجود وكلما ذكرت الالف فنعني به واحدية الوجود المعبر عنه بالذات المستحقة للربوبية وكلما ذكرت الباء فنعني بها التجلي الاخير المعبر عنه بالروح المحمدية ثم بقية الحروف والكلمات والكلام * فعلى حسب ما يقتضيه المقام * واما محور الكتاب فهو دائر على اول الحروف الهجائية لما لها من المزية * السابقون السابقون اولئك المقربون * ومجموعها ا ب وكل حروف هجائية لابد من تقدم الحرفين عليها وتكون بمنزلة البسملة في الكتاب لان مجموعها اب وقد تزاد التاء للتفخيم فتقول ابت وهي اسم من اسمائه تعالى على اللغة العبرانيــة وبه كان عيسى عليه السلام يناجي ربه ومنه قوله انيَ ذاهب الى ابي وابيكم اي الى ربي وربكم واذا فهمت ان هذين الحرفين لهما معنى كنت عنها بمعزل فلا تستبعد ما سنذكره في النقطة وفي بقية الحروف

(الكلام على النقطة)

كانت النقطة في كنزيتها قبل تجليها بذات الالف كما سياتي ان شاء الله وكانت الحروف مستهلكة في كنهها الغيبي الى ان ظهرت بما بطنت * وتجلت بما استترت فتشكلت في مظاهر الحروف كما ترى واذا تحققت لم تجد الا ذات المداد المعبر عنها بالنقطة

ان الحروف اشارات المداد فلا * حرف هنالك سوى ذات المداد طلا
خلا الحروف اللواتي صار صبغتها * وهما وصبغته صارت وما انتقلا
بطونها كان في غيب المداد كما * ظهورها كان بالتقدير منه ابى

ملحق رقم عشرة

12/10 '09 23:01

كتاب

المنح القدوسية

في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية

للشيخ المربى الكبير العارف بالله المحقق الشهير

أبى العباس سيدى أحمد بن مصطفى المعروف

بابن عليوه المستغانمى رضى الله عنه

وعنا به آمين ونفع به كما نفع

بأصله انه القوى المعين

آمين والحمد لله

رب العالمين

م

(الطبعة الثانية)

سنة ١٣٥٥ هجرية

المطبعة الوطنية لصاحبها علي احمد خطاب بالأزهر بمصر

غلاف كتاب المنح القدوسية

ملحق إحدى عشرة

Fax reçu de : 12/10 '09 23:04 Pg: 5

— ب —

وان فاتتنا خدمته كما يجب فلا يفوتنا الاعتناء بمؤلفاته طبعا ونشرا ومدارسة وتنويها خدمة للمسلمين عامة ولأهل النسبة خاصة رجاء منهم صالح الدعوات وقد وردت علينا عدة تقاريظ من نواح مختلفة فأدرجنا بعضها وأرجأنا الباقي للطبعة الثالثة ان شاء الله لما فى عزمنا من الاعتناء بدقتها
انتهى من مصححه ؟ ﴿ الهلالى محمد القسنطينى الجزائرى ﴾
بالأزهر الشريف ـ مصر

جدد طبع هذا الكتاب الجم الفوائد ليعم نفعه ويعرف ما لمؤلفه من حسن الاشارة الى أسنى المقاصد على نفقة الفقير الى الله تعالى محيى الدين الفانى بن الهلالى القسنطينى الجزائرى بالأزهر الشريف والمحب فى الله محمد صلاح عبد اللطيف الفالوجى الفلسطينى والباعث على طبعه شدة الحاجة اليه ونشر مؤلفات مولانا الأستاذ الأكبر قدس سره اكراما لأبناء النسبة العلوية الحسنية لازال المندرج فى سلكها ملحوظا بأسرارها وعلومها اللدنية
ونسأل الله سبحانه وتعالى
أن يحقق آمالنـــا
.. آمين ..

النسخ القدوسية في شرح المرشد المعين
بطريق التصوف المقدمة ص: ب

ملحق رقم اثنا عشرة

بسم الله الرحمن الرحيم

يقول عبد ربه أحمد بن مصطفى العلاوي
المستغانمي

الحمد لله الهادي من استهداه.. والصلاة والسلام على من لا نبي بعده وعلى آله وصحبه ومن والاه. أما بعد أيها المنتدبون (1) فقد بلغتني رسالتكم تتضمن من الأسئلة عشرا (2) بواسطة محبكم (3) وأنه أعرب لي عما قصدتموه واشتملت عليه طويتكم من إضمار الخير لعموم البشر كما أخبرني أيضا أنكم تريدون ارتباط الجواب بنصوص قرآنية أو أحاديث نبوية أو قواعد فلسفية عصرية ليكون ذلك أدعى للقبول وأمكن تأثيرا في النفوس والعقول ولما كانت الأسئلة بالقلم الأعجمي الزمته بإيضاح معناها لآتي بما يلائم ما اشتملت

1- خطابا من الكاتب للسائل الذي كان سببا في هذا المجموع وهو السيد عبد الرحمان ابن لطبي الفرنسي الجنسية أو البرورو

(2) الأول منها هل الإسلام يفترض على سواه من الأمم أو يسمح بالمودة، الثاني ما هي عقيدة الإسلام في الأناجيل الموجودة الآن بأيدي أهلها، الثالث هل ترون أن المسيحيين يلزمون باعتناق الدين الإسلامي أم لا، الرابع هل أحكام الإسلام تطابق المدنية العصرية أم لا، الخامس هل يوجد في الأحكام الشرعية منافع دنيوية زيادة عن كونها تعبدية، السادس ما هي عقيدة الإسلام في الإله وما هي الأدلة على وحدانيته، السابع ما هي عقيدة الإسلام في محمد عليه السلام وما هي الدلائل على ذلك، الثامن ما هي فائدة الأمة الفرنسوية لو اعتنقت الدين الإسلامي على التقدير، التاسع هل يوجد في الإسلام من الرخص ما يوافق حال المدنية كالربا قصدا والدخول فيه، العاشر بأي قول أو فعل يلزم من أراد اعتناق الإسلام حتى يكون كافيا له في كونه مسلما (3) هو الشريف الأجل السيد الحسن بن عبد العزيز القادري نسبا

مخطوطة الأجوبة العشرة:

الصفحة: 01

ملحق رقم ثلاثة عشر

بالغلو مراحله حيث اتضح بالنقل الصريح انه من مقررات الشرائع السابقة اما شريعة المسيح ليست بابعد تطبيق على مرتفعة مما من الشرائع في هذا الباب حيث انها تعتبر اكتشاف اطراف المراة وشعرها من القبائح اما النظر لمحاسن المراة فانها تعتبره ضربا من صريح الزنى حسبما صرح به المسيح عليه السلام في الاصحاح الخامس من انجيل متى هكذا. قد سمعتم انه قيل للقدماء لا تزن واما انا فاقول لكم ان كل من ينظر الى امراة يشتهيها فقد زنى بها في قلبه فان كانت عينك اليمنى تعثرك فاقلعها والقها عنك الخ. وعلى هذا فاين ترجى السلامة ان لم يحول بين المراة والرجل بما هو كالستار او غض البصر وبالجملة ان الشرائع الالهية او نقول المروءة الانسانية لم تسمح ولن تسمح ابدا بما يقضي بسقوط كرامة الانثى والكل يعلم ان لا كرامة للمراة مع تسييس الرجل لها

الفصل الثالث عشر من الجواب الرابع

وعلى تقرير ما سبق من كون النقاب وغيره هو من مقررات الشرائع السابقة اقول الآن زيادة للايضاح ان الاسلام لم يعتبر من الحرة عورة حتى يحرم النظر اليه او يلزمها بستره حسبما الزمها بستر بقية الاطراف كالعنق والشعر وغيرهما بمقتضى قوله تعلى ﴿ولا يبدين زينتهن الا ما ظهر منها وليضربن بخمرهن على جيوبهن﴾. فقيل ان المراد بالاستثناء في قوله الا ما ظهر منها يعني به الوجه والكفين وعليه فيكون الاستتار فيهما من قبيل المروءة والتعفف ولا سيما من خشية الفتنة لا لكونها عورة ولهذا لم يرد من الشارع بشيء فيما يعرفنا بكيفية استتار الوجه الا مجرد قوله تعلى ﴿يا ايها النبيء قل لازواجك وبناتك ونساء المومنين يدنين عليهن من جلابيبهن ذلك ادنى ان يعرفن فلا يوذين﴾. فيفهم من الاية ان دنو الجلابيب من الوجوه يكون بقدر الاستطاعة بدون تحديد ولا بيان للكيفية فبقي الامر موقوفا على المروءة

رجال الحكومة وقد بلغنا ان حكومة اميركا انها اخذت الآن تناقش المراة في نحو ملبوسها واختلاطها بالرجال (١) ولو ان المسيحيين انصفوا من انفسهم في هذا الباب لحاولوا على الاحتجاب اكثر مما يحاول عليه الاسلام او لقالوا بلزوم احتجاب الرجل فضلا عن المراة لانه اهون من ان يطرى عليه ما يلزمه بقلع عينيه او يعد زانيا لان الرجل قل ان يقع بصره على حسناء بدون ان يشتهيها

مخطوطة الأجوبة العشرة واستدلال ابن عليوة بتحريم أمريكا للخمر

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المصادر والمراجع

المصادر:

أولا: المخطوطات

ابن عليوة أحمد بن مصطفى:

1. برهان الخصوصية في الطريق البزيدية، مخطوط بأرشيف المطبعة العلاوية بمستغانم، رقم: 0056 م.ع
2. الأجوبة العشرة، مخطوط بأرشيف المطبعة العلاوية بمستغانم، رقم: 10 م.ع
3. إرشاد النبيل إلى مقالات الأستاذ الجليل، محمد بن محمد العوادي: مخطوط بأرشيف المطبعة العلاوية بمستغانم.

ابن سليمان قدور:

4. لوامع أنوار اليقين في قطع ألسنة من نقص الأئمة المجتهدين، مخطوطة نسخها عبد القادر المدعو أبو عبد الله بن الحاج عابد بإذن من الشيخ: أبو عبد الله غلام الله البوعبدلي بتاريخ 20 ذي الحجة 1414ه الموافق ل30 ماي 1994.

ثانيا: العقود والمراسلات والتقارير

5. رسالة محمد بن الهاشمي لرئيس جمعية النهضة الصوفية العلوية بمصر (1936)
6. رسالة من الحاج مراد: العمل اليومي للشيخ ابن عليوة
7. رسالة من مقدم زاوية البرج : الفرق بين الفقير والمحب

ثالثا: المقابلات والاتصالات الشخصية

1. لقاءات زاوية تيجديت مستغانم في جويلية 2001 مع الحاج ابن تونس مراد ، والحاج ابن تونس عواد.
2. لقاء مع مقدم الزاوية العيساوية ابن إبراهيم عمار بسكنه الكائن بحي تيجديت جويلية 2001.
3. تصريح للشيخ ابن تونس خالد عدنان بزاوية الدبدابة، مستغانم، في 18 أكتوبر 2001.
4. لقاء بمكتبة العالمين بسطيف مع السيدين أرتباس علي وموهوب نصر الدين.
5. اتصالات هاتفية مع السادة: الحاج ابن تونس مراد، أرتباس علي، والدكتور موهوب نصر الدين.

رابعا: الصحف

1. لسان الدين (1923): 12 عددا
2. أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري ، ج1، قدم له وحققه: عبد السلام بن أحمد الكنوني، راجعه وأشرف عليه: عدلان خالد بن تونس، ط1 ، طنجة، 1406هـ 1986.
3. أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري، ج2، قدم له وحققه: الزهري علال، راجعه وأشرف عليه: عدلان خالد بن تونس، ط1، طنجة، 1987.
4. أضاميم المد الساري لصحيفة البلاغ الجزائري، ج3- قدم له وحققه: عبد القادر القاسمي، راجعه وأشرف عليه: عدلان خالد بن تونس، ط1، 1420هـ - 1999 نسخة للمراجعة بالزاوية العلاوي بتيجديت مستغانم.
5. البلاغ الجزائري.
6. لسان الدين (الثانية):

لسان الدين، ع: 28. السنة الأولى، الجزائر: 30 محرم 1356.هـ

لسان الدين، ع : 27. السنة الأولى، الجزائر: 15 محرم 1356هـ

لسان الدين، ع : 32، السنة الأولى، الجزائر: 30 ربيع الثاني 1356هـ

لسان الدين، ع: 35. السنة الأولى، الجزائر:30 جمادى الأولى 1356هـ.

لسان الدين، ع: 40. السنة الأولى، الجزائر: رمضان 1356هـ.

لسان الدين، ع : 48. السنة الثانية، الجزائر: 15 محرم 1357 هـ- 17 مارس 1938.

7. النجاح:

ع: 168، قسنطينة: الجمعة 8 أوت 1924.

ع: 173، قسنطينة: الجمعة 5 سبتمبر 1924.

ع: 179، قسنطينة: الجمعة 24 أكتوبر 1924 .

ع: 180، قسنطينة: الجمعة 31 أكتوبر 1924.

ع: 2139، قسنطينة: الجمعة 3شعبان 1357هـ - 28 سبتمبر 1938

8. الشهاب:

الشهاب: ع: 128، قسنطينة: 5رجب 1346، 29 ديسمبر 1927.

الشهاب، السنة الأولى، قسنطينة: 1343- 1344 / 1925-1926. ج1، ط1، دارالغرب الإسلامي: 1421-2001.

الشهاب، السنة الثانية، قسنطينة: 1344- 1345 / 1926-1927. ج2، ط1، دار الغرب الإسلامي: 1421-2001.

الشهاب، السنة الثالثة، قسنطينة:1345- 1346 / 1927-1928. ج3، ط1، دار الغرب الإسلامي: 1421-2001.

الشهاب، السنة الرابعة، قسنطينة: 1346-1347/ 1928. ج4، ط1، دار الغرب الإسلامي: 1421 -2001،

9. تنبيه القراء إلى كفاح مجلة المرشد الغراء، ج1، جمعه: رشيد محمد الهادي، حققه: يحي برقة، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1983

10. عدة بن تونس: تنبيه القراء إلى كفاح مجلة المرشد الغراء، ج 2، ط1، المطبعة العلاوية، مستغانم، 1990.

خامسا: الكتب والرسائل

ابن عليوة أحمد بن مصطفى

1. الأنموذج الفريد الموصل لعين التوحيد في شرح النقطة المشيرة إلى الوحدة، المطبعة التونسية، تونس: 1331– 1913 .
2. أعذب المناهل في الأجوبة والرسائل، ط2، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1993.
3. البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور،ج1، ط2، المطبعة العلاوية، مستغانم:1995.
4. البحر المسجور في تفسير القرآن بمحض النور،ج2،ط1، المطبعة العلاوية، مستغانم:1995.
5. ديوان العارف بالله والدال عليه، المطبعة التونسية، تونس: 1339.
6. دوحة الأسرار في الصلاة على النبي المختار، ط3، المطبعة العلاوية، مستغانم، الجزائر: 1991.
7. الأبحاث العلاوية في الفلسفة الإسلامية، أحباب الإسلام، باريس: 1984.
8. رسالة الناصر معروف في الذب عن مجد التصوف، ط1، مطبعة التوفيق، دمشق: 1931.
9. الرسالة العلاوية في البعض من المسائل الشرعية، ط2، المطبعة العلاوية، مستغانم:
10. القول المقبول فيما تتوصل إليه العقول، مطبعة النهضة، تونس: د. ت .
11. القول المعروف في الرد على من أنكر التصوف، المطبعة التونسية، تونس: 1339هـ.
12. القول المعتمد في مشروعية الذكر بالاسم المفرد، ط1، مطبعة الاعتدال، دمشق: 1931.

13. المنح القدوسية في شرح المرشد المعين بطريق الصوفية، ط2، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1998.

14. مبادئ التأييد في بعض ما يحتاج إليه المريد، ج1، ط3، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1989.

15. المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية، ج1، ط2، المكتبة العلاوية بمستغانم: 1989.

16. المواد الغيثية الناشئة عن الحكم الغوثية ،ج2، ط1، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1994.

17. مفتاح الشهود في مظاهر الوجود، المطبعة العلوية بمستغانم، الجزائر: 1360.

18. معراج السالكين ونهاية الواصلين، ط2، المطبعة العلاوية بمستغانم: 1992

19. منهل العرفان في تفسير البسملة وسور من القرآن، ط5، المطبعة العلاوية بمستغانم: 1997.

20. المنهاج المفيد في أحكام الفقه والتوحيد، ط1، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1997.

21. نور الأثمد في سنة وضع اليد على اليد في الصلاة، ط3، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1992.

22. ابن تونس عدة: الروضة السنية في المآثر العلوية، ط1، المطبعة العلوية، مستغانم: 1354هـ-1936.

23. ابن عبد الحكم الجيلاني: المرآة الجلية في ضبط ما تفرق من أولاد سيدي يحي بن صفية، مطبعة ابن خلدون، تلمسان، 1372هـ.

24. ابن حشلاف عبد الله بن محمد: سلسلة الأصول في شجرة أبناء الرسول، المطبعة التونسية، تونس،1347 هـ - 1929.

25. ابن عبد العزيز الحسن القادري: إرشاد الراغبين، مطبعة النهضة، تونس: د.ت.

26. ابن قدور عمر: الإبداء والإعادة في مسلك سائق السعادة، ج1، ط1، المطبعة التجارية، الجزائر، 1346هـ- 1928.

27. التبسي العربي: مقالات في الدعوة إلى النهضة الإسلامية في الجزائر، جمع وتعليق: شرفي أحمد الرفاعي، ق1، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1402هـ1981.

28. التمسماني أحمد بن صالح: الحلل المرضية على الرسالة العلاوية، ط2، المطبعة العلوية، مستغانم: د ت.

29. التباع عبد الله البيضاوي: مطالع اليقين في مدح الإمام المبين، ط2، المطبعة العلاوية، مستغانم: 1992.

30. الشهائد والفتاوى فيما صح لدى العلماء من أمر ﴿ الشيخ العلاوي ﴾، جمع محمد بن محمد بن عبد الباري الحسني التونسي، علق عليه: قدور بن أحمد المجاجي، المطبعة التونسية، تونس: 1344 – 1925.

31. العشعاشي مصطفى: السلسلة الذهبية في التعريف برجال الطريقة الدرقاوية، تحقيق: مصطفى يلس شاوش بن الحاج محمد ، د.ز. د.م
32. المداني محمد بن خليفة: كتاب منهل التوحيد على كفاية المريد، د.م: د.ت
33. المداني محمد بن خليفة: جواهر المعاني في بعض رسائل الشيخ المداني، د.م: د.ت.
34. المدني أحمد توفيق: كتاب الجزائر، ط2، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.
35. الزاهري محمد السعيد: الإسلام بحاجة إلى دعاية وتبشير، ط2، مطبعة الاعتدال، دمشق، 1352هـ- 1934.
36. آثار محمد البشير الإبراهيمي:ج1، ط1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1398هـ- 1978.
37. سجل مؤتمر جمعية العلماء المسلمين الجزائريين المنعقد بمركزها العام نادي الترقي بالجزائر، دار الكتب الجزائر، (المؤتمر السنوي الخامس) 1354 هـ

سادسا: المراجع

أحمد حماني:

1. صراع بين السنة والبدعة، ط1، دار البعث، قسنطينة، 1985.
2. أحمد فريد:

التزكية بين أهل السنة والصوفية، دار ابن تيميه، البليدة، د.ت.

3. أ.ل. شاتليه:

الغارة على العالم الإسلامي، لخصها ونقلها للعربية: محب الدين الخطيب، مساعد اليافي.

4. أنيس محمد :

الدولة العثمانية والشرق العربي (1514-1914) ،مكتبة الأنجلو مصرية، دار الجيل للطباعة، القاهرة.

5. ابن إسماعيل عبد الحق البادسي:

المقصد الشريف والمنزع اللطيف في التعريف بصلحاء الريف، تحقيق سعيد أعراب، ط2، المطبعة الملكية، الرباط، 1414هـ -1993م.

6. ابن تيمية أحمد:

مجموع فتاوى شيخ الإسلام، جمع وترتيب: عبد الرحمن محمد بن قاسم، مج11، مكتبة المعارف، الرباط، المغرب، د.ت.

7. ابن خلدون عبد الرحمن:

المقدمة، مطبعة عبد الرحمن محمد لنشر القرآن الكريم والكتب الإسلامية، القاهرة، د.ت د.م.

8. ابن عجيبة بن محمد الحسني:
معراج التشوف إلى حقائق التصوف، صححه و علق عليه: م حمد بن أحمد بني الهاشمي بن عبد الرحمان الحسني التلمساني، ط1، مطبعة الاعتدال، دمشق، 1355هـ - 1937م
ابن عربي محي الدين:
9. تفسير القرآن الكريم، تحقيق وتقديم، مصطفى غالب، المجلد الأول، ط:3، دار الأندلس، بيروت، 1401هـ - 1981م.
10. ابن عربي محي الدين: الفتوحات المكية، المج2، مكتبة الثقافة الدينية. د ت.
11. ابن عبد القادر محمد الجزائري:
تحفة الزائر في تاريخ الجزائر والأمير عبد القادر، شرح وتعليق: ممدوح حنفي، ط2، بيروت، 1964.
ابن نبي مالك:
12. مذكرات شاهد للقرن، ط2، بإشراف: ندوة مالك بن نبي، دار الفكر المعاصر، بيروت، دار الفكر، دمشق، 1404 هـ - 1984.
13. شروط النهضة، ت: عمر كمال سقاوي وعبد الصبور شاهين، ط4، دار الفكر الجزائر، دار الفكر دمشق، 1987.
14. ابن عبد الكريم محمد:
حكم الهجرة من خلال ثلاث رسائل جزائرية، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.
15. ابن عيسى عبد القادر المستغانمي:
مستغانم وأحوازها عبر العصور تاريخيا وثقافيا وفنيا، ط1، المطبعة العلاوية، مستغانم، 1996.
16. ابن تونس رشيد محمد الهادي:
نيل المغانم من تاريخ وتقاليد مستغانم، ط1، المطبعة العلاوية، مستغانم، 1998.
17. ابن كثير إسماعيل عماد الدين أبي الفداء:
تفسير القرآن العظيم، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، خرج أحاديثه محمد بن الجميل، وليد بن محمد سلامة،ج2، ط1، مكتبة الصفا، مطابع دار البيان الحديثة، القاهرة، 1423- 2002.
18. ابن يوسف أحمد الفاسي:
شرح رائية الشريشي، المطبعة العامرة الشرقية، مصر، 1316.
19. أبو العباس أحمد بن أحمد الغبريني:
عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية، تحقيق: رابح بونار، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1981.

بوصفصاف عبد الكريم:

20. جمعية العلماء المسلمين الجزائريين وعلاقاتها بالحركات الجزائرية الأخرى 1931-1945، دراسة تاريخية وإيديولوجية مقارنة، منشورات المتحف الوطني للمجاهد، الجزائر: 1996

21. بوصفصاف عبد الكريم: الفكر العربي الحديث والمعاصر محمد عبده وعبد الحميد بن باديس نموذجا، ج1، دار الهدى عين مليلة، الجزائر: 2005.

بوصفصاف عبد الكريم وآخرون:

22. معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج1، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة: 2002.

23. معجم أعلام الجزائر في القرنين التاسع عشر والعشرين، ج2، منشورات مخبر الدراسات التاريخية والفلسفية، جامعة منتوري، قسنطينة: 1425هـ -2004

24. البوطي محمد سعيد رمضان:

ضوابط المصلحة في الشريعة الإسلامية، الدار المتحدة، مكتبة رحاب، مؤسسة الرسالة، دمشق، الجزائر، بيروت: د.ت

أبو القاسم سعدالله:

25. تاريخ الجزائر الثقافي، ج1، دار الغرب الإسلامي، بيروت، 1998.

26. الحركة الوطنية الجزائرية 1900-1930، ج2، ط3، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1983.

27. ترمنجهام سبنسر:

الفرق الصوفية في الإسلام، ترجمة ودراسة وتعليق، عبد القادر التجراوي، ط1، دار النهضة العربية، يروت 1997

28. جمال الدين بوقلي حسن:

(الإمام ابن يوسف السنوسي وعلم التوحيد) حاشية على متن السنوسية، المؤسسة الوطنية للكتاب، لجزائر: د.ت.

29. جورج أنطونيوس :

يقظة العرب، تاريخ حركة العرب القومية، ت: ناصر الدين الأسد، إحسان عباس، ط2 ، دار العلم للملايين، بيروت، 1969.

30. حمدان بن عثمان خوجة:

المرآة، تقديم وتعريب وتحقيق: محمد العربي الزبيري، ط2، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1982.

31. حبش بن إسماعيل المدني مصطفى:
النصرة النبوية لأهل الطريقة الشاذلية الدرقاوية المدنية الفاسية، ط1، المطبعة العامرة الشرقية، مصر، 1898.(على هامش شرح رائية الشريشي)
32. حلاق حسان:
موقف الدولة العثمانية من الحركة الصهيونية (1798- 1914)، ط2، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، بيروت: 1999.
33. الجمعي خمري:
حركة الشبان الجزائريين بين 1900- 1930، رسالة ماجستير، جامعة منتوري قسنطينة 1990.
34. خرفي صالح:
الشعر الجزائري الحديث، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984
35. زروق أحمد:
قواعد التصوف، صححه ونقحه: محمد زهري النجار، راجعه: علي معبد فرغلي، ط1، دار الجيل، بيروت، 1412هـ- 1492.
36. زغدود أنيسة:
جهود جمعية العلماء المسلمين الجزائريين في مقاومة الانحرافات الطرقية(1931- 1956)، رسالة ماجستير، جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية، قسنطينة، 1999- 2000.
37. عبد الله نجمي:
التصوف والبدعة بالمغرب، طائفة العكاكزة (ق 16 — 17 م)، جامعة محمد الخامس، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية الرباط: د. ت.
38. عبد المجيد الصغير:
إشكالية إصلاح الفكر الصوفي في القرنين 18 / 19 (أحمد بن عجيبة – أحمد الحراق)- ج1، ط1، دار الآفاق الجديدة، المغرب،1989
39. العزفي أبو العباس:
دعامة اليقين في زعامة المتقين(مناقب الشيخ أبي يعزى)، تحقيق: أحمد التوفيق، مكتبة خدمة الكتاب، د.ت،د.م.
40. الغزالي أبو حامد:
إحياء علوم الدين،ج5، ط3، منقح بإشراف عبد العزيز السيروان، دار القلم،بيروت: د.ت. ملحق به (السهروردي، عوارف المعارف).
41. الشعراني عبد الوهاب:

الأنوار القدسية في معرفة قواعد الصوفية، حققه وقدم له: طه عبد الباقي سرور، السيد محمد عبد الشافعي، ج 2، مكتبة المعارف، بيروت، 1414 – 1993

42. الفوتي أحمد التيجاني:

التصوف الإسلامي، مبادئه ومقاصده وغاياته، ط2، مطبعة المنار، تونس: 1987

المدني أحمد توفيق:

43. حياة كفاح، ق2، الجزائر 1925-1954، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، 1977.

44. حرب الثلاثمائة سنة بين الجزائر وإسبانيا 1492-1792 ، الطبعة الثالثة، المؤسسة الوطنية للكتاب، الجزائر، 1984.

45. النيال محمد البهلي:

الحقيقة التاريخية للتصوف الإسلامي، مكتبة النجاح للنشر والتوزيع، تونس: 1384-1965.

46. محمد فريد بك المحامي:

تاريخ الدولة العلية العثمانية، تحقيق: إحسان حقي، ط2، دار النفائس بيروت، 1403هـ 1983م.

محمد ناصر:

47. المقالة الصحفية الجزائرية، نشأتها، تطورها، أعلامها (1903- 1931)، مج1، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، 1398هـ- 1978.

48. عمر راسم المصلح الثائر ، د.م: د.ت.

49. مصطفى ديب البغا:

التحفة المرضية في فقه السادة المالكية – شرح وتكملة متن العشماوية،ط1، دار الهدى عين مليلة، الجزائر، 1413هـ- 1992.

50. عبد القادر الجزائري:

ذكرى العاقل وتنبيه الغافل، تحقيق وتقديم: ممدوح حقي، دار اليقظة العربية.

51. رضا محمد رشيد:

الوحي المحمدي، دار الكتب، الجزائر، 1408 هـ- 1989.

52. الشوكاني محمد بن علي بن محمد:

تحفة الذاكرين، ط1، دار القلم بيروت: 1984.

53. كتاب ملتقى التربية والمعرفة في مآثر الشيخ أحمد بن مصطفى العلاوي محاضرات وشهادات، العشرية الأولى لتأسيس جمعية الشيخ العلاوي للتربية والثقافة الصوفية، المنعقد في 28-29-30 رجب 1422 هـ الموافق لـ16-17-18 أكتوبر 2001 بدار الثقافة لمدينة مستغانم، ط1، دون دار النشر، 2002.

54. يوسف القرضاوي:
من أجل صحوة راشدة تجدد الدين وتنهض بالدنيا، سلسلة الصحوة الإسلامية، 1408 هـ-1988، د.م.
55. النووي يحي بن شرف الدين:
شرح متن الأربعين النووية في الأحاديث الصحيحة النبوية، تحقيق: عبد الله بن إبراهيم الأنصاري، المكتبة العصرية، بيروت، 1402-1982.
56. نهج البلاغة، جمع الشريف الرضي، شرح محمد عبده، ج1، ط1، دار الفكر العربي بيروت، 1996.

سابعا: المقالات

1. التليلي العجيلي:
صدى الطريقة العليوية بالبلاد التونسية بين 1920 و 1934، المجلة التاريخية المغربية، ع: 69 - 70، زغوان، ماي 1993.
2. الغندور محمد: علم النفس والصوفية، بحوث المؤتمر الرابع لعلم النفس في مصر، والجمعية المصرية للدراسات النفسية، يناير 1988.
3. منصور محمد: التاريخ وأدب المناقب (تصوف الشرفاء، الممارسة الدينية والاجتماعية للزاوية الوزانية من خلال مناقبها)، الملتقى الدراسي الرباط، 8-9 إبريل 1988 منشورات الجمعية المغربية للبحث التاريخي.

ثامنا: المعاجم

1. ابن منظور :
لسان العرب، المجلد الرابع، دار بيوت للطباعة والنشر، دار صادر للطباعة والنشر، بيروت:د.ت
2. دائرة المعارف الإسلامية: ت: محمد ثابت الفندي وآخرون، مج 10، د.م:د.ت
3. روزنتال بودين وآخرون: الموسوعة الفلسفية، ت: سمير كرم، ط1، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت: 1974.
4. الزوبي ممدو ح : معجم الصوفية، الطبعة الأولى، دار الجيل، بيروت، 1425-2004.
5. الشرقاوي حسن: معجم ألفاظ الصوفية، ط1، مؤسسة مختار للنشر والتوزيع، القاهرة، 1987.
6. صليبا جميل: المعجم الفلسفي، ج2، دار الكتاب اللبناني، بيروت، دار الكتاب المصري، القاهرة، 1979.

تاسعا: صحف وتقارير ومقالات باللغة الأجنبية

1. EL MORCHID N° : 15. 2e année , Mostaganem : Rabi-el-tani 1367- février 1948
2. EL MORCHID N° : 31. 3e Année, Mostaganem : 1 er safar 1369- 23 Novembre 1949
3. EL MORCHID N° : 36. 3e Année, Mostaganem : 1 er Redjem 1369- 19 Avril 1950
4. EL MORCHID N° : 48. 4e Année, Mostaganem : 1 er Redjeb 1370- 8 avril 1951.
5. Augustin Berque : un mystique moderniste le cheickhe benalioua, in RA, T2, 1936
6. Eric Geoffroy: le rayonnement spirituel du cheikh al Alawi en occident, 1ere édition, Mostaganem : 2002
7. Léon Langelet :Ainsi m'a parle le vénérable Cheikh sidi hadj Adda Bentounes cahiers des amis de l'islam, no 2
8. la vie administrative de l'Algérie : Mostaganem l'histoire et l'équipement d'un port Méditerranéen, n°: 89 .mai 1956.
9. Service des liaisons Nord -Africaines (SLNA) les confréries religieuses en Algérie, W - Betna. N°- 499.

عاشرا: مصادر ومراجع باللغة الأجنبية

1. Abdelkader Djeghloul: elements d'histoire culturelle Algérienne, ENAL, Alger: 1984.
2. Abderrahim Taleb Bendiab: Chronologie des Faits et Mouvements Sociaux et Politique en Algérie, (1830 – 1954), imprimerie du centre, Alger: 1983.
3. Abdou-L-Karim Jossot: Le Sentier d' ALLAH, 2 eme édition, imprimerie allaouia, Mostaganem: 1990.
4. Ageron Charles–Roberts : les algérien musulmans et la France (1871-1919), T2, Presses Universitaires de France, Paris: 1968.
5. Ageron Charles- Robert: Histoire de l'Algérie contemporaine (1830-1973), que sais-je? Presse universitaires de France,Paris : 1974
6. Marcel Carret :Le Cheikh El Alaoui (souvenirs), Mostaganem: 1947
7. Atallah Dhina : Les états de l'occident musulman aux 13-14-et 15 siècles, institutions gouvernementales et administratives, OFPU, ENAL, Alger.

8. Benouali-Rickenbacher Pascale M.: le livre des dix réponses ; les primilaires du cheikh Ahmed ben Mustafa al Alawi, mémoire présentée en vue de l'obtention du grade de licenciée en langue arabe, institut orientaliste, département de la langue arabe et islamologie, Bruxelles, août : 1987.
9. Emile Derminghem: le culte des saints dans l'Islam magrébin, Gallimard, France : 1954.
10. Ihddaden Zahir : Histoire de la presse Indigène en Algérie des Origines jusqu'en 1930, Enal, Alger : 1983
11. Gilbert Minyer: l'Algérie révélée, la guerre de 1914-1918 et le premier quart du xx[e] siècle, librerie droz, genève, paris : 1981.
12. . Janine monsonégo : l'activité économique de Mostaganem de 1830 a nos jours, éditions la rose, paris: 1930
13. Jean Louis Michon: le shaykh Mohammad al - Hachimi et son commentaire de l échiquier des gnostiques, arché : 1998
14. Johan Cartigny: cheik al Alawi : documents et témoignages, éditions les amis de l'islam, paris : 1984
15. Louis Thireau :Mostaganem et ses environs imprimerie Eugène, Mostaganem, 1912.
16. Martin Lings: un Saint musulman du veingtieme siècle, le Cheikh Al Alawi, édition traditionnelles, Paris:1978
17. Moulay Belhamissi : Histoire de Mostaganem (des origine à nos jours), SNED, Alger: 1982.
18. Mahfoud Kaddache: Histoire du Nationalisme Algérien, 2[eme] édition, T1, Enal, Alger:1993.
19. P.G .André : contribution a l'étude des Confréries Religieuses Musulmanes, préface de j. Soustelle, éditions la maison des livres, Alger.
20. robert Tinthoin : les aspects physiques du tell oranais, l. fouque, Oran, 1948
21. Salah khelifa: alawisme et madanisme (des origines immédiates aux années 50), thèse pour l' obtention du doctorat d'état en histoire islamique, université: jean – Moulin (Lyon 3) faculté des langues, S. D.

الفهارس

فهرس الأعلام

(أ)

(إ)

(ب)

(ع)

(هـ)

(ي)

فهرس الأماكن والبلدان

(أ)

(إ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ش)

(ص)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

(ه)

(و)

(ي)

فهرس الموضوعات